

مكتبة مدرسة دار فؤاد

تاريخ  
الجنس  
العربي

الثاني والرابع

المكتبة العصرية  
مسيكا - بيروت

# تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

تأليف

محمد حنيفة دروزة

الجزء الرابع

الموجات العربية قبل العروبة الصريحة  
في بلاد الشام ومآثرها

أي

سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت



## موجز مستحصلات لهذا الجزء

١ - تمهيد في صلات بلاد الشام وسكانها بجزيرة العرب ومصادر تاريخ ذلك

٢ - الموجات العربية الجنس في بلاد الشام :

أ - الكنعانيون الفينيقيون في لبنان وسواحل الشام

ب - الكنعانيون في شرق الاردن وفلسطين

ت - العبرانيون في شرق الاردن وفلسطين

ث - العموريون في بلاد الشام

ج - الآراميون في بلاد الشام

٣ - لمحة في سيرة الحكم اليوناني والروماني في بلاد الشام





تمهيد

في صلة بلاد الشام بجزيرة العرب  
وموجاتها اليها ومصادر تاريخها



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

ان بلاد الشام كوادي النيل والعراق من مهاجر الجنس العربي الطبيعية واوطانه الثانية ، لانها الجناح الغربي لللال الخصب الذي كان يجذب هذا الجنس من جزيرة العرب بصورة مستمرة وهي متصلة بالجزيرة من جنوبها اتصالا مباشراً .

واذا كان الباحثون لا يستطيعون ان يميزوا في امر هوية سكان هذه البلاد في العصور الحجرية والظرانية السابقة للتاريخ أو اذا كان منهم من يذهب الى ان هؤلاء السكان مزيج من عناصر آرية او ارمنية كما يسميها فيليب حتي تسربت من الشمال وعناصر حامية تسربت من الجنوب <sup>(١)</sup> فليس هناك من ياري في طرود جماعات او موجات متلاحقة عديدة عليها منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة بمن «سما» وسميها «الجنس العربي» <sup>(٢)</sup> وغلبة طابعهم على هذه البلاد وعلى من كان فيها قبل طرودهم المعروف او جاء اليها بعد ان اخذوا يطراون عليها وغدوها بذلك من مهاجر هذا الجنس واوطانه الثانية .

واذا كان هناك من لا يقول بمجيء تلك الجماعات أو الموجات التي سميت بالساميين من جزيرة العرب فان جبهة الباحثين يقررون العكس ويقولون انه مها اختلف في اصل مهد الساميين الاول فان مهدهم الثاني كان جزيرة العرب وان الموجات والجماعات التي طرات على بلاد الشام من ناحية باديتها او من طريق العراق انما جاءت في الاصل

---

(١) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ج ١ تعريب حداد ص ٢٨

(٢) في مقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي شرحنا ماذا نقصد بكلمة الجنس العربي والمبررات الوافية لتسمية الساميين باسم الجنس العربي .



من الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>؛ حيث تزح بعضها من جنوبها الى شواطئها الشرقية على بحر الهند  
فالحلج العربي فالعراق فبلاد الشام او الى بلاد الشام مباشرة عن طريق البادية .

وهذا ما تؤيده الشواهد والوقائع ، حيث كان التشارك في اللغة والخصائص والتقاليد  
قوياً بين هذه الموجات وبين سكان جزيرة العرب قبل تطورهم من العروبة غير الصريحة  
وبعده ، وحيث عرف يقيناً في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام<sup>(٢)</sup> الذي بدأ في الالف  
الثانية قبل المسيح انسياح الموجات من جزيرة العرب الى بلاد الشام واقامتها الدول  
العديدة من عريية وقيدارية ورهاوية وايطورية ونبطية وتدمرية وتنوخية وضجعمية  
وغسانية<sup>(٣)</sup> النح فضلاً عن الموجات التي تلاحق ورودها من جزيرة العرب من طريقي  
العراق والبادية الى هذه البلاد تحت راية الاسلام والتي لم يكد تلاحقها ينقطع في دور من  
ادوار الحقبة الطويلة الممتدة الى اليوم والتي انطبعت بلاد الشام بها بطابع العروبة الخالد  
المقدس ؛ مما هو متسق مع طبيعة جزيرة العرب منذ اقدم الازمنة وبما يصح ان يعد دليلاً  
حياً لا يمكن دحضه مهما بلغت المكابرة والتزمت في بعض النسخ من مبلغ .

وقد تكون دماء الموجات العربية التي طرأت على بلاد الشام قبل دور العروبة الصريحة  
اختلطت بدماء من كان قبلها فيها او من جاء اليها بعد أن امدت تطراً عليها من غير  
جنسها كما كان شأن امثالها في العراق ووادي النيل ؛ وقد تكون اكتسبت شخصية  
خاصة نوعاً ما في الارض الجديدة التي حلت فيها . غير ان هذا لا يغير من الامر شيئاً  
كبيراً ما دامت هذه الموجات قد جاءت من جزيرة العرب وظل طابعها العربي هو الغالب  
على بلاد الشام ومن فيها من غير جنسها وظلت تحتفظ بكثير من خصائص جنسها ولغته  
وتقاليده .

---

(١) انظر مقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي للمؤلف وتاريخ مصر من اقدم  
المصور لبريستيد تعريب حسن كمال ص ١٧٠ - ١٧٢ وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص  
١٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص ١٦٩ وما بعدها طبعة قديمة . وتاريخ العرب قبل  
الاسلام لجواد علي ج ٢ ص ٢٧٧ وما بعدها وج ٣ ص ٣ - ١٢٩ وج ٤ ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) في مقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي وفي تمهيدات الجزء الثاني شرحنا  
المقصود من تمييز العروبة غير العربية والعروبة الصريحة فارجع اليها .

ولقد لبثت بلاد الشام تحت حكم اليونان والرومان نحو ألف عام ٣٣١ ق م - ٦٥٠ م وبم  
وجاء اليها منهم الالوف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم وقد جمع بينهم  
وبين اهل البلاد دين واحد هو النصرانية منذ القرن الرابع الميلادي ، وترجمت الى اليونانية  
الكتب المقدسة وصارت من اللغات التي تؤدى بها طقوس العبادة . ومع ذلك لم يستطيعوا  
ان يطبعوا البلاد واهلها بطابعهم بل وكانت جمهرة الشاميين منقبضين عنهم متحاشين من  
الامتزاج بهم <sup>(١)</sup> في حين ان الموجات العربية الصريحة التي جاءت الى بلاد الشام قبل  
الاسلام اخذت تطبع البلاد واهلها بالطابع العربي الصريح بسهولة ويسر ، وان هذا  
الطابع اشتد في عمله حينما جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام فلم يمض بضعة  
اجيال حتى تم له السيادة الخالدة المقدسة . وليس من تفسير لهذه الظاهرة الا صدق نظرية  
وحدة الدم والارومة والمنبت والروح التي كانت تجمع بين سكان هذه البلاد وجزيرة  
العرب والجنس العربي كما هو المتبادر .

## - ٢ -

ولقد كان من تلاحق الموجات المعروفة يقيناً الى بلاد الشام في دور العروبة الصريحة  
قبل الاسلام وبعده وما قام وظل يقوم من صلات وثيقة بين هذه البلاد وجزيرة العرب ،  
وما كان من استمرار التشارك في اللغة والخصائص والتقاليد والعقليات بين هذه الموجات  
الصريحة العروبة وبين الموجات التي قبلها ما أكد ذلك الطابع وقواه وخلده وجعل  
دعوى انتهاء تلك الموجات الى العروبة وجزيرة العرب محكمة حاسمة .

ويكفي ان يدقق الناظر في اسماء الاعلام الشامية التي تحمل لحة العروبة المتقدمة  
على دورها الصريح ، ويكفي كذلك ان يقارن بين مفردات لغات تلك الموجات وبين  
مفردات اللغة العربية الفصحى ليرى مصداق ذلك قوياً لا يتحمل مراة .

فهذه قائمة احتوت مئات من اسماء القرى والقصبات والمدن في مختلف انحاء بلاد الشام  
الساحلية والداخلية والجنوبية والشمالية بما فيها فلسطين منقولة عن معجم البلدان لياقوت  
الحموي المتوفى في القرن الهجري السابع مما يحمل اللمحة العربية القديمة من اللهجات او  
اللغات الكنعانية الفينيقية والعمورية والآرامية السريانية والعبرانية :

---

(١) انظر المجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية الانثوية لسنة ١٩٥٢ .

آبل - ابتز - اثرب - اجنادين - اُحص - اداقي - اذرح - اذرع - اذرع -  
 اُرد - اربد - ارتاح - ارتيق - اردن - ارسوف - ارفاء - ارك - اومناز -  
 ارنذ - ارواد - اريح - اربد - اسفونا - اطرون - اعناز - اعناك -  
 افامية - افيلاء - أفیق - اقميناس - الاكام - اكسال - اكواخ - اندرين -  
 انطوطوس - أنفة - اباير - ايله - باب - بابلا - باداما - باروا - باره - بارين -  
 باعربايا - بالسن - بالعه - باناس - بانقوسا - بترون - بثنه - بدا - بردى -  
 برزمان - برزه - برزيه - برطوبه - بريس - بزاعة - بسر - بشيت - بصرى -  
 بصير - بضيع - بطنان - بطياس - بعلبك - بغراس - بقعاء - بقع - بقتس -  
 بكاس - بكسرايل - بلاس - بلاط - بلاطة - بلعاس - بلقاء - بلنياس - بليخ -  
 بوقاس - بوقه - بياس - بيت ارانس - بيت البلاط - بيت راس - بيت رامه -  
 بيت سوا - بيت لاه - بيت فوقا - بيت لحم - بيت لھيا - بيروت - پيره - بيرين -  
 بعيرن - بيسان - تاذف - تبين - تبني - تدمر - ترمسان - تل اعقير - تل باشر -  
 تل بليخ - تل حوم - تل خوسا - تلفياثا - تلفيتا - تل قباسين - تل كشفهاث -  
 تل كيسان - تل ماسع - تل محرى - تل معنس - تل هراق - تتونيه - تنهج -  
 تنينير - توزين - توم - تيزر - تيزين - تيس - تيمر - تينات - ثمد - ثنية - ثورا -  
 جابيه - جاديه - جامم - جب - جبرين - جبل - جبلة - جبّول - جبة - جبيل -  
 جدر - جدبا - جرياء - جريى - جرجومة - جرّ - جرش - جرماز - جرمانا -  
 جرمق - جرود - جزر - جزين - جسرين - جعبر - جفاز - جلباط - جلق جليل -  
 جماعيل - جوپر - جوسيه - جوشن - جومة - جونية - جيجان - جيب جيدود -  
 جيرون - جينين - حارب - حارم - حاس - حاسر - حباران - حبال - جبرون -  
 حنيا - حبله - حبيس - حشا - حدس - حديثه - هديحاء - حر بنفسا - حربنوش -  
 مر جلة - حر دفته - هردان - حرشا - حرلان - حرملية - حزم - حسمى - حصن -  
 حصن كنيم - حطين - حنه - خير - حقو حلب - حلقبها - حماة - حمص - حمورية -  
 حمة - هندوتا - حوار - حوارين - حوران - حورة - حوله - حولايا - حبار -  
 حبران - حير - حيلان - حيفاء - خابور - خساف - خسفين - خفاصرة - خياره -  
 دابق - دابن - داروما - داروم - دانيت - دانا - دبورية - دركوش - دقانية -  
 دكه - دلوك - دمشق - دمر - دنوه - دوبان - دومة - دومين - دير ايا - دير باعنتل -  
 دير بلاض - دير يلوط - دير يونا - حافر - دير سخوات - ديرومانين - دير زور -

دير صليبا - دير فق - دير قانون - دير ماروثا - دير مران - دير ماطرون - دير مياس -  
ديماس - ذاذيخ - راس عين - رامه - راوندان - راوية - راهوا - ربه - رحاب -  
رحبه - رصافة - رعيان - رفع - رفينية - رقه - رماضة - رمادة - رمح - رمله -  
روج - روحا - ريان - الرهاء - ريحاء - زبداني - زردنا - زغبة - زغر - زعمو -  
زملكان - زيب - زيزاء - زيلوش - ساجور - سارونية - ساسكون - ساعير - سافريه  
سام - ساهره - سبعين - سبيه - سحلين - سحيلة - سدوم - سرمين - سروج - سطرا  
ستيا - ستيا - سكاء - سامية - سكين - سناجيه - سنجا - سنير - سود - سودا -  
سوسيه - سويداء - سيالي - سيات - سيلون - سينا - شاغور - شبعاء - شبيث -  
شحبو - الشراة - شفرعم - شقيف - شقيف - شويكة - شهيا - سهلبة - شيزر - شيطر  
صرخد - صرند - صرين - صف - صفورية - صفين - صكا - صمان - صنبه - صور - صوبا  
صيداء - صهيون - صهيا - صيدنايا - صنفير - ضمير - طابان - طرطوس - طرون - طور - طوبان  
طورزيتا - عابود - عاموراء - عاموص - عذرا - عرابه - عرشين - عرقه - عرمان - عرناس - عتليت  
عرندل - عروب - عزاز - عسان - عشترا - عظام - عذنون - عفر بلا - عفري - عفري  
عقرباء - عقر - عقيربا - عكا - عقيل - علاقان - علمال - عمان - عمنا - عمق - عمواس  
عناذان - عوجاء - عورتا - عوس - عين ناب - عين ثرماء - عين جالوت - عين جر -  
عين سلوان - عين سليم - عينون - غاميه - غباء - غباغب - غثاة - غريه - غزه - غسولة  
غتر - غوطه - فايا - فحل - فدين - فذايا - فراديس - فرزل - فطرس - فولة - فنيديق  
فيق - قاسيون - قاصرين - قاقون - قراوى - قانون - قباب - قبيات - قدس -  
قذاران - قراوى - قرتيا - قرحتاء - قرزاحل - قسطل - قسطون - قصير - قطنا -  
قط - قطيفة - قلين - قلمون - قلنسوة - قنسرين - قورس - قوفا - قوفيل - قويق  
قينة - كاف - كرزين - كرك - كرمل - كرينيم - كسوة - كفر<sup>(١)</sup> - بطنا - كفربيا  
كفرتكيس - كفروثا - كفرونس (جنس) - كفسايا - كفر سوت - كفر موسية -  
كفر صاب - كفر عاقب - كفر عزون - كفر كنا - كفر لاب - كفر لاثا - كفر لثا  
كفر منده - كفر نجد - كفر تغدر - كنسكر - كوسين (قومين) - لاذقية - لبنان  
لجاة - لد - لطيين - لكام - لكمة - ليون - ماب - مجدل<sup>(٢)</sup> - يابه - مدين - مرتحوان

(١) كفر بمعنى قرية .

(٢) مجدل بمعنى حصن



مرجعيون - مردا - مرعش - مرقية - مريين - مزه - مسرابا - مسكه - مشحلا  
مشغري - معراثا - معيرة معرين - معاولا - معلبا - مقرى - ماوحة - مغار - منبج -  
منغ - منيطرة - منين - ميدعا - ناصرة - ناعورة - برك - ندامان - نوا - نواز - نيبطون  
نيرب - واقدصه - وتر - وساده - هونين - يازور - ياسوف - يافا - ياقين - ياقد  
يبرود - يُبنى - ييوس - يميون - يرموك .



واللمحة العربية المتقدمة على دور العروبة الصريحة الفصحى بادية على هذه الاسماء كما  
هو ظاهر . وقد تركنا ما غلبت عليه اللمحة الاعجمية او ما جاء بالعربية الفصحى . وهو  
مع ذلك قليل : ومن المحتمل ان تكون الاسماء الجديدة المطلقة مؤخراً على اعيان قديمة  
وننبه على ان ياقوت لم يذكر جميع الاسماء بدليل وجود اعيان كثيرة قائمة اليوم لم يرد  
ذكرها فيه .

وعلى كل حال فان كون جل ما اورده مما يحمل لحة العروبة القديمة يدل على ان  
الموجات القديمة الطارئة على بلاد الشام فروع جنس واحد هو الجنس العربي تمت في اصلها  
الى موطن واحد هو جزيرة العرب وانها طبعت بلاد الشام كما قلنا بطابعها الذي ظل غالباً  
الى زمنه .

ولقد ظلت هذه الاسماء مع كثير غيرها يفوق ما اورده ياقوت باضعاف مستعملة الى  
اليوم ؛ تقوم كدليل حي على ما كان للموجات العربية القديمة في بلاد الشام اي سورية  
ولبنان وشرق الاردن وفلسطين حسب التقسيم الجغرافي السياسي الحاضر من اثر وطابع  
خالد بن .

وهذه قائمة مقتبسة من نشرة وزارة الاقتصاد الوطني في الحكومة السورية صدرت  
سنة ١٩٥٢ باسم التقسيمات الادارية في الجمهورية السورية ولقد احتوت هذه النشرة  
( ٥٤٧٦ ) اسماء للمدن والقصبات والقرى السورية عدا ( ٧٠٧ ) اسماً للمزارع الصغيرة . وثلاث  
هذه اسماً تقريباً يحمل اللمحة العربية القديمة الآرامية - السريانية . وتلها يحمل اسماء  
عربية فصحى ربما اطلق كثير منها على اعيان آرامية - سريانية قديمة . ومنها ما ورد في  
معجم ياقوت . ومعظمها مما لم يرد فيه . ونقلها جميعها تطويل لا ضرورة له ولهذا سنكتفي

بالإيراد جملة ما يحمل اللمحة العربية القديمة الآرامية السريانية منسوبة الى القسم الإداري الرئيسي الذي يسمى « المحافظة » والذي هي فيه :

#### ١ - محافظة دمشق

داريا ، صحنايا ، بـلاس ، ببيلا ، حرايا ، عقربا ، قدسيا ، بلدا ، عربين ، برزه ،  
بيت سوا ، جرمانا ، زبدین ، اوفانيه ، بانياس ، جبا ، جبانا ، جرابا ، زعرتا ، زعوره ،  
صرمان ، قعرين ، دوما ، حرستا ، اوتايا ، مسرايا ، ميدعا ، تلفتيا ، حلبون ، صيدنايا ،  
معربا ، منين ، بلالبة ، حربا ، حران ، حزرما ، قرحتا ، افره ، بقين ، بلودان ، ديرقانون ،  
ديماس ، سرغايا ، ييوس ، معنايا ، سحل ، فليطه ، قـلدون ، نـبك ، يبرود ، ميبه ،  
عسال ، قطننا ، ميبا ، عرطوز ، سعسع ، دوبايا ، بيمتا ، حرفا ، سـجيتا ، كسوة ، سبسا  
ماعص .

#### ٢ - محافظة حوران :

درعا ، ابطع ، جلين ، داعل ، زيزون ، صيدا ، طفس ، داروده ، ضيسيا ، ازوع ،  
علما ، قرفا ، نامر ، انحـل ، جباب ، خـب ، زمـرين ، عالتين ، عقربا ، غباغب ، نوى ،  
جيبين ، فتي ، خفسين ، دبوسيا ، زيتا ، كفر الما .

#### ٣ - محافظة السويداء

حـب ، خرـبا ، رساس ، عتيل ، عرى ، ولغا ، بوسان ، مجدل ، جدبا ، بريكة ، تغلا ،  
دوما ، تعاره ، جرين ، حران ، داما ، صاخذ ، عرمان ، عوس ، بكـا ، ذيبين ، مياماس ،  
طليطين ، قيصا ، متان .

#### ٤ - محافظة حمص

آبل تلـدو ، تير مـلة ، دير بعلبه ، زيدل ، شمسين ، كفرعايا ، كفر لاهـا ، برايو ،  
بلقسه ، تارين ، جرنـايا ، زور بقرايا ، حنون ، عرقابا ، عيصون ، مـحنايه ، معوش ،  
فصين ، تـدمر اركـ ، ام جباب ، ام ساموكـ ، تل عداي ، تل قـطا ، نوى ، الهبا ، ام جـبورين ،  
ام جـريص ، عليات ، حـميا ، صولايا ، رقاما ، صدد ، تسنين ، دلفين ، دير فق ، كفر تان ،  
ابو دالي ، تل عمري ، رمزوق ، جوسيه ، دين ، زيتا ، سفرجه ، لفتايا ، مودان .

## ٥ - محافظة حماه :

براق ، بسيرين ، بيرين ، تومين ، تبزين ، جبزين ، خلا ، صروج ، مريجين ، صاوا ،  
صوران ، كاسون ، اللالا ، تفراع ، كراح ، معدس ، معدفتين ، معرشحور ، معرين ،  
بيصين ، قنيلون ، كيسين ، جلمة ، حلفايا ، حبالين ، خنشين ، شيزر ، صلبا ، عمورين ،  
كفر زيتا ، تحايا ، كفر نبودة ، ابو جاريا ، حصين ، حلبان ، دنين ، زغرين ، طوبا ، نوى  
طوطح ، بغديد ، شادوف ، عقيربات ، سوحة ، عرشونة ، عكش ، فريتان .

## ٦ - محافظة اللاذقية :

بانياس ، بارمايا ، اوين ، بديغان ، يعمرائيل ، تعنيتا ، جلبتي ، حريصون ، حيو ،  
كرميا ، جليانا ، طيرو ، علقين ، بصرمون ، بلوسين ، قرموس ، باملاخا ، قرناية ، برمانه  
بسقاية ، جوبة ، ادلين ، تل سارين ، بيت ، قرين ، قنوتا ، شين ، جبلايا ، بشنين ،  
عيناتا ، تتورين ، حاصوره ، حديدية ، ام الميس ، بعيون ، تل جردون ، بسيسين ، بليعلين  
جرماتي ، جوب ، جوفين ، حلة عارا ، زاما ، شنبوطين ، عرمي ، بختايا ، عين قيطه ،  
صراما ، عرين ، ننتي ، بجواريا ، بسين ، بشلاما ، بكراما ، رسيون ، ديرونة ، قيتالا  
ساورين ، بتعلة ، بقنة ، بمانا ، بجزيت ، برازين ، بريعين ، بيت عانا ، بعبدى ، معرين ،  
حفة ، بابنا ، بكاس ، تلا ، رسيون ، شريفا ، باريجا ، نجاسون ، سنيا ، باروما ، دورين  
حزيرين ، كدين ، مرعند ، كفرتا ، بيت جيرو ، جبلايا ، جيت ، رامة ، دينة ، كسين  
ليفين ، صلنفا ، اوبين ، بشمانا ، بيرين ، زنبورا ، عراموا ، كفردين ، بسيطرون ،  
بيت زيتون ، بيشوهين ، فرزلا ، قمين ، بتعلوس ، بونياح ، بيت طبون ، بشرائيل ،  
حيزور ، عيناتا ، بشس ، حمين ، هيلاتا ، زغرين ، فجليت ، بسماقة ، بيلة ، مجدلول ،  
مرسعين ، ارواد ، بجنين ، برمانه ، بعشتر ، زمين ، صايا ، عزيت ، بريصين ، صفليا ،  
جوعيت ، يوقا ، دبا كرسانا ، قسطل ، زغرين ، سفكون ، مشقيتا ، مصيف ، ريمو ، ريمو  
سيناتا ، معرين ، نيجا .

## ٧ - محافظة حلب

ايديتا ، لونبا ، بلشون ، بليون ، بينين ، جورايا ، كفر حايا ، كفر لانا

معراثة ، نرصايا ، نخليا ، سراقب ، بلعيا ، جوباس ، هرمين ، سلامين ، قيماناس ، مجدليا  
 معرة ، سعرين ، كفتين ، اعزاز ، شمارين ، كفر غان ، معرين ، يمحول ، تلغار ، غيطون  
 عويلان ، حربل ، باب ، ترحين ، قباسين ، عولان ، مقرتي ، ابو جبار ، تل سيعين ،  
 جبول ، نعرايا ، سريب ، عاكولة ، عفرين ، باصلحايا ، باسوطه ، بابلت ، كفر بطرا  
 كفر حجة ، معراثة ، تل دارين ، زيتان ، غطين ، سربايا ، ابو جرين ، بلاس ، تل ساهو  
 تل عابور ، حربيل ، صقلايا ، طيبة ، عقريه ، منعايا ، نيوب ، در اب ، يسطرون ، بلان  
 تل سوسين ، حيلان ، زوزيتا ، بالا ، عندان ، ايرين ، بداما ، بكسريا ، بللو ، باريشا  
 بطلايا ، هتيا ، روعيتا ، مرييا ، دانا ، تومازين ، تل عقيرين ، سلقين ، بتيا ، البيا ، بسليا ،  
 بشندلايا ، جدسين ، بهريتا ، صرين ، عرنة ، بشعلا ، توملا ، جيالا ، دانا ، راشا ، بيرايا  
 معصران ، ابو حنايا .

#### ٨ - محافظة الفرات :

صور ، تبني ، سفيرة ، رمادي ، رقة ، جروة ، جزرة ، مرج ، الذيبات ، عباطين ،  
 قرتل ، حيلة ، جدلة ، برقة ، غدين ، ديلان .

#### ٩ - محافظة الجزيرة :

بويلان ، البلة ، البوير ، صفيا ، تل باطي ، كفرا ، تل شمس ، تل صاهود ، ديلان  
 رحيا ، شما ، شونة ، صفيا ، عداية ، تل جدايا ، تل شنان ، تل طال ، تل عريو ، عامودة  
 بسيس ، مسنا ، الصفا ، تل حرمل ، عوادة ، قطنية ، شمساني ، ديريك ، باجريق ، تل  
 دار ، تليلون ، روباريا ، عرعور ، عين يازوق ، كاسان ، كربالات ، باقلا ، تل ناعور ،  
 جلاغا ، بوره ، تل عفر ، تل كيف ، جدوع ، جرة ، دلالي ، دودان ، زورانا ، فرفره ،  
 دلاوية ، بيو ، تعلق ، جولما .

ففي هذه الاسماء ومثيلاتها التي تزيد عنها اضعافاً كثيرة والمذكورة في نشرة  
 الحكومة السورية تؤكد لما قلناه من ان الموجات العربية القديمة قد طبعت بلاد الدولة  
 السورية من بلاد الشام بطابعها الغالب بل الشامل الذي ظلت شواهد مستمرة الى الآن .



وهذه قائمة مقتبسة من كتاب « لبنان » الذي ألفه نخبة من الادباء بامر متصرف لبنان سنة ١٩١٤ ولقد احتوى هذا الكتاب قوائم باسماء نحو ألف قرية وقصبة ومدينة من قرى وقصبات ومدن جبل لبنان ، ومعظمها يحمل اللمحة العربية القديمة الآرامية - السريانية والكنعانية الفينيقية ، ومنها ما ورد في معجم ياقوت ومعظمها لم يرد فيه ونقلها جميعها تطويل لا ضرورة له ايضاً ولهذا سنكتفي بإيراد جملة من كل حرف :

اجبع ، ادما ، ارسيا ، ارسون ، ارنيا ، اصنون ، افقا ، اميون ، انفة ، اهدن ، بابا ، باروك ، بيت ضنية ، بتدين ، بترون ، بتعبورة ، بتعلين ، بجرين ، مجديدات ، بجمدون ، بدادون ، بدبا ، بدنايل ، برج ، برجين ، برصا ، برمانا ، بريدن ، بزعون ، بسابا ، بسيمينا ، بشامون ، بشري ، بشمزين ، بصاليم ، بصرما ، بعبد ، بتعانة ، بتانة ، بكرتا ، بكفتين ، بكفيا ، ترحمانا ، تنورين ، تولا ، تحوم ، جباع ، جبيل - جدايل ، جربت ، جرنايا ، جزين ، جعايل ، جعيتا ، جنسايا ، جون ، جونية ، حاصبيا ، حاقل ، حبالين ، حبرموت ، حجولا ، حدنون ، حدشيت ، حردين ، حريصا ، حزرتا ، حصرايل ، حصرون ، حلتا ، حمانا ، حملايا ، حوراتا ، حومال ، حبداب ، خلده ، دار بشتا ، داريا ، درعون ، داريا ، دفون ، دلبتا ، دملصا ، دنحاء ، دوما ، دير يايا ، دير خوتا ، ذرعون ، ذكرون ، راس كيفا ، رأس مشعا ، راشا ، راشانا ، رشمين ، رشميا ، رينون ، ريمات ، زبدن ، زبوغا ، زحلة ، زغدرايا ، زغرنا ، زغرير ، زوق ، سبرين ، سيلين ، سرحول ، سرعيتا ، سلعانا ، سنيا ، شاتين ، شارون ، شبطين ، شبيل ، شحتول ، شحيم ، شرتون ، شعبيا ، شكا ، شرماين ، شلمان ، شواتا ، شوفين ، شوير ، شوينات ، صليا ، صناط ، صورات ، صوراتا ، صيدون ، ضبية ، طبرجا ، طرزا ، طورزيا ، ظهر بصاليم ، عابا ، عاريا ، عازور ، عاضور ، عاقورة ، عاليثا ، عانوت ، عبدن ، عبرا ، عبرين ، عبية ، عثرين ، عجلتون ، عربية غلبون ، عرمون ، عشقوت ، علمات ، عمشيت ، عنبال ، عنياب ، عينات ، عين زحلتا ، عين عار ، عين عكرين ، عين عنوب ، غابون ، غادير ، غبالين ، غدادس ، غرزوز ، غرفين ، عريفة ، غزير ، غوشريا ، غوما ، فاريا ، فالوغا ، فتقا ، فرحت ، فساقين ، فعال ، فيطرون ، فيع ، قبع ، قرانمون ، قرصا ، قرطبا ، قرطبون ، قرقيا ، قرنايل ، قطبو ، قلعات ، قيتولة ، كترمايا ، كرخا ، كفتون ، كفر بعال ، كفر تعلا ، كفر حاتا ، كفر حق ، كفر حورا ، كفر زبونا ، كفر زينا ، كفر شيا ، كفر شارون ، كفر عقا ، كفرمايا ، كفريا ، كفور ، كنيون ، كلباتا ، كنيون ، لاسا ، لبعاء ، مارشينا ، ماروس ، ماصوص ، مقريت

المتن ، المتين ، مجدل بعنا ، مجدولونا ، مجدليا ، مرجبا ، مرستی ، مرباطة ، مزبود ، مزبارة ، مشقينا ، مشبعا ، مشجلات ، ميروبا ، مينوق ، نقريا ، نهريققاته ، نيجا ، هرمل ، مهربيا ، وطا سفرتا ، وطا سلان ، ياريتا ، يحشوش .

وفي هذه الأسماء ومثيلاتها التي تريد عنها أضعافاً والمذكورة في كتاب لبنان تؤكد كذلك لما قلناه من أن الموجات العربية القديمة الآرامية - السريانية والكنعانية - الفينيقية (١) قد طبعت جبل لبنان من بلاد الشام بطابعها الغالب الذي ظل مستمراً إلى الآن أيضاً .

وهذه قائمة احتوت أسماء عشرات القرى في أقضية صيدا وصور ومرجعيون والشقيف في جبل عامل الذي لم يكن داخل في حدود إدارة لبنان حينما كتب مؤلفو كتاب لبنان كتابهم . وهي تحمل كسابقاتها اللمحة العربية القديمة الآرامية والكنعانية منها ما ورد في معجم ياقوت ومنها ما لم يرد . ولم نذكر الاسماء العربية الفصحى والاسماء التي تلوح عليها لمحة الاعجمية مع ان هناك احتمالاً بأن تكون قد أطلقت على اعيان قديمة :

#### ١ - قرى قضاء صور :

ارزون ، شاف ، بيت ياحون ، باريش ، بازوريه ، باقليه ، بستيماث ، بدياس ، باتولييه ، تريبخا ، تبين ، جبين ، جمجمة ، جوبا ، جناثا ، حاريص ، حازين ، حناوية ، دير نطار ، دبعال ، دير كيفا ، دردغيا ، دير عامص ، دير قانون ، رقليه ، راميه ، زبقين ، سلمه ، شمع ، شحور ، شيجين ، صور ، صربين ، صريفا ، صديقين ، طير زبنا ، طويري ، طير حورفا ، طوره ، طيردبا ، عيتيت ، فروت ، قلوية ، قدس ، قانا ، كوين ، كفره ، مجادل ، مجدل زون ، نيجا ، ناقوره ، ياطر ، يارون ، يانوح .

#### ٢ - قرى قضاء مرجعيون :

بلاط ، بويضة ، بنت جبيل ، بيت لف ، برعشيت ، حدانا ، حولا ، دبين ، دير مياس ، مرده ، صلحا ، عديسه ، عمره ، عيناثا ، عيثا ، عيترون ، طلوسه ، قنطره ، مركبا ، ميس ، هونين .

---

(١) السريانية متفرعة عن الآرامية، والفينيقية متفرعة عن الكنعانية على ما سوف نشرحه بعد.

### ٣ - قرى قضاء صيدا :

أزريه ، براك التل ، براميه ، برتي ، بقسطه ، بابليه ، تبنة ، جل عجرم ، جديده ،  
جبوش ، حومين ، حارف ، حجه ، حادة ، خرطوم ، خربة الدوير ، خزيز ، دير تقلا ،  
دوير ، روبين ، زبدین ، زغدرایا ، زراريا ، ساره ، صرفند ، طوريت ، عبرا ، عدلون ،  
عرفايا ، عنقون ، عدنيت ، قناريت ، قاقعا ، عين قانا ، كفر شلال ، كفرحتي ، كفر  
وجان ، كفر بدّه ، كفر بيت ، كفر تبنيث ، كفر صور ، كفر فيلا ، كفر ملكي ،  
مجدليون ، مجدله .

### ٤ - قرى قضاء الشقيف :

أرنون ، اركي ، بريقع ، تبعقوب ، جبشيت ، جبع ، جرجوع ، زفتي ، زوطر ،  
زيثا ، سجد ، سربا ، سير ، نبطية ، يحمر .

وهذه قائمة مقتبسة من كتاب جغرافية فلسطين لحبيب الخوري وحسين روجي فيها  
اسماء مئات القرى والقصبات الفلسطينية المستعملة اليوم والتي تحمل اللمعة العربية القديمة  
الآرامية والكنعانية والعمورية والعبرانية منها ما ورد في معجم ياقوت ومعظمها لم يرد .  
ولم تنتقل الاسماء العربية الفصحى ولا الاسماء التي تلوح عليها لمحة الاعجمية وهي كثيرة  
مع احتمال ان تكون هذه الاسماء قد أطلقت على أعيان قديمة . وقد رتبنا الاسماء حسب  
الاقضية التابعة لها :

### قرى قضاء غزة :

رفح ، عسان ، ديراسنيد ، مسم ، برير ، محرمه ، كوفخة ، هوج ، جبساليه ،  
بيت لاهيا ، هربيا ، حليفات ، كوكبه ، بيت طليا ، جيه ، بروه ، بيت جرجا ،  
بيت حانون ، دمره .

### قرى قضاء المجدل

نعليا ، جولس ، عبدس ، عراق سويدان ، بيت عفا ، بيت دراس ، بدو ، جلليا ،  
يبنه ، قيبه ، زرنوقا ، كراتيا ، حتى ، فالوجة ، بعلين ، برقه ، ياسو ، قطره ، مسيه ،  
خصاص ، بطاني ، صميل ، بشيت .

### قوى قضاء الخليل :

دورا ، تنوح ، نرقومه ؛ اذنه ؛ سموع ؛ يطة ؛ حلحول ، نحارس ، نوبا ، بيت كاهل  
زيتا ، كدنه ؛ بيت تنيف ، جيبا ؛ صوريث ، بير قسيا ، رانا ، عجور ، زكريا ؛  
زكرين ؛ جرش ، بيت جبرين ؛ دير نخاس ، بيت اولى ، ريجيه ؛ بيت نمر .

### قوى قضاء القدس :

شعفاط ؛ عرتوف ؛ صرعه ؛ بيت عسير ، عسلين ، ساريس ، عكور ؛ كسله ،  
الولجه ؛ يالو ، عمواس ؛ بيت شما ؛ قطنه ؛ بيت تول ، أبو غوش ، خربة عامور ، عين  
كارم ، صوبه ؛ قسطل ، بتير ، لفتا ، قلونية ؛ اصطاف ، بيت نقويه ، بدو . بيت سوريك ،  
بيت اجزه ، بيت اكسا ؛ شمويل ، بير نبالا ، بيت دقو ؛ رافات ، بيت صفافا ؛  
شرفات ، صور باهر ، ابوديس ، الطور ، عناتا ، جيع ، اكرم ، قلنديا ، بيت حنينا ،  
سلوان ، سلبيت .

### قوى بيت لحم :

بيت ساحور ، ارطاس ، بيت جالا ؛ فاغور ، نحالين ، واد فوكين ، خربة عليا ،  
بيت فجار .

### قوى رام الله :

البيرة ، صفة ، بيت سيرا ، بيت لقيا ، عطاره ، بيت عود ، بيت اونيه ، عين عريك ،  
عين قينيا ، سلواد ، ترمس عيا ، بيرزيت ، كوبر ، جيبا ، برهام ، بيت آلو ، جمالا ،  
راس كوكر ، ديرزيغ ، ديربوان ، كفر اشوع ، الطيبة ، رمون ، عين يبرود ، دورا ،  
صرده ، جفته ؛ عين سينيا ، بيت اين ، بيت رما ، كفر عين ، قراوا ، عروره ، عجول ،  
عموين ، جليليه ، سنجل ، ابو قش .

### قوى اريحا :

عوجا ، وادي الكلت ؛ جملا .

### قوى يافا :

يازور ، سافريه ، بيت دجن ، سلمه ، كفر عانا ، رنتيه ؛ فجة ، بير عدس ، اجليل ،



چريشه ، سارونا ، طيسور ، ساقيه

### قرى الرملة :

صيدون ، نعانہ ، بويه ، خلده ، بيت قار ، بوير ، بيت جمال ، عمورية ، مفلس ،  
اذنبة ، رفات ، بيت سوسين ، بيت جيز ، كفر وريه ، ديرابان ، بيت عطاب ، عين  
شمس ، جليه ، خمه ، سجد ، مخيزن ، تينه ، صرفند ، زرنوقه ، الدد ، غنابة ، بيت نوبا ،  
لطورون ، بيرنعين ، بويره ، عججول ، بدرس ، قبيه ، شعبه ، شبتين ، نعلين ، خربتا ،  
بلبان ، حجزو ، بير فيليه ، بيت نبالا ، جنسداس ، طيره ، رنتيس ، اللين ، قوله ،  
مجدل يابا ، قبيبه ، شامه ، النبي دانيال ، البرج .

### قرى قضاء نابلس وجماعين :

عقريه ، عظموط ، عورتا ، اومرين ، اودله ، عينابوس ، عقابا ، عصيره ، اماتين ،  
بلاطه ، عموريه ، بيت دجن ، بيت فوريلك ، بيتا ، بيت ايسا ، بيت وزن ، بيت  
امرين ، بركة ، بزاريه ، بروقين ، باقا ، بديه ، دوما ، ديراسيتا ، فرخه ، قندق ، فرعتا ،  
حواره ، حارس ، حجه ، اسكاكا ، جالود ، جوريش ، اجنسينا ، جنسافوط ، جماعين ،  
جببت ، قصره ، قريوت ، قبلان ، قوصين ، كفر قلليل ، كفر قدوم ، كفر حارس ، كفر  
لاقف ، قيره ، حواره ، لپن ، مادمه ، مغير ، مسحه ، مرده ، ناقوره ، نصف جيل ،  
رفيديا ، روجيب ، سالم ، رافات ، معره ، سفيريا ، صرطه ، سلفيت ، ساويه ، بياسير ،  
تل ، طوباس ، تلفيت ، طون ، طلوزا ، عوريف ، ياسوق ، تيمه ، ياميد ، يانون ، زواتا ،  
زيتا ، زاوية ، فرخه .

### قرى قضاء طولكرم :

علا ، عنتبا ، عطارة ، عتيل ، عزون ، باقا ، بلعه ، بيت ليد ، ذنابه ، راس ،  
فلاميه ، فرعون ، فرديسيه ، حبله ، ارتاح ، جلجوليه ، حبوس ، حبت قاقون ، قلقيلية ،  
كفر عبوش ، كفر جمال ، كفر اللبد ، كفر سابا ، سبيه ، كفر صور ، كفر رمان ،  
كفر زيباد ، قانسوه ، كور ، مسكه ، رامين ، صيدا ، سفارين ، شوفه ، شويكه ،  
الطيه ، طولكرم ، زيتا .

### قرى قضاء جنين :

عين منسى ، عتین ، عرايه ، عجه ، عوصه ، عربونه ، عرانه ، بروقين ، بيت قاد ، زبوبا ،

عرة ، جربا ، رامة ، الكفير ، فراينان ، قنقيه ، ققوعه ، جامه ، جبع ، جلبون ،  
جلناموس ، قفين ، كفر عدة ، كفر قود ، قباطيه ، تلفيت ، متيليه ، مرقه ، مسيليه ،  
متيلون ، نتالين ، نورس ، رمانه ، ابا ، سيله ، سانور ، سيويس ، صندلا ، صير ، تضك ،  
يعبد ، زلفه ، زوعين ، زبايدة .

#### قرى ييسان :

سيرين ، وادي البيرة ، كوكب ، جبول ، زيعه ، كفره ، دنا ، بيللا ، طيبة ، مرصع ،  
شطه ، قوميه ، فرونه ، سامرية .

#### قرى حيفا :

عبلين ، عسفيا ، طيرة ، كفرين ، اجزم ، طنطورة ، صبارين ، عين حوض ، عين غزال ،  
عرعره ، عاره ، قنير ، كركور ، عتليت ، بنيامين ، كفر قرع .

#### قرى عكا :

كفر ياسيف ، رامة ، ترشيحه ، جولس ، بروه ، الزيب ، مجدل ، كروم ، بعنة ،  
شعب ، سخنين ، عراة البطوف ، طمرا ، بيت جن ، الدامون ، سحاتا ، نحف ، كاپري ،  
مكر ، كفر عفان ، سيجور ، ميعار ، جت ، يانوح ، عمقه ، كويكات ، الشيخ رنون ،  
بركا ، مليار ، كفر سميع .

#### قرى الناصرة :

عقولة ، سولم ، صفورية ، اكسال ، دبوسيه ، عين ماهل ، كفر كنا ، عيلوط ، معلول ،  
جباتا ، يافا ، القولة ، اندور ، ناعور ، طرعال ، رمانه ، كفر منده ، كوكب ،  
خنيفس .

#### قرى طبريا :

سخ ، معذر ، عولم ، كفر كمه ، لوييه ، حطين ، مغار جزور ، سمره ، حدشه ،  
كفر سبت ، شعاره ، نمرين ، هليون ، باقوره ، سمه ، سارونه .

#### قرى صفد :

يبريا ، طبطيا ، فاره ، صفاف ، سعسع ، الجش ، كفر برعم ، السموعي ، ميرون ،

مكرا ، قديتا ، علما ، دلاتا ، فوطه ، حرفيش ، دبشوم ، فرعم ، التليل ، الجاعونة ؛  
القباعة ، يبسون ، ياقون ، جامولا ، بوزية ، مزروعة ماروس ، بنات يعقوب .

وهذه قائمة بأسماء كثير من مدن وقصبات وقرى شرق الاردن المستعملة اليوم  
والتي تحمل اللهجة العربية القديمة الآرامية والعمورية والكنعانية والعبرانية منها ما ورد في  
معجم ياقوت ومعظمها لم يرد مع التنبيه على ان هذه الاسماء ليست كل الاسماء التي تحمل  
تلك اللهجة لانها كثيرة هي الاخرى .

### في قضاء جرش

الغدين ، قفقفا ، جبا ، ايدون ، خطلا ، دحل ، بلعمة ، القنية ، عينبة ، الكنفر ، جبة  
العالوك ، صروت ، حمانه ، الزنية ، غريسة ، ييرين ، بليلا ، كفرخن ، معتله ، سوف  
جرش ، ساكب ، ريمون ، دين ، دير عجاون ، جزازة ، الكنة ، المجدل بورما .

### في قضاء عمان

الجيزة ، زبارا ، زويزة ، جلول ، ارنبة ، جواره ، نتن ، هريج ، صوفه ، الهرين ،  
الشمذ ، منجة ، زبابر ، ام رمان ، النيقرة ، الطنيب ، اللين ، الغيبة ، برازين ، ساطة  
حساس ، قعفرور ، ياجوز ، عمان ، ابو علقدة ، ارميدان ، المناحر ، خسافية ، الرحيب ،  
خربة السومة ، يادودة ، ام الكندم ، الينبات ، ناعور ، البصة ، البجاه ، خلدا ، نحو .

### قضاء الكورة

عنة ، ارنيهم ، ارحابا ، مرجباء ، بيت يافا ، كفر الما ، بيت ايدس ، تبنة ، كفر ايل  
زوبيا ، كفر اعوان ، جديتا ، طبقة فحل ، العسوان ، زمال ، السط ، الطنطور ، سموع  
جنين ، حفين ، الحمة .

### قضاء الطفيلة

عيسة ، صنفحا ، بصيرة ، ضانا .

### قضاء معان

حديرة ، شوبك ، بئر خداد ، خربة ، أذرع ، بسطة ، مزروعة وهيدة ، رئيس .

## قضاء الكرك

اريجا ، مسعر ، فقوع ، سنية ، جدعة ، مجديلين ، امرع ، صرفا ، سماك ، اللوقية  
حديب ، الربة ، الباروت ، الدمنة ، بتر ، جديدة ، راكين ، ادر ، كرك ، بشينة ،  
مريفة ، تيفة ، عزرا ، عنيون ، عي ، كنزيا ، تفل ، مدين ، محنة ، مروود ، موة ، عراق  
سول ، دليفة ، حجرة ، ام حماط ، ام زبابر ، دوغجة ، صحي ، عينا ، الحسا ، غور فيقة  
غور عسال ، غور الصافي ، وادي الموجب ، بليدة .

## قضاء ماديا

جرينة ، خسبان ، كفير ، حنينا ، الامريوط ، مادبا ، ماعين ، ماسوح ، سامك ،  
جبيل ، مشغر ، سطيجة ، لاهودة علبان ، ابو شجب ، لب ، عطروز ، مغارة ، وادي  
الوالا ، خربة الكوم ، عموريا ، دحفرة ، برزة ، الغريان ، ام شعيرة فلحا ، ذيبان ،  
عراعر ، عقربا ، مثونة .

## قضاء عجلون

راسر ، عرجان ، باعون ، اوصرة ، حلاوة ، فارة ، عين دعلين ، سامنا ، عفا ،  
لشب ، عين جنا ، عجلون ، عجرة ، اجب ، غور فارة .

## قضاء السلط

الرمات ، سوما ، سبجات ، حليد ، ميسرا ، علان ، موبص ، وعص ، ام زوبنة  
صافوط ، خلدا ، دابوق ، فحيص ، ماحص ، برق ، عيرا زبود ، غور كبد ، غور غرين ،  
غور كفرين ، غور الرامة ، زور الكنار .

## قضاء اربد

ايدون ، صريح ، حوارة ، بشرى ، سال ، البارحة ، اربد ، كفريوبا ، جمجة ، زحر  
كفرعان ، كفر رضا ، دوفرة ، سوم ، بيجين ، فم ، قيم ، خراج ، قصفا ، عزريت . اسعرا  
حيدور . ثقيلة ، سما ، فوعرة ، حور ، ايدر ، رفيد ، بارشنا ، كفر سوم ، عقربا ، حرنا  
يلا ، حريما ، خرجا ، مرو ، حكما ، علعال ، صراوة ، ملكا ، كتم ، شطنا ، ناطفة ،  
جمفة . حبكة . صمد باقورة ، دير السعنة ، مخربا ، مندح ، صما ، سحم ، مخيبة ، سمر  
طره ، رمنا ، حوشة ، صره ، فاع ، بريقة .

والتماثل شديد عجيب بين اللغات الكنعانية الفينيقية والآرامية السريانية والعبرانية التي كان يتكلم بها الموجات العربية التي استقرت في مختلف بلاد الشام وبين اللغة العربية مما فيه الدليل القوي على اصالة عروبة هذه الموجات ، وعلى ان هذه اللغات انما كانت لهجات للغة ام واحدة .

هذه قائمة بمفردات كنعانية مأخوذة من الامير موريس شهاب مدير عام الآثار اللبنانية :

اب ، اخ ، احد ، ايل ، اكل ، ام ، آمة ، انس ، انت ، ارض ، بيت ، بن ، بنى ، برا ، برج ، برك ( بارك ) ، جلى ، حمل ، دلل ( دليل ) ، دم ، دعم ، دقق ( دقيق ) ، هو ، هيكمل ، هم ، ذبح ، ذكر ، ذرع ، خدر ، حدث ، حي ، حلب ، حلل ، حلة ، خلص . خسى ، حية ، ختم ، طبع ، طبع ، يد ، يوم ، يم ، يتم ( يتيم ) كاهن ، كلب ، كنى ، كف ، كرمى ، كتب ، كتن ( كتان ) ، لسن ( لسان ) مته ، موت ، ملح ملاح ، ملك ، منحة ، ندر ، نحس ( نحاس ) ، نفس ، نصب ، عيد ، عبو ، عين ، علا ، عامود ، عضم ، عقب ، مغارة ، عشر ، فلح ، فعل ، فتح ، صدق ، قبر ، قول ، قرن راس ، رب ، اربع ، رصب ، رعن ، سبع ، ثلاث ، ثان ، ثاني ، شرش ، تحت ، تين تمر ، تسع .

وهي تكاد تكون عربية فصحي كما هو ظاهر ..

وهذه قائمة مفردات آرامية وعبرانية مع ما يقابلها من العربية <sup>(١)</sup> القديمة في جنوب الجزيرة والعربية الفصحى :

عبرانية	آرامية	عربية جنوبية قديمة	عربية فصحي
اب	ابا	اب	اب
بن	برا	بن	ابن
اح	احا	احو	اخ
احز	احد	احز	اخذ
ازن	اودنا	ازن	أذن
شقائم	توين	سنيث	اثنتان

(١) تاريخ اللغات السامية امراييل ولتفنن ص ٢٩٣ — ٢٩٤ .

عبرانية	آرامية	عربية جنوبية قديمة	عربية فصحي
ارض	ارعا ارقا	ارض	ارض
اربع	اربع	اربع	اربع
شم	شما	مم	امم
ام	اما	ام	ام
انوش	فاشا	انش	انسان
بور	برا	بئر	بئر
باراق	برقا	مبورق	بورق
بعل	بعلا	بعل	بعل
بكور	بكرا	بكر	بكر
بت	برتا	بنت	بنت
بيت	بيتا	بيت	بيت
تسع	تسع	تسع	تسع
شلوش	ثلاث	شلاس	ثلاث
شبوته	شمانا	شمانى	ثمان
شور	تورا	سور	نور
شوم	توما	سومات	نوم
جبل	ججلا	جبل	جبل
حبل	حجلا	حبل	سبل
حفير	حفير	حفير	حفير
حقل	حقلا	حقل	حقل
حام	حما	حم	حم
حمور	حمارا	حمار	حمار
حبل	حيل	خبل	خبل
حمش	حمشا	خمس	خمس
دباش	دبشا	دبس	ديس
دم	دما	دم	دم
زاب	دابا	زاب	دفسب

عبرانية	آرامية	عربية جنوبية قديمة	عربية فصحي
زوب	دوبا	ذوب	ذباب
زانا	دونا	زنا	ذنب
روش	ريشا	راس	راس
رحم	رحم	رحم	رحم
ركب	ركب	ركب	ركب
زرع	زرعا	زرع	زرع
شبع	شبع	شبعو	سبع
شش	شنا	سسو	ست
سلم	شاما	سلم	سلم
شن	شنا	سن	سن
شيلث	شيلتا	سيل	شيلة
شمايم	شمايا	سماي	سما
شمش	شمشا	شمس	شمس
سعاو	سغرا	سمرت	شعر
صرخ	صرح	صرخ	صرخ
ضارة	عزنا	ضر	ضرة
طحن	طعن	طعن	طحن
طعم	طما	طعم	طعم
طوب	طبا	طيب	طيب
صبرن	طفرا	ظفر	ظفر
صل	طلا	صلوات	ظل
عسر	عسر	عشرو	عشر
عفن	اعا	غد	عض
عظم	عطا	عضم	عظم
عقرب	عقربا	عقرب	عقرب
عمود	عمودا	عمد	عمود
عنب	عنبا	عنب	عنب

عبرانية	آرامية	عربية قديمة جنوبية	سريانية فصحي
عين	عينا	عين	عين
فتح	فتح	فتح	فتح
قتل	قتل	قتل	قتل
به	بوما	اف	فم
قرب	قرب	قرب	قرب
قرن	قرنا	قرن	قوت
قمح	قمحا	قمح	قمح
قشت	قشتا	قشت	قوس
كابد	كبدا	كبد	كبد
كرس	كرسا	كرش	كرش
كلب	كلبا	كلب	كلب
كوكب	كوكبا	كوكب	كوكب
لب	لبا	لب	لب
لبش	لبش	لبس	لبس
لشون	لشنا	لسان	لسان
لهب	شلهب	لهب	لهب
ليلة	للبا	ليلة	ليل
مايم	مايا	ماي	ماء
مآة	ماا	ماءات	مأاة
مئ	أمت	مت	متى
مشل	متل	مسل	مثل
ملك	ملكا	ملكي	ملك
موت	موتا	موت	موت
نشر	نشرا	نشر	نسر
نفس	نقشا	نفس	نفس
يدد	يدد	ودد	ودد
يوق	يوقا	ورق	ورق
يقر	ايقر	وقر	وقر



عبرانية	آرامية	عربية جنوبية قديمة	عربية فصحي
يلد	ايلد	ولد	ولد
يد	ايدا	اد	يد
مين	ميننا	مين	مين
يوم	يوما	يوم	يوم

ولقد عثر على نقوش كنعانية وعبرانية وآرامية عديدة في مختلف أنحاء الشام تبدو فيها اللمعة العربية قوية . وهذه جملة منها من كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ايضاً :

١ - نص من نقش كنعاني - فينيقي لاهد ملوك جبيل يعود الى القرن الخامس قبل الميلاد .

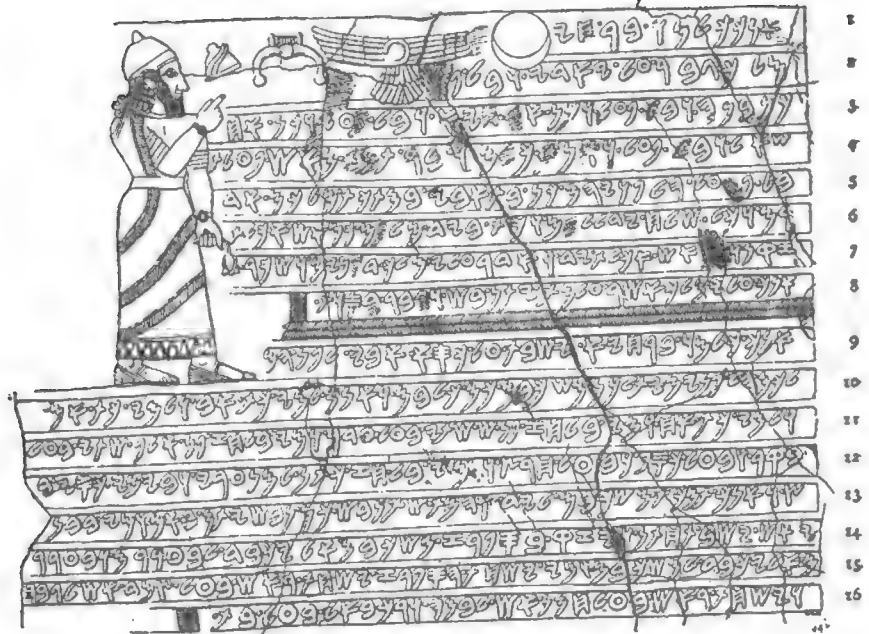
« انخ يحو ملك جبيل بن يهر بن ار ملك ملك جبيل  
 « اش بعلتن هربت بعلت جبل بملكة على جبل وقرا انتح  
 « ات رتي بعلت جبل شمع قل وفعل انخ لرتي بعلت  
 « جبيل ممزنج فحشت زمن اس بنح رؤ هبتسح حرص  
 « زن اس على بن فتح وهمرت حرص اش بنتخت  
 « بن اش على فتح حرص زن »<sup>(١)</sup> .

٢ - وهذا نص من نقش كنعاني - فينيقي ايضاً يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد<sup>(٢)</sup> :

(١) تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ص ٦٥ وهذه ترجمة اوردتها المؤلف بالفصحى لهذه العبارة :  
 انا سمعو ملك 'ملك' جبال بن يهر بعل بن ار ملك ملك جبال الذي جعلته الربة بعل جبال ملكاً على  
 جبال ملكة جبلة وناديت ربي بعلت جبال متى سمعت صوتي . وصنعت لوربي بعلت جبال مذبح النحاس الذي يوجد  
 في هذه الحظيرة وهذه الزخرفة الذهبية التي فوق بابي الصقت الذهب الذي يوجد في الحجر الذي فوق هذا النش.

(٢) المصدر السابق ٦٣-٦٤ وهذه ترجمة النص بالفصحى نقلاً عنه ايضاً : انا كلمو بن حيا جبر  
 حكم على يادي ما فعل شيئاً . ثم كان يمة وما فعل شيئاً . ثم كان ابي حيا وما فعل شيئاً . ثم كان اخي شتل  
 وما فعل شيئاً : اما انا كلمو بن يمة فقد فعلت ما لم يفعله القدماء كان بيت ابي في وسط ملوك اقوياء .

## نقش الملك كلبو



نقش اشمنعز و ملک صیدا

[illegible]

« انخ كلمو يرحى ملك حبر على يادي وبل بل  
« كن يمة وبل بل وخن اب حيا وبل بل وخن اح  
« شأل وبل بل وانخ كلمو بر تم ماش بعلت

« بل بل هلفينهم كن بت ابي يمنتحت ملكم اد  
« رم وكل شلح يدلال وكتب بيد ملكم كماش اكلت  
« زقن وكم اش اكلت يدوادر على ملك دنيم وعنجر  
« انخ على ملكا شر علمت يتن بشر وجبر بسوت  
« انخ كلمو يرحيا يشبت على كسا الي لفن هم

٣ - وهذا نص من نقش كنعاني - فينيقي لاحد ملوك صيدا يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد<sup>(١)</sup> :

انخ تنبت كهن عشتوت ملك صدم اشمنعزو كهن عشتوت ملك صدم شخب بارن  
زى ات كل ادم اش تفق ايت هارن زال ال فتح على وال ترجزى كالي ادلن كسف  
اي ادلن حرص وكل منهم مشديلت انخ شخب بارن زال ال تفت

٤ - وهذا نص من نقش كنعاني لملك نواب ميشع يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد<sup>(٢)</sup> .

---

(١) ص ٦٨ وهذه ترجمة النص بالفصحى :

انا نبت كان عشتوت ملك صيدوم ابن اشمنعز كاهن عشتوت ملك صيدوم اضطجع في هذا التابوت .  
لعني على كل من يخرج هذا النعش . لا . لا . تفتح غرفتي لا تغلقني فليس عندي فضة وليس عندي ذهب  
او نفائس لاضطجع في هذا التابوت . لا . لا . تفتح غرفتي . لا . تغلقني ولا تنثر صمغ عشتوت . فان  
تفتحت غرفتي واغلقنتي فلن تكون لك ذرية بين الاحياء تحت الشمس ولا مضجع بين الاموات .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧ وهذه ترجمة فصحي لما تقدم منقولة عنه ايضاً ص ١٠٨ .

انا ميشع بن كموس ملك نواب الديباني ، ابي ملك على مؤاب ثلاثين سنة . وانا ملكت بعد ابي .  
وانشأت هذا المكان المرتفع لكبوش بفرحة ( اسم مدينة وكبوش اسم اله مؤاب ) لانه اعانني على  
كل الملوك ولانه اراني في اعدائي . اما عمري ملك اسرائيل فانه عذب مؤاب اياماً كثيرة حتى غضب  
كبوش على ارضه فاعقبه ابنه وقال ساعد مؤاب في ايامي قال .. النخ

انك مشع بن كمش ملك مأب هو يني الى ملك عل مأب شاش انك ملك تي اجر ابي  
واعس هيمت زات لكمش بفرحة بن . شع كي هشعني مكل . لكن وكي هراي بكل  
سناي بجري ملك يسرال ويعنوات مأب بن ربن كي يانف كمش . بارصة وبجلفه بنه  
ويامر جم ها اعنوات يمي امر ... الخ

٥ - وهذا نص عبراني مأخوذ من نقش على حجر عبراني عثر عليه بالقرب من  
بيت المقدس في قرية السلوان في داخل مغارة ينبع منها الماء وعرف بنقش السلوان  
ويحتمل انه كتب حوالي ٧٠٠ ق م :

هنيقب فيزي ها يا دابار هنيقب يا عود . ها غرزان ايش ايل ريعو ويعود شيلوش  
اموت ليهكع مول ايش قيرا ايل ريعو كي هايازاده يصور ميامين ويوم هتقابة هكوها  
حاصبم ايش يقرات ريعو غرزان علل غرزان هاييم مين هموصا ايل هبراخا بياتايم ايلن  
وميقات اما هاياعبية هصور عال روش ها حاصبم .<sup>(١)</sup>

٦ - وهذا نص نقش آرامي وجد في خرائب قصر ملك شمال في مكان اسمه زنجيرلي  
في شمال سوريا يحتمل انه من القرن الثامن قبل الميلاد .

انه بر ركب بر بنمو ملك شمال : عيد تجلت بليسر مرا ربعي ارقا يصدق ابي ويصدق  
هو شيني مراي ركب . ومراي تجلت بليسر عل كرسا ابي وبيت ابي - عمل من كل  
ورصت يجللجل . مراي ملك آشور بمصعت ملكن ربر بعلي كسف . وبعلي ذهب . واخذت  
بيت ابي وهيطنة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) تاريخ اللغات السامية لولفسون ايضاً ص ٨٣ و ٨٣ . وهذه ترجمته بالفصحى :

النفق هذا خبر النفق ، بينا النحاتون يرفعون الازمة كل رجل الى رفيقه وبيننا بقي ثلاثة أذرع لنحت  
سمع صوت رجل ينادي اخاه لانه وجد ثقباً في الصخر من ناحية اليمين وفي يوم انتقابه ضرب النحاتون  
رجل امام رجل ازمة على ازمة وذهبت المياه من النبع الى البركة مسافة مائتين والاف ذراع ومئة ذراع .  
وكانت قمة الجبل فوق رؤوس النحاتين .

والامعة العربية القديمة بادية على هذا النص ايضاً حينما يعن النظر فيه كسابقه .

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ١٢٠ . وهذه ترجمته بالفصحى نقلاً عن المصدر نفسه :

انا بر ركب بن بنمو ملك شمال عبد لتجلات بلاسر سيد نواحي الممورة الاربعة من اجل صدقي وصدقي  
اجلسني سيدي ركب ايل وسيدي تجلات بلاسر على عرش ابي . وكان بيت ابي يعمل اكثر من غيره وكنت  
اسير امام عربية سيدي ملك آشور . بين ملوك عظماء اصحاب فضة واصحاب ذهب . واخذت بيت ابي فاصلحت .  
وصار بيوت الملوك الامجاد . وما رغب اخواني الامراء . طاب لهم في بيتي وبيت طيب لم يكن لآبائي ملوك  
شمال . لكن بيت كلامو كان لهم وهو بيت الشتاء وبيت الصيف . لذلك بنيت هذا البيت .





رموز ونقش بر ركب ملك شمال

٧ - وهذا نص نقش آرامي آخر وجد في قرية نيرب قرب حلب :

ششتو بن كمر سهر بوب مت . وزنه صلمة . وارسته . من ان تجنس صلما . زنه  
وارستا من اثره - سهر وشمس ونكل ونشك يسحو . شمك واشرك من حين . وموت  
خه . يكتلونك ويها بدو زرعك وهن . تنده صلما . وارستا زا احري ينصر  
زي لك <sup>(١)</sup> .

## - ٤ -

وإذا نحن احتمنا لتدليل على الوحدة الجنسية التي تربط بين موجات جزيرة العرب  
الطارئة على بلاد الشام ببعضها من جهة وبغيرها من الطوائف على البلاد الأخرى من جهة  
وبالذين بقوا في جزيرة العرب من جهة ثم على الطابع العربي الذي طبعت به هذه الموجات  
بلاد الشام بالمظهر اللغوي الذي يتشبه بالمفردات اللغوية وأسماء الأعلام الكثيرة التي اثبتت  
قوائدها آنفاً فليس معنى هذا أن التشارك اللغوي هو وحده الجامع ، وإنما لأن جمهرة  
من الباحثين اعتبروا هذا التشارك من أبرز مظاهر الوحدة الجنسية على ما ذكرناه في  
المقدمة ؛ وهو حق ما دام هو قائماً بين جميع الموجات التي خرجت من الجزيرة وبين الذين  
بقوا فيها . ولقد قرر جمهرة من الباحثين مع ذلك أن التشارك قائم في العقائد والتقاليد  
والأفكار أيضاً <sup>(٢)</sup> ؛ وهو ما سوف تأتي الشواهد عليه في ثنايا هذا الجزء .

ولقد سلك المؤرخون العرب وغير العرب النبطيين والتدمريين في هذه البلاد في سلك  
التاريخ العربي ولم يكونوا يسمون عرباً بصراحة . وكانت لغتهم ما تزال بين العروبة  
الصريحة والعروبة غير الصريحة وذلك بسبب انتابهم إلى جزيرة العرب والجنس العربي  
والطابع العربي المألوف في لغتهم وأسمائهم ومنقوشاتهم وليس من فرق في الواقع بين  
هؤلاء وبين الموجات التي جاءت قبلهم من جزيرة العرب إلى بلاد الشام . فإذا ما سلكت  
تاريخها في سلك تاريخ الجنس العربي فأنما تفعل ذلك اتساقاً مع الحقيقة التاريخية المتصلة

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٢٣ وهذه ترجمته بالفصحى :

لشنزور بن كاهن شهر الذي توفي بنرب . وهذه صورته مثالها وتابوته . وانت الذي تأخذ الصورة  
والتابوت من مكانه فشه وشمس ونكل ونشك (أسماء عبودات) يحون اسمك واثرك من الحياة والموت  
في العدد . ليقتلوا ويبيدوا لسلك . أما لو صنعت الصورة والتابوت فلاخرون ينصرونك ويموتونك .

(٢) انظر أيضاً العرب قبل الإسلام جواد علي ص ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها والاساس في الامم  
السابقة ولغاتها ص ١٥ - ٣٧ وتاريخ اللغات السامية ص ١ - ١٦ .



بالواقع المستمر منذ عشرات القرون قبل الاسلام والمؤيدة بالشواهد المتنوعة واقوال  
جمهرة من العلماء والباحثين وتقريباً لها ، وتصحيحاً للخطأ المشهور والتوجيه التاريخي وتدليلاً  
على ان عروبة بلاد الشام الحاضرة هي امتداد لما كان من عروبتها الصريحة وغير الصريحة  
التي سبقت الاسلام بعشرات القرون ثم احباطاً لكر المستعمرين والمبشرين المغرضين  
واعداء العروبة الشعبويين والمتأثرين بدعايتهم وتلقيناتهم في بعض أنحاء الشام وخاصة لبنان  
كما هو الشأن في مصر حتى تتجاوز مكابرة بعضهم كل حد ومنطق فيتجاهلون الاصل  
العربي القديم الذي تفرع منه سكان بلاد الشام القدماء الكنعانيون الفينيقيون والآراميون  
السريان ويتجاهلون السيل العربي الصريح الذي اخذ يتدفق على هذه البلاد بما فيها لبنان  
قبل الاسلام وبعده ويفر مدنها وقراها والذي يتفوق اعداده سكان لبنان بل والشام  
جميعها قبل العروبة الصريحة ويطنعها بطبع العروبة الشامل منذ ثلاثة عشر قرناً والذي  
يتسل في كل ناحية من أنحاء الشام بما فيها لبنان ، سواء أكان في اللغة ام في كل تقليد من  
تقاليدها وكل مظهر من مظاهرها تمثلها قوياً ، ويجادلون فصل تاريخها عن تاريخ  
الجنس العربي ليوقرروا في اذهان سكانها وخاصة نصاراه وبنوع اخص موارنته الذين هم  
من الجنس العربي يقيناً سواء أكانوا آراميين ام فينيقيين ام من قبائل بني مراد العرب  
الصحراء<sup>(١)</sup> وهن الصلة بينهم وبين العروبة الاصلية وليجعلوهم يعتبرون العرب غزاة كسائر  
الغزاة الذين طرأوا على بلاد الشام ووطدوا حكمهم عليها بالفتح العسكري وحسب ،  
وكون ما هنالك من فرق هو انهم اعطوها دينهم ولغتهم كما كان وما يزال يثبت همساً  
تارة وصراحة تارة اخرى ، وفي حين تكفي في نظرهم المتتان والثلاثانة من السنين لتجعل  
سكان بلاد ما متوغمي الاصل والجنس امة ذات قومية واحدة لانها صارت تتكلم بلغة واحدة  
وتعيش في جو تاريخي واحد . .

وهذه ظاهرة يجدر التنويه بها في هذا المقام وهي انه لم يذكر احد من الباحثين انه  
كان غرابة لسانية بين سكان مختلف أنحاء الشام شمالها وجنوبها وشرقها وساحلها او انه كان  
بينهم وسطاء ومترجمون ، حيث يفيد هذا انهم كانوا يتكلمون لغة واحدة وان اختلفت  
لهجاتها . ولما كانت هذه اللغة او اللهجات هي متقاربة او متماثلة مع اللغة العربية فقد  
عدت شقيقات لها .

فكل ما تقدم يدل احسم الدلالة على صلة معظم سكان بلاد الشام وخاصة معظم  
الطوائن عليها منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة الى منتصف الالف الثانية قبل المسيح

---

(١) سنشره ذلك في جزء آخر من الكتاب .

الذي اخذت العروبة فيه تتطور من عروبة غير صريحة الى عروبة صريحة يمتون الى الجزيرة. ثعربية وبالتالي الى الجنس العربي ويسوغ بصورة لا تصح المارة فيها سلك تاريخهم في سلك تاريخ الجنس العربي وهذا بالاضافة الى اننا حينما نقرر صلة سكان بلاد الشام القدماء بالجنس العربي أو بكلمة ادق حينما نبز هذه الصلة نكون قد ابرزنا سعة نطاق نشاط الجنس العربي وحيويته في مختلف المجالات الفكرية والادبية والحضارية والسياسية والعسكرية حينما يبرز هذا الجنس على مسرح هذه البلاد التي كانت مصدراً رئيسياً من مصادر الحضارة البشرية. التي شمت على العالم وكانت من مشاغل هداية البشر وحضارتهم الاولى من جهة ونكون من جهة اخرى قد وصلنا بين حيوية العروبة في دورها الصريح على مسرح هذه البلاد وبين حيويتها عليه قبل هذا الدور فصار من ذلك سلسلة متصلة الحلقات يمسك بعضها بعضاً من جهة اخرى .

## - ٥ -

وليس هناك ما يمكن أن يساعد على تعيين مبدأ تاريخي لانسياح الموجات العربية الى بلاد الشام . ولقد كان فيها قبل انسياح الموجة الكنعانية التي تسجل كأول موجة معروفة ومعينة الاسم ومتصلة التاريخ والاحداث والتي نمنح تاريخ انسياحها في اوائل الالف الثالثة قبل المسيح سكان يرجح المؤرخون والاثريون انهم اوان منهم من هو موجات من جزيرة العرب . وهذا الترجيح في محله . لان انسياح الموجات من جزيرة العرب الى وادي النيل والعراق قد بدأ قبل الالف الثالثة قبل الميلاد بأمد طويل . ومن المعقول ان تكون بلاد الشام من المناطق التي انساحت اليها موجات من جزيرة العرب مثلها .

ولقد جاء في كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان<sup>(١)</sup> معزواً الى المؤرخ الانكليزي فيليب فان والامير موريس شهاب مدير الآثار اللبنانية ان علماء الآثار اكتشفوا ان هجرات كثيرة متتابعة جاءت من جزيرة العرب الى مصر والعراق وسورية ولبنان قبل ازمة التاريخ ، وان من اقدم هذه الهجرات المكتشفة بالنسبة الى لبنان هجرة فوج كنعاني اول قبل مجيء الفوج المعروف يقيناً . ومن الادلة التي ساقها على ذلك كون تأسيس مدينة بيروت - وهم اسم عربي للتمعة ويرجح ان يكون اصله بثروت - كان في الالف الرابع قبل المسيح أي قبل قدوم الموجة الكنعانية التي نحن في صدها .

وقد ذكر هذا المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية (١) و اضاف اليه مدينة جبيل وهو كذلك اسم عربي للمحة ويرجح ان يكون اصله جب ايل اي حصن الاله او مقر الاله - وقال ان منشئها ومنشئ مملكتها كانوا في لبنان قبل حلول الكنعانيين المعروفين وساق على ذلك ادلة متنوعة . وهو يقرر في ثنايا كلامه ان هؤلاء المتقدمين على الكنعانيين المعروفين هم ايضا من الجنس السامي اي العربي .

ولقد ذكر فيليب حتي (٢) ان خوفو لول ملوك الاسرة الرابعة نقش اسمه على آنية وارساها كهدية الى سيدة جبيل . وحكم الاسرة التي ينتسب اليها خوفو كان ٢٩٥٠ - ٢٧٥٠ ق م (٣) وهو اول أو ثاني ملوكها اي ان حكمه في القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد . وهذا الزمن يسبق الزمن المخمن لطروء الموجة الكنعانية المعروفة واستقرارها ونشاطها . والخبر يتسق مع ما ذكره المطران الدبس في صدد جبيل كما هو المتبادر .

ولقد جاء في كتاب مصر القديمة (٤) استناداً الى الآثار المصرية ان سنقرو احد ملوك الاسرة الرابعة أو آخر ملوك الاسرة الثالثة حسب استبطاط مؤرخين آخرين ( اي حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد ) قد سار حملة بحرية عظيمة الى الموانئ السورية رجعت محملة بالاعشاب التي قطعت من غابات لبنان . ولعل هذا اقدم ذكر لموانئ سورية واعشاب لبنان . والمتبادر ان هذه العملية لم تكن لتتم الا بمساعدة اهل البلاد وجهودهم حيث ينطوي في هذا حقيقة وجود سكان في هذه السواحل ذوي نشاط زراعي قبل الوقت المخمن لمجيء الموجة الكنعانية المعروفة . وليس ما يمنع ان يكون من موجات عربية سابقة بما اشار اليها مؤلف كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان .

---

(١) المجلد ١ ج ١ ص ٢٠٨ ومع ذلك ننبه على ان المؤرخين يذكرون جبيل وبيروت في تاريخ الكنعانيين المعروفين ( انظر مثلا تاريخ سورية لجرجي نبي ص ٤٢٣ وص ٤٢٣ وكتاب لبنان ص ١١٦ و ١١٧ وما كشف من آثارها يدل على انها كانت جزءاً منهم فاذا صح تقدم منشئها على الكنعانيين المعروفين فيكونون قد اندمجوا فيهم وغدوا شيئاً واحداً ما فيه دلالة على وحدة الارومة الجنسية .

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ١٣٧ ترجمة حداد :

(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور بريستيد ترجمة حسن كمال ص ٤٠٣ انظر ايضاً تاريخ الجنس العربي للمؤلف ج ٢ ص ٥١ وما بهما .

(٤) انظر مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٤ تأليف سليم حسن . وقد ذكر هذا احمد كمال الاثري في العقد الثمين ص ( ٢٥ - ٢٨ ) وبريستيد في كتاب مصر من اقدم العصور ص ٧٤ وفيليب حتي في تاريخ سورية وفلسطين ولبنان ترجمة حداد ج ١ ص ١٣٧ .

ولقد جاء في كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتي<sup>(١)</sup> ان الديانة والغة الكنعانيين تبدوان بالظهور من غياهب العصور السامية القديمة حوالي مطلع الألف الثاني قبل الميلاد غير ان اسلافهم كانوا غالباً يحتلون الاقسام الساحلية الجنوبية من بلاد الشام قبل ذلك بالف سنة او اكثر ويمكن استنتاج ذلك من اسماء الاماكن على ما اظهره علم الآثار الحديث . وقد تأسست المدن مثل اورميا وبيت شاب ووجدو التي اسموها كنعانية قبل عام ٣٠٠٠ ق م وظهر في الكتابات الاثرية في النصف الاول للالف الثاني مدن اخرى لها اسماء سامية معروفة يمكن اعتبارها كنعانية مثل عكو وصور وصيدون وجبله ( جبيل ) واوركة وسييرا .

ولقد جاء في كتاب تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من الآثار<sup>(٢)</sup> ان سكان بلاد الشام ولبنان كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة قبائل سامية من البابليين ثم طراً عليهم الكنعانيون ؛ وان اللغة البابلية ظلت اللغة السائدة لان الكنعانيين ليسوا الا فرعاً من البابليين ؛ وبما استدل به على ذلك رسائل تل العمارنة التي كانت توصل من امراء وحكام سورية باللغة البابلية والخط المسماري والتي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد المسيحي .

وانقد ذكرت اسفار العهد القديم<sup>(٣)</sup> اسماء امم وقبائل عديدة كانت تسكن فلسطين وشرق الاردن الى جانب الكنعانيين والاموريين كالعمايين والحوريين والايمن والرفائيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين واليبوسيين حيث يدل اختصاصهم بالذكر مستقلاً عن ذكر الكنعانيين والاموريين على انهم من غيرهم . ومن المحتمل كثيراً ان يكونوا فروع موجات اخرى جاءت قبلهم من جزيرة العرب . وقد قال مؤلف كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان عن الجرجاشيين انهم فخذ من الفوج الكنعاني الاول<sup>(٤)</sup>

ولقد كان قدوم موجة معروفة يقيناً الى بلاد الشام الداخلية والشمالية وهي الموجة الآمورية او العمورية بعد قليل من قدوم الموجة الكنعانية وقد اكتشفت في هذه الاقسام

---

(١) ج ١ ص ٨٧ — ٨٨ تعريب جورج حداد .

(٢) ج ١ ص ٧٣ — ٧٤

(٣) اسفار الخروج والتثنية وبشوع مثلا .

(٤) ص ٢١ .

الشامية آثار لسكان اقدم من العموريين يخمن كذلك انهم أو ان منهم موجات عربية الجنس وهو تخمين في محله لانه متسق مع ظروف انسياج موجات جزيرة العرب قبل الالف الثالثة السابقة للميلاد المسيحي الى بلاد العراق ووادي النيل والحاء الشام الساحلية والجنوبية على ما ذكرناه آنفاً .

وبما يؤكده الترحيجات والتخمينات ان موجات جزيرة العرب ظلت تنساح متلاحقة الى بلاد الشام بعد موجتي الكنعانيين والعموريين وقبل دور العروبة وبعده بحيث يصح القول بشي من الجزم انه لا يعقل ان تكون الموجتان المذكورتان هما اولى موجات الجزيرة الى بلاد الشام ولا سيما انها متاخمة للجزيرة مباشرة وان الانسياج من الجزيرة الى الاقطار المجاورة لها قد بدأ من زمن اقدم بكثير من الزمن التخمين لانسياج الموجتين على ما شرحناه في الجزء السابق .

#### - ٦ -

ولقد جرت تنقيبات متعددة في مختلف الحاء البلاد الشامية عثر فيها على آثار متنوعة عمرانية وفنية وثقافية ونقوش ومدونات للموجات العربية التي طرأت عليها وانشأت فيها القرى والمدن والدول . ولقد ورد اشياء كثيرة في منقوشات الاشوريين والمصريين ومدوناتهم عن احوال بلاد الشام السياسية والحربية ؛ ولقد احتوت كتب اليونان والرومان القدماء اشياء كثيرة كذلك عن احداث ومآثر سكان هذه البلاد السياسية والحربية والفنية والدينية والثقافية والعمرانية . منها ما هو وصف لمشاهدات يمانية ومسموعات شخصية ومنها ما هو مقتبس من كتب كتبها شاميون قبل الميلاد وبعده مثل سنكتن البيروني وفيلون الجبيلي ونيقولا الدمشقي واوساسيوس القيصري وبرفيريوس الصوري ضاعت اصولها ، وكان بعضها مقتبساً من كتب اقدم منها على ما ذكره المقتبسون القدماء حيث كان كنعانيو الساحل - الفينيقيون - بنوع خاص ممن يؤلفون الاسفار التي تشتمل على وصف شرائعهم ورسوم دينهم واحداث بلادهم<sup>(١)</sup> .

ولقد احتوت اسفار العهد القديم التي دونت او اعيد تدوينها حوالي القرن الخامس قبل الميلاد وبعده هذا القرن والتي يبدو منها ان منها ما نقل عن مدونات سابقة كثيراً من احداث ومآثر سكان بلاد الشام السياسية والحربية والمدنية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والدينية .

---

(١) كتاب لبنان من ١٠٧ والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس من ٢٩٣ .

فساعد كل هذا على جلاء تاريخ الموجات العربية في مختلف انحاء بلاد الشام منذ الالف الثاني قبل الميلاد بجلاء ضيقاً تارة وواسعاً تارة اخرى ويسر كتابة فصول وثيقة بقدر الامكان عن هذا التاريخ .

ونحب ان نستذكر امراً وهو ان التنقيبات الاثريّة وحصائدها في بلاد الشام الداخلية والجنوبية وخاصة في النقوش والمدونات المسهبة لم تكن بالقياس الواسع الذي كانت في العراق ومصر وما حصل عليه فيها من بيانات ولا سيما في مجال الاحداث السياسية والحربية ، كما ان المدونات الاخرى القديمة او المكتشفة لم تحتو من الاسهاب ما يساعد على كتابة سلسلة متصلة الحلقات عن دول وملوك واحداث هذه البلاد كما امكن ذلك بالنسبة لتاريخ مصر والعراق . ولهذا فان الثغرات في تاريخها ستظل اوسع منها في تاريخها .

ومع ان سواحل الشام او ما كان يسمى فينيقية كان اسعد حظاً في هذا الباب حيث جرت تنقيبات عديدة فيها وثر فيها على آثار ونقوش كثيرة ، واحتوت المدونات القديمة عنها تفصيلات اوفى فان هذا لم يكن من شأنه كذلك ان يساعد على عرض سلسلة متصلة في احداث وتاريخ هذا القسم وان كان يسر الكلام عنه باوسع مما تيسر بالنسبة لداخلية بلاد الشام وشرق الاردن . اما بالنسبة لغرب الاردن او بتعبير ادق لتاريخ العبرانيين في دور يهوديتهم اي بعد موسى فان اسفار العهد القديم احتوت تفصيلات واسعة ودقيقة عنه يسرت الكلام في تاريخ هذا الدور بتسلسل وتفصيل اكثر من اي مكان ودور آخر ومهما شاب هذه الأسفار من شوائب على ما سوف نشرحه بعد تظلم مصدراً تاريخياً مهماً يصح ان يعول عليه اذا ما نظر فيها بامعان وتحفظ ؛ وتظلم تكسب تاريخ العبرانيين ميزة على غيره من تاريخ الموجات العربية بل من تاريخ اي امة اخرى لانه لم يكذب يصل الى عهدنا تاريخ امة قديمة اخرى مدون منذ القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد باسهاب وتفصيل عجيبيين مثل ما جاء عن هذا التاريخ .

واقف قلنا ان ما وصل الى عهدنا من آثار ونقوش ومدونات قديمة قد ساعد على جلاء تاريخ الموجات العربية في مختلف انحاء الشام منذ الالف الثاني قبل الميلاد قليلا او كثيراً . اما ما قبل ذلك فلم يكتشف بعد آثار تساعد على تنوين شيء وثيق ذي غناء . وانا نلرجو ان تهتم حكومات هذه البلاد وقد اتسع نطاق العلم والوعي فيها لتوسيع وتقوية حركة التنقيب والكشف فيؤدي ذلك الى ما لا يزال مغيباً غنا من تاريخ جنسنا ومآثره في هذه البلاد قبل الالف الثاني من الميلاد .

هذا ؛ ولقد كانت بلاد الشام في القديم كما هي الآن متعددة الكيانات كما كانت موطناً لموجات متعددة في الوقت نفسه . ولذلك سوف نسير في كتابة هذا الجزء سيراً متوافقاً مع ذلك فنخصص فصلاً للساحل الشامي الذي يعرف اليوم بلبنان وسابقاً بفينيقية ، وآخر للداخل الشامي الاوسط والشامي الذي يعرف اليوم بسورية ، وآخر للجنوب الشرقي الذي يعرف اليوم بشرق الاردن وفلسطين مع تخصيص فصل لبني اسرائيل في فلسطين بسبب ما كان لهم من حيز تاريخي فيها بالاسبوب يبرز فيه الصلة بين احداث هذه البلاد وكياناتها يكون واقياً بقدر ما يمكن كما فعلنا في الجزئين السابقين بما نرجو ان يكون مفيداً للقارئ العربي وخاصة للناشئة العربية . ولا سيما انه ليس في العربية كتاب واحد شامل لذلك كله وواف بالمرام وبالاسبوب والحجم اللذين جاء بهما هذا الجزء . ونقول هذا بعد ان اطلعنا على الجزء الاول من تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي الذي نقله الى العربية جورج حداد وعبد المنعم رفيقه . لان كتابنا يتم بنوع خاص لتاريخ الموجات العربية في هذه البلاد وابرار صلة هذه البلاد وسكانها بجزيرة العرب في حين ان كتاب حتي يبحث في احوال وتاريخ وجغرافية هذه البلاد بوجه عام ويمزج بين دور العروبة غير الصريحة والعروبة الصريحة قبل الاسلام فيها ويهتم لتاريخ العصر اليوناني والروماني فيها حتى لقد استغرق هذا اكثر من ثلث الكتاب .

الكنعانيون

في

السواحل الشامية والجلال الموالية لها المروفة قديما هينيقية





# الكنعانيون في لبنان وسواحل الشام

- ١ -

## أوليائهم

قلنا في التمهيد السابق ان اولى الموجات العربية الجنس التي عرف طروؤها على البلاد الشامية معرفة يقينية هي الموجة الكنعانية .

ويقرر كثير من الباحثين<sup>(١)</sup> انها تمت في اصلها الى جزيرة العرب ، وتتشابه الى حد كبير بمرور هذا التقرير في اللغة واللهجة والتفكير والعقائد مع سكان جزيرة العرب والموجات التي خرجت منها واستوطنت انحاء المهاجر العربية الأخرى .

ويعتقد الباحثون ان الكنعانيين جاؤوا اولاً الى شواطئ الخليج العربي وبتعيين ادق الى انحاء البحرين<sup>(٢)</sup> منها فاستقروا امداماً ، ثم اتجهوا او اتجه منهم جماعات كثيرة نحو الغرب فعبروا الفرات واستقروا في واديه امداماً كذلك ثم اتجهوا نحو الجنوب فاستقر فريق منهم في سواحل الشام واستقر فريق آخر في شرق الاردن وفلسطين ، وان انسياب هذه الموجة الكبرى الى بلاد الشام كان في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد او قبله او بعده بقليل<sup>(٣)</sup> .

---

(١) كتاب لبنان تأليف لجنة الادباء ص ١٨١ وتاريخ الفات السامية امراثل ولفستون ٥٤٤ والتاريخ العام لاسعد رفيق بالتركيب ص ٣٠١ وتاريخ سورية للديس مجلد ١ ص ٢٥٥ وما بعدها وتاريخ سورية لجرجي يني ص ١٣ وبعدها وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي تأريب جورج حداد ص ١ ص ٦٦ - ٦٧ و٨٥ - ٨٦ .

(٢) كان اصطلاح البحرين يطلق على السواحل المقابلة لجزر البحرين ايضاً .

(٣) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تأليف حتي المذكور اعلاه في الصنف المذكورة آنفاً .

ولقد ذكر المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية<sup>(١)</sup> ان المؤرخ الروماني القديم يلين ذكر انه كان في ايامه على خليج العجم ما يلي جهة بلاد العرب عمل يسمى بلاد كنعان كما ذكر ان سترايون الجغرافي روى انه كان هناك جزيرتان سميان صور وأرواد هما الآن من جزر البحرين ؛ وان فيها هياكل اشبه بها كل الفينيقيين - وهذا الاسم الذي عرف به الكنعانيون الذين حلوا في سواحل الشام - وان اهلها يقولون ان سكان صور وارواد في فينيقية منهم ؛ مما فيه تأييد للموطن الثاني الذي أتى منه الكنعانيون الى بلاد الشام .

ولقد قلنا آنفاً ان الذين استقروا في سواحل الشام عرفوا ايضاً باسم الفينيقيين حتى لقد غدا هو الغالب عليهم ؛ واطلق اسم « فينيقي او فينيقية » على البلاد التي استقروا فيها : وهو اسم طارئ على خلاف في معناه وباعثه . فهناك من قال انه مشتق من كلمة فينكس اليونانية التي كانت تطلق على حيوان مجري صدي يستخرج منه المادة الصبغية الحمراء التي اشتهر بها الفينيقيون . ومنهم من قال إنه من كلمة فون او يون التي كان يطلقها المصريون على بلاد العرب على ما ورد في آثارهم . وهناك من قال ان الكلمة تعني النخلة وان البلاد سميت بها لكثرة نخيلها ثم صارت عاملاً لسكانها ، وكانت النخلة ترمز علم المسكوكات الفينيقية القديمة .

وهناك من قال إنها بمعنى الشعب الأحمر او البلاد الحمراء بسبب الصبغة الأرجوانية التي اشتهرت بها .

والمطران الدبس الذي يورد هذه الأقوال<sup>(٢)</sup> يقول مع ذلك مرجحاً ان التسمية يونانية . ويستدل على ذلك بان الاسفار المقدسة التي كتبت بالعبرانية تسمي هذه البلاد واهلها باسم كنعان في حين ان اسفار المكابيين واسفار العهد الجديد التي كتبت باليونانية استعملت كلمة « فينيقية و فينيقي » .

ولقد عثر على منقوشات<sup>(٣)</sup> وصفت فيها مدينتا اللاذقية وصيدا بالكنعانية حيث

---

(١) مجلد ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) تاريخ سورية مجلد ١ ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) تاريخ سورية جرجي بيني ص ٣٥١ وتاريخ سورية للدبس المذكور آنفاً ص ٢٦٩ .

يدل هذا على ان اسم كنعان كان هو المستعمل اسماً لهذا القسم من بلاد الشام واهله .  
أما الذين استقروا في شرق الاردن وفلسطين فقد عرفوا منذ القديم باسم كنعان  
وظلوا يحتفظون به وذكروا به في المدونات القديمة (١) .

ومن المحتمل جداً ان يكون اسم كنعان من كنع بمعنى سكن أو خضع وهو في  
جذره واشتقاقه وبنائه عربي الجنس ، واطلاقه على الذين استقروا في الساحل الشامي قبل  
ان يعرفوا باسم الفينيقيين أو يغلب عليهم بل واستمرار وصفهم به الى عهد المسيح على  
ما تدل عليه بعض النصوص في انجيل متى (٢) ثم على الذين استقروا في شرق الاردن وفلسطين  
اصلاً واستمرار احتفاظهم به دليل على اصاله الاسم من جهة واحدة ارومة سكان السواحل  
الشامية وجنوبها من جهة ، وعلى كون الاسم الجامع بينهم هو كنعان من جهة ، وعلى  
كونهم من الجنس العربي من جهة .

هذا ؛ ولقد قال بعض الباحثين ان اسم الكنعانيين قد طرأ على القادمين مستمداً من  
طبيعة الارض التي حلوا فيها حيث يعني الارض المنخفضة . ومع ان هذا المعنى مندمج  
في جذر كنع كما لا يخفى ، ومن الممكن ان يفيد ان التسمية من الطائفتين بلقتهم ،  
فاننا لا نشارك القائلين لان وصف الانخفاض ان صح بالنسبة لبعض اقسام شرق الاردن  
وغربه وهي اراضي الغور فانه لا يصح بالنسبة للذين حلوا في سواحل الشام وبقيّة النحاء  
شرق الاردن وفلسطين لان كثيراً من المناطق التي حلوا فيها وعمروها جبلية ومرقعة  
واسم الكنعانيين كان يطلق عليهم قبل اسم الفينيقيين على ما ذكرناه آنفاً .

## الملاين والممالك الكنعانية الفينيقية

- ٢ -

ولقد انشأ الذين حلوا في السواحل من الكنعانيين الذين عرفوا بالفينيقيين ورموا  
وعمرهم مدناً وقرى كثيرة منها ما اندثر او اندفن ومنها ما تولى ترميمه وتعبيره وبقاؤه

---

(١) اسفار العهد القديم ومنها سفر يشوع وكتب الرومان واليونان القدماء .

(٢) الاصحاح الخامس عشر . انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية ص ٥٦ - ٥٧ وتاريخ موريت جرجي  
بنى ص ٤٣ وما بعد والتاريخ العام بالتركي لاحد رفيق ج ١ ص ٣٠١ وما بعدها .

الى الآن . وقد اوردنا اسماء مئات من القرى والقصبات التي انشأوها في السواحل وما والاها من مرتفعات لبنان ؛ وكثير منها متشابه والاسماء التي تبدو عليها اللمحة العربية القديمة منها هي الاكثر جداً من التي تبدو عليها الاعجمية او العربية الفصحى بحيث يسوغ القول إن الكنعانيين قد عمروا هذه المنطقة وطبعوها بطابعهم . ومن مدنهم المهمة التي لا تزال موجودة الى اليوم ومحتفظة باسمائها القديمة صيدا ( واسمها القديم صيدون ) وصور . وهو اسمها القديم وجبيل ( واسمها القديم جب ايل ) واللاذقية ( واسمها القديم رامانا )<sup>(١)</sup> وارواد ( واسمها القديم ارادو ) وعكا ( واسمها القديم اكو ) وبيروت ( واسمها القديم بنروت ) وجبلة ( واسمها القديم كبلا او جبلا ) وعرقا ( واسمها القديم اوقات ) وصرفند ( واسمها القديم سربتا ) والذيب ( واسمها القديم او كزيب ) ودموس وطرطوس والبترون وأنفة الخ .

وفي المتحف البريطاني في لندن لوحة مصرية النقش ترقى الى عهد الاسرة المصرية الملكية الثانية عشرة التي حكمت في القرون الثامن عشر - العشرين قبل الميلاد<sup>(٢)</sup> ذكر فيها خبر رحلة مصري في انحاء الشام وذكر اسماء جبيل وباروت وصيدون وصرفت وصور وعمريت وانترادور وطرطوس وقرنا وعرقا وسبا كمدن ساحلية زارها<sup>(٣)</sup> وطبيعي انه لا بد من ان تكون هذه المدن قائمة قبل هذه الزيارة بمدة طويلة حتى غدت عامرة تلفت نظر السائح المصري وتجعله يخصص بالذكر . وفي هذا تأييد لقدم طرود الموجة الكنعانية التي يعزى اليها انشاء هذه المدن ، وتوطنها في هذه الانحاء ونشاطها العمراني والمدني القديم .

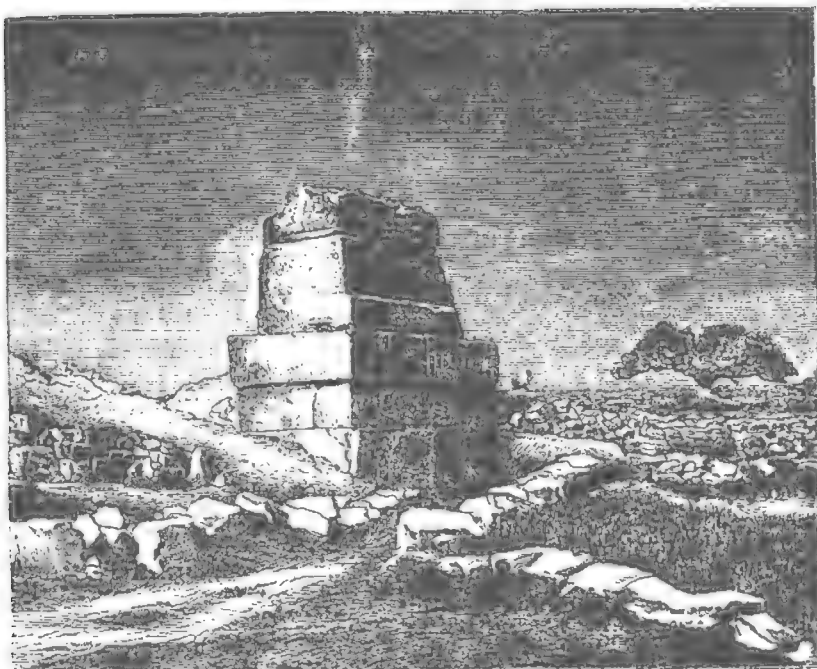
— — —

ولقد قام في كل مدينة كبرى او منطقة مملكة خاصة على ما يستفاد من المنقوشات المراقبة والمصرية والكنعانية الفينيقية واسفار العهد القديم التي تكرر فيها ذكر ملوك

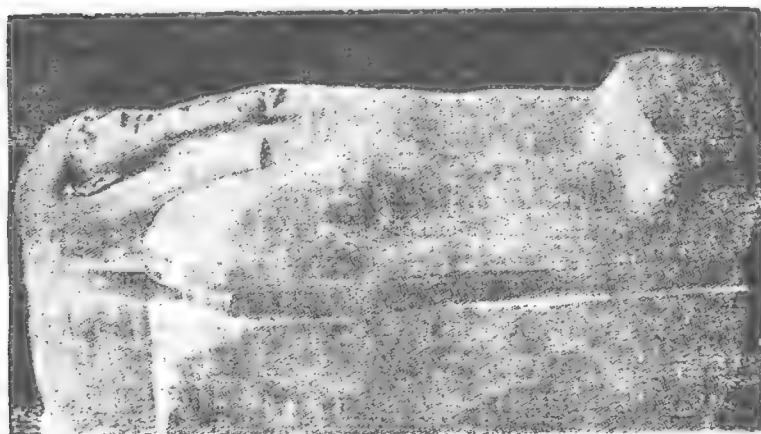
(١) تاريخ سورية جرجي بني ص ٣٥١ وما ذكره المؤلف ان اللاذقية الحاضرة هي تجديد لرامانا القديمة الكنعانية التي تعني الارض المرتفعة . وقد تم تجديدها في زمن السلوقين اليونانيين وسموها لازدي الذي تطور الى الاسم الحاضر . انظر ايضاً الى الصفح ٤١ وما بعدها ٣٦٥ و ٤٢٣ و ٤٣٢ و ٤٧٩ و ٤٨٩ من المؤلف المذكور .

(٢) تاريخ الجنس العربي ج ٢ ص ٩٤ للمؤلف .

(٣) انظر كتاب لبنان لجنة الادباء ص ١١٠ والمجلد الاول الجزء الاول من تاريخ سورية للدبس



قبر الملك حيرام



تأبوت وصورة ملك هيداتبنيت

فينيقية بصيغة الجمع حيناً وذكر ممالك صيدا وصور وجبيل وأرواد بالتعيين حيناً . وقد قرئ على النقوش والنقود الفينيقية أسماء ملوك عديدين للمالك متعددة أيضاً . وبعض النقوش الآشورية ذكر أكثر من مرة عدد عشرين واثنين وعشرين ملكاً في سياق ذكر الملوك لتقديم ولائهم للملوك الآشوريين حيث يدل هذا على كثرة عدد الممالك التي أقامها الكنعانيون الفينيقيون في الساحل الشامي .

والظاهر ان الكنعانيين حينما حلوا في هذه الانحاء تقاسموها بين عشائهم فأقام كل منها في قسمه مملكة خاصة تولى حكمها زعيم العشيرة وأنشأ مدينة صارت عاصمة لمملكته . ثم تولى الحال على هذا المنوال مع طروء تبدلات في الأسر الحاكمة نتيجة لظروف داخلية وخارجية على ما يستفاد من المدونات والنقوش القديمة وعلى ما جرت عليه الموجات العربية في مصر والعراق والجزيرة مما شرحناه في الاجزاء الثلاثة السابقة .

ومن هذه الممالك ما انهار مبكراً كمملكة اوغاريت التي كشف من جديد عن عاصمتها أوغاريت في منطقة اللاذقية بعد ما لبثت مطمورة تحت الأرض أكثر من ثلاثين قرناً (١) وقد عرف من آثارها انها دمرت بغارة أو حريق وانما كانت على درجة عالية من الفخامة والروعة والبروز السياسي والمدني والثقافي مما سوف نفضله بعد .

ومنها ما استمر قائماً يتولاه ملوك كنعانيون إلى غزوة الاسكندر المكدوني في الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد .

ولقد عرف اسماء كثير من ملوك هذه الممالك بدون تسلسل . ومن هذه الاسماء ما قرئ على النقود . ومنها ما ورد في النقوش والمدونات .

ومن عرف من أسماء ملوك صيدا :

١ - بالوش بعل وهو أقدم من ذكر من ملوك صيدا في زمن نزها قبل القرن الثالث عشر (٢) .

---

(١) في كتاب مصر القديمة ج ٤ ص ٦٢٦ - ٧٠٥ في مباح صيرة المنحوت الثاني من ملوك الاسرة الثامنة عشرة والذي يصادف حكمه اواسط القرن الخامس عشر ان هذا الملك دمر اوغاريت وجعل عاليها سافلها . غير انه عرف من آثارها ما يدل على ان ذلك لم يكن تدميراً قاضياً على المدينة والمملكة حيث وجد فيها آثار تعود الى عهد رمسيس الثاني الذي كان حكمه ١٢٩٥ - ١٢٢٥ ق م « ولم يوجد آثار تدل على ما بعد ذلك فيها حيث يكون تدميرها قد وقع في هذه الفترة .

(٢) الجزء الاول - المجلد الاول تاريخ سورية للدهس ص ٢٧٤

٢- زمريدا كان معاصراً لاختاتون احد ملوك الاسرة الثامنة عشرة المصرية  
( القرن الرابع عشر ) ( ١ )

٣- عبد ملكرت كان معاصراً لامرحدون الاشوري ( القرن السابع ) ( ٢ )

٤- اشمنغزر الاول  
عرفت اسماء هؤلاء الملوك الخمسة من مقبرة  
اثرية فيها نواويسهم . ويخمن عهدهم في القرنين  
الخامس والرابع قبل الميلاد في اثناء سيطرة  
الفرس ( ٣ ) .

٨- بدعشتو

٩- ستراتا

١٠- تينا

كانا كذلك في اثناء سيطرة الفرس ( ٤ )

واللمحة العربية على الاسماء بادية بما يؤكد اصاله جنسهم العربي  
وعرف من ملوك صور :

١- ابي ملك ذكر في رسالة أرسلها الى اخناتون احد ملوك الاسرة الثامنة المصرية

الذي كان حكمه في القرن الرابع عشر قبل الميلاد على ما جاء في  
كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد ترجمة حسن كمال

٢- حيرام الاول كان حكمه حوالي سنة ١٠٠٠ ق م

٩٤٤

٣- ابي بعل بن حيرام

٤- حيرام الثاني

٩٣٧-٩٤٤

٥- بعل عازار

٩٢٨-٩٣٧

٩- عبد عشتروت

( ١ ) اورد اسمه في احدى رسائل تل العمارنة التي ذكرناها في الجزء الثاني انظر مصر القديمة لسليم

حسن ص ٥١ - ١٥٤ ج ٥ وتاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد تعريب حسن كمال ص ١٥٣ - ٢٦٣  
« سيرة امنحوتب الثالث وسيرة الاسرة الثامنة عشرة » -

( ٢ ) تاريخ سورية المذكور آنفاً للدبس ص ٣١٤

( ٣ ) كتاب لبنان لجنة من الادباء ص ١١٤ - ١١٥ وتاريخ اللغات السامية لامرأيل ونفتوت

ص ٢٧٤

( ٤ ) تاريخ سورية جرجي يني ص ٤٨٥ - ٤٨٦



٧ - دليل عشروت

٨ - عشروفي

٩ - عشوريم

١٠ - فاليبا

١١ - ايتو بعل الاول ٨٨٤-٨٤٤

١٢ - بعل عازر الثاني ٨٤٤-٨٣٨

١٣ - ماتان ٨٣٨-٨٢٩

١٤ - بكالميون ٨٢٩-٧٨٩

١٥ - جرام الثالث نحو ٧٧٠

١٦ - موتون الاول « ٧٣٠

١٧ - الولا « ٧٢٤

١٨ - ايتو بعل الثاني

١٩ - بعل ٦٧٠

٢٠ - ياملك نحو ٦٥٠

٢١ - ايتو بعل الثالث » ٥٩٠

٢٢ - ايت بعل » ٥٧٤

٢٣ - بعل الثاني » ٥٧٤

٢٤ - بعل لاتور ٥٥٦

٢٥ - مور بعل ٥٥٥-٥٥١

٢٦ - حيرام الرابع ٥٥١-٥٣١

٢٧ - موتون الثاني ٥٣١ (١) ابان الحكم الفارسي

وقد قام بين حكم بعل الثاني وبعل لاتور حكومة قضاء تقاب على رأستها : اكينبعل ابن بالوق وكالب من عبادي وابار عظيم الكهنة وموتون وجيروست ابناء عديم . وبلغ مجموع حكمهم نحو سبع سنين ، وكان ذلك نتيجة لثورة اهلية ضد بعل الثاني في سبيل اقامة حكومة جمهورية او حكومة قضاء من غير الاسرة المالكة . ولكن امرها لم

---

(١) القائمة من حيرام الاول الى موتون الثاني من الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للديس عزوا الى لانرمان « ص ٣٣٢ - ٣٣٣  
(٢) نفس المصدر ص ٣٢١ - ٣٢٧

يستقر وعاد النظام الملكي ثانية . وقد ذكر الدبس في مكان آخر من كتابه المذكور آنفاً (١) اسم ملك آخر بعد حيرام الثالث وهو مياب بعل وقال انه غير موتون ، وانه تولى العرش نتيجة لنزاع قام بينها . والدبس يعزو معظم الاسماء في القائمة الى لانزمات ولم يذكر اسماء ملوك آخرين بعد موتون ، في حين ان انباء احداث الحقبة التي تلت سنة ٥٣١ الى نهاية الحكم الفارسي تفيد ان مملكة صور كانت موجودة وكانت تساهم في هذه الاحداث . وقد ذكر جرجي بيني (٢) اسم ملك لصور وهو ازميلكوس . ولا عبارة بالصيغة اليونانية التي جاء بها الاسم لأنه مقتبس على الأرجح من المدونات اليونانية . والمرجح ان هناك ملوكا آخرين لصور بين تاريخ ٥٣١ - ٣٣٣ ق وان لم تذكر المصادر اسماءهم .

ونبة على اللمحة العربية القديمة البادية على معظم اسماء ملوك صور كما هي الحال بالنسبة لملوك صيدا .

ومن عرف من ملوك جبيل :

١ - نبتن وهو اقدم من عرف منهم . وقد ورد في نقش كشف حديثاً

في جبيل عليه طغراء الملك خع سخم رع نفر حتب احد ملوك الاسرة الثانية عشرة المصرية التي حكمت حوالي ١٨٠٠ -

١٧٠٠ ق م

٢ - رب عدى (٣) كان معاصراً لامون حتب الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة

« حوالي ١٤٠٠ ق م »

٣ - ذكر بعل (٤) كان معاصراً لرمسيس الحادي عشر من ملوك الاسرة العشرين وسمنديس اول ملوك الاسرة الحادية والعشرين « حوالي

١٠٥٠ ق م »

٤ - ايلي بعل (٥) كان معاصراً لاسور كون الاول من ملوك الاسرة الثانية

والعشرين « حوالي ٨٥٠ ق م »

(١) نفس المصدر ٣٠٨

(٢) تاريخ سورية ص ١٢٧

(٣) ١ و ٧ لبنان ص ١١٨ و ٢٢٨

(٤) تاريخ مصر من اقدم المصور لبريستيد ص ٣٢ وبعدها

(٥) مصر القديمة ج ٩ ص ٢٣٠

٥ - سيبيني بعل (١) كان معاصراً لتغلات بلاهر الثالث الآشوري ٧٤٥-٧٢٦ ق م »

٦ - ماكي اصف (٢) كان معاصراً لاسرحدون الآشوري ٦٨٠-٦٦٧

٧ - اور ملك (٣) » » لسنحاريب » ٧٠٥-٦٨١

٨ - كال بعل

٩ - ارم بعل

١٠ - عز بعل

١١ - عين بعل

١٢ - ابي ملك

١٣ - مجد ملك

١٤ - يحو بعل

(٤) كان حكمهم بين القرن السادس والقرن الرابع معاصرين للعهد الفارسي

١٥ - ايل نوس (٥) كان حكمه في القرن الرابع في ظرف زحف الاسكندر المكدوني

واللغة العربية بادية بقوة على الاسماء ايضاً كما هو ظاهر . ولا عبوة بالصيغة اليونانية التي جاء بها الاسم الاخير الذي هو مقتبس على الاغلب من المدونات اليونانية القديمة . ومع ذلك فان فيه مقطع (ايل) العربي وفيه الدليل الحاسم .

ولقد كشفت التنقيبات الحديثة عن مدينة اسمها اوغاريت في منطقة اللاذقية السورية الساحلية . وعثر على نقود ونقوش عرف منها اسماء الملوك التاليين :

نقباد الاول ، نقباد الثاني ، نيكما ، نقيما ، استبن ماري ، نقباد الثالث ، ارسلبا ، فايبرا ، توتاليا الرابع حمورابي (٦) وكان حكمهم ما بين القرن السادس عشر والثالث عشر قبل الميلاد .

وقد عرف من ملوك ارواد : (٧)

(١) تاريخ سورية للديس ج ١ ص ٣١٥ و ٣١٣ و ٣٠٨

(٢) تاريخ سورية الجرجي بني ص ١٢٧

(٦) مجلة الحوليات السورية المجلد الثاني لسنة ١٩٥٢ والمجلد الثالث لسنة ١٩٥٣ وهذا الاخير يذكر ان حمورابي اخر ملوك اوغاريت وقد فسر فيليب حتي في كتابه تاريخ سورية وفلسطين ولبنان ص ١٢٣ اسم نقباد بنقمة ادد . وادد من الهة بلاد الشام الرئيسيين

(٧) المجلد الاول الجزء الاول تاريخ سورية للديس ص ٣٠٦ - ٣١٨

- ١ - مائى بعل وكان معاصراً لسلطان الثالث ملك آشور « ٨٦٠-٨٢٥ »
- ٢ - مائى بعل ثاني « » لتغلات بلاحر الثالث « ٧٤٥-٧٢٧ »
- ٣ - عبد بينيت « » لسنحاريب « ٧٠٥-٦٨١ »
- ٤ - مائى بعل ثالث « » لاسرحدون « ٦٨٠-٦٦٧ »
- ٥ - يكين ايلو « » لاشور بانبال « ٦٦٧-٦٢٧ »
- ٦ - جيروستراوس (١) وكان في ظرف زحف الاسكندر المكدوني

واللمحة العربية القديمة بادية ايضاً على اسماء ملوك اوغاريت وارواد عدا الاخير الذي جاء في صيغة يونانية . والمرجح ان هذه الصيغة جاءت بسبب النقل عن المدونات اليونانية القديمة .

وقد عرف من ملوك بيروت ملك اسمه ابي بعل الذي يقول الدبس (٢) انه هو الذي قدم اليه المؤرخ البيروني سنكوناتون كتابه اليه وان عصره قريب من عصر موسى « اي بين القرن الثالث عشر والثاني عشر »

#### -٤-

وواضح ان اقدم من ذكر من ملوك الممالك الفينيقية لا يرقى عهده الى اكثر من القرن التاسع عشر قبل الميلاد فضلا عن مافي القوائم من ثغرات كثيرة وواسعة . فهناك مدن فينيقية مهمة اخرى كانت تبرز في سياق الاحداث مثل عكا « عكو » وصربتا « صرفند » والبثرون وسميره « شميرون » وعرقا ، والراجع انما كانت بمالك على رأسها ملوك كباقي المدن المهمة فلم تذكر المراجع اسماء احد من ملوكها ، ومعظم ملوك المدن المذكورين هم من ملوك القرن العاشر وما بعده . ولم يذكر مثلاً من اسماء ملوك صور بين سنة ٥٣١ و ٣٣٣ غير اسم واحد حيث يدل ذلك على سعة الثغرات .

والى هذا فان الكتب التي كتبت في تاريخ بلاد الشام او تاريخ لبنان وسورية لم تذكر شيئاً ذا بال وغناء من تاريخ فينيقية والفينيقيين يرقى الى ما قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد . فقد خص المطران الدبس الكنعانيين الفينيقين في الجزء الاول من كتابه تاريخ سورية (٢) الذي يستند فيما يورده فيه الى نقوش ومدونات قديمة بمقالة مسهبه فلم

(١) تاريخ سورية جرجي بني ص ١٢٧ (٢) المجلد الاول الجزء الاول ص ٣٥٨ - ٣٥٩

(٣) طبع سنة ١٨٩٣

يورد فيه شيئاً فيه تفصيل محدد عن نشاط سياسي وغير سياسي للفنيين يرقى الى <sup>١٨٨١</sup> من القرن السابع عشر . ومثل هذا يقال بالنسبة لتاريخ سورية الذي ألفه جرجي بني (١) والذي اشتمل على تاريخ لبنان وسورية معاً ، وكتاب لبنان الذي ألفه نجبة من ادياء لبنان (٢) وكتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين الذي ألفه فيليب حتي ونقله الى العربية جورج حداد ورفيقه وهو من الكتب الحديثة جداً (٣) ، وذلك باستثناء بعض تنقيد مستندة الى اثار مصرية اهتمت اشارات الى نشاط سياسي واقتصادي وعمراني عابرة في سياق ذكر ما كان للملك مصر القدماء من طموح وغزوات . وتنقيبات او غاريت الهامة جداً في بابها والتي بدأت سنة ١٩٢٩ وما تزال مستمرة الى الآن موسماً بعد موسم « ونحن في سنة ١٩٦٥ » لم يعرف بها الا شيء محدود مما يعود الى ما قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد على ما سوف نذكره بعد .

---

(١) طبع سنة ١٨٨١ (٢) طبع سنة ١٩١٤ (٣) طبع سنة ١٩٥٨

## صور ومظاهر قديمة لنشاط الكنعانيين

قبل القرن السابع عشر

- ٣ -

ومع ذلك فان هذا لا يعني بطبيعة الحال ان الفينيقيين ظلوا الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد يعيشون غيشة قبلية ومنعزلة ، وكل ما يعنيه انهم اما انهم لم يدونوا مآثرهم على الاحجار والورق والمعادن كما فعلت الارومات العربية الجنس في مصر والعراق بل وفي اليمن واما انه لم تجر تنقيبات كافية تكشف عن آثارهم التي قد يكونون دونوا عليها شيئاً من تاريخهم واما أن يكون مادونوه قد تحطم واندثر .

ولقد قلنا ان الآثار المصرية احتوت اشارات الى نشاط سياسي وغير سياسي للفينيقيين قبل القرن التاسع عشر . مما فيه الدلالة على ما ذكرناه . وهذه الاشارات وردت في كتب التاريخ المصري القديم كما ورد بعضها في كتب تاريخ لبنان أيضاً .

فن ذلك ما ذكره بريستيد في كتابه تاريخ مصر من أقدم العصور (١) في سياق سيرة الاسرة الخامسة التي حكمت حسب استنباط هذا المؤرخ بين ٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ ق م ان سحورع احد ملوك هذه الاسرة انشأ اسطولين بحريين كان احدهما يبحر في البحر الاحمر وثانيهما في البحر الابيض المتوسط وانه عثر على لوح في هرمه عليه رسوم سفن عظيمة مشحونة بالاسرى الفينيقيين وحو لهم بحارة مصريون تعتبر اقدم رسوم بحرية وجدت للان واقدم صور لسكان سورية الساميين حيث يدل هذا على ان سواحل سورية كانت مأهولة بجماعات من الجنس العربي الذين يسميهم المؤرخون الافرنج ساميين في الظروف التي نجمن فيها طرود الكنعانيين على هذه السواحل حيث يمكن ان ينطوي في ذلك تأييد لطرود الكنعانيين واستقرارهم فيها .

ولقد ذكر هذا المؤرخ المصري الاثري الكبير سليم حسن في كتابه العظيم مصر القديمة ايضاً . (٢) وقد ذكر هذا المؤرخ بالاضافة الى ذلك في سياق سيرة الملك وناس آخر ملوك هذه الاسرة (٣) الخامسة انه عثر على صور مراكب منقوشة على جدران معبد هذا الملك

(١) من ٨٠-٨٤ (٢) ج ١ من ٣٣٦ (٣) للس الجزء من ٣٢٤

الجنازري اعظم حجما من السفن النيلية وفيها قوم اسيويون شبه اسرى . وعلق المؤلف على ذلك قائلا ان هذه المراكب آتية بلا شك من بلاد سورية مما يدل على العلاقة بين البلدين في هذا العصر بل وسيطرت مصر عليها بعض الشيء ، حيث ينطوي في هذا اثر نشاط فينيقي كنعاني ملاحي منذ ذلك العهد السحيق في القدم . ومن المحتمل ان يكون جماعة من الملاحين الفينيقيين اغاروا بحراً على مصر وقاموا بنشاط ما ضد مصر اوجبت تسيير سحورج حملة بحرية عليهم اشتبكت معهم وتغلبت عليهم واسرت جماعة منهم وفرضت سلطان مصر بشكل ما على بلادهم . وقد يكون سحورج هو المهاجم لبسط سيطرته على بلادهم لما علمه من ثروة بلادهم فتصدوا لصدّه فأخفقوا وغلبوا . وقد ذكر بريسقيد (١) ان اساطيل مصر في البحر الابيض كانت تخرب بين مصر وسواحل بلاد الشام في عهد بيبي الاول ثم بيبي الثاني من ملوك الاسرة السادسة التي يحددها بين ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ ق م او قبل ذلك وتنقل خيرات السواحل ولا سيما خشب الارز من غابات لبنان ، حيث يؤيد هذا خبر فرض سحورج سلطانه على هذه السواحل وما كان فيها من خيرات وما ينطوي فيه امارات نشاط هذه البلاد الاقتصادي .

وقد ذكر سليم حسن (٢) في سياق سيرة بيبي الاول المذكور آنفاً ان هذا الملك سبّر حملة قمعت اضطراباً نشأ في منطقة سميت او وصفت في الآثار بأنف الغزال فسرّها المؤلف بمنطقة الكرمل في جنوب فينيقية ، وان هذا الاضطراب نجم عن زحف سامي من الشمال نحو مصر كما ذكر في سياق سيرة بيبي الثاني (٣) ان الزاحفين نجحوا في التسرب إلى مصر في عهد هذا الملك مما قد ينطوي فيه صورة لنشاط كنعاني فينيقي أيضاً . وقد ذكر هذا المؤلف (٤) ايضاً في سياق سيرة الاسرتين السابعة والثامنة اللتين يحددهما بين القرن الخامس والعشرين والثالث والعشرين قبل الميلاد أو ما قبل ذلك ان الاسيويين انتقصوا على مصر وغزوها في عهد هاتين الاسرتين ونجحوا في التسرب اليها . والحاضعون لمصر في هذا العهد كانوا اهل سيناء وفلسطين وفينيقية القدماء الذين كان المصريون القدماء يطلقون عليهم اسم الاسيويين احياناً واسم الرتنو والمنتو احياناً واسم الزاهي احياناً (٥)

(١) الكتاب المذكور قبل صفحة ٨٥-٩٥ (٢) مصر القديمة ج ١ صفحة ٣٦٥-٣٧٦

(٣) نفس الجزء صفحة ٣٩٨-٤٠٦ (٤) ايضاً صفحة ٤٠٦-٤١٤ (٥) ايضاً صفحة ٤١٨-٤٤٨

وج ٢ صفحة ٣٣-١٠٤

حيث ينطوي في هذا الخبر صورة من نشاط الكنعانيين الفينيقيين وتمكنهم من التفلت من سلطان مصر بل وتسربهم اليها . وقد تكرر ذلك منهم في عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة (٢١٠٠-٢٣٠٠ ق م) ثم في عهد الاسرة الحادية عشرة (٢١٥٠-٢٠٠٠) على ما ذكره المؤلف نفسه ايضاً<sup>١</sup> ولقد استمرت الصلات السياسية والتجارية والحركات الحربية بين بلاد الشام بما فيها فلسطين وفينيقية وبين الاسرة الثانية عشرة ايضاً التي كان حكمها حوالي (١٨٠٠-٢٠٠٠ ق م) على ما تفيد سيرة ملوكها . وقد ذكر سليم حسن من صور ذلك<sup>٢</sup> ان امنمحات الاول اول ماوكها حارب الاسيويين وان احد رجال بلاطه المسى سنو حيث كان يلقب بدير ضياع الملك في بلاد الاسيويين وانه عثر في جبيل على نقوش ترجع الى عهد امنمحات الثاني<sup>٣</sup> عليها اسم شخص مصري اسمه حاتي ولقبه الامير الوراثي كما عثر في طود - في مصر - في اساس معبد يرجع إلى عهد هذا الملك كنز يشتمل على اربعة صناديق من البرنز كتب عليها اسم هذا الملك مملوءة بأوان من الذهب والفضة يربو عددها على مئتين مع سبائك ذهبية وفضية وكمية عظيمة من الخرز والاسطوانات البابية والتعاويذ المصنوعة من الالزورد وكمية من قطع لازوردية غفل ، وان من المحتمل جداً ان تكون هذه التحف قد اتت إلى مصر من امير جبيل كجزية او هدية سواء أكان هذا الامير من أهل البلاد أم أميراً مصرياً حاكماً من قبل هذا الفرعون أو قبله ، وان ظواهر الأحوال تدل على كل حال على أن علاقة مصر بفينيقية وخاصة بـجبيل « التي ذكرتها آثار مصر بلفظ بيبلو » كانت في عهد ملوك هذه الاسرة على احسن ما يكون من الود والصفاء ، حيث ينطوي في هذا صورة لعلاقات سياسية وغير سياسية بين مصر وفينيقية منذ ذلك العهد كما ينطوي فيها صورة لما كان عليه الفينيقيون من مهارة فنية وثروة ونشاط اقتصادي وسياسي . وقد ذكر هذا المؤلف ايضاً<sup>٤</sup> في سياق سيرة منوسرت الثالث من ملوك الاسرة نفسها انه عثر على لوحة لموظف اسمه سبك من موظفي هذا الملك ذكر فيها خبر سفر الملك الى الشمال ليهزم المنتو الاسيويين وانه غلبهم واسر بعضهم حيث يحتمل ان يكون اهل فلسطين وفينيقية الذين كانوا خاضعين لسلطان الاسرة قردوا وانتفضوا فساد

«١» مصر القديمة ج ١ صفحة ١٤٥ و١٥٢ و٢٢٢ و١٥١ مثلاً

«٢» مصر القديمة ج ٣ صفحة ١٩٦ - ٢٠٣

«٣» صفحة ٢٤٦ - ٢٦٤

«٤» ج ٣ صفحة ٢٧٨ - ٣٠١



اليهم هذا الملك واخضعهم ثانية مما فيه كذلك صورة من نشاط الفينيقيين السياسي . ولقد ذكر بريسيد خبر هذه الغزوة لهذا الملك الذي يسميه سيزوستريس الثالث ثم قال ان التجارة نشطت بين مصر وهذه البلاد بعد هذه الغزوة وانه وجد على جدران مقبرة بني حسن وهي من آثار عهد هذه الاسرة صورة لسبعة وثلاثين رجلا من اهل الشام أتوا إلى مصر للتجارة مع الامير خنوم صاحب المقبرة ومعهم الروائح العطرية التي كان المصريون يكتفون من استعمالها وكانوا يلبسون المنسوجات الصوفية المزخرفة ويتعلون النعال ويحملون بأيديهم عصياً ثينة ، وان الاشغال التجارية التي كانت تجري بين مصر وبلاد الشام في هذا العهد تدل على ان اهل هذه البلاد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والبراعة وان قوافلهم كانت تأتي الى مصر عن طريق الكرمل وفلسطين . وبالجملة الاخيرة خاصة تدل على ان المقصودين هم بالذکر سكان فينيقية والسياق يدل على بناء ذلك على ما كان من تقدم الفينيقيين في مجال الحضارة قبل هذا الطرف وعلى ما كانوا عليه من نشاط تجاري أيضاً .

ولقد ذكر فيليب حتي<sup>١</sup> ان سنوسرت الاول احد ملوك الاسرة الثانية عشرة ( ١٩٧١-١٩٢٨ ) ارسل هدايا الى امراء اوغاريت وان امنحت من ملوك الاسرة نفسها ارسل تمثالاً لآبي الهول الى هذه المدينة فوضع في مدخل معبد البعل فيها حيث ينطوي في هذا اشارة الى نشاط ملكة اوغاريت وعلاقتها بمصر في ذلك العهد . وفي هذا الكتاب<sup>٢</sup> اشارة الى قصة كاتب مصري في بلاط الملك سنوسرت المذكور اسمه سنوحي فر من سيده الى سورية واقام بها زمناً . وقد ذكر من قصته انه ذهب إلى جبيل ومنها الى سهل البقاع حيث استقر ونال حظوة في عين شيخها حتى زوجه ابنته ووهبه أرضاً استغلها وزرع فيها كروم التين والعنب والزيتون والاشجار المثمرة الاخرى فضلاً عن القمح والشعير وتربية النحل والماشية ، فكان غسلها وزيتها غزيراً وخمرها أكثر من الماء ومواسيها لا عد لها مما ينطوي فيه دلائل على ما كان اهل هذه البلاد عليه من نشاط وتقدم زراعي وعمراني . وقد ذكر سليم حسن قصة هذا الكتاب بإسهاب نقلاً عن مدونة سجل فيها رحلته . وسليم حسن يسميه سنوهيت ، ومدونة سنوهيت تسمى اسم الشيخ عمونشي حيث تلمح عليه لمحة العروبة القديمة<sup>٣</sup> .

(١) تاريخ سورية وفلسطين ولبنان ج ١ ص ١٣٨ ترجمة حداد

(٢) ص ١٣٨ ايضاً

(٣) مصر القديمة ج ٤ ص ٢٣٣-٢٤٣

وحركة الهكسوس في مصر التي بدأت في عهد هذه الأسرة « في القرن التاسع عشر » واستمرت الى القرن السادس عشر صلة وثيقة بفينيقية وبلاد الشام عامة حيث يتفق معظم الباحثين على ان العنصر الغالب فيهم من العنصر السامي الذي كان يقطن في بلاد الشام من كنعانيين - فينيين وآراميين وخابيرو - عبرانيين - الخ وانهم بدأوا يتسربون إلى مصر جماعة بعد جماعة ويستقرون في مصر السفلى « الدلتا » حتى إذا كثروا وآنسوا في أنفسهم القوة فرضوا حكمهم على مصر السفلى ثم الوسطى ثم العليا نحو ١٥٠ سنة وانهم كانوا على حظ غير يسير من الحضارة والثقافة والنشاط وكانوا اصحاب حكم وسلطان على بلاد الشام بما فيها فينيقية وفلسطين على ما عرف من آثارهم فيها وان الصلات التجارية وغير التجارية بين مصر وهذه البلاد قد نشطت وتوثقت في عهدهم كثيراً بما ينطوي فيه دلالة قوية على ما كان عليه سكان هذه البلاد من نشاط وتقدم وحضارة وطموح في هذه الحقبة <sup>١</sup>.

ولقد قام صيال ونضال بين حكام الهكسوس <sup>٢</sup> وحكام الوجه القبلي الذي كان مركزه طيبة في عهد الأسرة السابعة عشرة انتهى بتغلب الاخيرين على الأولين وتقويض حكم الهكسوس في سنة ١٥٨٠ ق م ومن ثم اهتم ملوك الأسرة الثامنة عشرة لتوطيد سلطانهم على بلاد الشام بما فيها فينيقية وظل ذلك سياسة مرسومة لملوك الاسر التي جاءت بعد هذه الأسرة فدخلت الصلات بين مصر وبلاد الشام بما فيها فينيقية في عهد جديد عرف من تاريخه الشيء الكثير على ما سوف نشرحه بعد .

## صور ومظاهر نشاط الكنعانيين

بعد القرن السابع عشر وعهد سيادة صيدا

- ٣٩ -

وما تقدم هو بسبيل الإشارة الى ما كان من نشاط الكنعانيين الفينيقيين موضوع

(١) ارجع في مدد الهكسوس الى ما فصلناه عنهم في الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي والى كتاب فيليب حتي ص ٥٧ - ١٦١ وكتاب مصر القديمة ج ٤ ص ٥٤ - ١٩٨ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريتيد ص ١٣٩ وما بعدها

(٢) اسم الهكسوس ليس اسم قبيل او شعب فهو تعبير مصري قبل ان يمتد له ملك ابدو او ملوك البلاد الاجنبية وقد رجع سليم حسن مؤلف كتاب مصر القديمة الذي الاخير نتيجة لدراساته الاثرية . ( انظر الجزء الرابع من هذا الكتاب صفحة ٦٠ - ٦١ )

الفصل قبل القرن السابع عشر وان لم يكن فيه اعلام واحداث معينة . اما بعد القرن السابع عشر فقد عرف شيء كثير من تاريخهم السياسي والحضاري برغم ما في ذلك من حلقات مفقودة وثغرات واسعة .



فما عرف<sup>١</sup> ان مملكة صيدا كانت متفوقة على ممالك فينيقية ولها عليها بعض السيادة والنفوذ في الحقبة السابقة للقرن الثاني عشر ، وكانت كلمة « الصيدونيين » تطلق على جميع سكان فينيقية<sup>٢</sup> ، وكانت صيدا توصف بالكبيرة وبأهم المدائن ، وكان ملوكها يوصفون « بملك الملوك » مما فيه دلالة على ذلك .

ولقد كان ضيق رقعة فينيقية وقلة قابليتها الزراعية من جهة وقيامها على شواطئ البحر الأبيض من جهة مما جعلها تتجه نحو الملاحة والتجارة والاستعمار منذ عهد مبكر ، وساعدها على ذلك احراش جبالها التي كان فيها اشجار عظيمة ومتينة ، وقد قادت صيدا في عهدها المتفوق هذا الاتجاه بقوة ونجاح ، فأنشأ الفينيقيون الذين كانوا ينعتون

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من الجزء الاول المجلد الاول من تاريخ سورية للديس صفحة ٢٦٩-٢٨٢ وتاريخ سورية جرجي بني صفحة ١٣ - ٢٤ و ٤٧٩-٤٨٩ وكتاب لبنان صفحة ١١٦، ١١٤ و ٢٢٩-٢٣٠ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حق صفحة ٨٥-٣٦ ج ١ ترجمة جورج حداد

بالصيدونيين في هذا العهد السفن وخاضوا غمار البحار وأقاموا المستعمرات في جزر البحر الأبيض حتى أنهم عدوا رواد البحار الأولين . وقد استحوذوا على جزيرة قبرص في عهد ملكهم بالوس بعل الذي يظن ان حكمه كان في القرن السابع عشر واستغلوا مناجم الحديد والنحاس الغنية فيها ، ثم استحوذوا على رودس فاستعمروها ثم استعمروا كريت وغيرها من جزر الارخبيل اليوناني حيث اكتشفت لهم فيها آثار كثيرة . ومما يروى عنهم أنهم عبروا مضيق الدردنيل ثم مضيق البوسفور ووصلوا إلى أقصى شواطئ البحر الأسود الشرقية وكانوا يجابون منها الذهب والقصدير اللذين كانا يستخرجان من جبال القفقاس .

ولقد ذكر هو ميروس الشاعر اليوناني صيدون والصيدونيين في الياذته ونوه بما كانت عليه قديماً من براعة ملاحيه وانتشار استعماري وتجاري وحذق صناعي وبأس وقوة . ومما قاله ان الملاحين الصيدونيين كانوا يقومون بحركات عدوانية ضد الترواديين وان صناعتهم كانت رائجة مشهورة في بلاد اليونان حتى ان اخيل اجاز اللاعبين بقدر من الفضة صناعه رجل من حذاق صيدون واما الرداء الذي قدمه هيكوبا الى منيرفا كفارة عن ذنوبه كان من صنع امرأة صيدونية .

وقد نوه استرابون كذلك بالصيدونيين القدماء وقال أنهم كانوا متقدمين في الفلك والهندسة والفلسفة ومسالك البحار .

ولقد أثار نشاط الصيدونيين غيرة البلاسج وهم سكان بلاد اليونان والجزر اليونانية . فأنشأوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد السفن وصاروا يهاجمونهم في البحر الأبيض ويتحالفون ضدهم مع سكان سواحل ايطالية وجزر صقلية وسردينية ويحرضونهم عليهم ويطاردون سفنهم مما جعل الصيدونيين ينكمشون عن مراكزهم ومستعمراتهم في الجزر ويتخلون عنها واحدة بعد اخرى حيث ينطوي في ذلك دلالة على ما ألم بهم من ضعف وتقهقر غامض الاسباب .

ولقد كانت حركة البلاسج ونشاطهم وتأليبهم العناصر البحرية في الجزر والسواحل الاوروبية الجنوبية بدء حركة واسعة كان من مظاهرها زحف كثير من هذه العناصر نحو مصر من ناحية آسية الصغرى فبلاد الشام ففلسطين من جهة ومن ناحية ليبية عن طريق البحر من ناحية اخرى في زمن الاسرتين التاسعة عشرة « ١٣٤٠ - ١٢٠٥ » والعشرين

« ١٢٠٠ - ١٠٩٠ » على ما شرحناه في الجزء الثاني<sup>١</sup> المختص بتاريخ الموجات العربية في وادي النيل . كذلك كان من مظاهرها وامتداداتها ونتائجها طروء الجماعات التي سماها بريستيد المؤرخ باسم بلست وسماها احمد كمال المؤرخ باسم فلسطين والتي يمكن ان يكون اسمها محرفاً عن هؤلاء البلاسج والتي سميت فلسطين باسم مقتبس من هذا الاسم على جنوب فلسطين واستقرارهم فيه وانشائهم الممالك العديدة مثل غزة وعسبلون ( عسقلان ) واشدود ( اسدود ) وجت وعقرون ورافاح وحانون التي لعبت دوراً طويلاً على مسرح فلسطين منذ القرن الثاني عشر الى القرن الثالث قبل الميلاد . ولم يكادوا يستقروا في جنوب فلسطين حتى انشأوا اسطولا قوياً وفكروا في استئناف المصاولة مع صيدا . وقد هاجموا فعلاً في أواسط القرن الثاني عشر وتمكنوا من الاستيلاء عليها ونهبوها ثم دمروها فكان ذلك قاضياً على سؤدد هذه المدينة وتفوقها وان كانت عمرت بعد وقام فيها بملكة في القرن الثامن وما بعده . ومعظم اسماء قائمة ملوك صيدهم من الذين حكموا في عهدها الثاني . وقد كانت احدى الدول الثلاث الفينيقية المتحدة في القرن الخامس التي اتخذت موقع طرابلس ( الشام ) مركزاً لمثلها الاتحاديين وهي صيدا وصور وأرود . وبما ذكرته المدونات القديمة من تاريخ صيدا في هذه الحقبة الثانية انه كان بينها وبين اثينا في القرن الرابع قبل الميلاد صلات حسنة ونشاط تجاري متبادل وانه انعقد بينهما في عهد ستراتو ملك صيدا معاهدة تنص على اعفاء الصيدون من الضرائب التي كان يدفعها الاثينيون وحلفاؤهم للحكومة الاثينية . وهناك امور اخرى من تاريخها مع المصريين والعراقيين سوف ترد في نبذة خاصة .

## مملكة أوغاريت

-٧-

ونريد أن نستدرك نقطة وهي أنه ليس هناك ما يدل على أن مملكة أوغاريت كانت مندجبة في سيادة صيدا أو منسجمة معها . ويستفاد من الوثائق التي عثر عليها فيها انها كانت تحتفظ بشخصية خاصة مستقلة وتقيم صلاتها مع الدول الاخرى على هذا لاساس . وكانت موضوع تنافس بين المصريين والحثيين منذ انبرى هؤلاء لمنافسة مصر والتعريض

(١) تاريخ الجنس العربي ج ٢ صفحة ١٧٢ - ١٧٣ و ١٩١ - ١٩٥

على سلطانها في زمن الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠-١٣٥٠) ق م وكانت تبذل جدها لحفظ التوازن بينها وعدم التعرض للاحتلال من احدهما ومدافعتها حين استعلاء احدهما على الأخرى بالجزية مع جنوح الى مصر ورغبة في التوافق والانسجام معها اكثر<sup>١</sup>. وقد عثر فيها على آثار تحمل رموز تحتس الثالث وامنحوتب الثالث واخناطون وحور محب من ملوك هذه الأسرة ورعمسيس من ملوك الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠-١٢٠٠). وعلى مشهد يمكن ان يدل على حفلة زواج ملك اوغاريتي بأميرة مصرية. وكان ملوك اوغاريت يحتذون حذو ملوك مصر في العادات والاثاث دون ملوك الحثيين بما ينطوي فيه الرغبة في الانسجام مع مصر أكثر.

وكانت اوغاريت لأجل تحقيق سلامتها من الاحتلال والعدوان تعني بأمر الدفاع عناية عظمى. وقد أنشأت حصناً عظيماً متصلاً بالقصر الملكي سوراً بسور قطره ستة عشر متراً وله برج مربع تفوق أبعاده الحصون العسكرية التي عرفها الألف الثاني قبل الميلاد. وقد استطاعت ان تصد غارات وتحرز انتصارات عديدة بفضل ذلك على ما عرف من الألواح التذكارية العاجية التي عثر عليها.

وبما عرف من الألواح انه كان في زمن الملك نقيادو أواخر القرن الرابع عشر أو أوائل القرن الثالث عشر - بملكتان واحدة اسمها نخاحه على رأسها ملك اسمه ادادنيراري واخرى اسمها موكيص على رأسها ملك اسمه اتياردو كانا على خلاف وعداء مع شوبوليوما ملك الآلاخ الحثي. فحاولا اغراء نقيادو بالانضمام اليهما ضده فسارع الملك الحثي إلى تحذيره وتذكيره بالصدقة القائمة بين الطرفين منذ الاسلاف ووعدته بنجدة إذا ما اعتدى الملكان عليه واختصاه بما يغنمه منهما فاستمع نقيادو وأبى الانحياز الى ملكي موكيص ونخاحه فاحنقهما وجعلهما بالتحالف مع نيمي ملك بملكة واجيستوب يياجمون أوغاريت وبنهبون نقيادو ويهدمون أوغاريت. وحينئذ ارسل نقيادو رسالة الى الملك الحثي يستنجد به فسارع الى ارسال ابنائه وكبار رجاله على رأس نجدة من الجنود والعربات وتمكنت

---

(١) ان الكاتب الاثري الذي نستقي منه هذا الفصل في سياق بحثه عن موسم تنقيبات اوغاريت لسنة ١٩٤٣ يقول ان اوغاريت استطاعت ان تنجو من الاحتلال المصري والحثي نتيجة لسياستها التي سارت عليها. هذا في حين ان مؤلف كتاب مصر القديمة يذكر ان امنحوتب الثاني من ملوك الأسرة زحف على اوغاريت وجعل غالبا ساقلها لانها طردت الحامية المصرية. انظر مصر القديمة ج ١، صفحة ٦٧٢-٧٠٥ وانظر المجلد الثالث لسنة ١٩٤٣ من مجلة الحوليات الاثرية السورية صفحة ١٣٣-١٤٠

من ضرب المعتدين واسترداد المنهوبات . وقد ذهب نقادو الى الالانخ ليشكر الملك الحثي ويقدم اليه ولاءه .

ومع ذلك فان اوغاريت عادت الى تحالفها التقليدي مع مصر بعد ان خف ضغط الحثيين عليها نتيجة المعاهدة التي انعقدت بينهم وبين رعمسيس الثاني . ولقد استنجد بها الحثيون حينما ارادوا ان يسيروا حملة لقتال الآشوريين في اواسط القرن الثالث عشر فلم تنجدهم فاحتقم عليها وارغموا ملكها توتاليا الرابع على دفع غرامة ثقيلة . وكان هذا في ظرف ارتبكت فيه احوال مصر بعد رعمسيس الثاني فلم تستطع ان تنجدها . ويظهر ان اوغاريت لم تلبث طويلا بعد هذا الحادث حتى وقع عليها ما دمرها تدميراً كان فيه نهاية مملكتها وكان هذا في الظرف الذي هوجمت فيه صيدا من قبل الفلسطينيين ودمرت على ما ينجح اي حوالي ١٢٠٠ ق م

## عهد سيادة صور وتطورها

- ٨ -

ولقد غدت صور بعد تدمير صيدا موثلاً وملجأ للصيغونيين حيث نزع هؤلاء اليها والتقوا مع الصوريين حول هيكل ملكرت الذي كان مركز الامة الديني . وكانت صور قبل ذلك ثلوية وغامضة التاريخ . وهي قسبان او مدينتان واحدة بوية واخرى على جزيرة اوصلت في زمن احد ملوكها بالبريلسان ؛ فاخذت منذئذ تزدهر وتكبر حتى خلفت صيدا في السيادة والتفوق السياسي والنشاط الملاحي والاستعماري والتجاري ، وصارت عاصمة الفينيقيين السياسية والدينية . وقد استمر عهدها القوي الزاهر الى القرن الثامن قبل الميلاد واستمر مركزها المتفوق قائماً الى القرن السابع ايضاً .

وبما عرف من تاريخها السياسي في عهدها القوي ان ملوكها كانوا على صلات ودية مع اليهود في عهد الملك داود وخلفائه . فحينما استطاع هذا ان يوطد ملكه على القسم الاكبر من فلسطين كانت صور في عهدها القوي فنجح الى مسالمتها وعقد مع ملكها حيرام الاول معاهدة صداقة وتحالف . وقد قال الدبس الذي نقبتس من كتابه في الدرجة الاولى هذه النبذة <sup>١</sup> انه لجأ الى ذلك بسبب قوة الآراميين في سورية الشمالية وامتدادهم الى شرق الاردن واعترامه على التصاول معهم ؛ وكانت صلات اليهود بالفينيقيين في

---

(١) تاريخ سورية المجلد الاول . الجزء الاول ص ٢٨٠ وما بعدها .

زعامة صيدا غير ودية وان كان لم يقع بينهم حرب<sup>١</sup> .

وقد أستعان داود بحيرام على انشاء قصره الذي بناه في اورشليم على هضبة صهيون وسمي ببني داود فأرسل اليه مهندسين ونجارين ونحاتين ماهرين وأذن له بقطع الخشب من ارض لبنان .

ولما مات حيرام وخلفه ابنه ابي بعل ظلت اواصر المودة والعهد مستمرة بينه وبين داود . وظلت كذلك بين حيرام الثاني الذي خلف ابي بعل وبين داود ، ولما مات داود ارسل حيرام الثاني وفداً الى سليمان خليفته يهنئه ويحدد صلات المودة والتعاهد معه ورحب هذا بذلك ؛ ثم طلب منه ان يعينه على بناء معبد الرب بالخشب والقيتين فقطع له كمية كبيرة من خشب الارز والسرو وارسلها اطوافاً في البحر الى شاطئ فلسطين وارسل اليه مهندساً اسمه حيرام مع عدد من مهرة النحاتين والبنائين والنجارين كما أرسل اليه مئة وعشرين وزنة من الذهب لتزيين المعبد فسر سليمان من ذلك كثيراً واقطعه عشرين مدينة من ارض الجليل . غير ان هذه المدن لم ترق لحيرام فاستبدلها بعشرين الف كر من البر ومثلها من الزيت سنوياً . وقد استعار سليمان من حيرام كذلك ملاحين لسفنه التي انشأها في عصيون جابر قرب ايلة على شاطئ بحر سوف في ارض ادوم ( خليج العقبة ) فاجبروا عليها الى اوفير مع عبيد سليمان وجلبوا منها كمية من الذهب ، وقد بلغ التواثق والتواد بين الملكين الى ان اصهر سليمان حيرام فتزوج بابنته ، وكان من تأثيرها ان 'عبدت عشتروت إلهة الفينيقيين<sup>٢</sup> فعبد في بلاط سليمان<sup>٣</sup> والى ان كان الملكان يتبادلان رسائل الود التي حرص الصوريون على الاحتفاظ بها في سجلاتهم ويتطارحان الالغاز وكان سليمان يرصد جوائز لمن يحلها وكان عند حيرام فتى اسمه عبديون قد برع في حلها على ما ذكره المؤرخ اليهودي يوسفوس .

وقد اشير الى كثير من هذه المظاهر في سفر صميريل الثاني ( الاصحاح الخامس ) وفي سفر الملوك الاول ( الاصحاحات الخامس والسابع والتاسع والحادي عشر ) . واستمرت العلاقات حسنة بين ملوك صور وملوك دولة اسرائيل التي قامت في وسط فلسطين وشمالها بعد موت سليمان وانقسام مملكته الى دولتين اسرائيل ويهوذا . وكان

(١) المصدر السابق ص ٢٨١ .

(٢) الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الاول يذكر اسم الصيديون بدل الفينيقيين حيث بدل على ان طابع صيدا كان غلب على الفينيقيين في ايام مؤددها .

(٣) عبارة الاصحاح المذكور هي « فذهب سليمان وراء عشتروت الالهة الصيديونيين .



من مظاهر ذلك ان تزوج احاب بن عمري ملك اسرائيل بايزي بعل بنت ايتو بعل الاول الذي كان يحكمه في اواسط القرن التاسع وقد استطاعت هذه الزوجة ان تفرض نفسها على زوجها وتجعله آله في يدها وتحمله على عبادة بعل وعشتروت الهها وتشر عبادتهما بين بني اسرائيل مما اشار اليه الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الأول .

وبما كان من احداث صور التاريخية ان ظهر الملك حيد عشتروت واسمه دليل وثب على اخيه في الرضاعة فقتله ونادى بنفسه ملكاً محله في الثلث الاخير من القرن العاشر وان ذلك كان نتيجة لتحريض شيشاق ملك مصر الذي كان يعتزم غزو سورية فمد اصابعه الى المملكة اليهودية بعد وفاة سليمان فسطرها الى دولتين وبسط سلطانه عليها ثم عرض على قتل ملك صور ليقوم على الحكم ملك موال له تيسيراً لنجاح غزوته التي ازمع عليها على ان هذه الحركة اهاجت الشعب وجعلته يتحرك على القاتل حتى تمكن ازاحته من عن العرش تولية عشتوتي ابن بعل عازار مكانه ؛ ويظهر ان الحالة كانت مضطربة في صور في هذه الحقبة . فقد وثب على عشتوتي اخ له اسمه فاليبا فقتله وحل محله ؛ ثم وثب على هذا كاهن بعل واسمه ايتو بعل فقتله ونادى بنفسه ملكاً ؛ وكان ذلك نهاية حكم الاسرة الحيرامية وبدء حكم امرة ايتو بعل الذي تمكن من الاحتفاظ بالحكم وتوريثه لابنائه من بعده وتسلسله فيهم .

وبما جرى في صور كذلك ان ماتان حفيد ايتو بعل هذا قد وصى بالملك من بعده لابنه بيكاليون وابخته اليسا التي كانت اكبر منه ؛ غير ان بيكاليون استبد بالحكم وحده وقتل زوج اخته كبير كهنة ملكوت قضا لجناحها بما اغضبها وجعلها تهم بالثورة ضده تم حجزت فاستولت على سفن كثيرة مرابطة في الميناء وركبتها هي وجمع كبير من انصارها وغادرت صور الى قبرص ثم الى منطقة تونس التي كانت مستعمرة فينيقية وهناك انشأت لنفسها وانصارها مدينة سميتها « قرينا حديثا » اي المدينة الجديدة وهي مدينة قرطاجنة التي اشتهرت فيما بعد حيث حرف اليونانيون الاسم الى كوشيدون وحرفه الرومانيون الى كرتاجو وعربه العرب فصار قرطاجنة . وكان ذلك في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد وقد عرفت اليسا باسم ديدون ايضاً وهو يعني الهاربة .

وقد فعل بيكاليون ما فعل بتعضيد الشعب الذي كان يرتقب فرصة لاضعاف سطوة الاشراف والاشترائك في ادارة الدولة فقام نتيجة لذلك ندوة شورية كانت اكثر رجاءها من الشعب .

ولقد وقع شيء من هذا القبيل في الثلث الاول من القرن السادس ايضاً حيث نشبت

ثورة شعبية ضد الحكم الملكي فقام نتيجة لذلك حكومة قضاة او جمهورية . غير ان هذه الحركات لم تنجح فعادت الملكية ثانية لامرة ايتو بعل .

وسما عرف من صلات بمالك فينيقية ببعضها ان سيادة صور وتفوقها لم يكن من شأنها ابتلاع شخصيات هذه الممالك وخاصة الكبرى منها حيث احتفظت بملوكها وحكوماتها وبجالسها وكل ما كان من امر ان تكون اتحاد كانت صور زعيمة له ، وكان يتمثل فيه مندوبون للممالك الاخرى ؛ غير ان ارواد ظلت في منأى عن هذا الاتحاد محتفظة باستقلالها التام ، وقد كانت جمة النشاط في المجال التجاري والملاحي والاستعماري حتى انها كانت تباري صور في ذلك . وقد اختصها حزقيال في الخطاب الذي وجهه الى صور (الاصحاح السابع والعشرين بكلام ينم عما كان لرجالها من بأس وقوة وشهرة . وكانت عامرة كثيرة البنيان وفيها بنايات جميلة شاهقة . وفيها آلاف كثيرة من الاعمدة والاطلال الشاهدة على ذلك ؛ وكان لها سور متين مزدوج يحيط بها لا تزال آثاره قائمة الى الآن . ثم قام في القرن الخامس قبل الميلاد اتحاد أو حلف ثلاثي مؤلف من صور وصيدا وأرواد ، واتخذت الممالك الثلاث المتحدة أو المتحالفة موقع مدينة طرابلس الشام مركزاً لاجتماع مجلسها الحلفي المشترك لتوسطه ولكونه ليس داخل في ساطان أحد من الممالك الثلاث . وقد أنشأ مندوبو كل مملكة في هذا الموقع محلة خاصة بهم فغدا فيه ثلاثة أحياء أو مدن . ومن هنا جاءت تسمية الموقع اليونانية أو الرومانية « تريبولي » التي تطورت الى كلمة طرابلس .

ولعله لم يبق من الممالك الفينيقية من احتفظ بكيانه نوعاً ما في هذه الحقبة التي كانت فينيقية فيها عرضة للغزوات الخارجية وراضخة لسيادة الغزاة على ما سوف نذكره بعد غير هذه الممالك الثلاث فرأت ان تكون فيما بينها حلفاً أو اتحاداً تحفظ به ما بقي لها من ذمء في نطاق السلطان المحلي .

## مظاهر النشاط الملاحي والتجاري العظيم

### للفينيقيين (١)

-٩-

ولقد قلنا ان صور خلفت صيدا في زعامة النشاط الفينيقي الملاحي والاستعماري

(١) هذه التبعة مقتبسة في الدرجة الاولى من الجزء الاول المجلد الاول من تاريخ سورية الدبس

صفحة ٢٨٢-٢٩٠ و ٣٣٣-٣٤٢ انظر ايضاً تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ج ١ صفحة ٨٥-١٣٦

تمريب حداد

والتجاري كما خلقتها في الزعامة السياسية وضربت في تلك المجالات بسهم وافر عاد عليها منه أعظم الثمرات .

ولقد كان البلاسج قد استحوذوا على معظم المراكز والمستعمرات الفينيقية الصيدونية في الأرخبيل اليوناني ولم يكن بقي لهم مراكز إلا في جزر ثارة ومياوس وكاهيوس وتاسوس ومدينة باليسبوس في رودس ولم يقدر الصوريون على زحفهم عما استولوا عليه فرأوا أن يتجهوا بنشاطهم إلى نواح أخرى لا ينافسهم فيها البلاسج ، وكان الفينيقيون قد أنشأوا في عهد صيدا مدينتي هيبيونا وكبهاء في منطقة تونس فاتجهوا إلى هذه المنطقة وأنشأوا في سنة ١١٥٨ ق م مدينة جديدة سموها اوتيك وكان موقعها على شاطئ البحر في الشمال الغربي من موقع قرطاجنة وتمر كزوا فيها . ثم أقاموا مراكز فيما يسمى اليوم نويميا وموريتانيا في سواحل المغرب الانصى ثم أخذوا ينشطون في غربي البحر الابيض وطرقت سواحل اسبانيا فأنشأوا فيها بعض المدن وكثيراً من المراكز التجارية الثانوية مثل قادس وملاك وسكس وابدان وموتيل وكرنايا بما كان يطلق عليه اهم ترشيش . وقد ظلوا هم العمير لهذه الأنحاء أمداً طويلاً . وقد بلغ عدد ما أنشأوه من المراكز في هذه السواحل وحدها ثلاثئة . حتى لقد قال استرابون ان أكثر السكان في هذه المنطقة كانوا في أيامه كنعانيين، وقد ظلت اللغة الفينيقية هي السائدة فيها إلى أيام الحكم الروماني وكانوا يجلبون من اسبانيا الذهب والفضة والرصاص والنحاس والقصدير والعسل والشع والزفت . وقد أشار حزقيال إلى اتجارهم الواسع الرابع مع هذه المنطقة التي سماها ترشيش في خطابه الذي وجهه إلى صور .

ولقد أشار إلى ذلك ارسطو الذي قال في احد كتبه — وهو من رجال القرن الرابع قبل الميلاد — ان الفينيقيين الاولين استبدلوا زيتهم وغيره من البضائع بالفضة حتى لم تسعها سفنهم فصنعوا أدواتهم وأنيتهم حتى قدور سفنهم منها ، وغدا الاتجار مع اسبانية وافريقية من اعظم مشاغلهم . وقد رأوا حاجة إلى محطات ومراكز في وسط البحر فاحتلوا مالطة في القرن الثاني عشر واستعمروها مع جزيرة بقرها اسمها كولوس بما يدل عليه ما وجد فيها من آثار فينيقية . وقد قال ديودور الصقلي ان سكان مالطة جالية فينيقية اتخذت مالطة محطة لها وغدت صاحبة ثروة وشهرة . ثم قفزوا إلى صقلية فأنشأوا فيها مراكز ومدناً عديدة مثل ماكار التي تسمى آثارهم رأس ملكارت وبانورم التي تسمى اليوم بالرم .

وكانت مركز عبادة عشتاروت السورية . ثم استولوا على جزيرة قسورة المعروفة اليوم باسم بياتلر بين صقلية والساحل الأفريقي وجعلوها مستودعاً للذخائر والأدوات اللازمة، للأسفار ، ثم قفزوا إلى سردينية وأنشأوا فيها مدينة كراي لتكون مستودعاً كما أنشأوا مدينة أخرى اسمها نورا . وكان لسكان الجزيرة غناية كبرى بالماشية وكان لصوفها سوق رائجة كما كان فيها معادن نحاس ورصاص فكان للفينيقيين في ذلك مجال تجاري واسع جعلهم يوطدون أقدامهم في الجزيرة شيئاً فشيئاً حتى استحوذوا عليها . وقد كشفت فيها اطلال وكتابات فينيقية عديدة . ثم طرّفوا جزيرة كورسيكا وقفزوا منها إلى سواحل إيطاليا الجنوبية وتوسكنا وأخذوا يتوغلون منها في بلاد فرنسا وألمانيا حتى وصلوا إلى بحر البلطيق . ولم يكتفوا بالنشاط في البحر الأبيض فقد عبروا مضيق جبل طارق وطرّفوا سواحل البحر الأطلسي الشمالية الشرقية من إسبانيا والبرتغال وبريطانية وسواحل الجنوبية الشرقية من المغرب الأقصى . وهم الذين سموا بريطانيا باسمها على ما يقال لأنها كانت غنية بالقصدير الذي تعنيه هذه التسمية ، وقد رويناه في الجزء الثاني من الكتاب ، ما كان من قيام ملاحيتهم من طواف حول أفريقية بأدنين من أول نقطة من الساحل المصري على البحر الأحمر ومجتازين المحيط الهندي فرأس الرجاء الصالح فالمحيط الأطلسي فمضيق جبل طارق إلى أن وصلوا إلى آخر نقطة من الساحل المصري الشرقي على البحر الأبيض !

وقد عثر على لوح يعرف بدرج حنون يظهر أنه خلاصة كتاب مهم كتب بالفينيقية ولم يبق منه إلا خلاصته موجزة باليونانية ذكر فيها أن الفينيقيين في شمال أفريقية أرسلوا شخصاً اسمه حنون بستين سفينة مشحونة بملاحين منهم إلى ما وراء جبل طارق لتحتل الثغور القائمة على سواحل البحر الأطلسي فذهب واجتاز المضيق وأخذ يضع في كل محل جماعة منهم مسمياً المدن والقرى والجزائر التي وصل إليها وما شاهده فيها . وتاريخ الدرّج مختلف فيه حيث يخمن البعض أنه قبل ألف سنة قبل الميلاد والبعض أقل من ذلك . ولقد كان مضيق جبل طارق قبل أن يسمى بهذا الاسم يسمى بباب هر كول ، أو أعمدة هر كول . وهر كول اسم أحد آلهة صور . حيث نصب الملاحون الصوريون على طرفي المضيق عمودين سموهما بعمودي هر كول فذهبا دائماً على المضيق وظل اسم باب هر كول أو أعمدة هر كول مستعملاً إلى أن بدله العرب في دور شخصيتهم الصريحة باسم

عربي صريح حينما اجتازوا المضيق إلى اسبانيا بقيادة احد ابطالهم طارق بن زياد **عنه** اسمه مضيق جبل طارق . وهكذا سجل الجنس العربي في دور عروبه الصريحة **وقبله** طابهم على هذا المضيق ليكون دليلاً على ما كان لهم عنده من مآثر متنوعة .

وإلى نشاط الفينيقيين الملاحي والتجاري في البحر الأبيض وما وراءه في عهد صور كان نشاطهم التجاري في البر عظيم أيضاً ، حيث كانت قوافلهم تصل إلى اليمن وتمر بالمدينة ومكة عن طريق شرق الأردن ومعان ومدين وتصل إلى حضرموت عن طريق تدمر فالعراق الجنوبي فساحل الخليج العربي فساحل المحيط الهندي فتنتقل إلى هذه البلاد منسوجات فينيقية وحليها وأوانيها وما تأتي به سفنها من شواطئ البحار الغربية وتأتي منها بسلع جزيرة العرب والحبشة والهند من حجارة ثمينة وعاج وأخشاب زكية الرائحة وطيوب وتوابل وریش نعام وآبنوس النخ، وكان لهم جوال في عدن وفي جراحدي مرافيء خليج البصرة تقوم بتنظيم المبادلة التجارية وتسيير قوافل التجارة بين هذه البلاد وبين فينيقية ، وكانت لهم قوافل تسيروا إلى العراق الشمالي عن طريق حمص فحماء فحلب فنصيبين ، وقوافل تسيروا إلى بلاد الكرج وارمينيا والاقاليم الشمالية المجاورة للبحر الاسود وبحر قزوين وقد كانت حركتهم التجارية مع مصر خاصة قوية إلى درجة أن كان لهم أحياء في مدن مصرية عديدة منطبعة بطابعهم ، ولهم فيها هياكلهم ومعابدهم الخاصة ، فكان يعود عليهم من هذا النشاط العظيم ثراء يزيدهم حركة ونشاطاً ورفاهاً .

وفي الاصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال أحد أسفار العهد القديم خطاب موجه إلى صور فيه وصف رائع لحركتها التجارية الواسعة وما نتج عنها من ثروة وعظمة . وصور كانت عاصمة فينيقية وصاحبة التفوق فيها ، وحزقيال من سبي نبوخذ نصر وفي عصر دولة بابل الكلدانية في القرن السابع . وقد رأينا أن ننقل هذا الخطاب برمته لما فيه من قوة وروعة وصف :

« قل لصور أيتها الساكنة عند مداخل البحر . تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة يا صور : انت قلت أنا كاملة الجمال . تخومك من قلب البحور . بناؤوك تموا جمالك . عمل كل ألواحك من سرو سنير . أخذوا أرزاً من لبنان ليصنعوه لك سوارى . صنعوا من بلوط باشان مجاديفك . صنعوا مقاعدك من عاج مطعم بالبقس . كتان مطرز من مصر هو شرعك ليكون لك راية . الاسمانجوني والارجوان من جزائر البشة كانا غطاءك . أهل صيدون وأرواد كانوا ملاحيك . حكماءك يا صور الذين كانوا فيك هم ربابينك .

شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك فلا كون . جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك . فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك . علقوا فيك ترساً وخوذة . هم صيروا بهاءك . بنو أرواد مع جيشك على الأسوار من حولك والابطال كانوا في بروجك . علقوا أتراسهم على أسوارك من حولك . هم تمموا جمالك . ترشيش<sup>١</sup> تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك بياوان وتوبال وماشك هم تجارك<sup>٢</sup> . بنفوس الناس وبآنية النحاس أقاموا تجارتك . ومن بيت توجرتة بالحيل والفرسان والبغال أقاموا أسواقك . بنودران تجارتك . جزائر كثيرة تجاريدك . ادوا هديتك قرونا من العاج والآبنوس . آرام تاجرتك . بكثرة صنائعك تاجروا في أسواقك بالبرمان والارجوان والمطرز واللبوص والمرجان والياقوت . يهوذا وارض اسرائيل هم تجارك . تاجروا في سوقك بمحنة منبت وحلاوى وعسل وزيت وزفت وبيلسان . دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غني بمحجر حليون والصوف الأبيض . ودان ويوان قدموا غزلا في أسواقك . هديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت سوقك . ودان تاجرتك بطنافس للركوب . الغرب كل رؤساء قيصار هم تجاريدك . بالحرفان والكباش والاعتدة في هذه كانوا تجارك . تجار شبأ<sup>٤</sup> ووعمة هم تجارك . يافغر كل أنواع الطيب . بكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك . حران وكنه<sup>٥</sup> وعدن وتجار شبأ وآشور وكلده تجارك . هؤلاء تجارك بنفائس اريديسة اسمانجونية ومطرزة وأصونة مبروم معكوكة بالحبال مصنوعة من الارزين بضائعك . سفن ترشيش قوافلك . تجارتك فاضت وتمجدت جداً . في قلب البحار . ملاحوك قد أتوا بك إلى مياه كثيرة . . . »

بما فيه مصداق لذلك النشاط العظيم والصلات التجارية مع مختلف الشعوب والبلاد في المشرق والمغرب والشمال والجنوب والبحر والبحار .

وعصر حزقيال عصر كانت فينيقية وفي مقدمتها صور تتعرض فيه لاكتساح الغزاة وتوضع لسلطانهم بل ان هذا قد بدأ في زمن أقدم بكثير من عصر حزقيال ، على ماسوف

(١) كانت هذه التسمية تعني منطقة اسبانيا وبحارها

(٢) هذه البلاد وائمة في الشرق الشمالي من ارض مصر

(٣) ددان إحدى مدن شمال الحجاز المروقة بمنطقة العلا

(٤) شبأ تعني بلاد مهاب في جنوب الجزيرة

(٥) نفر على ساحل البحر الاحمر .

نشره بعد . ومعنى هذا ان نشاط صور وبالتالي نشاط فينيقية الملاحى والتجارى الذى بدأ بزعمامة صور منذ القرن الثانى عشر قبل الميلاد ظل مستمراً فى عهد قوة صور واستقلالها وبعده .

## جمهورية قرطاجنة ونشاطها ونهايتها<sup>(١)</sup>

- ١٠ -

وقرطاجنة التى أنشأتها اليسا اخت بيكاليون ملك صور وغدت ذات شهرة عظيمة فى التاريخ على ما أشرنا اليه فى مناسبة سابقة تتحمل أن تذكر فى نبذة خاصة . ولقد كانت ذات مركز ممتاز من ناحية البر والبحر معاً مما تجاورت معه طبيعة مؤسسيها الطموحة فلم تلبث أن اتسعت حتى غدت فى وقت ما ثلاثة أضعاف روما . وكانت تمتد إلى الداخل مسافة بعيدة وراء المراتى والأرضة العظيمة المكتظة بالسفن والبضائع . وكان لها أسواق فسيحة الجوانب فيها كثير من المعامل الصناعية . وكان يقوم وراء بيوت أصحاب الحرف والصناع منازل الاغنياء الفخمة تحف بها الحدائق الغناء . وكان يحدق بالمدينة أسوار ضخمة وحصون عظيمة بما كان يجعل الاستيلاء عليها عنوة متعذراً . وكان وراء المدينة وخارج الاسوار غابات من النخيل وحقول حافلة بمختلف الزراعات . وقد حافظ سكانها على طابعهم الجنسى وظلت اللغة الكنعانية لغة لهم والعبودات الكنعانية معبودات لهم وكانت أسماؤهم أسماء كنعانية تبعاً لذلك . وقد وجد فى خرائبها أحجار قبور كثيرة مما يعود إلى القرن الرابع وإلى القرن الثانى قبل الميلاد عليها نقوش وأسماء كنعانية فينيقية اللهجة مما فيه الدلالة على ذلك وهذا واحد منها :

« لربة تغنت بن بعل ولادن لبعل حمن اش ندريد ملقرت بن عبد ملقرت بن حملكت كشمع فلا يبرخا »

ولقد ازدهرت وعظمت فى القرن السادس قبل الميلاد وبعده وأنشأ أهلها حكومة جمهورية مستقلة، وغدت صاحبة السلطة على المستعمرات والمراكز والمستودعات الفينيقية المنتشرة على سواحل البحر الابيض وجزره ومرجعا لها حينما توالى الغزوات الخارجية

---

(١) مرجع هذه النبذة لجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ منورية الدبس صفحة ٣٠١ والجزء الثالث من التاريخ العام الكبير التركى لاحد رفيق صفحة ١٤١ وما بعدها والصور القديمة لبريستيد ترجمة قربان صفحة ٣٦٨ وما بعدها

على فينيقية وأخذت تخضع لسيادة الغزاة وانكشسلطانها عند حدودها . وكان يقوم على رأس الحكومة القرطاجية رئيسان أو قاضيان يختاران مرة في كل سنة . وإلى جانبها مجلسان مجلس الأعيان الذي كان يسمى بالسنوات - اقتباساً من اسم مثله في بلاد اليونان ثم الرومان - وكان يتألف من ٢٨ عضواً ويمارس السلطة التنفيذية ، ومجلس الشعب الذي كان يتألف من ١٠٤ أعضاء لمراقبة السلطة التنفيذية ومحاكمة أعضائها إذا ما انحرفوا . وهذا نوع الحكم الذي كان جارياً في اليونان وروما وفينيقية في ذلك الظرف .

ولقد أدى استقلال قرطاجنة وبروزها كدولة بحرية قوية إلى الاحتكاك والتنافس بينها وبين دول البحر الأبيض . وكانت جزر صقلية وسردينيا خاصة موضوع هذا الاحتكاك والتنافس . ولقد نشب أولاً بين قرطاجنة واليونان لأنه كان لكل منهما مراكز ومصالح في الجزيرتين . غير أن التشاد لم ينته بينهما إلى نتيجة حاسمة لطرف ضد الآخر . ثم انشغل اليونانيون بأنفسهم . وعظمت في هذه الأثناء روما وصارت تترشح للسيادة على حوض البحر الأبيض وتتبسط في السلطان شرقاً وغرباً . ولم تلبث أن حلت محل اليونانيين في منافسة القرطاجين . ثم أدت هذه المنافسة إلى حروب طويلة امتدت نحو مئة وعشرين سنة وعرفت بالحروب البونية نسبة إلى اسم بوني أو بونيقى الذي كان يتسمى به القرطاجيون وقد تكررت وقائع هذه الحرب برأ ومجراً وتعددت أدوارها وتساجل النصر فيها بين الدولتين وتخللتها فترات هدنة وصلاح ثم كتبت الغلبة النهائية فيها لروما .

وقد امتد الدور الأول لهذه الحروب ٢٣ سنة ( ٢٦٤-٢٤١ ق م ) وانتهى بفلسبة الرومانيين واضطر القرطاجيون إلى قبول شروط صلح ثقيلة من مؤداه التخلي عن صقلية والجزر المجاورة لها ودفع غرامة حربية قدرها ٣٢٠٠ وزنة من الذهب .

وصارت روما بعد ذلك تنشط في أوروبا شمالاً وشرقاً وغرباً وتقوى لتكون السيدة الاولى . وحفز هذا القرطاجيين على العمل فأدى عملهم إلى دور الحرب الثاني الذي امتد نحو ثلاثين سنة ٢٣٠-٢٠٠ ق م .

وقد كان قائد قرطاجنة في الدور الاول هاميلتار - واللمعة العربية هاديّة على الاسم - وكان له ولد اسمه هني بعل نشأ أبوه نشأة حربية خشنة وغذاه بالعداء لروما واخذ عليه عهداً في هيكال الاله بأن يكون عدواً محارباً لها ما دام في الحياة .

وكانت قرطاجنة قد أرسلت حملة إلى سواحل اسبانية لبسط سلطانها اسوة بروما





« حتي بعل » يصعد جبال الالب



صورة قنبل حصار الروديين القرطاجية

فاختاره ضباط الحملة قائداً عليهم حينما مات قائدهم اسدر بعل ، وأخذ ينشط حتى تمكن من بسط سلطان قرطاجنة على ساحة واسعة من اسبانية تمتد الى نهر الايبو . ورأت روما في حركات حني بعل تحدياً لها وتهديداً لمصالحها فعادت حالة الحرب ثانية ؛ وقد زحف حني بعل بجيش قوي مدرب فيه كتائب قوية من الفرسان وفيه عدد من الافيال نخوروما عن طريق لم تكن تخطر الرومانين ببال لصعوبتها وخطورتها وهي طريق جبال الالب ؛ لأنه رأى أن يفاجيء الرومانين مفاجأة من حيث لا يحتسبون ، ولأنه قدر انه سيلقى مقاومة شديدة لو هاجمهم من سواحل إيطالية . ولقد كانت هذه منه مغامرة عجيبة ولكنه نجح فيها برغم ما لقي هو وجيشه من أهوال ومصاعب وخسائر ، وفاجأ الرومان مفاجأة مذهلة مخدداً بذلك اسمه في سجل تاريخ أبطال العالم . وقد اخذ منذ حل في أرض إيطالية يدبر حركاته الحربية ببراعة وسرعة خلدتا اسمه كذلك في سجل عظماء قواد العالم ، فاستولى على سلسلة القلاع الرومانية وقتك بحامياتها شككاً ذريعاً ، ثم أخذ يوطد سلطانه في الانحاء التي فتحها ، ويتبسط في جنوب ايطالية ويجرّض بعض الجزر والمناطق الموالية لروما على خلع طاعتها ويستعد لغزو روما وانزال الضربة القاصمة على العدو .

وقد سير الرومان جيوشهم لصدّه فاستطاع حني بعل ببراعة فنية فائقة ان يطبق عليها من كل جانب وان يكسرها شر كسرة ، وأمعن فيها القتل حتى كاد يبيدها ولم يكذب يبقى في رومه امرة لم تترد بثياب الحداد على عزيز فقدته . وقد ملأ حني بعل يده من الغنائم والاسلاب وكانت الخواتم التي نزعته من أصابع الضباط والجنود الرومانين المملوكي ملء قفازين ...

وقد استغرقت هذه الاعمال منه سنتين ثم زحف نخوروما فلم يكن منها إلا أن تغلق الابواب وأن تدافع من وراء الاسوار ، ولم يكن لحني بعل وسائل خرق الاسوار فطال الحصار على غير طائل وتحمل الرومانيون بجلد وصبر عظيمين ، إلى أن أدرك حني بعل اليأس فانسحب عنها حيران أسفا .

وكان جيشه قد تناقص كثيراً فطلب من أخيه الذي كان نائباً عنه في اسبانيا مدداً فهبأ هذا المدد وزحف به بنفسه ، ودرى الرومانيون فسارعوا إلى قطع الطريق عليه ، وتمكنوا من الاحاطة به حني أهلكوه عن بكرة أبيه ووجهوا بذلك ضربة انتقامية قوية لحني بعل ، وقد شدوا من وقع الضربة فقدفوا برأس أخيه إلى معسكره . وبقي حني بعل بعد ذلك بضع سنين يجاهد في أقصى جنوب ايطالية الذي استطاع

أن يوطد قدمه فيه . وفي هذه الاثناء درب الرومانيون جيشاً جديداً أسلموا قياده إلى قائد حنك اسمه شيبو استطاع أن يقوض سلطان قرطاجنة في اسبانية ثم يعبر إلى افريقية ليغزو القرطاجنيين في عقر دارهم كما فعل حني بعل . وقد تمكن من كسب معركتين على القرطاجنيين ، فاضطر هؤلاء إلى استدعاء حني بعل الذي مر عليه في ايطالية خمس عشرة سنة . ولبي هذا الدعوة وأخذ يتصاول مع شيبو في حركات فنية بارعة كان فيها القائدان خصمين متعادلين إلا أن قوات روما كانت أحسن جهازاً وتدريباً ، فكسب شيبو النصر في المعركة العظمى التي نشبت بينه وبين خصمه سنة ٢٠٢ ، وكان هذا النصر بما قرر سيادة روما على حوض البحر الابيض نهائياً واندحار قرطاجنة .

وقد عقدت معاهدة بين روما وقرطاجنة املى الرومان شروطها ولم يكن مناص لقرطاجنة من قبولها ، وكان من فحواها أن تؤدي لروما غرامة مقدارها عشرة آلاف وزنة من الذهب وأن تتخلى عن معظم اسطولها الحربي . واضطر حني بعل إلى مغادرة قرطاجنة إلى صور وحاول أن يابغ دوراً في النزاع الذي نشب بين روما والدولة السلوقية اليونانية التي كانت صاحبة السلطان في بلاد الشام في هذا الظرف . ولكن لم يكتب له فيه التوفيق .

ولم تحم المعاهدة قرطاجنة من مصيرها المحتوم . فانها استأنفت نشاطها التجاري والملاحي فلم يطق الرومانيون ذلك وجعلوا شعارهم « لتدمرن قرطاجنة » ثم حرضوا القرصان النوميديين عليها فقابلتهم بالشدة فاتخذ الرومانيون ذلك حجة الزحف على قرطاجنة وحاصروها ثلاث سنين واستولوا عليها سنة ١٤٦ ق م بعد دفاع عظيم من أهلها ذهب مضرب الامثال ، ثم اعملوا معاول التدمير فيها حتى جعلوها خراباً يباباً .

## نشاط الفينيقيين

في مجال الصناعة والفن والثقافة (١)

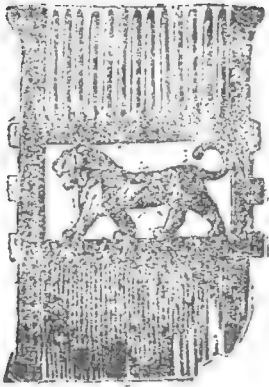
- ١١ -

ولقد كان نشاط الفينيقيين في مجال الصناعة والفن والثقافة موازياً لنشاطهم في مجال

(١) مرجع هذه النبذة والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للديس من ٣٤٢ - ٣٧٥ وكتاب لبنان من ١١٢ - ١٢٢ و٢٤٠ - ٢٤٨ وتاريخ سورية لجرجي بني صفحة ٢٦ - ٦٣ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحني ج ١ ص ٨٥ وما بعد تعريب حداد



﴿ عتود لينيقي ﴾



﴿ مشط لينيقي ﴾



﴿ طبق لينيقي ﴾

الملاحة والتجارة الذي نوهنا به بشيء من التفصيل قبل والذي فتح لهم الآفاق والأسواق في مختلف أنحاء البر والبحر .

ولقد اشتهروا في الصباغة وخاصة اللون الاحمر الذي كان يسمى البورخين والذي صار اللون المفضل عند ملوك دول تلك الايام وكبار رجالها وكانوا يستعملونها في صبغ الانسجة القطنية والصوفية والحريية، ويستخرجون مادتها من الحيوانات البحرية الصدفية حتى ان بعض الباحثين رجح ان اسمهم « فينيقية » مقتبس من كلمة فينكس التي كانت تطلق على هذه الحيوانات على ما ذكرناه قبل . وقد كادت هذه الصناعة تنحصر فيهم وتصدر عنهم إلى جميع أنحاء العالم . وقد حاولت بلاد أخرى تقليدكم فيها فلم تنجح . وكان اللون اما احمر بنفسجياً أو احمر ناصعاً . وقد اطلال أرسطو وبلين الكلام على هذه الصبغة وكيفية استخراج مادتها من الحيوانات البحرية . ونوه بها حزقيال في سفره على ما ذكرناه قبل .

وقد اشتهروا بالنسيج وخاصة الحريري منه . وكانوا يطرزونه بالزخارف الجميلة ويصبغونه بمختلف الالوان .

كذلك اشتهروا في صناعة الزجاج الشفاف وغير الشفاف وبرعوا في تلوينه ورسم الصور المختلفة عليه وتزيين الجدران بقطعه الملونة الجميلة براعة مدهشة . واشتهرت صيدا خاصة بهذه الصناعة . وقد صنعوا من الزجاج العقود والكؤوس والمرايا والمزخرفات البديعة .

وبما برعوا فيه كذلك صناعة الحلي الذهبية والفضية من أطواق وأساور وخواتم وأدوات زينة متنوعة . وكانوا يطعمون الحلي بالعاج الذي كانوا يجلبونه من بلاد الهند . وقد برعوا كذلك في صناعة النقش والحفر والاولاني الخزفية والمعدنية وزخرفتها . وقد كانوا يصدرون الاولاني الخزفية من جرار وقدر وكؤوس وصحاف إلى أنحاء الدنيا حتى إلى بريطانيا ويستبدلونها بالقصدير . وقد تعلم اليونانيون وغيرهم هذه الصناعة منهم . وقد صنعوا كثيراً من الاولاني والادوات من الحديد والنحاس اللذين كانوا يجلبونها من بلاد عديدة . وقد عرف أن أكثر مصنوعات العاج التي كشف عنها في أطلال قصور الآشوريين قد صنعتها أيد فينيقية .

ولقد عثر على آثار فينيقية متنوعة ذهبية وفضية وخزفية وزجاجية ونحاسية وعاجية ورخامية على غاية من الاتقان وبديع الزخرف تشهد على ما وصلوا اليه فيها من مهارة

عجيبة . ويوجد كثير من تماثيلها في متاحف أوروبا .

وقد وصلت براعتهم في انشاء السفن إلى درجة عالية كانت لهم بها شهرة في آفاق الأرض . وقد صنعوا سفناً من ثلاث طوابق وجعلوها بمجاديف كبيرة يبلغ عددها أربعين وأكثر .

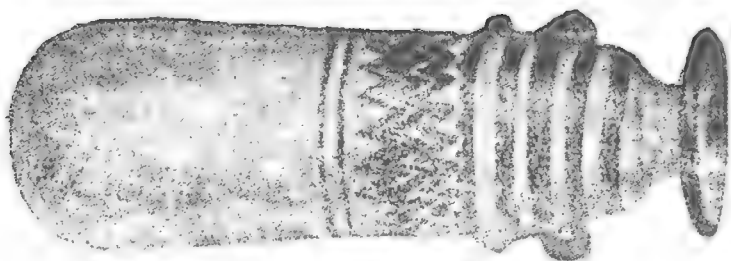
ولقد نشأ فيهم طبقة ماهرة في مختلف الصناعات المذكورة وفي صناعتي البناء والنجارة أيضاً . وهم الذين ساعدوا سليمان على انشاء معبده وقصره الذين جاء آيتين في الفخامة والروعة والزينة والزخرف على ما يستفاد من الوصف العجيب المدهش الذي وصفها به سفر الملوك .

ولقد كشفت التنقيبات عن آثار فينيقية عديدة في مختلف أنحاء فينيقية القديمة تشهد على ما كان لهم من باع طويل في فن البناء والزخرفة والنحت والتصوير .

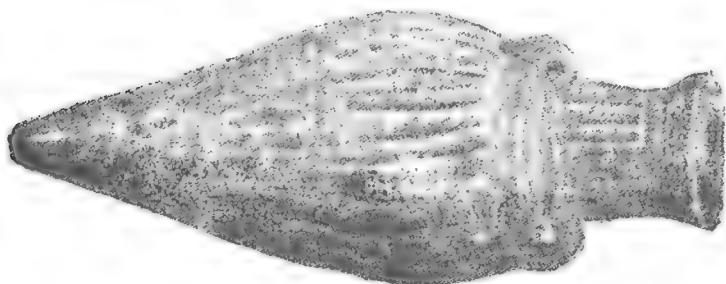
ومع ان الخراب قد استولى على كثير من آثار صور فانه وجد في منطقتها آثار قديمة غير يسيرة . منها بناء قديم ضخيم علوه ستة امتار على شكل مخروطي مربع الجوانب يعرف بقبر حيرام . ومنها ما سمي بعرش عشتروت وهو حجر حسن النحت طوله ٤٧ سنتيمتر يمثل عرشاً صغيراً في جانبيه صورتان لأبي الهول المصري المجنح به ؛ وعلى مسنده نصابت متشابهان ناتئتان متوازيتان ينتهي إلهما بشكل القوس وعلى كل نصب صورة انسان لعلهما عابدان . وتحت حافة العرش المنقورة على الطراز المصري نبات رمزي يشبه بنقشه النقوش المصرية الاشورية ، وفي اسفل الاثر كتابة بالقلم الفينيقي مفادها ان المسمى عبد بست بن يربعل اهدى سيدته عشتروت مقدساً اصطنعه لآكرامها وهذا الحجر موجود الآن في متحف باريس .

وقد وجد في قرية فيمع من قرى الكورة اثر شبيه بهذا الاثر وقد صورت عشتروت عليه جالسة على عرشها ومكسوة برداء سابغ ويدها اليمنى على ركبتيها وهي تبارك باليسرى شخصاً أمرد منتصباً امامها رافعاً أكف الدعاء اليها وفوق رأسها هلال يحرق بكرة وفي قسم آخر من الاثر صورة نخلة يحجم عليها من جانبيها ثوران محدودبان .

وقد وجد في قرية صغيرة في جنوب صور اسمها ام العمد آثار هيكل فينيقي ذي مدخل فخم عليه نقوش منقولة عن نقوش المصريين منها الكرة المجنحة مع الحية الزموية ومنها تصاوير شتى كصورة أبي الهول المصري وتماثيل أسود وغير ذلك ؛ ووجد كذلك في ارض هذه القرية انصاب تمثل رجالاً ونساء فينيين على هيئات شتى منها تمثال رجل في



الاربيق رخامية فينيقية الجمدة





هيئة سجد رافعاً يمينه كأنه يدعو وهو يمسك بشماله صورة لأبي الهول المصرية وعلى رأسه قلنسوة مستديرة يبرز من أسفلها خصل من شعره ومنها تمتاز امرأة في هيئة السجود أيضاً تشبهها ملاة تنحدر من أعلى رأسها إلى أكتافها يزي حسن . وهذه الانصاب هي على ما يرجح نذور من الناس للمعبود حيث قرىء على أحدهما جملة فينيقية ترجمتها « هذا النصب ذكر لبعثتن بن بعثتن السيد » ولقد زار هيرودوس المؤرخ اليوناني من رجال القرن الخامس قبل الميلاد صور ووصف هيكل الإله ملكرت فيها فقال انه مزين بتحف لائصى ومن جملة نفائسه عمودان أحدهما من ذهب والآخر من لازورد وكان يظهر منه ليلاً نور ساطع . ولقد اكتشف التقابون بقايا من أساس السور الذي كان يحيط بصور الجزيرة الذي وصفه مؤرخ يوناني اسمه اربان وصفاً محكما يؤخذ منه انه كان يبلغ نيفاً وأربعين متراً علواً وكان أسفلها مبنياً بالحجارة الضخمة وكان قصر الملك لاصقاً به يصعد منه إلى سطح متصل بطنف مستدير يحدد بالجزيرة .

وقد وجد في أراضي مدينة صيدا آنية مختلفة من الرخام والزجاج والخزف والحلي المنقوشة بنقوش زاهية الالواح وهي تعود إلى الفترة الواقعة بين القرن العاشر والقرن الثالث قبل الميلاد والتقايد المصري ظاهر في كثير منها . وقد وجد فيها كذلك آثار هيكل الإله اشمون . وهو بناء فخم كان يحيط به سور مربع مستطيل طوله ١٠٠ متراً وعرضه ٤٤ وفي وسطه كان مقدس الإله وهيكله وكان على غاية من الحسن والنفخامة على ما تدل عليه الآثار الباقية . وقد وجد على الحائط الباقي كتابات فينيقية دينية ؛ كما وجد تماثيل أصنام صغيرة من القاشاني مصورة على الطراز النينقي القديم ومقلدة للصناعة المصرية وما وجد في صيدا نواويس لمؤك من مؤك صيدا كانوا مجهولين وهم الملك اشمنزر (اشمون غازار واشمون اسم إله صيدا الخاص ) وخلفاؤه من ذريته على ما عرف من الكتابات التي على النواويس . وقد وصف اشمنزر الأول بوصف ملك صيدون وكاهن عشتروت . وقد قرىء على ناووس اشمنزر الثاني بن تبنيث بن اشمنزر الأول كتابة فينيقية تفيد انه مات في شبابه ، كما قرىء على ناووس تبنيث كتابة يوصف فيها بأنه كأبيه كان كاهن عشتروت ويلتمس فيها عدم انتهاك قبره ودعاء على من يفعل ذلك . والنواويس ثلاثة ومنحوتة على الطريقة المصرية وفي جوانبها نقوش شتى وغلافها يمثل جثة رجل مضطجع مقنع الرأس يمد يديه إلى جانبي جسمه ومزون بألوان شتى أما جثث المؤك فكانت مخططة على الطريقة المصرية . وقد استخرج من دفائن صيدا آنية من زجاج وخزف على هينات مختلفة ولحاجات شتى من صحون وحفاق وقراريير ومكاحل وسرج . ومن الآنية الزجاجية ما يلوح فيها

ألوان قوس قزح الجميلة . وقد استخرج من دفائنها كذلك حلي ذهبية وفضية من خواتم ذات فصوص ثمينة وفلائد جميلة . وعلى بعضها صور لأهنتهم وأساطيرهم الدينية

وهناك قرية اسمها عدلون بين صيدا وصور غنية بالآثار كالمداخن القديمة والنواويس والردم الباقية من هياكل مدمرة وتماثيل آلهة فينيقية ونقوش وتصاوير على الصخور المجاورة ؛ ومنها صورة تمثل أحد الفراعنة مجرداً سيفه وقابضاً على فاصية أحد أعدائه ليقتله .

وينتشر في منطقة مدينة جبيل كثير من الأعمدة التي تدل على ما كانت عليه من ضخامة عمران وما كان فيها من هياكل عديدة . وبما كشف فيها نصب عليه كتابة للملك يحو بلع من القرن السادس مضمونها انه اهدى لبعلة جبيل منبجاً من النحاس وقبة من رخام مغشاة بالذهب في مدخلها أعمدة طلباً لرضائها عنه وتوفيقيها له . والكتابة أطول ما اكتشف من الكتابات الفينيقية وتبلغ خمسة عشر سطراً . والنصب مكعب في أعلاه طوله متر ونصف وعرضه ٥٦ سنتم وفي مقدمته صفيحة ذات اطار على شكل اللوح تقسم الى قسمين في احدهما الكتابة وفي الآخر صورة لعشثروت ممثلة جالسة على عرش . ورافعة يمينها لبركة وقابضة بشمالها على مقصرة من البردي والملك واقف بازائها رافعاً يمينه بيئته الداعي وفي شماله كأس بعروة فيها سكيب يقدمه للالهة وقد نصبت على الرسم الدائرة المصرية المنحثة مع الحيتين الرمزيتين في جانبها . وقد وجد في جبيل نواويس كثيرة يشبه بعضها نواويس صيدا المنحوتة على مثال الجسم البشري والمقلدة للصناعة المصرية وعلى جوانبها نقوش واكليل وتصاوير حيوانات وبشر ووجد ضمن هذه النواويس فلائد وعقود وحلي وتماثيل وثنية وزجاجات صغيرة للمويع كانت توضع للدلالة على كآبة أصحابها ..

وفي وادي نهر ابراهيم في المكان المعروف بالمشنقة أطلال هيكل قديم ثم صخرة على ربوة ذات قطع عمودي عليها سبع صور تمثل لحماً من أخبار الاله تموز إله جبيل ومواقفه .

وقد عثر على آثار عديدة في عمريت الواقعة شمال طرابلس من اهمها وهو في الوقت نفسه من أهم الآثار الفينيقية معبدها الشهير المنقور في الصخر البالغ طوله ٥٥ متراً وعرضه ٤٨ متراً . ومن آثارها ما يدعو الناس بالعواميد المغازل وهي كأهرام عالية اتخذها الفينيقيون كمساهد تذكارية لموتاهم واعظمها واحكمها صنفاً عمود علوه عشرة أمتار

ممتص فوق ركيزة مستديرة على أربع جهاتها أربعة أسود هائلة المنظر وفوق الركيزة  
 أسطوانة تنتهي بدرازين حجري ذي شرفات ونقوش وفوقها أسطوانة ثانية مثلها أصغر  
 منها رأسها على شبه نصف كرة . وبقرّب هذه المشاهد مدافن كالأبار ينزل إليها بدرج  
 وفي أسفلها حجر متلاصقة تفصلها جدران مقورة في الصخرة وفي كل حجرة أجران  
 لأجساد الموتى ؛ وبين هذه المدافن مدفن يعرف بحجر الحُبلى ينزل إليه من منفذ مربع  
 فرشت فوقه صفائح الحجارة وباطنه عميق وجدرانه محكمة النحت وهو ذو ثلاث غرف  
 واسعة كانت فيه جثث بعض كبار القوم . وكان هذا المدفن مزداناً بهرم لم يبق منه



مدفن عمريت الفينيقي

إلا بعض الآثار . ويظهر ان لصوص المدافن قد سطوا على هذا المدفن ونهبوا ما وجدوه  
 من أثاث وحلي . وفي عمريت مدفن آخر على هندسة بيت مكعب ذي طابقين فوقها قبة  
 مخروطية الشكل . وهو مبني بحجارة كبيرة طول الواحد منها خمسة أمتار ويدخل إلى  
 كل طابق من منفذ ضيق وفي داخل كل حجرة أجران لجثث الموتى .  
 وفي بيت مري آثار هيكل كان يعبد فيه البعل المعروف ببعل مرقدم ثم تحول في

أيام الرومان الى معبد لجوبيتر أي المشتري . وفي ضواحي بيروت، تحت تل مار متري وفي  
تلال الرمل عند رأس بيروت وجد نواويس فينيقية من الآجر والرصاص عليها نقوش  
ثالثة وتصاوير رمزية دون كتابة .

وفي قرية جربتا في ناحية جبيل صخرة عليها نقرة مقوسة نقش في أعلاها شلو بعض  
الآلهة وتحت التمثال مذبح على جانبيه رجل وامرأة واقفان في هيئة السجود وبقربها  
شخصان يسوفان ضحية وفي أيديهما كل أدوات الذبيحة . والرسم دقيق الصنع يشهد  
لمصوره بالحدافة في فنه . ولقد وجد في أمكنة متعددة أنصاب منقورة في الصخور الجاورة  
للدفن على شكل بشري ذي رأس وقدمين . وكانوا يدعون هذا الشكل باسم نقش  
أي النفس التي تحيي ذكرى موتاهم على ما حققه بعض المستشرقين .

ولقد عثر في التنقيبات الجارية في رأس شمرة في منطقة اللاذقية والتي كشف نتيجة لها  
عن مدينة أوغاريت<sup>(١)</sup> على كثير من القطع الذهبية والبرونزية والالوانى الزجاجية  
والصاجية واللازوردية وآنية الرخام المجزع الابيض مما يعد ذا قيمة رفيعة في الفن والذوق  
وبما عثر عليه ألواح عاجية كانت تزين عرش الملك وتعد في نظر علماء الآثار أثمن ألواح  
عاجية عثر عليها في الشرق الأدنى . وقد رسم عليها صورة لربة أوغاريت المجنحة كما رسم  
عليها ملك أوغاريت وملكتها وهما متعانقان وربة الحب عشتاروت واقفة بجانبها .

وبما عثر عليه كذلك ناب فيل منقوش عليه ربة ذات جسم جميل ورشيق ويدها  
موضوعتان تحت ثدييها وشعرها مصفف يلتف حول فم البوق ثم ينحدر بمجدبة غليظة وإلى  
كل جانب منها رسم لآبي الهول . ويحتمل ان هذا الناب كان يستعمل بوقاً لدعوة الشعب  
إلى الاجتماعات أو اعلان الاخبار اقامة . ويعود إلى القرن الرابع عشر . وعثر أيضاً على  
رأس جميل من العاج الكثيف يمثل احد ملوك أوغاريت وهو تثال نادر وعينه منزلتان  
بالحجارة اللازوردية وعلى رأسه قبعة محاطة بشريط ذهبي يعلوها شكل مخروطي  
مجدع .

وقد كشف عن بعض أجزاء قصر الملك لمساحة بلغت تسعة آلاف متر مربع فبدان  
قصر يصح ان يقارن بأفخم القصور الملكية التي عثر عليها إلى اليوم في بلاد الشرق عامة .

(١) انظر المجلد الاول والثاني والثالث والرابع والخامس من مجلة المولىات الاثرية السورية لسنة

وعرفت تخطيطات ستين غرفة أو قاعة منه حول فناءين داخليين وخمسة مداخل ~~لل~~ منها رواق قائم على أعمدة . وبدا كذلك انه كان أجنحة أو أقساماً . منها ما هو مخصص للحريم ومنها ما هو مخصص للدewan . ومنها ما هو مخصص لخزائن الملك . ووجد في بعضها بموعات من الألواح الفخارية التي كتب عليها شؤون متنوعة مما يتصل بأعمال الحكومة من عقود تملك وبيع وتبني واخبار عن جودة مواسم الكروم وأسماء المدن التابعة للمملكة وعدد الجنود الذين ترسلهم هذه المدن إلى جيش اوغاريت وعدد العمال الذين ترسلهم كذلك ليشتروا في تنفيذ المشاريع العمرانية العامة . واسماء المهن والضرائب المتوجب دفعها وعدد أنواع السلاح الموجود في المخازن من قسي ونبال ومقاليع وتروس ودروع ملبسة بالبرونز التي كانت تسمى سيرين إلى غير ذلك من التنظيم الذي كانت تدار به المملكة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وفي بعض الألواح وصف لأنواع الاثاث والرياش التي في القصر بما في ذلك غرف النوم . وفي بعضها وصف لفرقة من الجيش تسمى فرقة الصدام تستعمل العجلات بالحلابة بالذهب والمزدانة بالزخارف . وعثر فيها على رسائل عديدة بين ملوك اوغاريت والدول الاخرى مما جعل علماء الآثار يقررون ان هذه القاعات كانت خاصة بمكتبة القصر وسجلاته .

وقد وجد في قاعة من قاعات القصر آثار مصنع للحلي خاص بالملك ووجد فيه مجموعة كبيرة من الحجارة الكريمة والحلي الذهبية . ووجد في حطام جرة فخارية ضخمة فيه كتل من آلاف اللآلئ المستديرة المتناهية في الصغر التي يرجح انها كانت مودة لتزيين الثياب .

وعرف من الألواح الأثرية ان اوغاريت كانت مختصة بصباغ الصوف بالصباغ الارجواني وانه كان فيها معامل نسيج عديدة للصدف والكتان يشتغل فيها عدد كبير من العمال وان اقمشة هذه المدينة كانت ذات شهرة فائقة . وكثيراً ما كان ملوكها يقدمون لملوك البلاد المجاورة أقمشة وثياباً أرجوانية كهدايا .

والجدار الخارجي للقصر مبني بالحجارة المنحوتة المحذبة التي كان يظن انها من ميزات بناء الصليبيين في القرن الحادي عشر بعد الميلاد . وفي وسط باحة من باحات القصر حوض كبير يأتيه الماء من ناحية ويذهب ماؤه من ناحية أخرى إلى أقبية في القصر مما يفيد ان تزيين ساحات القصور بالاحواض والبرك تقليد قديم يرجع إلى عصر اوغاريت .

وقد وجد في القصر فرن خاص لشي ألواح الخزف بعد الكتابة عليها . ووجد فيه

سبعون لوحاً معدة للشي على ما يظهر تحتوي مواضيع مختلفة . منها ترجمة رسالة منقولة عن أصل اكادى وعليها اسم الملك حمورابي آخر ملوك اوغاريت . وفي بعضها قوائم بهدايا واردة على القصر ، وبعضها يذكر شؤوناً متعلقة بسفن اسطول اوغاريت التجاري وسفن أسطول ملك بيروت .

ووجد في غرفة الوثائق في القصر ألواح حشية عليها اختام ملوك الحيثيين أو كبار الموظفين صادرة من كركميش منها ما هو رسائل من الملوك إلى ملوك اوغاريت ومنها ما هو معاهدات تجارية مما يلقي ضوءاً على العلاقات بين اوغاريت والحيثيين في النصف الثاني من الألف الثاني .

وبما كشفت عنه التنقيبات تخطيط حي من احياء المدينة يبدو انه كان مخصصاً للصناعات حيث وجد بين منازل منزل كان مسكناً لصانع يصنع الاطواق من الزجاج والعقيق والعنبر وينحت الاسطوانات التي عثر على عدد منها . وقد قرر متولي التنقيب نتيجة لدراسة اكتشافاته ان اوغاريت كانت في اول الألف الثانية قبل الميلاد مركزاً لطبقة خبيرة بالمعادن وعارفة بطرق اذابتها وكيفية مزجها وكانت تضع في اغناقها اطواقاً برونزية لكل منها عقفتان كعلامة للهنة . وان اوغاريت كانت تمد البلاد الاخرى بمنتجاتها . وقد استدل على هذا بما وجد في آثار سيزوسترين الثاني الذي يسمى أيضاً سنوسرت من ملوك الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠-١٧٨٨ ق م) من اشارة الى انتقاعه بجزيرة اوغاريت وصناعاتها في ورشاته واهرامه ومدافنه .

وقد بدا من تخطيطات المدينة اودراسة آثارها انها كانت مدينة عظيمة قطعت شوطاً كبيراً في النظام والاناقة والنظافة وظهر انه كان لها شبكة متقنة من المجاري بجهة بين مسافة واخرى بفتحات لتغزيلها من آتٍ لآخر .

ولقد كان من مكتشفات اوغاريت اثر ثقافي وديني ذو خطورة بالغة وهو الواح عديدة اطلق عليها النقابون اسم التوراة الكنعانية . في بعضها ادعية وتعاليم دينية وفي بعضها اساطير وقصص . وفي بعضها اشيد دينية . وقد ظهر من المقارنة ان في اسفار التكوين والخروج والزامير والامثال وايوب من اسفار العهد القديم التي كتبت بعد هذه الألواح بمدة ما عبارات وصيغ وافكار مشابهة لبعض ما وجد في هذه الألواح .

وآخر ما نشر عن تنقيبات وكشفيات اوغاريت التي ما تزال مستمرة حديث للدكتور

شيفر المشرف عليها نشر في جريدة النصر الدمشقية ( العدد ٤٤٥٧ ، والتاريخ ١٩٥٩/١٢/١٩ ) جاء فيه انه عثر في موسم هذه السنة على ركن مملوء بالوثائق الفخارية في القسم الجنوبي من اوغاريت . ويخمن الدكتور ان هذا الركن مركز من مراكز البحث والدراسة حيث عرف من الوثائق ان منها ماهو بمثابة قواميس او معاجم او فهارس لاسماء النباتات والاسماك والمهن والمصطلحات القضائية وانها مكتوبة باللغات البابلية والسومرية والاوغاريتية الكنعانية مما لم يكشف له مثيل حتى ليصح ان يقال ان اوغاريت كانت مركزاً علمياً عظيماً للشرق الاوسط لا يضارعه مركز آخر في بلاد ما بين النهرين والاناضول ومصر . وقد عثر على نقش فيه اسطورة تذكر خلافاً بين الرب بعل وشقيقته الربة الجميلة غنات أدى الى حدوث جفاف ونقص في المحصول الزراعي . كما عثر على نقش باللغة البابلية هو قصيدة طويلة لشاعر من بلاد ما بين النهرين يمدح فيها ملك اوغاريت ويتغنى بعظمته . وعثر كذلك على تمثال من الرمر الالباقو يمثل عبداً يحمل آنية جميلة وقد بلغت روعة النحت حداً لا يصدق معه الإنسان ان عمر هذا التمثال ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة . وعثر على قطع برونزية كثيرة تدل على ازدهار الصناعات المعدنية واتقان المصنوعات ورفي فن الصياغة . وعثر ايضاً على مجموعة من الاختام المصنوعة من حجر الهيمانيت الاسود والاحمر عليها رموز وصور لشخصيات اوغاريتية بارزة . والهيمانيت من اقسى الحجارة في العالم . ويعجب المرء كيف استطاع الصناع الاوغاريتيون حفره ونقشه في حين لم يكن الماس الذي لا يمكن لغيره ان يساعد على هذا الحفر والنقش معروفاً .

وليس من التجوز ان يقال ان ما بدا من تنظيمات وتخطيطات اوغاريت العمرانية والادارية وما كان فيها من نظام وما كانت عليه من ازدهار ليس شاذاً خاصاً بها وانه كان عاماً في مختلف المدن الكنعانية الفينيقية وخاصة الرئيسية ، حيث يدل هذا على مدى ما وصل اليه الذوق والفن والثقافة والنظام في الممالك الفينيقية

ولا نشك ان في باطن الارض في البلاد الكنعانية الفينيقية بل في بلاد الشام جميعها مايزال مكتظاً بالآثار التي تدل على ذلك ونرجو من كل قلوبنا ان يهتم العرب ويجدوا في التنقيب والكشف عن مآثر اجدادهم العظام .

## الكتابة الفينيقية

- ١١ -

هذا ، واشهر ما اشتهر به الفينيقيون - الكنعانيون حتى غدوا اصحاب الفضل فيه على العالم ! هو الابجدية التي قامت على اساس جعل علامة لكل حركة من حركات الفهم الصوتية ووضع هذه العلامة ازاء بعضها لتدل على كلمة ما مؤلفة من عدد من هذه بدلا من الطريقة المعقدة التي كانت تقوم عليها الكتابة المصرية . وهذه العلامات في اصلها تصويرية كالكتابة المصرية لأن « النا » معناها ثور وكانت علامتها مشابهة لقرن الثور او رأسه و « بيتا » التي تعدلت الى باء معناها البيت وكانت ترسم بشكل بيت و « عين » معناها العين وكانت ترسم بشكلها وهم جرا . وهذا ما جعل بعض الباحثين يذهبون الى ان الفينيقيين قد اشتقوا ابجديتهم من الكتابة المصرية ولا سيما انهم وجدوا مشابهة كبيرة بين الصور الهيروغليفية الرامزة الى بعض الحروف وبين الحروف الفينيقية .

على ان بعض الباحثين لا يستبعدون ان تكون الابجدية الفينيقية الكنعانية مشتقة او مقتبسة من خط المسند اليمني خلافاً لما يراه بعض آخر من عكس ذلك . وخط المسند اليمني حلقة متوسطة بين التصوير وعلامات الحركات الشفوية الصوتية . والذي جعل هؤلاء يقولون ذلك هو كون هذا الخط كان مستقراً في اليمن على عهد الدولة المعينية ومنتشراً في انحاء جزيرة العرب وخارجها حتى بلاد الشام وسواحلها قبل الزمن الذي يظن ان الفينيقيين ابتكروا ابجديتهم فيه على ما ذكرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب .

وقد كان الباحثون يظنون ان الابجدية الفينيقية ابتكرت في القرن الثالث عشر لانهم رأوا الفينيقيين يسجلون افكارهم قبل هذا التاريخ بالخط المسماري البابلي أو الخط الهيروغلوفي . غير ان حفريات اوغاريت كشفت عن خطأ هذا الظن لأنه وجد فيها ابجدية تعود الى القرن الخامس عشر وصفها مكتشفوها بأنها اولى ابجدية في العالم . ولقد قال لانرمان « لا نعرف احرفاً للكتابة سبق وجودها بحروف الفينيقيين بل نعرف ان كل ما بقي له اثر من الحروف وجميع الحروف المستعملة اليوم في جميع اللغات قد صدرت تواتاً عن الحروف التي وضعها الفينيقيون او تفرعت من احد فروعها . فالحروف الفينيقية ام وحروف سائر اللغات اولادها ؛ وكان هذا القول قبل اكتشاف ابجدية اوغاريت التي



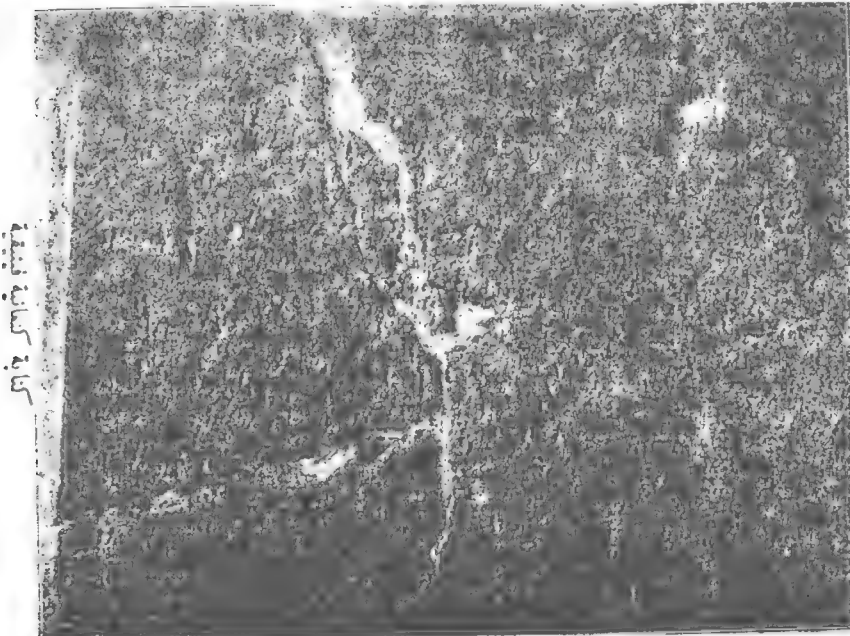
# حروف الأبجدية الكنعانية

الفلم القديم

أفلام متأخرة

فلم قروت حدش

Alte Kanaanäische										Mittelkanaanäische										Neukanaanäische										
Phoen.	Hebr.	Arab.	Assy.	Bab.	Hebr.	Arab.	Assy.	Bab.	Hebr.	Phoen.	Hebr.	Arab.	Assy.	Bab.	Hebr.	Phoen.	Hebr.	Arab.	Assy.	Bab.	Phoen.	Hebr.	Arab.	Assy.	Bab.	Phoen.	Hebr.	Arab.	Assy.	Bab.
א	א	א	א	א	א	א	א	א	א	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ג	ג	ג	ג	ג	ד	ד	ד	ד	ד	ה	ה	ה	ה	ה
ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ב	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ז	ז	ז	ז	ז	ח	ח	ח	ח	ח	ט	ט	ט	ט	ט
ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	ג	י	י	י	י	י	י	כ	כ	כ	כ	כ	ל	ל	ל	ל	ל	מ	מ	מ	מ	מ
ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	ד	נ	נ	נ	נ	נ	נ	ס	ס	ס	ס	ס	ע	ע	ע	ע	ע	פ	פ	פ	פ	פ
ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	ה	צ	צ	צ	צ	צ	צ	ק	ק	ק	ק	ק	ר	ר	ר	ר	ר	ש	ש	ש	ש	ש
ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ו	ת	ת	ת	ת	ת	ת	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	ז	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	ח	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	ט	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	כ	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	ל	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	מ	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	נ	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	ס	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	ע	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	פ	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	צ	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	ק	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	ר	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	ש	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י
ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	ת	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י	י



כאן

يظن انها ابتكرت في القرن السادس عشر أو قبله .

ومن الجدير بالذكر ان الابدجية الفينيقية المكتشفة قبل الابدجية الاوغاريتية مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً في حين ان ابدجية اوغاريت هذه مؤلفة من ثلاثين حرفاً مع تشارك الأبدجيتين في التساق والتسلسل بما قد يسوغ القول ان الابدجية الفينيقية العامة المختصرة هي الاصل وان الابدجية الاوغاريتية تطور تجديدي وتكميلي لها . وهذا يؤدي بنا إذا صح الى نتيجة مناقضة لما هو معروف من ان الابدجية الفينيقية قد ابتكرت في القرن الثالث عشر والى تقديم تاريخ هذا الابتكار العظيم بضعة قرون .

ومها يكن من أمر هذه النقطة فانه يلوح لنا ان شهرة الفينيقيين في موضوع الابدجية هي في الدرجة الاولى بسبب كونهم هم ناشروها ومعلموها في حوض البحر الابيض الذي كانوا القابضين على زمام الملاحة فيه والذي انتشرت منه حتى عمت معظم العالم وغدت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد اساساً لكل الخطوط فيه . وما طراً على خطوط الامم من تعديلات وتحويرات لم يطمس الاصل الفينيقي الذي ما يزال بارزاً فيها .

وهذا لا يعني اخفاف فضلهم في الابتكار حتى ولو كانت ابدجيتهم مقتبسة أو مشتقة في فكرتها وأصولها من أصل هيروغليفي أو مسندي . فان فضلهم عظيم في التجديد والتيسير اللذين طبعوا الابدجية العالمية الاولى بطابعهم وجعلها علماً عليهم يحق .

والفضل على كل حال في الابدجية العالمية أصلاً وتحويراً عائد إلى الجنس العربي سواء أ كانت الابدجية الفينيقية اقتباساً من هيروغليفية مصر أو مسند اليمن أم ابتكاراً أصيلاً على ما هو المتبادر .

ولقد اشتغل الفينيقيون بالعلوم والتدوين وان ندر ما بقي او ما اكتشف من آثارهم العلمية . وفيما كشفت عنه تنقيبات رأس شجرة اوغاريت دليل قوي .

ولقد ذكر يوسفوس المؤرخ اليهودي انهم كان لهم سجلات يسجلون فيها أحداثهم التاريخية ويحفظونها في خزائن خاصة . وقد نقل عنها بعض مراسلات جرت بين الملك حيرام والملكين النبيين داود وسليمان . ولقد ذكر هوميروس الشاعر اليوناني في ملحمة الشهيرة بالادويسا معارف جغرافية وتاريخية فينيقية قال الذين درسوها انه استقها من كتب وسجلات فينيقية . وقال الباحثون مثل ذلك بالنسبة لما ذكره استرابون الجغرافي من أوصاف فينيقية جغرافية واحداث تاريخية ايضاً . ولقد كتب مستشرق فرنسي اسمه

فيكتور بيرار مجلدين حول هذا الموضوع اثبت فيها ان الفينيقيين كانوا يدوسون الاصقاع التي يسافرون اليها ويصفون ذلك في سجلات . ولقد خلف الفينيقيون كتابات كثيرة ناف ما نشره المستشرقون منها في مجموعة الكتابات السامية على ثلاثة آلاف منها ما يرقى إلى القرن الثامن قبل الميلاد وفيها كثير من شؤونهم الدينية والوطنية والتجارية بأسلوب علمي .

ولما شرع علماء اليونان في عهد خلفاء الاسكندر الكبير يكتبون تاريخ شعوب آسية كتبوا تاريخ فينيقية نقلا عن سجلاتها وآثارها . ومن هؤلاء العلماء يثودوت وهيبكرات وموس . ولقد خاع ما كتبه هؤلاء غير ان مؤرخين قديين هما منندر وديوس اقتبسوا كثيراً مما كتبه فساعد ذلك على معرفة وتسجيل كثير من الاحداث الفينيقية .

ويستفاد من كلام منندر انه كان في صور سجلات سجل فيها كثير من المقالات الدينية والجغرافية والزراعية والصناعية . ومن ذكر اسمهم من مؤرخي الفينيقيين مؤرخ يروتي اسمه سنكونياتن وقد روى انه كتب كتاباً في تاريخ فينيقية واصل العالم وقدمه لأنبي بعل ملك بيروت . وترجمه الى اليونانية كاتب فينيقي جبيلي اسمه فيلون والاصل والترجمة خاعا . ولكن كاتباً قديماً اسمه اوسابيوس القيصري اقتبس فقرات من الترجمة اليونانية . وبما قاله اوسابيوس هذا أن سنكونياتن مؤلف قديم يقال انه كان قبل حرب ترويا وانه كتب التاريخ الفينيقي متحريراً الصديق وان فيلون الجبيلي جمع مصنفات هذا المؤرخ وترجمها من الفينيقية إلى اليونانية وانه اخذ مادة تاريخية عن ابو بعل كاهن الاله ياهو وان عصره كان قريباً من عصر موسى ، وانه كان للفينيقيين أسفار تشتمل على شرائعهم ورسوم دينهم كوصايا سماوية مقدسة كانوا يعزونها الى اله اسمه تاروت الذي من المحتمل ان يكون نفس الاله المصري طوت الذي هو إله الحكمة على ما قاله المطران الدبس<sup>(١)</sup> .

## مظاهر حضارية فينيقية اخرى (٢)

- ٩ -

ولقد كان نظام الحكم في الممالك الفينيقية أو بتعبير أدق في ممالك المدن الفينيقية

---

(١) الجزء الاول المجلد الاول من تاريخ سورية للدين صفة ٣٥٧ — ٣٥٨ وكتاب لبنان صفة

٤٦١٤٥٨

(٢) هذه البذة ايضاً مقتبسة من المراجع التي ذكرناها في حاشية اول صفحات البذة السابقة

ملكياً بصورة عامة باستثناء قرطاجنة . وكان الملوك يجمعون ايماناً بين الملك وراثة الكهان . وقد وصف ملوك صيدا اشمون عزز وخلفاؤه وكان حكمهم في القرن الخامس انفسهم بكاهن عشتريت . وقد قرئ على بعض الآثار اسم ملشيصادق ملك سالم وصفاً آخر له وهو رئيس الكهان .

وكان الابناء او الاخوة يخلفون آباءهم او اخوتهم على العرش إلى الاغلب حيث يدل هذا على ان نظام الارث كان جارياً في نظام الملك . وكانت الاسر المالكة تتبدل نتيجة حركات ثورية وتنافسية . وقد حاول الصوريون قلب النظام الملكي واقامة حكم جمهوري غير ان ذلك لم يستمر إلا امداً قصيراً حيث عادت الملكية ثانية .

وكان يقوم الى جانب الملوك مجالس اعيان يشتركون في شؤون الدولة . وكان لهم نفوذ قوي فيها . ويظن جرجي بني مؤلف كتاب تاريخ سورية<sup>(١)</sup> انهم امراء الاسر المالكة . ويقول هذا المؤلف<sup>(٢)</sup> ان رضاء الشعب عن شخص الملك الذي يكون له حق الجلوس على العرش وراثياً كان امراً ضرورياً .

وقد قامت في صور في القرن التاسع حركة شعبية ادت الى انكشاف يد الاعيان وخروج معظمهم مع اليسا شقيقة الملك بكماليون الى قرطاجنة ، وانشاء ندوة شورية معظم رجالها من الشعب . وليس هناك ما يدل على ان هذه الحركة ظلت مستمرة المدى وتذكر الآثار والمدونات انه كان في القرن السادس وما بعده في بعض المدن الفينيقية ومنها صور وصيدا مجالس سناتو . وهذا التعبير كان يطلق في ذلك الطرف على مجالس الاعيان والشيوخ التي كانت تشارك الملوك والرؤساء في ادارة شؤون الدولة . وليس هناك ما يدل على ان هذه المجالس كانت من طبقة الاعيان فحسب .

اما قرطاجنة فقد كان نظام حكمها شبيهاً لنظام حكم روما حيث كان على رأس الدولة رئيسان او قنصلان لمباشرة الاعمال يتجدد انتخابها سنوياً وإلى جانبها مجالس احداهما مجلس السناتو والثاني يسمى المجلس العالي الذي كان له سلطات تنفيذية واشرافية . وكان اعضاء المجلس ينتخبون انتخاباً كذلك .

ولقد احتفظت الممالك الفينيقية بشخصياتها في زمن تفوق وسيادة صيدا وصور . وكل ما كان من ميزة هذا التفوق ان المدينتين كانتا - واحدة بعد اخرى - مركزاً رابطة حلفية كانت تربط بين الممالك ، وكانت هذه الممالك توصل نواباً عنها الى هذا

المركز للتشاور والتداول في المصالح المشتركة بينها وبكلمة ثانية كانت صيداً ثم صور رأساً لهذه الرابطة في القرن الخامس حتى صارت رابطة دول متساوية ليس بينها سيد ومتفوق وحتى اتخذ موقع طرابلس مركزاً لممثلي هذه الدول بدلاً من صيدا أو صور . وكانت الدول المشتركة بهذه الرابطة المتطورة ثلاثاً وهي صيدا وصور وأرواد - ويظهر أنها كانت في ذلك الظرف هي الأقوى والابرز - وكان لكل من ممثلي الدول الثلاث في هذا الموقع حي خاص في ناحية خاصة ، وكان عدد الممثلين مئة ، وبسبب ذلك نشأ في هذا الموقع ثلاث أحياء أو مدن وسمي باسم المدينة الثلاثية ( تريبيري )

واحتفاظ الممالك الفينيقية بشخصياتها قبل هذا الحلف الثلاثي واضح في المدونات والآثار القديمة المصرية الآشورية حيث يذكر فيها ممالك فينيقية بأعيانها - صور وصيدا وجبيل وأرواد وعرقاوشيمرون الخ - حينما تخضع للغزاة وتدفع الجزية أو حينما تندمج في حركات التمرد والثورة ضد سلطات مصر أو آشور وترسل قواتها لتشارك في الأعمال الحربية .

وكان لكل مدينة أو مملكة جيش من المرتزقة والمستأجرين لتأمين النظام المحلي والمشاركة في الحركات الحربية الخارجية من حين لآخر .

وقد كان القضاء في الممالك الفينيقية يشغلون حيزاً مهماً ويتشاورون في شؤون الدولة ويجلسون أو يمشون في الصف الأول مع الملوك .

وكانت موارد الدولة تتألف من رسوم السلع الواردة أو الصادرة في الدرجة الأولى حيث كانت الأراضي الزراعية ضيقة قليلة المورد . وكانت الموارد التجارية عظيمة بنسبة شدة نشاط الحركة التجارية . وهذا مما كان يجعلهم يستغرقون في الشؤون التجارية ولا يبالون ما يكون من شؤون أخرى ويتقبلون الغزاة ويخضعون لهم .

وقد كان يرد إلى صور من قرطاجنة عشر مدخولها سنوياً باسم هيكل هركيل أو ملكرت بالإضافة إلى هدايا متنوعة أخرى . ولعل المستعمرات الأخرى كانت تحذو حذو قرطاجنة أو كان يفرض عليها أتاوة خاصة .

وكان نظام الرق من الأنظمة السائدة في الممالك الفينيقية كسائر بلاد العالم المعروف آنذاك . وكان عدد الرقيق فيها كبيراً حيث كان يعهد إليهم بمختلف الأعمال والصناعات لحساب أسيادهم الذين كانوا منصرفين للنشاط التجاري .

## الدين والعقيدة عند الفينيقيين (١)

- ١٠ -

أما آلهة الفينيقيين - الكنعانيين في فينيقية ومستعمراتها فقد كان الرئيسي منها سماوياً كما هو شأن بني عمومته في جزيرة العرب ووادي النيل والعراق . ولقد كانوا يعتقدون باله أعظم سموه بعل الذي يعني الرب والسيد كما سموه باسم ادون الذي يعني نفس المعنى وباسم بعل شمائم أي رب السماء ؟ وكانوا في أوغاريت يسمونه باسم « ايل » على ما عرف من آثارها . وهذا اللفظ كان يفيد معنى الألوهية ويطلق على الإله الرئيسي في العراق وجزيرة العرب على ما شرحناه في الجزء الأول والثالث .



تمثال الإله عشتروت

ويلح من بعض آثارهم انهم كانوا يقصدون بالبعل الشمس أو يرمزون به إليها. ولعلمهم في الاصل كانوا يعتبرون الشمس ومزألاله الاعلى أو مظهره الاقوى. وكان لهم إلى جانب الإله

---

(١) مرجع هذه النبعة تاريخ سورية لجرجي بني ص ٥١-٦٢ والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ مصرية اللبس ص ٣٦٢ وكتاب لبنان ص ١٨٣-١٨٦

الاعظم الذي يسوونه البعل إلهة رئيسية أخرى يسوونها عشتروت . وهذه الالهة باسمها هذا أو ما يقرب منه كانت من الآلهة الرئيسية في العراق وجزيرة العرب ، وكان لفظها في الجزيرة عثر وفي العراق عشتار . وكانوا يعتبرونها زوجة للبعل . ومع ان عشتار وعشتروت هي أصل التسمية اللاتينية « ستار » التي تعني كوكب الزهرة وان هذا الكوكب كان هو المعني من عثر في الجزيرة فان الآثار تدل على ان الفينيقيين كانوا يعنون بالكلمة القمر . وقد كانوا يمثلون البعل بتمثال رجل وعشتروت بتمثال امرأة ويضعون تماثيلهما في المعابد



تمثال المعبود هر كول اله مدينة صور

لأداء الطقوس عندها حسب ما كان الامر يجري في الجزيرة ومصر والعراق . وكانوا يعتقدون ان زوجات البعول هي وجوه الاله الاكبر الذكر ؛ مما ينطوي فيه معنى من معاني الازدواج الاقنومي لذات الهية واحدة .

وقد كان لهم إلى جانب هذين المعبودين الرئيسيين معبودات محلية رئيسية كحامية لهم ولدينهم التي كانت مراكز ممالكهم وهو ما كان كذلك في الاقطار الثلاثة المذكورة بقصد نيل الاختصاص بالعناية والحماية .

وكان إله صيدا الخاص اسمين واله صور هر كيل أو ملكرت<sup>(١)</sup> واله جبيل ادوت أو تموز واله بيروت بوسيدون واله قرطاجنة حمون . وقد قرئت أسماء معبودات محلية أخرى مثل كلبري الذي كان من آلهة بيروت ونبثوت الذي كان من آلهة صيدا في وقت ما .

وهكذا يلمح شيء من التثليث هنا كما يلمح هذا في الجزيرة ومصر والعراق ، حيث كانت مدن فينيقية تدين بالوهية البعل وعشتروت كالهين رئيسين عامين مضافاً إليها اله المدينة الخاص .

ولقد كانوا مع ذلك ينسبون اسم بعل وعشتروت الى مدنهم فيقولون بعل صيدا وبعل صور وبعل جبيل وعشتروت صيدا وعشتروت صور وعشتروت جبيل على ما يستفاد من نقوشهم . ولعل هذا كان يعني معابد الالهين في هذه المدن أو تماثيلها وقد قرئ في بعض نقوشهم اسم البعل مؤنثاً أي بعلة أو بعليت وكذا يقصدون بذلك زوجة البعل التي كانت عشتروت .

وبما صار له شهرة من ذلك بعل بيروت الذي كان يسمى بعل بريت والذي صارت به بيروت في الأزمنة الأخيرة مقدسة وقد أقيم له هيكل على الجبل المشرف على المدينة في بيت مري كان الناس يحجون إليه من كل أوب<sup>(٢)</sup> .

وقد جعلوا أرباباً لغير المدن وسموها بعلا أيضاً فقالوا بعل حمون أي رب النار أو اله النار وبعل تماري اله النخلة وبعل جبل لبنان وبعل جبل حرمون وبعل الرأس الداخل في البحر بين شكما والبترون والمعروف اليوم برأس الشقعة حيث كانوا على ما يظهر يرون النار والنخلة والجبال مظاهر بارزة للعظمة الالهية فيؤدون لها الاكرام الواجب للعزة الالهية .

ولقد جعلوا للبحر إلهاً وسموه نبثون . وقد اتخذوا السيارات السبع وسموها معبودات وسموها بعولا أي آلهة أو أرباباً وأطلقوا على مجموعها اسم « كييريم » جمع « كبير » بمعنى العظيم أو القدير وجعلوا العالم المكون من مجموعها بعلا ثمناً وأطلقوا عليه اسم اسمين أي الثامن . وقد تخيلوا ان هذه الآلة تولدت من اب اكبر سموه زديق . وقد مثلوا

---

(١) ملكرت أو ملكفرت كما ذكرت بعض النصوص معناها ملك القرية أو رب القرية والقرية تعني المدينة في العربية القديمة . وهكذا تكون الكلمة وصفاً لا علماً ويكون هر كيل هو العلم الموصوف بها على ما هو المتبادر . وقد ذكر هذا جرجي بني في كتابه تاريخ سورية .

(٢) لبنان لجنة الادباء ص ٢٣٦



هذه المجموعة الكوكبية بالحياة ( الانعى ) لمشايتها لها في حركة التعرج . وكانوا يربون في هياكل اشمون حيات لتلمس جراح من يستشفع بها وتبرئته .

وبالاضافة إلى المعبودات المذكورة فهناك آثار تدل على انه كان للفينيقيين معبودات أخرى وان لم يعرف عن كنهها ومداهاشيء مهم . فهناك ما يدل على ان من معبوداتهم معبوداً اسمه عزيز ومعبوداً اسمه تنيت ومعبودة اسمها شيا ومعبوداً اسمه سين .

ولم يعرف شيء كثير عن طقوسهم . وقد ذكرنا في سياق ذكر آثارهم آثاراً عليها طابع ديني وطقسي تنمى ان الفينيقيين كانوا يتقربون إلى آلهتهم بانشاء المذابح وصنع التماثيل ، ويقفون أمامهم وقفة الداعي الرافع يده بالدعاء أو يستجدون لهم .

وبما عرف من طقوسهم ميدان مهان كانوا يقيمونها في جليل احدهما عيد حزن وتروح في الحريف وثانيها عيد فرح وسرور في الربيع ، وكان الناس يأتون إلى شهود العيدين والاشتراك في مواكبها من كل صوب . ويقوم العيدان على اسطورة مأخضا ان ديباً وحشياً قتل في مشارف لبنان باله تموز الذي كان يسمى ادون ثم عادت إليه الحياة بعد تغطيسه في مياه نهر ادونيس الذي هو نهر ابراهيم حالياً . فكان عيد ترحمهم في الحريف حيث قتل وعيد فرحهم في الربيع حيث عادت إليه الحياة . وكانوا في العيد الاول يلبسون ثياب الحداد ويسيرون في موكب باكين مهولين ويتقدم الموكب كوكبة من من الفتيان والفتيات الصغار ثم كوكبة من العذارى يحمان على رؤوسهن السلال والمقاطف المحتوية أنواع الزهور والطيوب التي تطيب بها جمث الموتى ثم كوكبة من النساء في ثياب الحداد الضافية الذيل وهن سادلات الشهور يقرعن صدورهن ويخدشن وجوههن ويعولن على ايقاع آلة وسبقية . ثم الكهنة الذين يحملون قمار الاله تموز على مذاكهم والدم يقطر من جنبه ، ويظل الموكب سائراً والعويل والبكاء مستمرين إلى ان يصلوا إلى النهر فيفطسون التمثال فيه ، فاذا ما جاء الربيع عيدوا عيد الفرح فيلبسون الثياب الزاهية ويسبرون وهم يرقصون وينشدون أناشيد الفرح إلى أن يصلوا إلى النهر فيستخرجون التمثال ويعودون على نفس الهيئة من الرقص والفرح إلى الهيكل حيث يعيدونه إلى مكانه . وكان بعض النساء يبحن أنفسهن في الهيكل للدلالة على الابتهاج بعودة الحياة للمعبود وتقرباً إليه . ولقد كان ماء النهر في الربيع يحمر نتيجة للسيول التي تجرف معها الطمي فكانت الفينيقيون يعتقدون ان هذا الاحمرار نتيجة لاصطباغ الماء بدم المعبود النازف . والمتبادر ان العيدين يرمزان إلى كتابة موسم الحريف الذي تضعف فيه حرارة الشمس

وتمتلئ السماء بالسحب ثم يعقب ذلك اشتداد العواصف وهطول الأمطار والثلوج واشتداد  
البُرد . ثم الى ما يثيره موسم الربيع من علائم الحياة المتجددة التي تعقب الشتاء حيث تأخذ  
الأرض زخرفها وتزين بالزهور والنوار والخضرة والنضرة . فتمتلئ النفوس بهجة وأملًا  
ونشاطاً .

وقد أشير الى هذين العيدين في سفر حزقيال في سياق التنديد ببني اسرائيل الذين  
اقتبسوا العادات الوثنية من جيرانهم ، حيث جاء في ( الاصحاح الثامن ) : « وقال لي بعد  
تعود تنظر رجاسات اعظم هم عاملوها . فجاء بي الى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة  
الشمال واذا هناك نسوة جالسات يبكين تموز . . »

وكان للصوريين عيد يسمونه عيد يقظة هر كيل - وهر كيل هو اسم إلههم الخاص .  
وكانوا يقيمون فيه طقوساً شبيهة بالطقوس اليهودية والمصرية .

وقد كان من طقوسهم تقديم قرابين بشرية لألهتهم من أمرى الحرب والعنصرية  
والاطفال حيث كانوا يضعون الضحية على ذراعي تمثال الاله ويوقدون تحتها النار فتحترق  
بينما يضح الكهان ويصخبون ويدقون الطبول والصنوج . وقد ذكر هذا في الزمائر في  
سياق التنديد كذلك ببني اسرائيل ، حيث جاء في الزمور السادس بعد المئة « بل اختلطوا  
بالامم وتعلموا أعمالهم وعبدوا اصنامهم فصارت لهم شركاً وذبحوا بنبيهم وبناتهم للأوثان ،  
وأهرقوا دمًا زكيًا دم بنبيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان »

وبما عرف من طقوسهم ان كهنة بعل وعشتروت كانوا في بعض فصول السنة يتزينون  
بأزياء النساء ويطلون وجوههم بالمغرة ويكشفون عن سواعدهم ويسيرون في الشوارع  
زرافات شاهرين السيوف والقنوس وبعضهم يضرب على آلة موسيقية وآخرون ينفخون  
بالابواق والزمارات ويرقصون ويقفزون ويضربون اجسادهم بالحراش والسيوف تقرباً  
للالهة وطلباً لرضائهم .

ويلاحظ من آثارهم ان تدينهم كان يرمي في الدرجة الاولى الى التماس الخير والنفع ودفع  
الشر والخطر والضرر في الحياة الدنيا . وكانوا مع ذلك غير جاحدين لحلود الروح والبعث  
الاخروي بدليل تحنيط جثثهم ووضعهم في نواويسهم ومدافنهم امتعة تفيدهم حين بعثهم  
ورسمهم على نواويسهم تماثيل المعبودات .

وقد كان عدد كهان المعبودات عندهم كثيراً جداً . وفي الاصحاح الثامن عشر من

سفر الماوك الاول خبر قتل اربعه و خمسين كاهناً أو نبياً من كهمان أو أنبياء البعل في جبل الكرمل ، نتيجة لثورة دينية قادها ايليا أحد انبياء بني اسرائيل ضد اخاب ملك اسرائيل الذي تزوج بايزا بعل بنت ايتو بعل ملك صور وانتشرت عبادة البعل ومعابده في مملكة اسرائيل في عهده نتيجة لذلك . وهذا العدد انما كان في بلد اقتبس عبادة البعل من فينيقية ، فيكون عددهم فيها اكثر من ان يحصى بطبيعة الحال . وقد يستتبع هذا انه كان لمعابد المعبودات موارد وأوقاف غزيرة فكان ذلك من اسباب اقبال الناس على الكهانة .

وبما ذكره جرجي يني <sup>(١)</sup> من تخيلاتهم عن خلق الكون ان الظلام كان نجماً وكان خلاء و كان الهواء شديداً في البدء ثم عشقت عناصر الهواء ذاتها فاتحدت فتولد من اتحادها الذي سمى باتو مادة مائية هي أصل العالم ، ومنها اشرفت الشمس وطلع القمر وبرزت النجوم وازدادت حرارة الارض وتكاثفت الغيوم وثارت الزوابع وامطرت السماء وقصفت الرعود وبرقت البروق وخلقت الاحياء ؛ وكانت الاحياء الاولى غير عاقلة ثم تولد منها الاحياء العاقلة . وقد تولد من الريح المدعو كوليبا وامراته المدعوة باو ولدان احدهما اون وثانيها بروتوكوت وولد لهما اودان احدهما جينس وثانيها جينس فسكننا فينيقية فيها اصل الجنس البشري . . . . . ويلحظ بين هذه التخيلات واساطير العراق القديمة عن اصل الخليقة شيء من التشابه .

وكان التناسخ أو التقمص من عقائدهم أيضاً على ما ذكره المؤلف المذكور حيث كانوا يعتقدون ان روح الانسان بعد موته تدخل جسماً بشرياً آخر .

## الممالك الفينيقية والدول المجاورة

١١-

ونعود الى تاريخ فينيقية السياسي فنقول ان تفوق صيدا ثم صور لم يكن كتفوق قرنو ومأرب في اليمن وبابل ونيوى في العراق ومنف وطيبة ورمسيس في مصر مغطياً على شخصية بقية ممالك المدن او القطاعات الفينيقية وجاعلاً منها مملكة واحدة في جيشها وسياستها واقتصادها كما كان الحال في اليمن ومصر والعراق في عهود المينيين والسبثيين

(١) تاريخ سورية ٥١ : ٦٢

والأكاديين والبابليين والآشوريين والأمم المصرية منذ اتحادهم بالملك مصر تحت صولجان  
منا على ما فصلناه في الأجزاء الثلاثة من الكتاب بل احتفظت كل مملكة بشخصيتها  
التميزة المستقلة لها ملوكها ولها جيوشها ولها صلاتها السياسية مع الخارج ، وكل ما كان  
من أمر على ما يستفاد من الكتب والنقوش القديمة أنه كان يقوم<sup>(١)</sup> بينها رابطة حلفية  
باسلوب ما ولدى محدود يكون بها لكل مملكة نواب أو ممثلون في الحكومة الاتحادية  
التي كان مركزها صيدا أو صور ، بل ولقد حدث شيء من التطور في هذا الاسلوب  
حيث كان في القرن الخامس قبل الميلاد اتحاد ثلاثي بين صور وصيدا وأرواد لم تكن  
صيда أو صور مركزاً له وإنما اتخذ له مركزاً حياضي هو موقع طرابلس حيث يجتمع فيه  
يمثلو الممالك المتحدة على ما ذكرناه سابقاً .

ولقد كان هذا الاسلوب مما جعلها ضعيفة من الوجهة الحربية زيادة عما جعلتها كذلك  
طبيعة رقعتها ومركزها الجغرافي ، وبما جعلها بالتالي عرضة لزحف الدول القوية في شرقها  
وشمالها وجنوبها وبسط سيطرتها عليها وتنافسها عليها منذ أقدم تاريخ معروف لها وبصورة  
مستمرة تقريباً إلى القرن الرابع قبل الميلاد باستثناء بعض فترات كان فيها بالدول  
المذكورة ارتباط ووهن .

ولقد كانت مصر والعراق خاصة هما اللتان اهتمتا منذ عهد مبكر للاتجاه نحو بلاد  
الشام ساحلها وداخلها حيث يبدو أن كتبها كانت تروى سلامتها ومصالحها في مد سلطانها  
إلى هذه البلاد .

ومعظم الدول المصرية والعراقية من الجنس العربي على ما شرحناه في الجزئين الثالث  
والثاني من الكتاب حيث ينطوي في هذا مظهر نشاط هذا الجنس على كل حال على مسرح  
فينيقية واندماجها بأسلوب ما في وحدة أو اتحاد معها .

ولقد كانت الممالك الفينيقية تروخ بسهولة سيادة الدول الغازية فكانت بذلك  
تحتفظ بكيانها كممالك خاضعة أو محمية وتظل تمارس السلطان المحلي ونشاطها التجاري  
والملاحي والصناعي المتميز الذي كان يستغرق كل جهودها بل وكانت تلبي طلب الغزاة  
وتبذل مساعدتها وخبرتها ووسائلها الملاحية في ما كان يقع بينهم من تصاول حيث كان  
يستعين بسفنهم وملاحهم وخبرتهم الملاحية وما برعوا فيه من صناعة السفن المصريات

(١) انظر مثلاً تاريخ سورية جرجي نبي ص ٤٤

حيناً والاشوريون والكلدانيون والفرس حيناً .

وظل الامر كذلك الى الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد حيث تعرضت  
لزعحف الاسكندر المقدوني فزالَت نتيجة لهذا الزحف دولها وغدت ولاية مكدونيه ثم  
يونانية تابعة حيناً للدولة السلوقية في سورية وحيناً للدولة البطلموسية في مصر ثم ولاية  
رومانية على ما سوف نشرحه بعد .

على انها كانت هي وبلاد الشام الاخرى تغتم فرصة كل ارتباك يلم بالدولة التي  
تكون راضية بتلك السهولة لسيادتها فتتغلبت من هذه السيادة وتستمتع باستقلالها التام  
كما كانت تستجيب الى اي تحريك وتحريض لتمرّد على اصحاب هذه السيادة بل وتحاربهم  
على ما سوف نشرحه بعد قليل .

ولقد كان الحيشيون قبل القرن التاسع يحملون راية التمرد والتحريض على العراق ثم على  
مصر ثم صار المصريون يفعلون ذلك ضد العراق . والمتبادر ان الذي كان يحفز الملوك  
الفينيقين الى الاستجابة للتحريك مرة بعد مرة برأيه ما كان يقع على بلادهم من زحف  
وتدمير وتشكيل مصري اولاً ثم آشوري وكلداني وبابلي هو رغبتهم في الاستمتاع بقسط  
أوفر من الاستقلال والحرية والسلطان الذي كان يتيسر لهم في ظل النفوذ او التحالف الحيشي  
والمصري اكثر مما كان يتيسر لهم في ظل السلطان المصري اولاً والاشوري بعد ذلك .

ويلاحظ ان التحريك ضد العراق كان اكثر حيث تولاه الحيشيون ثم المصريون ، وما  
يلوح لنا انه كان للواقع الجغرافي اثر قوي في نجاح تحريك الحيشيين على مصر والعراق  
ثم في نجاح تحريك المصريين على العراق بعدهم لأن هذا الواقع يجعل قيام تضامن او تحالف  
او تواتق بين ممالك البلاد الشامية ثم بينها وبين البلاد المصرية طبيعياً اكثر .

وفي القرن الخامس عشر قوي نشاط وطوح الحيشيين في شمال سورية فأخذوا يحاولون  
هم الآخرون كلما وجدوا قوة في انفسهم بسط سيطرتهم على البلاد الشامية ويصطدمون  
في سياق ذلك مع العراقيين ثارة ومع المصريين اخرى ويتظاهرون في تبني الدفاع عن  
هذه البلاد لأنها مواطنهم ويحرضون ملوكها وامراءها الآخرين على التمرد على سلطان مصر  
ثارة وسلطان العراق اخرى حسب ما كان واقعاً . واستمر هذا الى القرن التاسع حيث  
طغت قوة الاشوريين وتفردوا في الميدان .

وقد نشب نتيجة لذلك منذ القرن الخامس عشر تنافس بين مصر والحيشيين أولاً ثم

بين مصر والاشوريين وخلفائهم البابليين ثانياً إلى القرن السادس اندي انهارت فيه قوى  
الفريقين معاً نتيجة لبروز الفرس بزعامة كورش على ما شرحناه في الجزئين السابقين .

وقد رأينا من المفيد والشيق ان نفصل فيما يلي بعض ما كان بين مصر والعراق وفينيقية  
من أحداث ومصاولات . وهذه الأحداث ذكرت في النقوش المصرية والعراقية . ولم  
تذكر هذه النقوش اسم فينيقية لأنه اطلق على سواحل الشام في عهد متأخر وانما ذكر  
فيها أسماء مدن وممالك وملوك فينيقية . وقد سميت النقوش المصرية بلاد الشام وأهلها بما  
فيها فينيقية باسم بلاد الامسيوين حينئذ وباسم المتوجين وباسم الرتوجين وباسم خارو حينئذ  
وباسم الزاهي حينئذ والاسم الاخير كان يطلق خاصة على السواحل الشامية .

## تفصيل ما كان بين فينيقية ومصر

- ٩ -

وتفصيلاً لصور الحركات المصرية في سبيل بسط سيطرة مصر على فينيقية على اختلاف  
أنواعها وأزمانها نقول ان اقدم غزوة مصرية إلى هذه البلاد كانت في عهد الاسرة الثالثة  
( حوالي ٢٩٠٠ - ٢٨٠٠ ق م ) حيث ارسل سنغرو احد ملوكها اسطولا قوياً إلى شواطئ  
لبنان لاحضار خشب الارز منه . ثم كانت غزوة سحورع احد ملوك الاسرة الخامسة  
( ٢٧٥٠ - ٢٦٢٥ ) حيث عثر على رسوم سفن عظيمة مشحونة بالاسرى الفينيقيين تعود إلى  
عنده قال بريستيد عنها انها اقدم صورة لسكان سورية الساميين . وهناك صور لمرآكب  
عليها أسرى سوريون منقوشة من عهد الملك وتاس آخر ملوك هذه الأسرة بما يدل على انه  
هو الآخر غزا سواحل سورية وغلبلها وسيطر عليها وأخذ منها بعض الاسرى . وقد  
استمرت سيطرة مصر في عهد الاسرة السادسة ( ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ ق م ) على ما تدل عليه آثار  
من عهد ببي الاول من ملوكها حيث عرف منها انه سير حملات عديدة لقمع اضطرابات  
قامت في جنوب فينيقية بناحية الكرمل .

ولقد ضعفت قوة هذه الاسرة في أواخر عهدها حتى تسنى لجماعات كبيرة من الارومات  
العربية الجنس ان تسرب إلى مصر عن طريق السواحل الفينيقية ففلسطين فسيناء . وظل  
الضعف والارتباك في مصر مستمرين الى آخر الاسرة العاشرة ( ٢١٦٠ ) وكانت يد مصر

مكتوفة على الاربع عن بلاد الشام وفينيقية في الجلاء في هذه الفترة التي تبلغ ثلاثة قرون .  
وهذا الظرف يصادف ظرف بروز مرجون الأكادي وابنه نارام سين وامتداد سيطرتها  
على بلاد الشام داخلا وساحلا ثم ظرف سيطرة سلاله اور المراقية الثالثة من بعدهما إذا  
صح تقدير طه باقر الذي يقدر ذلك في القرون ( ٢١٠٠-٢٥٠٠ )

ولقد استطاع ملوك الاسرة الحادية عشرة ( ٢١٦٠-٢٠٠٠ ) أن يوطدوا النظام في مصر .  
ومن ثم اتجهوا نحو بلاد الشام عوداً على بدء فأعادوا سيطرتهم على سيناء وصدوا غارات  
البدو فيها . وكان اتجاه الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٥٠-١٨٠٠ ) نحو هذه البلاد أشد وأجدى  
حيث سير ملكها الاول امنمحات الاول حملاته نحو فينيقية وسورية وبسط سيطرته عليها  
أو على بعض منحائها .

وقد عثر على مدونة لموظف كبير اسمه سنوهيت في عهد هذا الملك ذكر فيها انه كان  
يتولى منصب مدير ضياع الملك في بلاد الاسيويين حيث يدل هذا على ان هذا الملك قد  
وطد كفاً قلنا سيطرته على هذه البلاد وعين هذا الموظف للاشراف عليها . وفي المدونة قصة  
فرار هذا الموظف إلى فلسطين ثم إلى فينيقية واقامته فيها ردحاً من الزمن ومراسلاته مع  
الملك سنوسرت الاول الذي خلف امنمحات الاول بما فيه تأكيد لذلك مع تأكيد  
استمرار هذه السيطرة في زمن سنوسرت الاول ايضاً .

وقد عثر في جبيل على نقوش ترجع إلى عهد امنمحات الثاني من ملوك هذه الاسرة  
عليها اسم شخص مصري اسمه حاتي عا ولقبه الامير الوريث حيث يدل على استمرار أو  
تجدد سيطرة مصر على فينيقية ! وقد عثر في طود مصر في اساس معبد يرجع الى هذا الملك  
على كنز يشتمل على اربعة صناديق كتب عليها اسمه مملوءة بأوان من الذهب والفضة  
والاسطوانات والتعاويد والحجارة اللازوردية من المحتمل جداً أن تكون جواهر هدية أو  
جزية من أمير جبيل ، وقد علق سليم حسن واوي هذا الخبر ان شواهد الاحوال تدل على  
كل حال على ان علاقة مصر بفينيقية وخاصة بجميل ( بيلوس ) كانت في عهد ملوك هذه الاسرة  
على احسن ما يكون من الود والصفاء .

ويظهر ان هذه البلاد تمردت بعد امنمحات الثاني حيث عرف من الآثار ان سنوسرت  
الثالث من ملوك الاسرة بعده قد قاد حملة نحو بلاد الاسيويين المنتو ( وكلمة المنتو كانت  
تعني في الآثار المصرية بلاد الشام ) وأخضعهم ووطد سلطان مصر ثانية على بلادهم .

وقد قويت الصلات بعد ذلك بين مصر وبلاد الشام وانتظمت ونزح كثير من المصريين الى هذه البلاد وانتشرت لغتهم وعاداتهم وعقائدهم فيها ونشطت حركة التجارة بين البلدين وكانت القوافل تسير من طريق الكرمل وفلسطين .

ولقد وجد على جدران مقبرة بني حسن من هذا العهد صورة لسبعة وثلاثين رجلا من بلاد الشام أتوا إلى مصر للتجارة مع الأمير نخوم أحد رجال سنوسرت الثالث وحاجب المقبرة ومعهم الروائح العطرية التي كان المصريون يكثرون من استعمالها وكانوا يلبسون المنسوجات الصوفية المزخرفة الملهمة وينتعلون النعال ويحملون بأيديهم عصياً ثينة مما استدل منه على تقدم الشاميين والفينيقيين في الجملة في مجال الحضارة والرفاه والصناعة .

ولقد أيدت التنقيبات التي جرت حديثاً في أوغاريت والتي أشرنا إليها في مناسبة سابقة هذه الاخبار . حيث وجد في خرائب أوغاريت تماثيل لرهبان مصريين وجعرانات عليها بالهيروغليفية اسم تب - مع - را - الذي نظن انه لقب أحد ملوك الاسرة الثانية عشرة وشواهد قبور عليها كتابات بالهيروغليفية أيضاً . وقد قرر متولي هذه التنقيبات استناداً إلى دراساته الاثرية ان اوغاريت كانت مرتبطة شأن المدن السورية والفينيقية الاخرى مع مصر بعلاقات تجارية وان ملوك مصر كانوا يرسلون اليها سفراء وكان اذا مات أحد السفراء سارع ملكه الى ارسال نصب حجري ليوضع على قبره لراحة روحه حسب التقاليد المصرية القديمة وان وجود السفراء دليل على انه كان يقيم في المدن الفينيقية جاليات مصرية (١) .

وبعد هذه الاسرة عادت احوال مصر الى الارتباك . واغتمت الجماعات العربية الجنس التي كانت تتسرب ثم ظلت تتسرب إلى مصر وتقيم في الدلتا والتي عرفت باسم المكسوس الفرصة ففرضت حكمها على مصر في القرن السابع عشر او قبله وامتد نحو مئة سنة او اكثر حسب اختلاف الروايات .

وهناك آثار تدل على ان حكم المكسوس كان شاملاً لفلسطين وبعض أنحاء بلاد الشام وفينيقية . وقد اشتدت حركة التنقلات والمواصلات والتجارة بين مصر وبلاد الشام في عهدهم .

ولقد تصدت الاسرة السابعة عشرة التي كان مركزها طيبة ( ١٧٠٥ - ١٦٠٠ ق م )

(١) انظر المجلد الثالث لسنة ١٩٥٣ من مجلة الحوليات الاثرية السورية .



لنضالهم واستطاع احسن آخر ملوكها واول ملوك الاسرة الثامنة عشرة التي هي امتدادها (١٠٨٠-١٣٤٠) ان يقوض حكمهم وان يجلبهم عن مصر . ثم طاردهم الى شمال فلسطين واجلاهم عن قلعة سروحن التي تحصنوا فيها وبسط سيطرته على فلسطين .

وقد اشتد اتجاد خلفائه إلى توطيد سيطرتهم على بلاد الشام عوداً على بدء أيضاً ونجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً حيث انبسط سلطانهم على جميع بلاد الشام إلى حدود العراق . وكانت الممالك الفينيقية من الجبل .

وأول من سجل نشاطه ونجاحه في سبيل ذلك امنحبت الاول ابن احسن الذي عرف من آثاره انه قاد حملة كبيرة وصل بها إلى حوض الدجلة والفرات وفرض سلطانه على ما في طريقه من ممالك عديدة .

وتمردت بعده فرحف ابنه تحتمس الاول عليها وأخضعها . وعادت فتمردت وتألبت تحت قيادة ملك قدس الحثي فرحف عليها تحتمس الثالث وهزمها وفرض سلطانه عليها ونقش خبر ذلك على جدران الكارناك . وبما جاء في النقش انه سار إلى غزة ثم إلى مدينة يوحنا ( في فلسطين ) ثم إلى مجدو التي قرب الكرمل حيث التقى بجيوش الممالك المتحالفة التي جاءت للقاءه بقيادة أمير قدس وهزمها وقتل وأسر وغنم ووطد سلطانه ثانية على بلاد الشام والجزيرة وأعلن ملوكها خضوعهم وبادروا باداء الجزية اليه .

ولم يكده يعود إلى مصر حتى عادت البلاد إلى العصيان فعاد تحتمس إلى الزحف عليها وأخضعها وأعلن ملوكها خضوعهم فأبقاهم في مناصبهم ولكنه أخذ أولادهم وأخوتهم وهائن فكان إذا توفي احد منهم أرسل أحد المرهونين ليقوم مقامه .

وقد تكررت زحفه على آسيا - ويدخل في العبارة سورية وفينيقية بطبيعة الحال - حتى بلغت خمسة عشر كما ذكر في أحد نقوشه بما يدل على تكرار التمرد . وقد قال في أحد نقوشه انه فتح مئة وتسع عشرة مدينة وذكر من جملتها باروت ( بيروت ) وقماشكو ( دمشق ) . وقد نصب حجراً تذكاريّاً شاهده على انتصاره على الفرات . وتمردت بلاد آشور والحثيين والاقاليم الشامية بعده فرحف عليها ابنه امنحبت الثاني وأخضعها وقد نقش على مقبرته اسماء الامم التي خضعت له ومن جملتها سكان قبرص والجزيرة الفراتية وسورية وفينيقية<sup>(١)</sup> .

---

(١) نفس المصدر والمصنف

وعادت فتمرت في عهد امنحتب الثاني الذي خلف تحوتس الثالث في جملة من تمرد على

سلطان مصر من بلاد الشام وبين النهرين فقد حملات عديدة عليها كان يخضعها ثانية وينكل بالثائرين والمتمردين. ومن ذكروا بالتعيين في سياق هذه الحملات اوغاريت في رأس الشجرة حيث ضربها ضربة شديدة وجعل عليها سافلها لأنها طردت الحامية المصرية . وقد سارع امرأ هذه المنطقة الى اعلان خضوعهم وتقديم هداياهم اليه . وعاد الى مصر عن طريق فينيقية ويداها وعتان بالغنائم والاسرى<sup>(١)</sup> .

وقد ذكرت نقوش امنحتب الثالث الذي خلف هذا انه اخضع بلاد رتنو وبلاد النهرين مجد السيف وعثر على لوحات له يشاهد فيها اقوام من أهل هذه البلاد مكبلين بالأغلال والملك يطأها بقدميه . ورتنو هو احد الأسماء التي تطلقها الآثار المصرية القديمة على سورية وفينيقية حيث يدل هذا على أن هذه البلاد عادت فتمرت غرحت عليها هذا الملك وضربها وأخضعها<sup>(٢)</sup> .

واضطربت احوال مصر في اواخر عهد هذا الملك ثم في عهد ابنه امتحتوب الرابع - اخناتون - الذي اشتد الاضطراب في زمنه بسبب انقلاب ديني قام به واحنق الكهات وكثيراً من الرعية عليه بسببه فاعتنق الفرسة ملوك الحيتيين والميتازيين وملك اموري اسمه عبد عشترت ثم ابنه عزيزو من بعده فتحالفوا وشرعوا يسيطون سلطانهم على البلاد الخاضعة لسلطان مصر واستطاعوا ان يستولوا على معظم هذه البلاد ساحلا ودخلا وحاول ملوك وحكام جبيل وصور ونوخاش والقدس وقطنا وحميره وتونب التي يحتمل ان تكون بعلبك البقاء على ولائهم لمصر واخذوا يرسلون رسائل الاستغاثة والتحذير الى اخناتون على ما عرف من اللوح الآجورية البابنية الخط واللغة التي عثر عليها في المكان المعروف بتل العمارنة في مصر وعرفت لذلك باسم رسائل تل العمارنة . وقد وجد بين الرسائل عدد يشير الى ما كان من توطد سلطان مصر على هذه البلاد في أول عهد امنحتوب ايضا<sup>(٣)</sup> . فمن هذه الرسائل رسالة من ملك صور ابي ميالكي الى امنحتب الثالث يقدم فيها خضوعه وعبوديته . ورسالة من عبد عشترت المذكور آنفاً - قبل عصيانه على ماهو

(١) مصر القديمة ج ٤ ص ٦٢٧ - ٧٠٠

(٢) نفس الكتاب ج ٥ ص ٥١ - ٢٥٣

(٣) انظر تاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد ١٥٣ - ٢٦٣ ومصر القديمة لسليم حسن ج ٥ ص

٥١ - ٢٥٤ و ٢٥٤ - ٤٣٠ و ٦١٩ - ٦٢٩

المتبادر - الى الملك نفسه يعلن فيها كذلك خضوعه وعبوديته<sup>(١)</sup> . ورسائل من امير  
قطنة التي تضمن انها كانت في شمال حمص ويقوم مقامها اليوم قرية المشرفة يعلن فيها خضوعه  
وعبوديته ثم خضوع وعبودية ومجبة ملوك نوخاش وفي واوي ودمشق وسنزارو كنيانات  
وبين الرسائل رسائل عديدة تذكر حركة العصيان المذكورة آنفاً . من ذلك رسالة من  
حداد نيري ملك نوخاشي التي يخمنها الباحثون انها كانت في جهات حلب الى امنحوتب  
الثالث يخبره فيها بهجات الخيئين على بلاده ويطلب منه الرأي . ورسالة من رب عدي  
ملك جبيل الى امنحوتب الرابع - اخناتون - يقول فيها « منذ رجوع والدك من صيدون  
وقعت البلاد في أيدي البدو الخايبو . ورسالة من اهالي تونب التي يخمن الباحثون انها  
بعلبك القديمة يقولون فيها « ان مدينة تونب تتسائل الآن قائلة لم يجرأ أحد على سلب  
تونب في عهد تحتمس الثالث دون ان يسلبه ذلك الملك . ألا فليعلم  
سيدنا ملك مصر ان معبودات مصر ما تزال في تونب . ويمكن جلالته التأكيد من  
صدق ذلك من كبار قومك . لقد اوشكنا ان ننفضل عن مملكة سيدنا ملك مصر اذا  
تأخر عنا وصول الجنود والعجلات . ان ازيرو سيعاملنا كما عامل مدينة « في » وحينئذ  
يعمنا الكدر كما يصيب جلالة ملك مصر الاذى لما يأتيه ازيرو . ان هذا سيرفع يده ليقاقل  
قوات جلالة سيدنا . اذا دخل ازيرو بلدة صميرة يفعل بنا ما يشاء ونحن في بلاد جلالة الملك  
سيدنا . حينئذ يندم جلالة الملك على ذلك كثيراً . لقد ثبرنا على ارسال المخاطبات لسيدنا  
من عشرين سنة فلم تحل اينامنه كلمة واحدة » . ورسالة من رب عدي ملك جبيل الى  
امنحوتب الرابع ( اخناتون ) يصف فيها حالة البلاد المحزنة وما وصلت اليه من العصيان  
راجياً مساعدة سريعة ليتمكن من طرد ازيرو من صميرة لأنه كان متأكداً من ان سقوط  
هذه المدينة يعني سقوط ( جبيل ) حتماً . ورسالة من وال مصري او امير سوري خاضع  
لسلطان مصر الى هذا الملك يقول فيها « حقيقة ان والدك لم يطف ولم يتفقد أراضي هؤلاء  
الامراء . فلما اعتليت عرش والدك وضع ابناؤ الملك عبد شيرنا ( عبد عشتروت ) أيديهم على  
أرض جلالته منضمين الى ملوك متاني وبابل ونخيتا . ورسالة من ابي ملكي ملك صور  
يسأل ملك مصر النجدة بسرعة ويقول ان زمريدا ملك صيدون تحالف مع ازيرو على  
صور لاقتسام خيراتها . ورسالة من ابداخيبا والي بيت المقدس الى هذا الملك يقول فيها

---

(١) لاجل رسالة عبد عشتروت انظر تاريخ سورية وفلسطين ولبنان فيليب حتي ص ٧٦ ولاجل الرسائل  
الآخرى انظر المصادر المذكورة قبل

« ستضع جميع ارض جلالتك التي ثارت . اما اقليم شوي Seriالواصل الى جنتي كرميل Ginti Qimil فقد شتى عصا الطاعة وكذلك امرأه . ولقد كانت سفن جلالتك الساعد القوي في بسط سلطتك على بلاد النهرين وكوش اما الآن فقد احتل بدو الخابيري بلاد فرعون ولم يبق لسيدي وال مطيع . فالكل عصاة . ليحتس الملك على قطائعه وبلاده وليرسل المدد لأنه اذا لم تصل جنود هذه السنة ذهبت ممتلكات جلالة فرعون سدى . واذا تعسر ارسال جنود هذه السنة فليرسل جلالته ضابطاً يلأزمي للحضور انا واخوتي كي نموت مع سيدنا الملك . ان اهالي البلاد مهاجرون وعباً من فظائع بدو الخابيري . لقد اتلفت امتعتهم . وحطمت مدنهم . واحرقت حاصلاتهم . وضرب الجوع أطنابه في بلادهم . وهم فوق الجبال كالأغنام .

وهذه المقتبسات من كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد<sup>(١)</sup> وفي كتاب التاريخ العام لعباد ورفاقه<sup>(٢)</sup> نص رسالة من هذه الرسائل مرسلة الى اخناتون من رب عدي ملك جبيل يقول فيها « ان الاعداء يحاولون الاستيلاء على جبيل ويقولون اذا نحن استولينا عليها نصبح اقوياء » وفي كتاب لبنان<sup>(٣)</sup> نص رسالة اخرى من هذه الرسائل يرجع الباحثون انها من نائب ملك مصر الذي كان يقيم في بيروت ويسمى « حزانو » يخبر سيده فيها انه خرج لمحاربة اعداء الدولة بجيله ورجله وعجلاته وانه ردهم على أعقابهم » .

ويظهر ان حركة حزانو هذه لم تغن شيئاً حيث تقافت الحالة ثانية وتوالت استغاثات الحكام فأمر اخناتون نائبه في ارض كنعان خاني بن مري رع بالجد في الامر ونفذ هذا الامر واستطاع ان يوطد سلطان مصر ثانية على بلاد الشام بما فيها فينيقية ويأسر عدداً كبيراً من أهلها مما جعل الامراء يسارعون الى اظهار خضوعهم واعلان طاعتهم . وجاء نائب الملك الى مصر ومعه سفراؤهم يحملون الهدايا والجزية على ما ذكرته نقوش مصر<sup>(٤)</sup> غير ان الحالة لم تلبث ان ارتبكت ثانية وسير الملك قائداً اسمه يانخام على رأس حملة ولكنه

(١) ص ١٥٠ وما بعدها

(٢) ص ١١٩

(٣) ص ٢٢٨

(٤) مصر القديمة سيرة اخناتون ج ٥ ص ٢٥١-٢٣١

عجز عن القيام بعمل حاسم . ومات أخناتون والحالة على هذا والامبراطورية المصرية في بلاد الشام وبين النهرين منككة ومعظمها واقسع تحت سلطان ملوك الحيثيين والمتننين والآموريين ؛ فلما تولى توت عنخ أمون بعد أخناتون سير حملة بقيادة قائده الى بلاد الشام وانشب القتال مع الجيش الحيثي الذي كان بقيادة الملك مورسيل فلم يكتب لأحد من الفريقين نصر حاسم ثم قاد القائد حملة أخرى وافقها الملك . وقد أمكن ضرب وانخضاع قبائل الحابيرو ثم اخضاع بلاد الرتنو - وهو ما كان يطلقه المصريون القدماء على بلاد الشام سورية وفينيقية - على ما تفيد النقوش حيث عثر على حجر في مقبرة طيبة عليه صورته وأمامه رؤساء الآشوريين والرتنو وعليهم ملابس الفخار ومعهم بماليتهم يقدمون له الجزية في أوان ذهبية فضية متقنة الصنع <sup>١</sup> .

وعادت الحالة في بلاد الشام الى الارتباك والتمرد ثانية فزحف - وورحب الذي صار اليه الملك بعده بقليل وتمكن من إعادة الأمن والسلطان المصري مرة أخرى <sup>٢</sup> . ردت عثر في جدار معبد الكارناك على مشهد فيه ثلاثة صفوف من الأسرى ملابستهم وسجنهم تدل على أنهم آسيويون حيث ينطوي في هذا تأييد لحمة قادها لانخضاع تمرد في بلاد الشام .

ولما مات حورحب وقامت الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠-١٢٥٥) ق م عادت بلاد الشام الى التمرد مرة أخرى فزحف اول ملوكها سيتي الاول عليها واخضعها <sup>٣</sup> ، ووصل في حملته الى شمال سورية في فينيقية . اقبل عليه حكام البلاد يعلنون خضوعهم وطاعتهم .

وقد اقام لوحة عند الزق الذي يعرف اليوم بتل شهاب سجل فيها انتصاره واسماء البلاد التي اخضعها في فلسطين والجولان وفينيقية مثل اسدراون ( مرج بن عامر ) وباهو وبيت شانيل ( بيسان ) ورحوبو وحماة وينعم وجادر .

وقد أمر بقطع كمية من اخشاب الارز من لبنان واخذها الى مصر لبناء سفن

(١) سيرة توت عنخ أمون في كتاب مصر القديمة ج ٥ صفحة ٤٣١ - ٥٥٩ والمقد الثمين

ص ٩٠-٩٥

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٢٦٧ وما بعدها ومصر القديمة ج ٥ ص ٥٨٠ - ٦١٨ وج ٦

ص ١٣

(٣) نفس الجزء ٢٧-١٩٨ سيرة سيتي

مقدسة . وبعد أن استعجم قاد حملة ثانية وزحف بها عن طريق فينيقية لانخضاع الحيثيين . ولكن لم يحرز انتصاراً حاسماً عليهم واضطرته الظروف إلى عقد معاهدة معهم غدت حدود السلطان المصري بموجبها عند نهر الكلب<sup>١</sup> . ولما مات هذا الملك نقض الحيثيون معاهدتهم وأخذوا يجرضون ملوك الشام وفينيقية إلى التمرد على سلطان مصر فزحف رمسيس الثاني الذي تولى بعده وتمكن من توطيد سلطان مصر على فلسطين ثم على فينيقية وأقام على صخور نهر الكلب نصباً عليه صورته وهو في ثوبه الملكي ساجداً لمعبوده رع ونقش على النصب خبر زحفه وانتصاره<sup>٢</sup> . ولقد تكرر تمرد هذه البلاد بتحريض الحيثيين في عهد رمسيس الثاني ؛ وتكرر زحفه عليها وكان ينتصر ويوطد سلطانه وقد مدّه في بعض زحفه إلى بين النهرين واستمر هذا خمس عشرة سنة ثم اتفق مع ملك الحيثيين على الصلح على أن يكون من وادي نهر العاصي ( الأورانت ) فما فوق تحت سلطان الحيثيين وما في جنوب هذا الوادي تحت سلطان مصر ؛ وكانت فينيقية في هذا التقسيم تحت سيادة مصر<sup>٣</sup> .

وقد قويت الصلات بين مصر وبلاد الشام ومن جملتها فينيقية في عهد رمسيس الثاني على ما تدل عليه النقوش حيث كانت القوافل التجارية تغدو وتروح بكثرة بينها فاقت ما كانت عليه في عهد الاسرة السابقة . وكانت الطريق الرئيسية للقوافل برزخ السويس بالإضافة إلى ما كانت عليه الملاحة التجارية من نشاط بين موانئ مصر وموانئ البحر المتوسط . وقد كثر الأثاث السوري الجميل في قصور الأعيان . وقام في مدينتي منف ورعمسيس وغيرهما أحياء خاصة بالتجار الفينيقيين والسوريين عبدوا فيها معبوداتهم الخاصة بعل وعشتار وقوي الاختلاط الدموي بينهم وبين مصر والمصاهرة حتى لقد زوج رمسيس الثاني أحد أبنائه من ابنة ضابط بحري سوري اسمه اناث ، وصار للسوريين مركز قوي في القصر الملكي ودواوين الحكومة<sup>٤</sup> .

(١) مصر القديمة ج ٦ ص ٢٧ - ١٩٨٠ وتاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد من ٢٦٧ وما بعدها

(٢) جاء في كتاب لبنان ص ١٠٨ حينما ذكر هذا النصب انه يوجد في المكان نفسه نصب آخر يمثل بعض الفرائعة مع الإله عمون ورفيقه هيروغليفي مطموس ولعل الفرعون تحوتمس الثالث

(٣) مصر القديمة ج ٦ ص ١٩٨ وما بعدها وتاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد صفحة ٢٦٧ وما بعدها .

(٤) المصدران السابق ذكرهما أيضاً وانظر خاصة مصر القديمة ج ٦ ص ٨٥ وما بعدها

ولما مات رمسيس الثاني نقض الحيثيون المعاهدة وعادوا إلى تحريك بلاد الشام ضد مصر فقامت ثورة تمردية عامة في جميع انحاءها حتى حدود مصر . وقد سارع منفتح الاول ابن رمسيس الى الزحف واستطاع اخماد العصيان والننكيل بجاملي لوائه تنكيلا شديداً ونقش خبر ذلك على جدار عمارة أنشأها في طيبة<sup>١</sup> في قصيدة جاء فيها فيما جاء « الرؤساء مطروحون أرضاً يعلنون السلام . لم يعد واحد من قبائل البدو في الاقواس السبعة يرفع رأسه . امتحنو خربت . بلاد خاني أصبحت مسالمة . كنعان اسرت مع كل نخيب . ازيات عسقلان . جيزر قبض عليها . ينوم أصبحت لا شيء . اسرائيل خربت وليس لها بذر . خارو أصبحت أرملة مصر . كل الارض وجدت السلم . وكل من ذهب جائلاً أخضعه ملك الوجه القبلي والوجه البحري بنوع محبوب آمون ابن الشمس مرنبتاح منشرح الصدر معطي الحياة كل يوم مثل رع<sup>٢</sup> .

وفي عهد الملك الذي خلف هذا تعرضت مصر لغزوات خارجية أدت إلى اضطراب احوالها ، واستمر ذلك بقية مدة الاسرة فانتفض سلطان مصر وانهار أو كاد في بلاد الشام وفينيقية ، فلما قامت الاسرة العشرون ١٢٠٠-١٠٩٠ واستقرت حالة مصر وتحسنت استطاع ثاني ملوكها ورمسيس الثالث<sup>٣</sup> ان يعيد سلطان مصر الى الاماكن التي كان قائماً فيها في بلاد الشام بما فيها فينيقية على ما تفيد الآثار والنقوش . وقد كثر السوريون في حاشية هذا الملك حتى صاروا أصحاب نفوذ قوي في الدولة والبلاط الملكي ( وتعبير السوريين يشمل كالعادة الكنعانيين الفينيقيين ) .

وعاد أهل بلاد الشام إلى التمرد بعد موت هذا الملك ولكن رمسيس الرابع الذي خلفه تمكن من اخضاعها ثانية وسجل نصره على حجر عثر عليه<sup>٤</sup> . على ان امور الدولة وتبكت بعد هذا الملك واستمر ارتباكها في عهد الملوك الآخرين فأدى ذلك الى انهيار

(١) ج ٧ مصر القديمة ص ١-٢٠٣ سيرة منفتح

(٢) فسر مؤلف الكتاب المأخوذ منه النص والمذكور آنفاً الانواس التسمية بأقوام لوبية وبحر ايجة والنوبة وبلاد الشام وبين النهرين التي كانت خاضعة لمصر . والنحو اسم قبائل لوبية وخاني تعني الحيثيين . وعسقلان وجيزر وينوم مدن في فلسطين . واسم خارو كان يطلق على بعض بلاد الشام .

(٣) سيرة هذا الملك في مصر القديمة ج ٧ ص ٢٦٤-٦٣٨ وناربخ مصر من اقدم المصور لبريستيد ص ٣٢١ وما بعدها

(٤) المقد الثمين ص ١٣٧-١٤٠

سلطان مصر عن بلاد الشام وفينيقية واستمتع ملوكها باستقلالهم وسيادتهم لفترة من الوقت . وقد عثر على مدونة لموظف في عهد آخر ملوك الاسرة جاء الى جبيل بمهمة اخذ أخشاب لصنع السفن المقدسة فقبول من ملكها ذكر بل مقابل جافة وحاوره محاوره تدل على استهتار بشأن ملوك مصر وسقوط هيبتهم في بلاد الشام وفينيقية ١ .

وقد برز في أواخر عهد هذه الاسرة زعيم من الدلتا اسمه سمندس واستطاع ان يستولي على الحكم وتصدى لحكام طيبة له فاستعان بملوك بلاد الشام من كنعانيين وعموريين وفينيقيين واسرائيليين فسارعوا الى نجدة ونصروه على الجنوب كأنما أرادوا باستجابتهم ان ينسوا عن انفسهم ويشعروا بسيادتهم وحریتهم ويكيلوا بما كان يكال لهم ٢ .

ولقد أدى بروز سمندس الى انقسام الحكم في مصر الى قسمين جنوبي يتولاه كهان طيبة وشمال يتولاه سمندس وخلفاؤه من ذريته من بعده ٣ ، فلم تستطع مصر ان تستعيد سلطانها على بلاد الشام وفينيقية في عهد هذا الحكم المزدوج الذي عرف باسم الاسرة الحادية والعشرين والذي امتد نحو قرن وثلث قرن (١٠٨٥-٩٥٠) فظلت هذه البلاد مستتعة بسيادتها واستقلالها في هذه الحقبة . وكانت صور فيها في ذروة بروزها وازدهارها واستطاع بنو اسرائيل أن يقيموا لهم دولة في بعض انحاء فلسطين تحت ملك طالوت وداود وسليمان ، وان كانت فلسطين خاصة ظلت من الوجهة الرسمية والاسمية تابعة لسيادة مصر وتعد من ولاياتها ٤ .

ولقد ورد في الاصحاح التاسع من سفر الملوك الاول في النسخة البروتستانتية والثالث في النسخة الكاثوليكية ان ملك مصر صعد الى فلسطين وضرب جاذر ( احدى مدنها الجنوبية ) وأحرقها ثم أهداها لسليمان مهراً لابنته التي تزوجها سليمان كما ورد في الاصحاح الحادي عشر من السفر نفسه ان هدر امير ادوم فر من وجه سليمان الى مصر فأواه ملكها وزوجه اخت زوجته وظل في حماه الى ان مات داود فعاد الى بلاده ٥ . وورد في

(١) ميرة رعمسيس الحادي عشر ج ٨ ص ٥٢٢-٦٠١

(٢) نفس المصدر

(٣) انظر ميرة هذه الاسرة في مصر القديمة ج ٨ ص ٦٥٩-٧٩٦ وج ٩ ص ١-٧٤ وتاريخ مصر

من اقدم العصور ص ٣٠٣ : ٣٥٧

(٤) تاريخ مصر من اقدم العصور ايضاً ص ٣٥٣

(٥) سليم حسن يخمن ان الملك في الحالتين هو بوسنيس الثاني آخر ملوك الاسرة الحادية والعشرين .

انظر ج ٩ ص ٧٠ : ٧٣ من مصر القديمة .



الاصحاح نفسه ان يربعام تمرد على سليمان فطارده ففر الى مصر لاجئاً وحظي عند شيشاق فرعونابه، حيث يدل كل هذا على ما كان من صلة سيادة ما لمصر على فلسطين في عهد داود وسليمان امتداداً لما قبلها<sup>١</sup> وان كانت قبضتها عنها قد خفت وغدت اسمية اكثر منها فعلية .

ولما انتهى عهد الاسرة الحادية والعشرين قامت الاسرة الثانية والعشرون (٩٤٥-٧٤٥ قم ) واستطاع أول ملوكها شيشاق فرض هيئته وحكمه على جميع مصر طمع الى اعادة سلطان مصر على بلاد الشام فمد اصبعه الى مملكة فلسطين فأرسل يربعام الالجي وعنده فقاد حملة تمرد ضد رجبعام ابن سليمان ادت الى انشطار هذه المملكة الى دولتين اسرائيل ويهوذا ثم غزاها وفرض سلطانه عليها . ثم دس اصبعه في صور وأدى ذلك الى اغتيال ملك صور عبد عشتروت وقيام ملك محله موال له . ولقد سجل شيشاق خبر غزوته هذه في نقش على بوابة اقامها بين معبد رعمسيس الثالث والبوابة الثانية في طيبة سماها بوابة النصر ذكر فيه انه استولى على جميع فلسطين وانه وصل الى بلاد ميتاني ( في جزيرة الفرات ) غير ان المؤرخين الاثريين بريستيدوسليم حسن قالان شيشاق لم يتجاوز فلسطين في زحفه وان ما سجله كان من قبيل التباهي . وقد ذكر سليم حسن نقلا عن اثري اسمه مونتيه ان شيشاق ارسل تمثاله الى ملك جبيل ووصى رسوله ليتحدث مع الملك في صدد البلية التي كان يعتزم تسيرها حيث يدل هذا ان صح على انه كان بين مصر وجبيل صلة ما ولعل شيشاق عرض على ملكها التحالف معه ضد صور .

على ان سلطان مصر انكمش بعد هذا الملك عن فلسطين ايضاً وظل منكشاً بقية مدة الاسرة الثانية والعشرين والاسرتين الثالثة والعشرين ( ٧٤٥-٦٧٠ قم ) . فلما آل حكم مصر الى الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية ( ٦١٢-٦٦٣ قم ) تطلع احد ملوكها شباكا الى بلاد الشام على امل مد سلطانه اليها . وبما رواه سليم حسن في سياق ذلك<sup>٣</sup>

(١) انظر ص ٢٠٧ من تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ترجمة حداد ايضاً .

(٢) انظر سيرة شيشاق في كتاب مصر القديمة ج ٩ ص ١٠٧ : ١٧٥ ومفر اخبار الايام الثاني الاصحاح

(٢٢) وتاريخ سورية للديس الجزء الاول المجلد الاول ص ٢٩٩ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد

٣٦٢ : ٣٥٧

(٣) مصر القديمة ج ١١ ص ٨٣ : ٤٢٤ انظر هذه النبعة التي شكت قصة المصاولات بين مصر واشور

تاريخ كادة واشور لادي شير ج ١ ص ١٢٥ : ٨٦ والعقد الثمين ١٧٦ وما بعدها وتاريخ مصر من اقدم

العصور لبريستيد ص ٣٦٣ : ٣٧٧

ان الآشوريين قد غزوا هذه البلاد وفرضوا سلطانهم عليها فاستنجد ملوكهم بشباكا وعقدوا معه حلفاً . واعتبر شباكا ذلك بمثابة عودة سلطان مصر إلى هذه البلاد حتى انه نقش الحجر على جدران الكارناك وقال انه أخذ الجزية من ملوكها .

وبلغ الحجر سمناصر ملك آشور (٧٢٧-٧٢٢) فزحف على بلاد الشام وتأخر شباكا عن نجدها فبادر ملوكها إلى إعلان خضوعهم له ولكنهم لما عاد الملك الاشوري إلى عاصمته عادوا إلى التمرد بالاتفاق مع شباكا أيضاً فعاد سمناصر ثانية وقسم جيشه قسمين سير واحداً منها نحو فينيقية وزحف على رأس الآخر على فلسطين وضرب الحصار على عاصمة مملكة اسرائيل التي كانت مندججة في التمرد مع مصر وملوك الشام . وظل شباكا متربصاً . ولقد اضطر سمناصر إلى العودة إلى بلاده وما لبث أن مات فزحف خليفته مرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥) على فلسطين ونسف مملكة اسرائيل . وبادر شباكا إلى الزحف ووصل إلى غزة حيث انضم اليه ملكها فزحف مرجون عليه فانهمز شباكا ووقع ملك غزة في الاسر . وقد انسحب شباكا إلى الجنوب فراراً من وجه الآشوريين ووطد هؤلاء سيادتهم على مصر . غير ان شباكا كر بعد قليل واستطاع ان يغلب الآشوريين وأولياهم فزحف سنحريب الذي خلف مرجون (٦٨١-٧٠٥) واشتبك مع قوات شباكا التي كانت بقيادة أخيه طهراقه على الحدود فهزمها ووطد سلطان آشور على مصر ثانية . وفي هذه الاثناء مات شباكا وتولى شبتاكا محله فزحف على مصر وتمكن من فرض سلطانه عليها عوداً على بدء . ولم يلبث هذا أن مات أو قتل فخلفه طهراقه الذي اغتم فرصة ارتباك ألم بأشور فحرك بلاد الشام فاستجابت اليه وأعلنت تمرداً فزحف اسرحدون (٨٦٦-٦٨٠) الذي آل اليه العرش الآشوري على بلاد الشام فأخضعها ثم زحف نحو مصر واشتبك في جولتين مع طهراقه وتغلب عليه في الثانية ومزق شمل قواته واقام ملكاً اسمه نخاو على مصر تحت سيادته . وقد نقش خبر انتصاره على حجر تذكاري نصبه عند نهر الكلب ورسم عليه صورته وأمامه طهراقه راكعاً وفي أنفه حلقة العبودية .

ولم يكد اسرحدون يعود إلى نينوى عاصمة آشور حتى كر طهراقه ثانية وتغلب على الحاميات الآشورية فزحف آشور بانيبال الذي خلف اسرحدون (٦٦٧-٦٢٧) على مصر واشتبك مع طهراقه وتغلب عليه وهزمه ووطد سلطان آشور على مصر . ولم يكد هذا يعود حتى كر طهراقه لثالث مرة وتمكن من التغلب على الحاميات الآشورية . وسير آشور بانيبال نجدة قوية اضطرت طهراقه الى الانسحاب ولم يلبث ان توفي . وجمع خلفه

تاتوآمون جموعه ورحف بها نحو مصر وقتل الملك نخاو الذي عينه الآشوريون . وسيرملك آشور حملة جديدة اشتبكت معه وهزمته ثم اقامت ملكاً جديداً اسمه بسماتيك تحت السيادة الآشورية .

ولقد ألم ارتباك بدولة آشور بعد قليل فاستطاع بسماتيك ان يمارس الاستقلال والسيادة . وانتهر نخاو الثاني الذي خلفه على العرش فرصة ذلك الارتباك فزحف نحو آسيا سنة ٦٠٣ ق م فتصدى له ملك يهوذا ولكنه تغلب عليه وفرض سلطانه على فلسطين ثم زحف نحو الشام وفرض سلطانه عليها حتى وصل إلى الفرات وكانت فينيقية من جملة ما انبسط سلطانه عليه . واستدل على ذلك من نقش على حجر عثر عليه في صيدا .

ولقد ذكر مؤلفو كتاب لبنان<sup>١</sup> انه وجد في جبيل نصب عظيم يمثل أحد الفراعنة وعلى جبهته الحية الرمزية وامامه الالهة ايزيس وعلى رأسها القرص الشمسي مع قرني بقر كما كانوا يصورونها في مصر . ولقد ذكر بريستيد<sup>٢</sup> ان الالهة ايزيس اعتزت في عهد الاسرة السادسة والعشرين التي كان نخاو الثاني المذكور احد ملوكها حيث يحتل ان يكون هذا التمثال عائداً الى هذه الفترة من السيادة المصرية .

وفي هذه الاثناء زالت مملكة آشور وقام في العراق مملكة جديدة عاصمتها بابل فأرسل ملكها نابولانصر الذي وطد سلطانه على جميع العراق ابنه نبوخذ نصر ( بختنصر ) لفرض سلطانه على بلاد الشام لاعتباره اياها من نطاق مملكته كوارث لسلطان الآشوريين فيها . فسارع نخاو إلى لقاءه ونشب بين الطرفين قتال في شمال سورية دارت الدائرة فيه على نخاو . غير ان بختنصر جنح الى التهادن معه لاضطراره الى العودة الى بابل بسبب موت أبيه<sup>٣</sup> . ولما عاد نخاو الى مصر قوى أسطوله وجيشه واخذ يحرض بلاد الشام على الدولة البابلية الجديدة . وكان أول المستجيبين للتحريض ملك يهوذا في فلسطين فأعلن العصيان . فزحف عليه بختنصر وأخضعه . ولكنه لم يكذب بختنصر يعود الى بابل حتى تمرد ثانية استجابة لتحريض نخاو الذي وعد بالمساعدة فزحف بختنصر ثانية وعزل الملك وعين ملكاً خاضعاً له . ولم يف نخاو بوعده .

ومع ذلك فان مصر لم تنفض يدها . اذ ان الملك وح ابرع الذي آل اليه العرش بعد

(١) ص ١٠٩

(٢) تاريخ مصر من اقدم المصور تعريب حسن كمال ص ٣٨٢ وبعدها

(٣) العقد الثين ١٨٩ : ١٩١ وتاريخ كلدة وأشور لادي شير ج ١ ص ١٣٩ : ١٥٣

يسماتيك الثاني بين نحاو المذكور آنفاً استطاع أن يفرض سلطانه على بعض أنحاء فينيقية لفترة من الوقت. وقد حرض ملوك فينيقية وملك يهوذا على الدولة البابلية. فزحف بختنصر لثالث مرة على فلسطين. وبينما كان يحاصر اورشليم عاصمة يهوذا علم ان نجدة مصرية آتية فسارع إلى لقائها وهزمها هزيمة شديدة قرب غزة ثم عاد إلى اورشليم فاستولى عليها ونهبها ودمرها، وكان ذلك سنة ٥٨٦ هـ. وقد أرسل في الوقت نفسه حملة إلى فينيقية فضربت الحصار أولاً على صور واستطاعت أن تستولي عليها بعد مقاومة طويلة ودمرتها فلم يكن من بقية ملوك فينيقية وسورية إلا أن أعلنوا خضوعهم لسلطان بابل. وقد زحف بختنصر بعد ذلك على مصر فسارع ملكها إلى اعلان خضوعه والتعهد بإداء الجزية. ولما عاد بختنصر إلى بابل عادت مصر إلى الحركة حيث نشط الملك ايريس الذي صار إليه الملك من الاسرة نفسها وارسل اسطوله الذي غلب الاسطول البابلي الراسي في مياه فينيقية، وتمكن نتيجة لذلك من فرض سلطانه على صيدا وصور وغيرها من أنحاء فينيقية. غير ان هذا لم يطل حيث زحف بختنصر سنة ٥٦٧ وتمكن من اعادة مطانته على سورية وفينيقية ومصر.

ولقد مات بختنصر سنة ٥٦٢ ق م فارتبكت حالة الدولة البابلية؛ فانقض الفرس عليها بزعامه كورش ونسفوها سنة ٥٣٨ وبسطوا سلطانهم على العراق. واعتبروا أنفسهم ورثة البلاد التي كانت تحت سيادة بابل فزحف كميز ابن كورش حينما آل إليه العرش وتمكن من بسط سلطانه على سورية وفينيقية وفلسطين ومصر سنة ٥٢٥ ق م<sup>١</sup>.

ومع ذلك فقد تيسر لمصر ان تطرد الحاميات الفارسية وان تمارس استقلالها وسيادتها فترة بعد فترة بزعامه ملوك منها. وقد سجل لهؤلاء الملوك بعض حركات في اتجاه فينيقية أيضاً. فقد قاد أحدهم زت تلخو حوالي سنة ٣٦٠ جيشاً وسار به نحو فينيقية للقاء القوات الفارسية وصدها فأخفقت حركته وأسره الفرس. وتحالف ملك ثان منهم اسمه نقطانب الثاني حوالي سنة ٣٥٥ هـ مع ملوك صور وصيدا فقامت جبهة مشتركة ضد الفرس غير ان هذه الحركة أخفقت كذلك حيث هزم الفرس جيوش هذه الجبهة واعادوا سيطرتهم على بلاد الشام ومصر ثانية. وبعد قليل زحف الاسكندر المكدوني على الشرق فاستولى على بلاد الشام ومصر ونسف دولة الفرس. فكانت هركة نقطانب الثاني هذه.

# تفصيل ما كان بين الممالك الفينيقية والدول العراقية (١)

- ١٠ -

لقد مر شيء من ذلك في سياق ما كان بين مصر والممالك الفينيقية . غير ان هناك اشياء أخرى يمكن ان تضاف الى ما ذكرناه منها ما هو عائد الى تاريخ أقدم من تاريخ ما ذكر في ذلك السياق ومنها ما فيه تفصيلات وافية لما ذكر اقتضاباً فيه لأنه لم يكن هناك موضعه . وأول من اتجه من العراق نحو بلاد الشام سرجون الاكادي الذي مد سلطانه إلى ما بين النهرين ثم الى بلاد الشام الداخلية والخارجية . وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً عجيباً في تاريخ هذا الملك . فمحمد رفيق يورخه في كتابه التاريخ العام بالقرن الاربعين وادي شير بالقرن الثامن والثلاثين وبريستيد في كتابه القرون القديمة بالثامن والعشرين . وطه باقر في مقدمة الحضارات بالاربع والعشرين !

وما رواه ادي شير ان نارام سين ابن سرجون احتفظ بسلطانه على بلاد الشام الساحلية والداخلية ومده الى حدود مصر ٢ . وقد سار ملوك أور في عهدسلالتها الثالثة الامبراطورية على هذه الحطة فمدوا سلطانهم الى بلاد الشام بعد انكماشه عنها بعد الاسرة الاكديّة . ولقد استولى العيلاميون على العراق الجنوبي بعد ذلك فاتجه ملكهم كدر لاعومر الذي يختلف تقدير المؤرخين لزمّنه بين القرن الثالث والعشرين والقرن التاسع عشر قبل الميلاد في نفس الاتجاه فزحف على بلاد الشام وفرض سلطانه عليها . وقد ذكر ذلك في سفر التكوين من اسفار العهد القديم ٣ . ولما قويت الدولة البابلية الامورية الاولى واستطاع سادس

---

(١) مرجع هذه النبذة الجزء الثاني والجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي للمؤلف والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للديبس ص ١٩٣ وما بعدها و ٣٠٣ وما بعدها وتاريخ كلدة واشور لادي شير اسقف سمرق ج ١ ص ٤ : ٢٧ و ٥١ : ١٥٩٠ وتاريخ بابل واشور لجميل الدور والجزء الاول من مقدمة الحضارات القديمة لظه باقر ١١٥ وما بعدها .

(٢) تاريخ كلدة واشور ٢٤

(٣) الاصحاح الرابع عشر

مركزها محور ابي الذي يختلف المؤرخون كذلك في تقدير زمن حكمه بين القرن الثالث والعشرين والقرن الثامن عشر<sup>١</sup> ان يجلي عن بلاده العيلاميين وان يوحد جميع العراق تحت سلطانه اتجه في نفس الاتجاه فمد سلطانه الى حوض الفرات ثم بلاد الشام داخلها وساحلها وقد ظل الامر كذلك ردياً من الزمن بعده ثم انكمش السلطان العراقي عن بلاد الشام وظل منكمشاً بضعة قرون كان المصريون هم اصحاب السلطان فيها على بلاد الشام داخلها وساحلها منذ القرن السادس عشر الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد على ما شرحناه في النبذة السابقة .

ولما قويت المملكة الاشورية تطلع ملوكها الى الاتجاه نفسه وكان اول من فعل ذلك تغلات بلاشر الاول ( ١١١٥ - ١١٠٠ ) حيث مد سلطانه الى بلاد الشام ومن جملتها فينيقية في جملة ما مده اليه من اقاليم واقام نصباً تذكاريّاً لذلك عليه صورته وخبر حروبه فوق صخرة قائمة على نهر الكلب - في جوار بيروت - لا يزال قائماً الى الآن . وارتبكت المملكة الآشورية بعده فتقلت فينيقية وغيرها من سلطانه واستمر ذلك نحو منتي عام ( ١١٠٠ - ٩٠٠ ) وهذه الفترة مصادفة لفترة سؤدد صور واستقلالها في عهد الاميرة الحيرامية وداود وسليان في فلسطين ، وان كان تخلصها هجوم شيشق وفرض سلطانه على فلسطين ومحاولته مد هذا السلطان على بلاد الشام . ثم غشيت آشور وقويت منذ اوائل القرن التاسع فتقدم اسور ناصر بال احد ملوك هذه الفترة ( ٨٨٥ - ٨٦٠ ) نحو حوض الفرات والاقاليم الشامية وفرض سلطانه عليها . وقد عبر جبل لبنان ونزل الى البحر الابيض واعلنت بمالك فينيقية خضوعها له وقدمت هداياها وقطع كثيراً من اشجار لبنان وارسلها الى نينوى . وقد ذكر ذلك في نقوشه وعدد الملوك الذين اخذ منهم الجزية ومن جملتهم ملوك صيدا وصور وجبيل وارواد وقال ان جزيتهم من الذهب والفضة والنحاس والحديد والادوات الحديدية ونسيج الصوف والكتان واخشاب الصندل والابنوس وجلود الحيوانات وانه قدم محرقة على صخر تتلاطم عليه امواج البحر شكراً للآلهة على احسانهم اليه وانه ركب السفن التي اخذها من ارواد متنزها في البحر فقتل دلفيناً وانه اكب على الصيد في لبنان فاصطاد خنازير وبقرأ وحشية وايايل وغزلاناً

---

(١) تاريخ كلدان وآثور ج ١ ص ٢٧ - ٣٢ وفي الجزء الاول من مقدمة الحضارات القديمة ص ١٣٩ - ١٥٦ .

ونسوراً وأخذ بعضها حية الى نينوى وقتل ثوراً وضباعاً وثعالب الخ . . وخلفه ابنه سلمانصر الثالث الذي تكررت حملاته على بلاد الحثيين والآراميين والفينيقيين حيث يدل على انها كانت تتمرد على السلطان العراقي مرة بعد مرة ؛ وقد كان سلمانصر ينتصر في حملاته ويرهب البلاد ويكتفي بما يظهره ملوكها من خضوع ويهدونه اليه من الهدايا ولا يقيم فيها حاميات فلا تلبث ان تعود الى التمرد . وكان ذلك يحدث بتجريض الحثيين الذين كانوا في زمن السلطان المصري يفعلون ذلك ايضاً على ما شرحناه في الفقرة السابقة . وقد نقش هذا الملك اخبار حملاته وحروبه وذكر في نقوشه في جملة من كان يستجيب الى التجريض ويشترك في القوات المتحالفة ملك ارقانات ( عرقا ) وماتينو ملك ارواد ومالك اوسنات . وفي نقش من النقوش ذكر ان اثني عشر ملكاً من ملوك سواحل البحر تحالفوا مع ملك دمشق ضده فكسر الجميع . وقد نزل الى ساحل البحر ونقش صورته على صخرة قائمة على نهر الكلب بجانب صورة تغلات بلاصر ؛ وقد ذكر صور وصيدا وجبيل من جملة من خضع له وأدى اليه الجزية . وطراً على آشور ارتباك ووهن بعد قليل من موت هذا الملك فتمرت سورية وفينيقية مع بلاد اخرى واستمر السلطان العراقي منكمشاً عنها ودحاً من الزمن . ثم عاد الى آشور نشاطها على يد تغلات بلاصر الثالث ( ٧٤٥ - ٧٢٧ ) فزحف على الاقاليم المتمردة واخضعها واحدة بعد اخرى وفي جملتها فينيقية التي سارع ملوكها الى اعلان الطاعة وتقديم الجزية . وعادت هذه البلاد الى التمرد وكان الحرك هذه المرة ملك دمشق الذي تحالف مع موتون الثاني ملك صور وغيره . وزحف تغلات للمرة الثانية ففتح دمشق وقتل ملكها فسارع ملك صور وغيره من ملوك فينيقية الى اعلان الطاعة وتقديم الجزية . وقد نقش هذا الملك اخبار حروبه ولكن الاحجار وجدت محطمة وقرى عليها اسم صميره من جملة ما اخضعه من مدن فينيقية . وخلفه ابنه سلمانصر الخامس ( ٧٢٧ - ٧٢٢ ) وكانت مصر تحرك اسرائيل وفينيقية على التمرد فزحف هذا الملك فسارع ملوك فينيقية الى اعلان الطاعة وتقديم الهدايا ، ولما عاد الى نينوى عادت مصر الى التحريك واستجابت فينيقية لها فزحف الملك الآشوري ثانية وقسم جيشه الى قسمين وسار على رأس احدهما الى فينيقية فاخضعها عداً صور التي كانت متحصنة بالبحر ، وقد حاول غزوهم من البحر فاخفق حتى لقد استطاع الصوريون اسر خمسة من رجاله . وحينئذ ضرب عليها الحصار وعاد الى نينوى وما لبث ان مات . وخلفه سرجون ( ٧٢٢ - ٧٠٥ ) وكان الحصار قد اجهد صور فطلبت منه الامان فنجها اياه بعد ان تعهدت بالخضوع واداء الجزية . وعادت مصر فحركت ملوك سورية وفينيقية ضد آشور واستجابت للتحريك وحملت السلاح بقيادة ملك حماه وطردت الحاميات الآشورية فسارع سرجون الى الزحف

وهزم الجيوش المتحالفة وفرض سلطانه على البلاد المتردة . وقد نقش اخبار زحوفه وانتصاراته وبما ذكره ان سبعة من ملوك جزيرة يثنا - وقد فسرهما مترجم الخبر بقبرص - اعلنوا خضوعهم في جملة من اعلن خضوعه له وارسلوا اليه الخراج ، وقال انه لم يسمع هؤلاء أحد من سلفائه وانه ارسل اليهم صورته منحوتة على عمود من المرمر الأسود وجد في التنقيبات الحديثة . وتولى بعد سرجون سنحاريب ( ٧٠٥ - ٦٨١ ) الذي ظهرت بوادر العصيان ضده في سورية وغيرها من الاقاليم ؛ وقد زحف على البلاد المتردة وغلبها واخضعها واحدة بعد اخرى وفر منه ملك صور لولاي الى قبرص حيث مات غمّاً فأقام مكانه توبغل واستولى فيما استولى عليه من فينيقيا على صيدا وبيت زيت وصاربتا ( صرفند ) وجلبا واوشو واوكزيب ( الذيب ) واكو ( عكا ) وقد دب الذعر في قلوب ملوك فينيقية الآخرين فسارعوا الى اعلان الطاعة ومن جملتهم بوبعل ملك صيدا وعيد بيليت ملك ارواد وارور ملك جبيل ومناحم ملك سمشورتا . وقد نقش اخبار حروبه . وذكر هذه الاخبار في نقوشه . وتولى العرش بعده اسرحدون ( ٦٨٠ - ٦٦٧ ) ؛ وقد خامر عليه ملك صيدا عبد ملكرت فزحف على صيدا بنفسه وقبض على الملك بينما كان يحاول الفرار بجزراً وقطع رأسه ونهب صيدا واحرقها وانشأ تجارها مدينة سماها دور اسرحدون ونقل اليها اقواماً من بلاد الكلدان الجنوبية وولى عليها والياً آشورياً . وقد قدم عليه اثنان وعشرون ملكاً من ملوك سورية وفينيقية فاعلنوا خضوعهم وقدموا هداياهم ومن جملتهم بعل ملك صور وملكي آصاف ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد وابي بعل ملك شمشتا وعشرة ملوك من قبرص على ما جاء في نقوشه التي سجل فيها زحفه وانتصاره . وعاد بعض ملوك فينيقية وبلاد الشام فتمردوا استجابة لتحريك ملك مصر ومن جملتهم ملك صور فزحف اسرحدون على مصر اولا وكسر ملكها وفرض سلطانه عليها ثم انقلب منها الى بلاد الشام وفينيقية فاخضعها ، ونقش على صخور نهر الكلب صورته الى جانب صور رمسيس الثاني وتغلات بلامروذكراً تحتها خبر انتصاره . وقد عثر على حجر عليه صورته وقد رقع امامه ترواقة ملك مصر وبعل ملك صور وفي انفيها حلقة علامة العبودية . وقد جاء في بعض النقوش التي نقشها عن اعماله « اول ما خلدت الى الفارات وجهت طلائع بأسني جهة فينيقية فحاصرت مدينة صيدا التي على فم البحر ودككت اسوارها ونسفت مصالمتها وهياكلها وطرحمت انقاضها في البحر وقتلت من فيها من الكبراء والزعماء وفر ملكها عبد ملكرت واوغل في البحر فنعقبته وشققت الامواج وراءه حتى ادركته وجذعت انفه ثم عدت فاستحوذت على



ما في خزائنه من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والجلود المعطرة والابنوس والأنسجة الأرجوانية واستأبنت من مملكته الرجال والنساء والبقر والشاة والدواب وسائر ما تهبأ لي نقله الى مملكتي وشيدت حصناً منيعاً سمّيته دور اسرحدون وشحنته بالرجال الذين جلبتهم من ناحية مشرق الشمس ، وخلف اسرحدون اسوربانيبال ( ٦٦٧ - ٦٢٧ ) فعاد ملك مصر الى التحريك فزحف هذا على بلاد الشام ثم على مصر فوطد سلطانه عليها وقد استعان بالملاحين الفينيقيين وسفنتهم في مطاردة طرهاقة ملك مصر بالنيل الى طيبة . وتمرد شمسومكين اخو اسوربانيبال وملك بابل على اخيه وحرص ملوك فينيقية وبلاد الشام فاستجابت اليه بعضهم . فلما تغلب الملك الاشوري على اخيه في بابل زحف على بلاد الشام ونكل بالخامرين عليه مع اخيه . وقد قرىء في نقش له « ذلت بعلاً ملك صور وجعلته يعرض عن طاحه ويخضع عنقه لنيري واشخصت بناته وبنات اخيه ليكن » اما في واتى ابنه ياملك بيدي خضوعه لي ويقدم الي تقادم لم يسبق الي مثلها ويدفع لي بنته وبنات اخوته رهائن فغفرت عنه ونصبته ملكاً على صور .

وضعت المملكة الآشورية بعد اسوربانيبال ثم تحالفت ضدها البابليون والماديون ففوضوها واقتسموها فاغتنتهم ملك مصر نحاو ومديده الى سورية وفينيقية حتى الفرات فزحف نبوخذنصر وهزمه فسارع ملوك سورية وفينيقية وفلسطين الى التمرد فزحف نبوخذ نصر ثانية وقسم جيشه الى قسمين ارسل احدهما لاختضاع فينيقية وانقض بالثاني على سورية وفلسطين . وقد طالقت مقاومة صور ولكنها سقطت اخيراً فامر بدكها حتى صارت قاعاً صفصفاً واسر ملكها ايتوبعل وكثيراً من اعيانها ونفاهم الى بابل فلم يكن من بقية ملوك فينيقية الا ان اعلنوا خضوعهم . ولم تنفض مصر يدها فان ابريس احد ملوك الاسرة السادسة والعشرين اعان استقلاله ثم مديده الى سورية وفينيقية ووطد سلطانه عليها بعض الوقت فزحف نبوخذ نصر للمرة الثالثة سنة ٥٦٧ ق م ووطد سلطانه مرة اخرى على هذه البلاد ثم على مصر .

ومات نبوخذ نصر سنة ٥٦٢ فارتبكت احوال مملكته وفي سنة ٥٣٨ ق م انقض عليها الفرس بزعامة كورش فنسفوها ووطدوا سيطرتهم عليها .

ولقد اعتبر الفرس جميع البلاد التي كانت خاضعة لبابل تابعة لهم ومن جعلتها فينيقية وحرصوا على انبساط سلطانهم عليها . وحققوا حرصهم مدة طويلة تقرب من مئتي سنة باستثناء بعض الفترات .

ولما كان ذلك امتداداً لما كان بين فينيقية ودول العراق فاللألم ان تستمر على عرض ما كان من أحداث بين فينيقية ودولة الفرس ايضاً ١ .

ولقد عثر على حجر عليه نقش ذكر فيه ان جميع ملوك فينيقية ادوا لكورش الجزية في جملة من اداها اليه من ملوك البلاد ولا يذكر المؤرخون ان كورش زحف على فينيقية او ارسل جيشاً حيث يفيد هذا ان فينيقية خضعت للحكم الجديد بدون مقاومة امتداداً لما كان عليه الأمر قبل . وقد استمرت خاضعة لخليفته كميز ثم اغوتا ماثم لدارا الأول ثم لاشويريش على ما سجله المؤرخون . وكانت الجزية المفروضة على فينيقية وسورية وفلسطين التي جعلت جميعها ولاية واحدة باسم الولاية الخامسة ( ٣٥٠ ) وزنة من الفضة .

ولقد عمل كورش على تألف اهل فينيقية فاطلق سراح من سباهم بحتصر من صور فعادوا وعمرؤا مدينتهم ، واحاط ابنه كميز الفينيقيين بعنايته ومساعدته فادى ذلك الى استئناف نشاطهم الملاحى والتجاري والصناعى حتى بلغ شأواً عظيماً كاد يعود به مجدهم في هذا المجال الى ما كان عليه ايام سؤددهم وسيادتهم فكان ذلك مما جعلهم لا يرون خسارة كبيرة عليهم من الخضوع لسيادة الغزاة عن طواعية ويستغفرون في نشاطهم ، وبنسجمون في الحكم الفارسى . ولقد ابقى هذات المللكان ملوك فينيقية في مناصبهم يمارسون الحكم المحلى في نطاق سيادتهم على ما كان يفعله الغزاة السابقون فكان ذلك بما ساعد على استمرار انسجام الفينيقيين وخضوعهم عن رضا وطواعية بعد المللكين .

وقد اوردنا في قوائم الملوك اسماء عدد من الملوك الفينيقيين الذين كانوا يمارسون الحكم المحلى في ظل السيادة الفارسية .

وقد كان ملوك الفرس يعينون والياً عاماً يمارس الاشراف العام على سورية وفينيقية ، وقد ذكر اسم مدينة صيدا كمركز لوالى في بعض الحقب . ولعلها كانت مركزاً دائماً له ؛ وكانت مهمته توزيع الجزية على المدن او المللك الفينيقيه وجبايتها . وقد عثر لدارا الاول المللك الفارسى كان يقسم موظفين كبيرين الى جانب الولى احدهما كفتان للحامية والآخر باسم رئيس الكتاب . وكانت مهمة هذا مراقبة تصرفات الولى على

---

( ١ ) مرجع تاريخ الحكم الفارسى في فينيقية الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للشيخ  
ص ٣٢٧-٣٣١ وتاريخ سورية لجورجى بنى ص ١٠٨-١٢٤ وكتاب لبنان ص ٢٣٠ .

ما ذكره جرجي بني ١ .

ولقد ظل انسجام فينيقية مع الفرس مستمراً الى الشطر الاول من حكم ارتخشستا الاول (٤٦٥-٤١٣) وكان ملوك الفرس يستعينون بالفرس والملاحين والمحاربين الفينيقيين في حروبهم مع اليونان وحملاتهم على مصر وقبرص فكانوا يبلون فيها بلاءً حسناً . وكان لهم من السفن المتنوعة الاشكال والاحجام والكثيرة العدد ما يدل على ما وصلوا اليه في المجال الملاحي من شأن عظيم .

ولقد نشبت الحرب اليونانية الفارسية في عهد دارا الاول ٥٢١-٤٨٥ واستمرت باستثناء فترات قصيرة اي الى اواسط القرن الرابع وانتهت بزحف الاسكندر المكدوني الذي بسط سلطانه على بلاد اليونان جميعها وورث عبء هذه الحرب وقضائه على الدولة الفارسية في اول الثلث الاخير من القرن المذكور . وقد تساجل الطرفان النصر والهزيمة فيها . واستعان الفرس بالسفن والملاحين والمحاربين الفينيقيين منذ بدئها . وقد وصف المؤرخون السفن الفينيقية في هذه الحقبة فقالوا ان كثيراً منها كان يزيد طوله على مئة ذراع وان منها ما كان ذا ثلاث طبقات وخمس طبقات وانها كانت مجهزة بالاسلحة والذخائر المكافية . وقد روى هيروودوت المؤرخ اليوناني ان ارتخششت الاول اراد اختبار حذاقة ملاحي البحر الابيض فاستدعى ملاحي السواحل الى سباق عظيم تسابقت فيه نحو ١٢٠٠ سفينة لأمم مختلفة وكان قصب السبق للصيديونيين .

وفد ذكر جرجي بني ٣ ان عمارة فينيقية كانت مؤلفة من ١٢٠٠ سفينة اشتبكت في معركة حامية مع عمارة يونانية امام جزيرة ملتوس وابدى الفينيقيون شجاعة فائقة حتى كسروا العمارة اليونانية واستولوا على الجزيرة وبما ذكره هذا المؤرخ ان احشوريش الاول وجه العمارة الفينيقية مع العمارة المصرية الى اقتحام مضيق الدردنيل وكانت الماران مؤلفتين من ١٢٠٠ سفينة كبيرة ذات ثلاث طوابق و ٣٠٠٠ سفينة

(١) تاريخ سورية ص ١١٠

(٢) بدأ حكم الفرس بعد زوال بابل بالملك كورش سنة ٥٣٨ وخلفه بكير ٥٢٩-٥٢٢ ثم غوثاما ٥٢٢-٥٢١ ثم دارا الاول ٥٢١-٤٨٥ عم احشوريش ٤٨٥-٤٦٥ ثم ارتخشستا الاول ٤٦٥-٤٢٣ احشوريش الثاني ٤٢٣ وضعيات ٤٢٣ ودارا الثاني ٤٢٣-٤٠٥ ثم ارتخشستا الثاني ٤٠٥-٣٦٢ فارتنشتا الثالث ٣٦٢-٣٣٨ فارسيس ٣٣٨-٣٣٧ فدارا الثالث ٣٣٧-٣٣٣ الذي قتل وزالت المملكة بعده على يد اسكندر المكدوني ( انظر تاريخ كلدان وآثور ج ١ ص ١٥٣-١٦١

(٣) تاريخ سورية ص ١١٢-١١٥

صغيرة ؛ وانه لما اعياهم اقتحام المضيق احتفر الفينيقيون قناة موصلة الى البر الجاني لاحتلاله، وكان قوادهم في هذه الغزوة بنتر منستوس بن انيسوس الصيدوني وماين بن يسروم السوري وماربل ابن اكبال الاروادي<sup>(١)</sup> . وقد تمكن الابونيون من اغراق كثير من سفنهم فظن الملك ان ذلك بسبب جنهم او خيانتهم فغضب وامر بقطع رؤوس كثير منهم مما جعل معظمهم يعودون بسفنهم الى بلادهم محنقين ولم يبق الا السفن الثقيلة . وفي ربيع السنة التالية لم يشترك الفينيقيون في المعارك التي دارت بين اليونان والفرس والتي كتب فيها على الجانب الفارسي الغلبة والهزيمة ، مما جعل الملك يسعى الى مرضاتهم حتى عادوا الى مساعدته .

وفي الشطر الثاني من حكم ارتخشستا الاول هاجم اليونانيون سواحل فينيقية فردهم الوالي ابيفانوس الذي كان يقيم في صيدا بفضل معونة السفن الفينيقية . وبعد قليل أعلن هذا الوالي عصيانه على ملكه واستطاع بفضل مساعدة الفينيقيين ان يعيد الجيش الذي أرسله الملك للتشكيل به ، واستقلت فينيقية فترة من الزمن وكان ذلك سنة ٤٩٠ ق م .

وفي سنة ٤٤٩ ؛ انعقدت الهدنة بين الفرس واليونان وقام في بلاد الفرس فتن فكان ذلك مساعداً على ممارسة فينيقية استقلالها مرة ثانية . وفي هذه الفترة أخذت الصداقة تتوطد بين الفينيقيين واليونانيين وهاجر كثير من الفينيقيين الى اثينة لمعاونة التجارة وأنشأوا فيها حياً خاصاً بهم واقاموا معابد ليعبدوا فيها حسب عقائدهم .

وقد عثر على الواح فيها نصوص معاهدة عقدت بين ملك صيدا ستراتو وبين مجلس السناتو الآثيني اعفى فيها هذا المجلس الفينيقيين من الضرائب والتكاليف التي كان يلتزم بها الاجانب ومنحهم امتيازات عديدة . وتاريخ هذه المعاهدة يصادف لاول القرن الرابع قبل الميلاد .

وبما ذكرته الروايات القديمة<sup>٢</sup> ان افيجوراس والي سامينا من مدن قبرص تمرد على السلطة الفينيقية في بلاده وقتل الحاكم الفينيقي ايدمون السوري سنة ٣٩٣ ق م حيث يدل هذا على ان فينيقية استطاعت في هذه الحقبة ان تمارس استقلالها وتعد سلطانها الى قبرص

---

«١» الاسماء جاءت في صيغة يونانية لانها مقتبسة من المدونات اليونانية ولكن اللمحة العربية بادية عليها كما هو ظاهر .

«٢» تاريخ سورية جرجي بني ص ١١٩

أيضاً . ولقد استطاع افيغوراس ان ييسط سلطانه على جميع الجزيرة . ثم طمح الى بسط سلطانه على فينيقية وسورية وكيكية وبدأ بتحقيق مطمحه بمهاجمة سواحل فينيقية واستيلائه على صور ، وقد أثار بحر كنه ملك الفرس ارتخشستا الثاني لأنه رأى فيها خطراً على نفوذ دولته في بلاد الشام ومصر فسير حملة ضربت على قبرص الحصار ست سنين ٣٨٦ - ٣٨٠ حتى اضطر الوالي العاصي الى الخضوع والتعهد باداء الجزية . ونتيجة لذلك توطد سلطان الفرس على فينيقية وبلاد الشام .

ومات الملك الفارسي قبل ان يوطد سلطانه على مصر التي كانت اغتتمت فريضة فتنه ثارت في بلاد الفرس فتمردت على السيادة الفارسية ، وقد سير ارتخشست الثالث الذي تولى بعد الثاني ابيه حملة على مصر غير انها منيت بهزيمة منكرة بقيادة نبطان ملك مصر . وحينئذ قررت فينيقية خلع طاعة الفرس واندمج في حركة العصيان الوالي الذي كان يقيم في صيدا واسمه نافاس ، ونهب اهل صيدا مخازن الفرس وهدموا قصورهم واخذوا يعتدون على حامياتهم . وحينئذ زحف ارتخشستا بنفسه على رأس جيش جرار روي انه كان مؤلفاً من ثلاثمائة الف فارسي وعشرة آلاف مستأجر يوناني وضرب لمصار على صيدا التي كانت كما يبدو أبرز المدن وقائدة حركة العصيان . وخاف الوالي فأرسل إلى الملك رسولا يعرض عليه تسليم المدينة واهمل تدابير الدفاع عنها ، واقنع مئة من اعيانها بالخروج معه الى الملك للتفاوض . ولما وصلوا الى الملك اراد الوالي ان يتولف اليه وينقذ نفسه فقال له ان الاعيان الذين معه هم سبب العصيان فأمر بقتلهم . وخرج الى الملك خمسمئة من رجال المدينة ليطلبوا الامان لها فاستشار تيناس فقال له انه لا يعتمد عليهم فقتلهم ايضاً . ولقد حاول اهل صيدا ان يدافعوا عن مدينتهم وانفسمهم وقد رأوا حققت الملك عليهم شديداً فحشدوا مئة ونيفاً من السفن من ذوات الطوابق الخمس والثلاث والاربين والثلاثين محذافاً وحصنوا السور والابراج وشحنوها بالمقاتلين ، غير ان ذلك لم يغنيهم لأن قوة الملك الفارسي وخيانة الوالي وقائد الجنود المرتزقة كانتا اعظم من ان تقاوم ؛ وأمر تيناس القائد بفتح ابواب المدينة واخذ الفرس يتدفقون اليها . وحينئذ عمد اهل صيدا الى الانتحار مفضلين الموت بأيديهم على الموت الذليل بيد اعدائهم فأحرقوا العمادة البحرية ثم اضرموا النار بمساكنهم وهم فيها مع كل ما يملكون فاحترقت المدينة بما فيها ومن فيها . اما الوالي الخائن فقد عظم على امرأته خيانتته فوثبت عليه فقتلته ثم قتلت نفسها فوقه ؛ وكان ذلك في اواسط القرن الرابع .

ولقد استطاع ملك الفرس في رحلته هذه ان يوطد سلطانه على فينيقية وسورية ، وظل موطداً الى اوائل الثلث الاخير من القرن المذكور حيث زحف الاسكندر المكدوني على بلاد الشرق واستولى عليها وكسر جيوش دارا وقوض مملكته وكان دارا نفسه من جملة المهلكى ، فدخلت فينيقية في جملة ما دخل تحت سيطرته وسلطانه من اقاليم الشرق .

وبما روي في سياق زحف الاسكندر انه استعان بسفن وملاحى الفينيقيين في زحفه على العراق حيث جعلهم يفكون السفن وينقلونها قطعاً ثم يركبونها ويسيرونها في نهر دجلة ليعبر عليها مع ائقاله ، وان كثيراً من التجار الفينيقيين رافقوا الجملة الى العراق وعادوا بأرباح عظيمة .

وبما روي في سياق استيلاء الاسكندر على فينيقية انه لما اقبل عليها خرج الى لقائه استراتون بين جيروستراتوس ملك ارواد وقدم له تاجاً من الذهب واعلن خضوعه له وسلمه مفاتيح ارواد ومدينة باراتوس المقابلة لها في البر والمعروفة اليوم باسم عين الحية ، وكان ابوه مع انبلوس صاحب جبيل وغيرهما من ملوك فينيقية وقبرص وحكامها في شيو مع العمارة البحرية التي حشدتها الفرس لمقابلة الزحف المكدوني ، وحينما دنا من جبيل خرج اليه رجالها مستسلمين وسلموه المدينة ثم دعاه اهل صيدا فدخلها منصوراً . وطبيعي انه استولى قبل ذلك على طرابلس والبترون ويبروت وغيرها من المدن <sup>١</sup> .

ولما جاء الى صور ارسل اهلها اليه وفداً مع هداياهم ليدفعوه عن مدينتهم بالتي هي احسن فأبدى رغبة في الدخول الى مدينتهم البحرية ليقدم قرباناً في هيكل هر كيل فخافوا ان يغدر بهم ويستندهم فافترحوا عليه تقديم القربان في هيكل المدينة البرية القديمة فاستاء من جوابهم وحاصر مدينتهم البحرية . وتأهبوا بدورهم للحصار والدفاع . وكانت

---

«١» تاريخ سورية جرحي بني ص ١٢٤ - ١٣٠ و ٤٩٤ وما بعدها والجزء الثاني المجلد الثالث من تاريخ

سورية للدبس ٥٣ وما بعدها

المدينة المحاصرة هي مدينة الجزيرة ، وكان لها سور ارتفاعه مئة وخمسون قدماً ، فلأودع  
بأدوات الحرب والشبان المسلحين . وعظم الامر على الاسكندر وقرر الاستحواذ على  
على المدينة مها طال الامر وشق . وحاول ان يردم البحر الى الجزيرة ليشق طريقه اليها  
فبذل الصوريون جهدهم في عرقلة محاولته واحباطها وتخريب ما بناء وازعاج البناء بالنبال  
والحجارة ، وحينئذ استعان بسفن صيدا وجبيل وقبرص وحاصروهم بجراً بالاضافة الى البر  
وضيق عليهم وتمكن في النهاية من اقامة السد بين اليابسة والجزيرة . ودارت رحى القتال  
بشدة اياماً عديدة بالنبال والحجارة والمجانيق ثم تغلب على المقاومة ودخل المدينة على  
رأس قواته . وقد التجأ بعض الصوريين الى الهياكل واحرق بعضهم انفسهم في مساكنهم  
مع اسرهم وبممتلكاتهم على غرار ما فعله اهل صيدا ، وكان بعضهم يغامر فيهاجم جنود  
الاسكندر اثلاً تذهب ارواحهم رخيصة . وقد امر الاسكندر بنهب المدينة وحرقها  
وفادى منادوه باباحة دم كل الناس عدا الذين يلجأون الى المعابد . وقد دام حصار صور  
سبعة اشهر فضربت هي الاخرى مثل صيدا مثلاً في المقاومة والعناد الوطني . ومع انه  
كان على رأس صيدا وصور وجبيل وارواد ملوك وطيون في ظرف زحف الاسكندر  
فان المؤرخين لم يعودوا يذكرون ذلك بعد الاستيلاء الاسكندري . وقد قالوا ان  
الاسكندر جعل فينيقية وسورية وكيليكيا ولاية واحدة واقام عليها والياً من رجاله  
اسمه مانسي وعين لجباية مال فينيقية رجلاً اسمه كربوانس حيث يكون هذا الاستيلاء  
قد انهى على ما هو المتبادر عهد الحكم الوطني العربي الجنس فقام مقامه حكم مكدوني  
يوناني ثم حكم يوناني سلوقي وبطلوسي في نطاق الدولتين اليونانيتين اللتين قامتتا في مصر  
وبلاد الشام ( ٣٣٣ - ٦٤ ق م ) ثم حكم روماني ( ٦٤ ق م - ٦٣٩ م ) ثم جاءت  
موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام متسنة بسمة العروبة الصريحة فحورت فينيقية من  
الحكم الاجنبي فقام السلطان العربي فيها عوداً على بده .

---

« ١٠ » لقد روي في سياق حكم اليونان ثم الرومان ان بعض المدن الفينيقية كانت احياناً تتمتع باستقلال  
ذاتي ، وعثر على نقود مكوكة باسمها عليها صور بعض حكاها على ما صوف نوره بمد . غير انه ليس  
هناك ما يسوغ القول بيزم بأن هؤلاء الحكام كانوا من اهل البلاد والارومات الدرية بل هناك دلائل على  
انهم كانوا من اليونانيين والرومانيين وبثابة حكم انطاقيين .

ولقد اخذت الموجات العربية الصريحة تنساح الى اطراف بلاد الشام والعراق في ظروف الفتح الاسكندري بل وقبلها بأمدمما وتطبع هذه البلاد بطابعها تدريجياً . وسجل التاريخ في سياق ذلك طروء جماعة من هذه الموجات على فينيقية وهي التي عرفت بالايطوريين في اواخر الحكم اليوناني . وهكذا صار الطابع العربي الصريح يعمل عمله في فينيقية اسوة ببلاد الشام الاخرى فلما جاءت موجة الفتح الكبرى اخذ يقوى ويتسع حتى شمل جميع البلاد الفينيقية .

هذا ومع ان من المحتمل ان يكون تسرب من الداخل الشامي جماعات من الموجات العربية الاخرى التي طرأت على هذا الداخل كالأماوريين والآراميين الذين تفرع منهم السريان فان التاريخ لم يسجل لهم بروزاً ونشاطاً خاصين متسمين بسمتهم في مجال الحكم والسلطان ؛ وهذا ما يجعل الكلام عن التاريخ السياسي العربي الجنس في دور العروبة غير الصريحة في فينيقية قاصراً على الكنعانيين الفينيقيين .





الموجبات العربية

في

الجنوب الشامي المعروف

بشرق الاردن وفلسطين

## مصادر تاريخ هذا الفصل

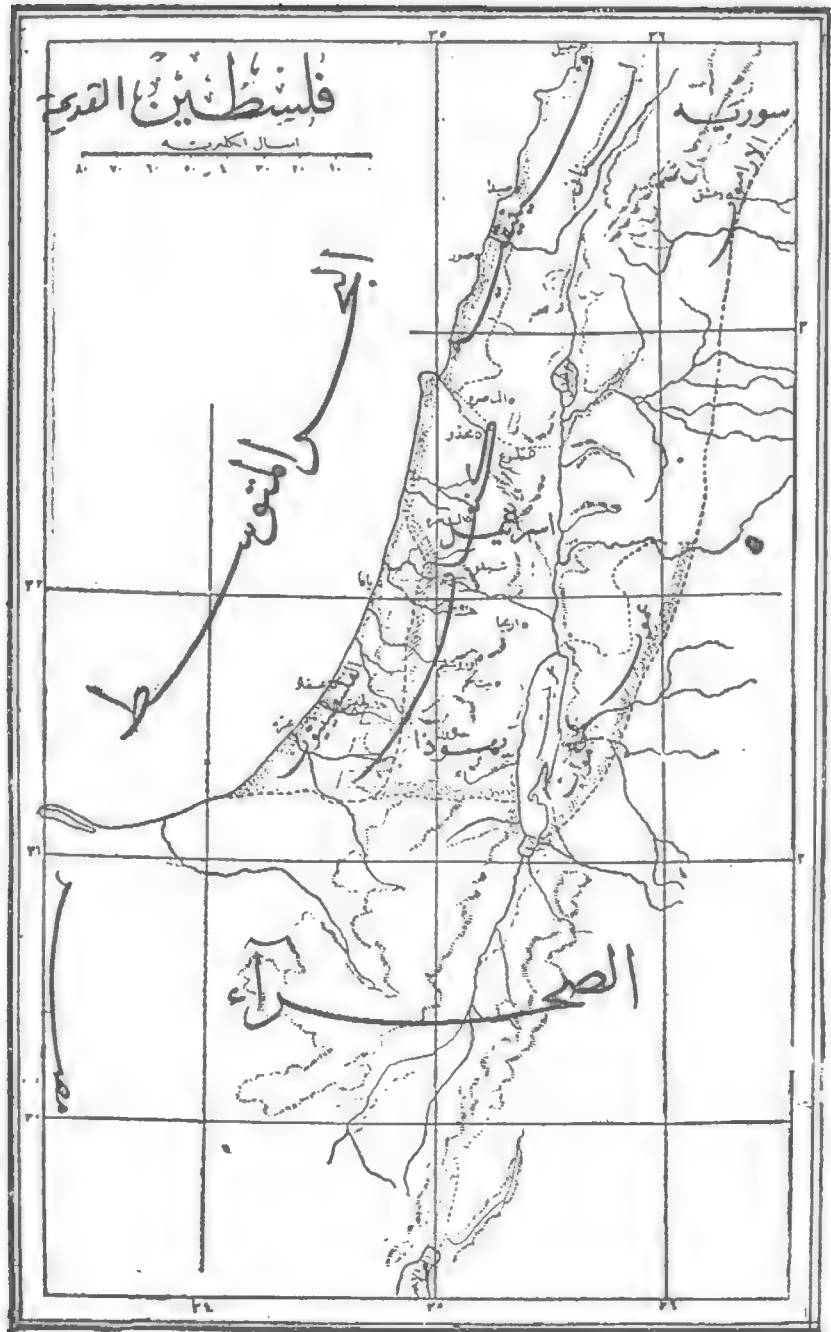
- ١ -

من المؤسف ان ثغرات تاريخ الموجات العربية غير الصريحة في شرق الأردن وفلسطين<sup>(١)</sup> باستثناء العبرانيين أو بني اسرائيل واسعة جداً بحيث يتعذر عرض سلسلة تاريخية بأي شكل ، لا من حيث المالك ولا من حيث اسماء الملوك ولا من حيث الاحداث والمآثر في حين ان اسماء عدد عظيم ، ان لم نقل العدد الاعظم ، من معالم هذا الاقليم بشطريه من انهار ووديان وآبار وعيون وسهول وجبال وهضاب وغيوان وقرى ومدن ما تزال تحمل الطابع العربي القديم الكنعاني والآموري والآرامي والعبراني كشاهد على انه صار منذ اقدم الازمنة موطناً للجنس العربي قبل العروبة الصريحة دون شريك مؤثر تأثيراً هاماً على هذه المعالم . وقد أبقت العروبة الصريحة على أكثر هذه الاسماء مع شيء من التطوير والتعديل فظلت الشهادة قائمة خالدة . وقد أوردنا أسماء منات قرى الاقليم بشطريه في مطلع الجزء كدليل راهن على ذلك

ونقول بعد هذا ان أكثر ما ورد عن الارومات العربية القديمة في هذا الاقليم قدورد في أسفار العهد القديم بمناسبة قصة طرود ابراهيم على أرض كنعان واستقراره فيها حوالي القرن العشرين على ما نجمن ثم بمناسبة قصة خروج بني اسرائيل من مصر واتجاههم بقيادة موسى نحو هذه الأرض حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهو كما يبدو لا يرقى إلى أكثر من القرن العشرين ومعظمه لا يرقى إلى أكثر من القرن الثالث عشر في حين ان حلول الكنعانيين في شرق الأردن وغربه مثلاً نجمن انه وقع في ظروف حلول اخوانهم الفينيقيين في الساحل الشامي الشمالي اي في أوائل أو أواسط الالف الثالث قبل الميلاد على ما ذكرناه قبل . وكل ما في الامر ان ما ذكر عنهم وعن غيرهم من الارومات التي يرجح انها من الجنس العربي جاء بأسلوب يفيد انهم كانوا مستقرين في هذه البلاد وانه كان لهم فيها مآثر ومظاهر سياسية وحضارية متنوعة .

---

«١» نستعمل تعبير فلسطين في تسمية الاقليم الواقع غرب الاردن تجوزاً وكما يسمى اليوم . وهذا التعبير لم يطلق على فلسطين الا قبل الميلاد اسميحي اقتباساً من اسم شعب بلس الذي جاء من جزر اليونان واستقر في جنوب فلسطين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وكان اسم ارض كنعان هو الذي يطلق على هذا الاقليم او على الجزء الاكبر منه على الأقل نسبة الى شعب كنعان الذي كان مستوطناً فيه .



وقد ورد عنهم شيء في رسائل تل العمارنة التي كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد .  
كما ورد عنهم شيء في نقوش الآشوريين التي كتبت بين القرن العاشر والقرن السابع  
قبل الميلاد .

غير ان جميع ما ورد عنهم نتف مقتضبة ومفرقة لا تساعد كما قلنا على عرض سلسلة  
تاريخية ما .

ولقد كتب بيك الانكليزي في سنة ١٩٣٤ كتاباً ضخماً في تاريخ شرق الأردن ترجمه  
إلى العربية بهاء الدين طوقان وقد ذكر له مصادر كثيرة افرنجية وعربية . لكن ما احتواه  
الكتاب من تاريخ الارومات العربية الجنس القديمة في شرق الأردن والذي استند فيه الى  
بعض النقوش والمدونات القديمة ومنها أسفار العهد القديم لا يرقى أولاً إلى أكثر من القرن  
العشرين قبل الميلاد وليس ما ورد فيه مع ذلك إلا نتف مقتضبة ليس فيها غناء .

وأحدث ما صدر من كتب تاريخ بلاد الشام القديم هو كتاب تاريخ سورية وفلسطين  
ولبنان للدكتور فيليب حتي ، وهو مؤرخ مشهور واسع الاطلاع . ومع ذلك فليس في  
هذا الكتاب عن فلسطين وشرق الأردن إلا نتف عابرة من تاريخها القديم — باستثناء بني  
اسرائيل الذين توسع قليلاً في تاريخهم — برغم ما كان فيها من عناصر عربية الجنس كنعانية  
وآمورية كان لها كثير من المدن والممالك والنشاط على ما ورد في اسفار العهد القديم  
ونقوش الآشوريين .

ومع انه جرى تنقيبات عديدة في شرق الأردن فان ما جرى قليل بالنسبة لما فيه من  
خرائب واطلال ولم يعثر على شيء ذي غناء في حدد التاريخ السيامي لهذه المنطقة .  
ويقال شيء من هذا بالنسبة لغرب الأردن — اي فلسطين — وان كانت التنقيبات التي  
جرت فيها أوسع .

فنحن مضطرون والحالة هذه الى الاقتضاب في تاريخ الارومات العربية الجنس القديمة  
في شرق الأردن وفلسطين والاقتصار على نبذ مستفادة من المصادر المذكورة آنفاً ، مع  
التنبية على اننا لن نستطيع الاسباب نفسها ان نكتب بحثاً خاصاً لكل من هذه الارومات  
وكل ما سوف نفعله ان يكون كلامنا شاملاً لهم جميعاً في سياق واحد مع تعيينهم بقدر  
ما يمكن فيما سجله التاريخ لكل منهم من بروز ونشاط ، باستثناء بني اسرائيل الذين  
ساعدت المدونات على كتابة تاريخ خاص ومسهب لهم .

ولما كان أكثر ما ورد عن الارومات التي يرجح انها عربية الجنس في شرق الاردن وفلسطين انما ورد في اسفار العهد القديم كما قلنا فيحسن ان نقول كلمة في هذه الاسفار .

ان هذه الاسفار تسعة وثلاثون حسب الطبعة البروتستانتية وستة وأربعون حسب الطبعة الكاثوليكية . والخمسة الاولى منها أي التكوين والخروج واللاويين والعدد والثنية منسوبة الى موسى الذي عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد على ما نؤمن . ويأتي بعدها في الطبعة البروتستانتية اسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول وصموئيل الثاني والملوك الاول والملوك الثاني واخبار الايام الاول واخبار الايام الثاني وعزرا ونحميا واستير وايوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد واسعيا وارميا والمراثي وحزقيال ودانيال وهوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وفاحوم وحبقوق وصفينا وحجي وزكريا وملاخي . ويسمى صموئيل الاول وصموئيل الثاني في الطبعة الكاثوليكية باسم الملوك الأول والملوك الثاني ويكون سفر الملوك الاول والملوك الثاني في البروتستانتية فيها الملوك الثالث والملوك الرابع .

وفي الكاثوليكية اسفار زائدة على ما في البروتستانتية وهي سفر طوبيا وسفر يهوديت بعد سفر نحميا . وسفر الحكمة وسفر يشوع بن سيراخ بعد سفر نشيد الانشاد . وسفر باروك بعد المراثي ، وسفر المكابيين الاول وسفر المكابيين الثاني بعد ملاخي . وتسمى هذه الطبعة سفر اللاويين بسفر الاحبار .

والاسفار اجمالا تنقسم بالسمة الدينية . ومنها ما هو تاريخي في الدرجة الاولى مثل اسفار التكوين والخروج والعدد ويوشع والقضاة وصمويل والملوك واخبار الايام واستير وعزرا ونحميا ودانيال وارميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابيين - والثلاثة الاخيرة من زوائد الطبعة الكاثوليكية - ومنها ما هو اخلاقي وتقديسي وتسريري ومرائي وانذار وتنبؤات وهي اسفار الاحبار واللاويين والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة ويشوع بن سيراخ - والاثنان الاخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية - واسعيا ومراتي ارميا وباروك - وهذا من تلك الزوائد - وهوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا وفاحوم وحبقوق وصفينا وحجي وزكريا وملاخي . وهي مع ذلك تمثل ناحية

هامة من تاريخ وحياة بني اسرائيل الدينية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية . وهناك سفران ليس لهما صلة ببني اسرائيل وهما سفر اأيوب ويونان . والثاني هو النبي يونس المذكور في القرآن على ما تنيده المقابلة بين محتواه وقصة يونس القرآنية . والاول هو اأيوب المذكور في القرآن ويحتوي قصته التي المع اليها القرآن كذلك . وهناك سفر مغفل السمة وهو سفر يسوع بن شيراخ الذي هو من زواته الطبعة الكاثوليكية وهو تشريعي واخلاقي .

ومن الاسفار ما هو طويل تزيد صفحاته على الخمسين والمئة ومنها ما هو قصير لا يتجاوز صفحاته العشرين بل منها ما هو ثلاث صفحات .

وقد احتوى سفر التكوين قصة الخليفة وطوفان نوح ومواليد، ثم قصة نزوح ابراهيم الى ارض كنعان وذريته فيها ثم في مصر الى نهاية حياة يوسف . واحتوت اسفار الخروج والعدد قصة نبوة موسى وآياته وخروجه مع بني اسرائيل وطروئهم على شرق الأردن . واحتوت اسفار يشوع والقضاة وصمويل والملوك واخبار الايام قصة بني اسرائيل الى ما قبل السبي الذي وقع في الثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد واحتوت اسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال وارميا وراعوث ويوديت وطوبيا والمكابين قصتهم في اثناء السبي وبعده .

ومن الاسفار الاخلاقية والتقدسية والتشريعية والحكمية والتنبؤات والمرائي والانذار والرؤى ما هو متصل بحقبة بني اسرائيل وحالتهم قبل السبي ومنها ما هو عائد الى حقبة بني اسرائيل اثناء السبي وبعده .

ومن الجدير بالذكر ان سفر التكوين الذي هو من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى والذي يحتوي تاريخ ما قبل موسى لا يحتوي اي عبارة تشير الى علاقة موسى به رواية أو تدويناً أو املاءً خلافاً للاسفار الاربعة الاخرى أي الخروج والاحبار أو اللاويين والعدد والتثنية . والى هذا فان في الاسفار الاربعة عبارات تدل على انها لم تكتب من قبل موسى ولا باملاته ولا في حياته وانما كتبت بعده وقد تكون كتبت بعده بمدة طويلة بل قد تكون كتبت او اعيد كتابتها بعد سبي بني اسرائيل من اورشليم - القدس - وعودتهم من السبي في القرن السادس قبل الميلاد . ففي كل من سفر العدد والاحبار والتثنية شؤون واحداث ووصايا وتشريعات متنوعة مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص في سفر الخروج السابق عليها في الترتيب . وفي سفر التثنية شؤون واحداث ووصايا

وتشريعات مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص في أسفار الخروج والعدد والاعخبار السابقة عليه . وفي كل من الأسفار الأربعة اشارات الى ما سوف يحل بني اسرائيل من مصائب وشدائد واجلاء عن ارض كنعان وعودة اليها في سياق الترويع في اتباع وصايا الرب ورسومه والانذار في حالة مخالفتها، وقد احتوى سفر اخبار الايام كثيراً مما احتوته أسفار صموئيل والملوك الأربعة التي سبقتها في الترتيب بشيء من الزيادة والنقص ايضاً ، بل وقد احتوى بعض ما احتوته أسفار التكوين والخروج والعدد ، جميع هذا لا يصح إلا في حالة تعدد الكتاب واختلاف الاوقات واستقاء الكتاب من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق وبعض التخالف كما ان فيه واقع بني اسرائيل وسيرتهم بعد طردهم على ارض كنعان - غرب الاردن او فلسطين - وهو ما وقع بعد موسى وما لم يذكر وقوعه في الأسفار الخمسة وما لا يعقل ان يرد فيها تلك الاشارات اليه إلا بعد وقوعه . وفي آخر اصحاحات سفر التثنية ذكر موت موسى ودفنه في الوادي في ارض مؤاب ثم قيل « ولم يعرف قبره الى يومنا هذا » والعبارة تفيد ان كتابتها وبالتالي كتابة الاصحاح ثم كتابة السفر انما كانت بعد مدة طويلة جداً من موت موسى . وفي سفر التكوين اسماء الشعوب التي كانت في فلسطين قبل قدوم ابراهيم ثم قبل خروج بني اسرائيل من مصر الى فلسطين، ووعد لابراهيم بأنه سوف يعطيه اراضيهم مع سعة حدود ما وعد به في مكان وضيقها في مكان آخر <sup>(١)</sup> ، وتكرر فيه اسم الفلسطينيين في سياق سيرة اسحاق <sup>(٢)</sup> الذي يحتمن انه من رجال القرن العشرين قبل الميلاد في حين ان الفلسطينيين لم يطرأوا على فلسطين الا في القرن الثالث عشر ، وهذا وذاك يدلان على ان السفر كتب بعد طرد بني اسرائيل على ارض كنعان (فلسطين) بعدة غير يسيرة تصاولوا في اثناها مع الفلسطينيين في جولات عديدة كانوا يغلبون فيها حيناً ويغلبون حيناً . وهناك ما يدل على ان الأسفار التي احتوت احداث ما قبل السبي قد تبعثرت في اثناء المحن التي حلت ببني اسرائيل ثم رتبت او اعيد تدوينها بعد السبي ، بل وهناك ما يدل على ان بعضها كتب بعد السبي . ففي الاصحاح الثالث من سفر اخبار الايام الأول مثلاً سلسلة اسماء ملوك يهوذا الى آخرهم صدقيا الذي نسفت دولة يهوذا في عهده على يد نبوخذ نصر . وفي الاصحاح التاسع منه هذه الجملة « وسبي يهوذا الى بابل لأجل خيانتهم » وفي الاصحاح السادس والثلاثين من سفر اخبار

« ١٥ » اقرأ مثلاً الاصحاحات ١٢ و ١٣ و ١٥ و ١٧ و ٢٨

« ٢٢ » اقرأ مثلاً الاصحاح ٢٦



الأيام الثاني هذه الجملة « وفي السنة الاولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح كورش فأطلق نداء في كل مملكة قائلاً ان الرب اعطاني جميع ممالك الأرض وأوصاني ان ابني بيتاً له في اورشليم التي في يهوذا فمن منكم من شعبه فليصعد والرب معه » بما فيه دلالة قاطعة على ان السفر الاول كتب على الاقل في نهاية مملكة يهوذا وعلى ان السفر الثاني كتب حتماً بعد السبي .

وسفر الملوك الثاني يذكر ملوك دولتي اسرائيل ويهوذا الى نهايتها بما في ذلك نفس نبوخذنصر لدولة يهوذا وسبي اهلها الى بابل ويذكر بعض احداث جرت بعد السبي أو عقبه بما فيه دلالة قاطعة على انه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلاً عن احتمال كتابته بعد السبي وهو ما نرجحه . ولما كان هذا السفر هو استمرار لسيرة ملوك يهوذا واسرائيل التي بدى بها في السفر الاول فالكلام المذكور ينسحب على هذا السفر ايضاً كما هو المتبادر . وفي الاصحاح الخامس والاربعين من سفر اشعيا الذي عاش في أيام ملوك يهوذا يوثام وحزقيا وعزبا وآحاز اسم كورش وتغلبه بما يدل على انه كتب بعد السبي وفيه كذلك هذه العبارة « اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين » بما فيه تأكيد لذلك .

ولا تخلو أسفار أخرى من التي تتكلم عن ما قبل السبي من دلائل وقرائن ماثلة تسوغ القول انها كتبت بعد السبي ايضاً . بل انه ليس من التجوز ان يقال بناء على بعض الدلائل والقرائن ان الاسفار الاخرى العائدة لحقبة قبل السبي قد دونت أو أعيد تدوينها بعد السبي .

غير ان هناك ما يدل ايضاً على ان هذه الاسفار قد نقلت محتوياتها من اسفار غير موجودة في عداد الاسفار المتداولة . ففي الاصحاح الثاني عشر من سفر اخبار الأيام الاول مثلاً هذه الجملة « وامور رجب عام الاولى والاخيرة اما هي مكتوبة في اخبار شمعيال النبي وعدو الرائي » . وليس بين الاسفار اسفار باسم شمعيال النبي وعدو الرائي .

وفي الاصحاح العاشر من سفر يشوع هذه الجملة « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائه . ليس هذا مكتوباً في سفر ياشر . وليس بين الاسفار سفر بهذا الاسم .

وفي سفر الملوك الاول - صموئيل الاول في الكاثوليكية - هذه الجملة « وأمور سليمان وكل ما صنع وحكمته اما هي مكتوبة في سفر امور سليمان . وليس هناك سفر بهذا

الاسم بين الاسفار المتداولة . وكثيراً ما جاء في أسفار الملوك هذه الجملة « وبقية أمور الملك فلان اما هي مكتوبة في سفر اخبار الايام لملوك يهوذا أو لملوك اسرائيل » وليس بين الاسفار ما يحمل هذه العناوين وليس في اسفار اخبار الايام المتداولة ما أريد الارجاع اليه أو شيء شاف فيه . والعبارة قد تفيد انه كان لكل من ملوك اسرائيل ويهوذا - دولتي اليهود بعد سليمان - اسفار بأسماء اسفار ملوك اسرائيل واسفار ملوك يهوذا واخبار الايام لملوك اسرائيل واخرى لملوك يهوذا فيها تاريخهم . ففي هذا وامثاله دليل على ان كثيراً مما احتوته اسفار العهد القديم وخاصة التاريخية التي يرجح تدوينها بصيغتها الحاضرة بعد السبي منقول عن أصول مدونة قبلها كان اخبار اليهود يحتفظون بها .

فهذه الامثلة قد تسوغ القول ان احداث موسى وما بعده قد دونت في ظروف مقاربة لحدوثها في مدونات كانت مقتبساً للاسفار التي ذكرتها والتي كتبت في ظروف السبي أو بعده أو أعيد تدوينها في هذه الظروف ويصح ان تكون موضع اعتماد مع التحفظ بسبب ما فيها من غلو ومتناقضات ومفارقات .

وهناك نقوش مصرية وأشورية أوردناها في الجزئين السابقين وهناك نقوش أردني سوف نورده في الفصل التالي تعود إلى أحداث بين بني اسرائيل وبين ملوك آشور ومصر وشرق الاردن قبل السبي بمدة طويلة حتى ان بعضها يعود الى القرن التاسع قبل الميلاد متطابقة الفحوى مع بعض ما ورد في هذه الاسفار التي كتبت في ظروف السبي أو بعده . ولم تكن هذه النقوش قد كشفت وقرئت مما يدل على انها مستقاة من مدونات قديمة . وهذا من اسباب ما يجعل هذه الاسفار محل اعتماد ما . وبالإضافة الى ذلك فان ما ورد في الاسفار من اعلام واسماء وجزئيات لا يعقل ان يكون من نسج الخيال . وكل ما يمكن ان يكون ان الخيال والتعصب وظروف التدوين قد اثر في بعض ذلك فأدى إلى ما ذكرناه من غلو ومفارقات .

وهذا الذي نقوله يمكن ان يقال بالنسبة لمحتويات سفر التكوين وخاصة من عهد ابراهيم وذريته وان كان التحفظ ازاءه اوجب بسبب قدمه وعدم وجود مستندات اخرى مؤيدة له .

فاستمرار تداول اسم ابراهيم وذريته وسكنهم في ارض كنعان وانتشار بعضهم في شرق الاردن ونزوح يعقوب واسرته الى مصر واتصال ذلك بواقع خروج بني اسرائيل

بقيادة موسى من مصر وواقع طروثهم على شرق الاردن وغربه مما يسوغ القول ان ما احتواه هذا السفر من تاريخ ابراهيم ويعقوب وذريتها وما كان من احداث واعلام ومكان في شرق الاردن وغربه لا يخلو من حقيقة ، وان الاعلام والاحداث والجزئيات لا يعقل ان تكون من نسج الخيال ولا سيما ان من ذلك ما هو متطابق مع الواقع اليقيني في شرق الاردن وغربه ، وكل ما يكون هو ان منظم ما جاء فيه من ذلك كان مما تتداوله الروايات جيلا بعد جيل وتعرض بسبب ذلك ثم بسبب ظروف التدوين والتعصب للزيادة والنقص والغلو والمفارقات والمتناقضات .

## صور عن شرق الاردن وفلسطين

قبل طرؤ بني اسرائيل

في القرن الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد

مقتبسة من سفر التكوين

واليك الآن ما يمكن اقتباسه من سفر التكوين عن أحوال شرق الاردن وفلسطين في الفترة السابقة لطرؤ بني اسرائيل عليها بقيادة موسى ويوشع اي في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد بل في ظروف حياة ابراهيم واسحق ويعقوب في فلسطين التي تخمن انها في القرن العشرين أو التاسع عشر قبل الميلاد . ومن واجبتنا ان ننبه على ضرورة التحفظ ازاء ما نقتبسه من هذا السفر بناء على ما ذكرناه قبل وعلى احتمالات احتوائه كثيراً من الحقائق بسبب انه ذكر ثانية واكثر من مرة في ظروف سيرة بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر :

١ - ان أول ما ذكر في هذا السفر اسم موقع شكيم حيث كان أول موقع نزل فيه ابراهيم حين طرؤته على ارض كنعان على ما جاء في الاصحاح الثاني عشر . وتفيد العبارة ان هذا الاسم هو اسم مدينة او قرية قديمة قبل ابراهيم . وقد جاء في الاصحاح بعد ذكر نزول ابراهيم في هذا الموقع عبارة « والكنعانيون حينئذ في الارض » حيث يفيد هذا ان شكيم كنعانية وان جماعات كبيرة من الكنعانيين توطنوا غرب الاردن قبل القرن العشرين قبل الميلاد وأنشأوا فيها المدن . وقد ذكر اسم شكيم في الاصحاح الثالث والثلاثين من السفر نفسه بمناسبة عودة يعقوب من فدام آرام مع زوجاته وأولاده حيث

قال الاصحاح « ثم اتي يعقوب شيلم مدينة اهل شكيم التي بأرض كنعان حين جاء من فدّام آرام » وهذه العبارة تفيد ان شكيم كانت قرية أو مدينة ثانوية تابعة لمدينة رئيسية هي شيلم . ولقد ذكر الاصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الثالث في الطبعة الكاثوليكية والاول في البروتستانتية اسم شكيم كمدينة كبيرة في وسط غرب الاردن . ومن المتواتر ان مدينة نابلس اليوم تقوم مكانها ، حيث يفيد هذا ان المدينة تعاظمت مع الزمن حتى حارت رئيسية في القرن العاشر قبل الميلاد بل وقبله على ما يستفاد من الاحداث التي ذكرت بمناسبةها .

ويبدو من كون موضع شكيم أول ما نزله ابراهيم ان ابراهيم جاء الى ارض كنعان من شرق الاردن فاجتاز نهر الاردن ثم سلك طريق النور المعروفة اليوم بغور الفارعة لأن هذه الطريق تؤدي الى نابلس اليوم وشكيم الامس . وقد ظلت هذه الطريق ممراً لمن يأتي من العراق وبين النهرين إلى غرب الاردن . وقد سلكها يعقوب بعد ابراهيم كما مر بيانه .

ب - ثم ذكر الاصحاح الثاني عشر نفسه اسمي عاي وبيت ايل بهذه العبارة « ثم انتقل - اي ابراهيم - من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل وضرب خبائه وغربه بيت ايل وشرقيه العاي » وقد ذكر مفسرو الاسفار ان موقع العاي هو بين ما يعرف اليوم بقريتي دير دهبان ونحاس في منطقة رام الله وان بيت ايل هي التي تعرف اليوم ببيت اين<sup>١</sup> .

وقد ذكر الاصحاح ٣٥ من سفر التكوين ان اسم بيت ايل القديم هو لوز وان يعقوب هو الذي سماها بهذا الاسم لأن الرب تجلى له عندها .  
وقد ذكر الاصحاح (٣٥) من التكوين ان اسم بيت ايل القديم هو لوز وان يعقوب هو الذي سماها بهذا الاسم لان الرب تجلى له عندها .

ت - ثم ذكر الاصحاح الثالث عشر اسماء مدن سدوم وعموره وصوغر التي كان اسمها بالغ بمناسبة ذكر اتفاق ابراهيم مع لوط على الافتراق عن بعضها بسبب كثرة مواشيها وتقديراً من النزاع بين الرعاة .

---

« ١ » جلد البرانيين للديس ص ٢٠ وما بعدها

هذه المدن الثلاث في غور الاردن في جوار البحر الميت على ما تفيد، عبارة الاصحاح بأنها جميعها سقي وانها كانت كجنة الارض مثل ارض مصر مما يدل على ما كانت عليه من قوة الخصب ونضرة المنظر .

ث - ثم ذكر الاصحاح الرابع عشر اسماء مدن ادمه وصبوئيم واسماء خمسة ملوك من ملوك ارض كنعان وهم بارع ملك سدوم ووبرشاع ملك عمورة وشناب ملك ادمه وشمير ملك صبوئيم وملك بالبع بدون اسم حيث يدل على ان هذه المدن هي كراسي الممالك الخمسة وان هذه الممالك كانت من الممالك الموجودة في ارض كنعان قبل مجيى ابراهيم . وهذه المدن والممالك كانت في وادي الاردن على ما تفيد، عبارة سفر التكوين . والساحة العربية بادية هي الاخرى على اسماء المدن والملوك .

وقد ذكر الاصحاح هذه الاسماء بمناسبة ذكره الحرب التي شنها اربعة ملوك جاؤا من ناحية العراق وهم امر اقل ملك شنعار واريوك ملك الاشار وكدرلاومر ملك عيلام وتدعال ملك بوبيم . وتفيد العبارة ان هؤلاء الملوك غزوا شرق الاردن وحوض الأردن مرتين . ففي المرة الأولى حاربوا الملوك الخمسة في غور السديم وهو بحر الملح أي بحر الميت - وخضع الملوك الخمسة لكدرلاومر اثني عشرة سنة حيث يدل هذا على ان هذا الملك كان صاحب الكلمة العليا على الملوك الآخرين الذين جاؤا معه . ثم عصاه ملوك الاردن فأقبل في السنة الرابعة عشرة ومعه الملوك الذين جاؤا معه للتكامل بالعصاة وقمع عصيانهم .

فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك ادمه وملك صبوئيم وملك بالبع فصافوهم للحرب في غور السديم . وقد انهزم ملكا سدوم وعمورة فسقطا في آبار النمر التي كانت في غور السديم . اما باقي الملوك فقد هربوا الى الجبل . وغنم الغزاة جميع اموال سدوم وعمورة ومضوا . واخذوا لوطاً الذي كان يقيم في سدوم في جملة الاسرى وامواله في جملة المنهوبات . وقد ذكر الاصحاح ان الخبر وصل الى ارام العبراني وهو مقيم عند بلوطات بمرا الاموري اخا اشكول وعانز حلفانة . فجرد رجاله الذين كان عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر وجد في اثر الغزاة وكسرهم واتبعهم الى صوبية التي في يسار دمشق واسترجع جميع المال ولوطاً والنساء وسائر القوم .

ج - وبلوطات بمرا المذكورة هي في جبرون ( مكانها اليوم مدينة الخليل ) على ما

ذكره الاصحاح الثالث عشر الذي ذكر ان ابراهيم انتقل بخيامه اليها من بيت ايل <sup>١</sup> بحد افتراق لوط عنه . واسم مبرا اسم زعيم آموري على ما تفيد العبارة . ومن المحتمل ان يكون اشكول وعانر من زعماء هذه المنطقة وامورين مثل مبرا . وهذا يعني انه كان في فلسطين بالاضافة الى الكنعانيين جماعات من الاموريين الذين كانوا في هذا الطرف يعمرن بلاد الشام والذين هم كالكنعانيين من الجنس العربي الذين يسميهم الباحثون ساميين <sup>٢</sup> .

ح - وقد ذكر الاصحاح الرابع عشر بمناسبة الغزوة العراقية اسماء مدن وشعوب عديدة حيث قال ان كدور لاومر حينما اقبل في السنة الرابعة عشرة مرة ثانية ضرب مع الملوك الذين معه اولا الرفائيين في عشتاروت قرينم والزوزيين في هام والاييين في شوى قريتايم والخوريين جبلهم سعيير الممتد الى سهل فاران الذي عند البيرة . ثم رجعوا الى عين شفاط التي هي قادش فضربوا كل ارض العالقة والاموريين المقيمين في حصصوت قلمار . ومواقع الرفائيين والزوزيين والاييين والخوريين ومدنهم المذكورة هي في شرق الاردن على ما ذكره مفسرو اسفار العهد القديم <sup>٣</sup> وما تدل عليه نصوص اخرى والخبر يفيد ان هؤلاء الاقوام ومدنهم كانت موجودة في شرق الاردن قبل طروء ابراهيم الذي كانت الغزوة في حياته وابان وجوده في ارض كنعان .

ولا يصف السفر ارومه هؤلاء الاقوام . والمعروف ان الاموريين موجة كبرى جاءت من جزيرة العرب في اواسط الالف الثالثة قبل الميلاد وانتشرت في بلاد الشام وخاصة في الاقسام الشمالية والشرقية ، ثم ذهب منها جماعات الى العراق فانشأوا الدولة البابلية الاولى على ما ذكرناه في الجزء الثالث . والظاهر ان جماعات منهم اتجهت نحو الجنوب الشامي واستقرت فيه وغدت جزءاً من سكانه قبل القرن العشرين قبل الميلاد . وقد اشير اليهم مرات عديدة في الاسفار التالية للتكوين وبمناسبة طروء بني اسرائيل على شرق الاردن وفلسطين بعد خروجهم من مصر بأسلوب واحداث تدل على انهم كانوا في هذا الوقت مستقرين في شرق الأردن وفلسطين ولهم الدول والملوك والمآثر والبروز امتداداً لما قبل . وقد ذكر الحوريون مرة اخرى في الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين في سياق ذكر ذرية عيسو بن اسحق وسكنائها جبل سعيير وقبائلها

(١) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي ترجمه حداد ص ٦٢ و ٧١

(٢) مجلد مقال العبرانيين للديس ص ٢٠ وما بعدها

وزعمائها في ارض أدوم التي يقع فيها جبل سعيير بل التي كانت تسمى جبل سعيير قبل ان تسمى ارض أدوم لان أدوم هو عيسو وقد سميت البلاد باسمه حينما نمت ذريته وكثرت حسب ما تنفيده عبارة الاصحاح المذكور . وسعيير أو أدوم هي المنطقة الجنوبية من شرق الاردن التي تقع فيها معان وبعض انحاء العقبة ووادي موسى والبتراء الخ . وقد جاء ذكرهم بهذه العبارة <sup>١</sup> « هؤلاء بنو سعيير الحوري سكان الارض لوطان وشوبال وصيعون وعانة وريشون وايصر وديشان . هؤلاء زعماء الحوريين بني سعيير في ارض أدوم . وبنو لوطان حوري وهيام . واخت لوطان تمناع . وهؤلاء بنو شوبال عاون ومنحت وعيبال وشفو واوانم . وهذان ابنا صيعون اية وعانة . وعانة هذا هو الذي وجد المياه الحميمة في القفر حين كان يرعى حمير صيعون ابيه . وهذا ابن عانة ديشون . وبنت عانة اهليبامة . وهؤلاء بنو ديشان حمدان واشبات وتيران وكران . وهؤلاء بنو ايصر بلهان وزعوان وعقان . وهذان ابنا ديشان عوض وأران . وهؤلاء زعماء الحوريين الزعيم لوطان والزعيم شوبال والزعيم صيعون والزعيم عانة والزعيم ديشون والزعيم ايصر والزعيم ديشان . هؤلاء زعماء الحوريين في ارض سعيير . » ومن المحتمل أن تكون الاسماء الاولى هي لاصحاب رئاسات الفروع التي كانت تسمى باسماء آباؤها الاولين والثانية هي لاصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت باسماء الفروع .

والعبارة قد تضد ان هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سعيير او ادوم امتداد الوجودهم فيها منذ حياة ابراهيم حيث تعرضوا آنذاك لغزوة العراقيين وذكرها بمناسبة . واللمحة العربية القديمة بادية على الاسماء بقوة حيث يسوغ القول إنهم من أرومة عربية الجنس حلت في جبل سعيير قبل القرن العشرين قبل الميلاد بعدة ما وامتد وجودها ونشاطها إلى زمن خروج بني اسرائيل من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبعده ؛ ولا سيما إن هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ومن المعقول ان تكون من اول مجالات تروج الجماعات التي كانت تخرج من جزيرة العرب آنأ بعد آخر . ولا يبعد أن تكون كنعانية الارومة . لان هناك نصاً سنورده فيما بعد يذكر صراحة انه كان في هذه المنطقة جماعات من الكنعانيين لهم مدنها وممالكهم .

نقول هذا ، وننبه في الوقت نفسه على ان فيليب حتي في كتابه تاريخ سورية ولبنان

وفلسطين ذكر الحوريين كجاعة آرية برزت في شمال سووية وبين النهرين وكان لها نشاط في ظرف حركة الهكسوس (٩٠٠-١٦٠٠ ق م) امتد إلى بعض انحاء ارض كنعان<sup>١</sup> ولقد ذكر سليم حسن في كتابه مصر القديمة<sup>٢</sup> نشاطاً مماثلاً في نفس الظروف والمجال لجماعة سماهم الحورانيين ووصف ارومتهم بالآرية مما يحتل أن يكونوا نفس الحوريين الذين ذكرهم حتي بل بما يرجح ان يكونوا كذلك . غير اننا نتساءل عما إذا كان هؤلاء هم نفس الحوريين الذين ذكروا في سفر التكوين كجاعة متوطنة في اقصى الجنوب من شرق الاردن ام غيرهم ؟ ونحيل إلى الاجابة سلباً على هذا السؤال بناء على ما ذكرناه من صفاتهم واسمائهم إذا صحت رواية هذا السفر عنهم<sup>٣</sup> .

ولقد ذكر الاصحاح السادس والثلاثون ايضاً في سياق الحوريين وزعمائهم ومواليد عيسو بن اسحق الذي سكن في جبل سعيير ونمت فيها ذريته وصار لها فيها قبائل وزعامات ايضاً سلسلة اسماء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم قبل ماملك ملك لبني اسرائيل .

وهذه السلسلة هي (١) بالبع بن يعور وكانت مدينته أي عاصمته دنهية (٢) يوباب بن زارح من بصرة وملك بعد بالبع (٣) حوشان من أرض التيماني وملك بعد يوباب (٤) هداد بن بداد وكانت مدينته عويت وملك بعد حوشام وهو الذي كسر مديات في بلاد مؤاب (٥) سملة من مسريقة وملك بعد هداد (٦) شاؤول من رحوبوت النهر وملك بعد سملة (٧) بعل حانات بن عكبور وملك بعد سملة (٨) هدار من مدينة فاعو وملك بعد بعل حانات .

ولا يصف الاصحاح أرومات هؤلاء الملوك . فمن الممكن ان يكونوا من ذرية عيسو كما من الممكن ان يكونوا من الحوريين . واللحمة العربية بأذية على اسمائهم واسماء مدنهم بحيث يسوغ القول انهم من الأرومات العربية الجنس على كل حال سواء أكانوا من ذرية عيسو أم من الحوريين .

ويظهر من العبارة أن الملوك من عشائر وأسر ومدن مختلفة . ولعل كلاً منهم كان ملكاً

(١) انظر من ١٦١ — ١٦٥ تعريب حداد

(٢) ج ٤ ص ١٨٧ — ١٩٥

(٣) ان فليپ حتي يقول انهم الذين ذكروا في العهد القديم ولكن لا يسند قوله الى سند ما

ص ١٦٥



في مدينته ثم كان يفرض حكمه على جميع منطقة ادوم او سعيو التي كانت تشغل الجزء الاكبر من شرق الاردن من ناحية الجنوب .

ولما كان أول ملك لبني اسرائيل هو شاول الذي يسميه القرآن طالوت ، وكانت حكمه في اواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد فيكون حكم هؤلاء الملوك في الحقبة السابقة لهذا الظرف . ولا يمكن الجزم بما إذا كان هؤلاء الملوك هم جميع من تولوا ملك المملكة الآدومية قبل ملك بني اسرائيل او قسماً منهم ، وان كنا نغلب الى الرأي الآخر لأن ملك ثمانية ملوك مها طال لا يزيد عن متين او ثلاثمائة سنة في حين ان وجود الارومات العربية الجنس في هذه المنطقة يمتد الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد بكثير ؛ ومن المحتمل ان يكون هؤلاء الملوك من الحوريين .

اما العمالة فلم يذكرها مرة اخرى في سفر التكوين ولكنهم ذكروا في اسفار اخرى بمناسبة ما كان بينهم وبين بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر من احداث بلفظ عماليق ففي الاصحاح السابع عشر من سفر الخروج ان العماليق جاؤوا وحاربوا اسرائيل حينما خرجوا من مصر في موقع رفيديم الذي ارتحلوا اليه من بركة سيناء ، وقد انتصر بنو اسرائيل عليهم بتأييد الرب . وفي الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الاول خبر زحف شمعون على عماليق وخرّبهم من حويلة الى شور التي تقابل سرمة وقبضه على ملكهم اجا حياً واستيلائه على مواشيهم - والمنطقة في صحراء سيناء - وفي الاصحاح السابع والعشرين من نفس السفر خبر حرب بين داود والعماليق سكان الأرض من شور الى ارض مصر وفي الاصحاح الثلاثين من نفس السفر خبر زحف العماليق على مدينة صفلاح التي كانت ينزل فيها داود في ارض الفلسطينيين في جنوبي فلسطين حيث يدل كل هذا على ان منازلهم كانت في جنوب شرق الاردن مما يلي صحراء سيناء او النقب . والمتبادر انهم هم ايضاً من القبائل العربية الجنس التي طرأت على فلسطين وشرق الاردن قبل قدوم ابراهيم وعشيرته الى ارض كنعان وظلوا فيها إلى قرن حين خروج بني اسرائيل من مصر وكانوا من وقع اصطدام بينهم وبين هؤلاء .

وقد سلكهم جرجي زيدان في سلك الارومات العربية في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام<sup>١</sup> واسماؤهم واسماء مدنهم تحمل فعلاً اللمحة العربية القديمة .

---

(١) انظر الطبعة الجديدة ص ٥٠٥ وبمدها .

وقد ذكر الرفائيون في الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ايضاً في جملة ما ذكر فيه من الاقوام الذين كانوا يسكنون الارض . ثم ذكروا في الاصحاح الثاني من سفر التثنية في سياق نهي الرب عن معاداة المؤابيين بهذه العبارة <sup>١</sup> « اليمونيون سكنوا فيها قبلاً - اي في ارض المؤابيين - شعب كبير وكثير وطويل كالعراقيين هم ايضاً يحسبون رفاثين كالعراقيين لكن المؤابيين يدعونهم ايميين » ثم ذكروا في الاصحاح الثالث من السفر نفسه في سياق ذكر عوج ملك باشان بهذه العبارة « ان عوج ملك باشان وحده بقي من بقية الرفائيين » <sup>٢</sup>

واسم مدينتهم التي ذكرت في سفر التكوين « عشتروت قرينم » يحمل اللمحة العربية القديمة . وعشتروت خاصة ترمز إلى أحد الآلهة السماوية التي مر ذكرها في سياق تاريخ جنوب الجزيرة والعراق وفينيقية بحيث يسوغ القول انهم كذلك ارومة عربية - الجنس حلوا في بعض انحاء شرق الاردن وغربه قبل القرن العشرين قبل الميلاد وانشأوا المدن والممالك واستمروا فيها إلى وقت قدوم بني اسرائيل من مصر .

وقد ذكر اليمونيون في الاصحاح الثاني من سفر التثنية فوصفوا بالكثرة والطول وقال الاصحاح انهم كانوا في المنطقة التي حل فيها المؤابيون ابنا لوط وهم يحسبون جبابرة كالعراقيين .

وهذه المنطقة من مناطق شرق الاردن . واللمحة العربية بادية على اسم مدينتهم بحيث ينسحب عليهم الكلام الذي قلناه بالنسبة للعماقة والخوريين .

ولم يذكر الزوزيون مرة اخرى . واسم مدينتهم التي ذكرت في الاصحاح الرابع عشر وهو هام يحمل اللمحة العربية : وينسحب عليهم ما قلناه عن اليميين والرفائيين والعماقة والخوريين كما هو المتبادر .

خ - وفي الاصحاح الرابع عشر اسم مليك صادق ملك شليم . وقد ذكر بمناسبة اقباله على الترحيب بابراهيم على اثر عودته من لحاق الغزاة وتخليصه لوطاً من المنهوبات والسبياء . وقد شاركه في ذلك ملك سدوم . وعرض هذا على ابراهيم ان يأخذ الاموال التي

---

(١) و(٢) الطبعة البروتستانتية . اما الطبعة الكاثوليكية فانها ذكرت كلمة جبابرة بدلا من كلمة رفاثين . غير ان هذه الطبعة ذكرت الرفائيين صراحة في الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من سفر التكوين :

استخلصها فأبى وقال « رفعت يدي الى الرب الاله العلي مالك السموات والارض لا آخذ خيطاً ، ولا شرك نعل . ولا كل ما هو لك فلا تقول انا اغنيت ابرام . ليس لي غير الذي اكاه الغلمان ، اما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي عائر واشكول وعمرافهم يأخذون نصيبهم » حيث يفيد هذا ان الآموريين حلفاء ابراهيم بزعماء الثلاثة قد زحفوا معه وشاركوا في عملية الانقاذ .

وقد ذكر الاصحاح ان ملكيصادق قدم لابراهيم خبزاً وخمراً لانه كان كاهناً لله العلي وبارك ابراهيم وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض . وتبارك الله العلي انذي رفع اعدائك الى يدك . واعطاء العشر من كل شيء .  
ومفسرو العهد القديم يراوون التخمين عن شليم بين ان تكون القدس التي سميت اورشليم وبين ان تكون مكان القرية القائمة اليوم شرقي نابلس لجهة الغور التي يقال لها سالم<sup>١</sup> .

وقد ذكرت شليم في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين على ما اوردناه بوصفها مدينة اهل شكيم . وقد يؤيد هذا كون شليم هي سالم اليوم لانها قريبة إليها . واللمحة العربية بادية على اسم الملك والمدينة بقوة ومن المحتمل ان يكون من الكنعانيين . وتقيد العبارة ان ملكيصادق كان موحداً . ولا يعرف على وجه التحديد ماذا يقصد بكلمة كاهن في ذلك الوقت ولعلها كانت تعني النبوة او ما في مداها .

وهكذا يكون توحيد الله والاتجاه اليه وحده وتقديسه والدعوة اليه وهي الظواهر التي استمرت في الجنس العربي وكانت من ميزاته العظمى ضاربة في القدم . في ارض كنعان وقبل قدوم ابراهيم اليها .

د - وفي الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين اسماء اقوام اخرى من سكان الارض وهم الفينيقيون والقترزيون والقدمونيون والقرزبون والخرجاشيون واليبوسيون . وليس هناك بيان آخر عنهم . فهم اما ان يكونوا فروعاً من الكنعانيين سموا باسمائهم نسبة إلى مدنها او ان يكونوا فروعاً من ارومات اخرى ترجح انها ارومات عربية لما تحمله اسمائها من لمحة عربية قديمة كانت ساكنة في غرب الاردن وشرقه قبل طروء ابراهيم على ارض كنعان . ولقد ذكر الاصحاح العاشر من سفر التكوين في سياق ذكر

(١) مجند العبرانيين للديبس ص ٢٠ وما بعدها .

ذرية كنعان ان كنعان ولدصيدون بكره وحشاً واليبوسين والاموريين والجرجاشين والحوبيين والعرقين والسيمين والاروايين والعمانيين . وبعد ذلك تفرقت عشائر الكنعانيين . ومهما يكن من ضرورة الحذر في تلقي الانساب الواردة في هذا السفر والشك في صحتها تاريخياً فان العبارة مما قد يستأنس به في الدلالة على ان هذه الشعوب أو بعضها كنعانية الارومة . لان سفر التكوين قد كتب بعد خروج بني اسرائيل من مصر واحتكاكهم بهذه الشعوب في شرق الاردن وغربه ؛ وليس من المستبعد ان يكون الذين كتبوا هذه العبارة كتبوها تقريراً لواقع معروف .

ذ - وفي الاصحاح الثامن عشر قصة غضب الله على سدوم وعموره لآثامهما وارساله الملائكة لتدميرهما

وقد ذكر الاصحاح التاسع عشر قصة تأمر ابنتي لوط على ابنيها حينما هربتا معه والتجأوا الى مغارة قرب صوعر حيث أسكرتاه وضاجعتاه واحدة بعد اخرى للثاموت بدون نسل . وقد ولد لكبراهما ابن سمته مؤاب وهو ابو المؤابيين ولصغراهما ابن سمته عمى وهو ابو العمونيين .

ولقد ذكرت الاسفار التي احتوت قصة خروج بني اسرائيل وطروئهم على شرق الاردن وغربه المؤابيين والعمونيين كثيراً بما يفيد انهم كانوا اصحاب قوة وملك وخير كبير وظلوا كذلك الى امد طويل . وفي الاصحاح الثاني من سفر التثنية نبي لبني اسرائيل عن معاداتهم وتنبيهه بانهم ليس معطيهم من ارضهم شيئاً ولو موسى قدم لانه جعلها ميراثاً لبني لوط . وليس ما يمنع ان يكونوا من ذرية لوط كما انه ليس ما يمنع ان يكون تسجيل ذلك متأثراً بوقائع طروء بني اسرائيل على شرق الاردن فاريد به ربط الماضي بالحاضر بقطع النظر عن صحته وعدمها .

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل المؤابيين والعمونيين واستولوا على بلادهم مرة بعد مرة ونشب نضال واريقت دماء بينهم مما فيه نقض للنهي اذا كان صحيحاً ومما فيه دليل على أن التسجيل كان بتأثير الواقع .

ومهما يكن من امر فان صح نسبة بني عمون وبني مؤاب الى لوط فالمرجح انهم اختلطوا بمن كان في الارض قبلهم وان كانوا احتفظوا باسمي ابويها الاولين واستطاعوا ان يجعلوها شاملين بجميع السكان والبلاد . . ووصف الايميين والززميين بالوصف القوي

الذي وصفوا به على ما مريقوي ترجيحنا . فانه لا يعقل أن يكون بنولوط قد ابادهم . ولقد عجز عن ذلك بنو اسرائيل بالنسبة لسكان فلسطين برغم ما كان منهم من قسوة وجنوح الى الابداء على ما سوف نذكره بعد . وكل ما يمكن ان يكون انهم حلوا في ارضهم وبرزوا عليهم واختلطوا بهم وصار الخليط يدعى مؤابيين وعمونيين .

وعلى كل حال فالمؤابيون والعمونيون الذين كان لهم كما قلنا حين كبير وملك طويل الأمد في شرق الاردن يعتبرون من عناصر هذا الشرق ويورد تاريخهم في سياق تاريخه وهكذا فعلنا . وهم ارومات عربية الجنس على ما تدل عليه لغتهم واسماؤهم مما سوف نورده بعد سواء أكان اصلهم عبرانياً ام لم يكن . ولقد عثر على نقش لملك مؤاب ميثع من القرن التاسع قبل الميلاد اورده مؤلف كتاب تاريخ اللغات السامية في كتابه وعلق عليه بما يفيد انه شبيه جداً بأسلوب اسفار العهد القديم العبرانية بفروق قليلة لعلها صارت نتيجة للتطور الزمني .

ر - وفي الاصحاح العشرين من سفر التكوين اسم مدينة جرار وملكها ابي ملك بمناسبة ارتحال ابراهيم الى الجنوب وأقامته بين قادش وشور في مملكة جرار . واسم الملك ومدينته يحمل الملحمة العربية القديمة كما هو واضح ؛ ومن المحتمل ان يكون من الكنعانيين . وجرار واقعة شرق خان يونس ومكان المدينة يعرف اليوم باسم ام الجرار على ما ذكره الدبس في كتابه عن العبرانيين<sup>١</sup>

ز - وفي الاصحاح الثالث والعشرين اسم قرية اربع وهي حبرون - واليوم مدينة الخليل - في ارض كنعان بمناسبة ذكر موت سارة فيها وشراء ابراهيم حقلاً فيه مغارة لدفنها فيها من شخص اسمه عفرون بن صوحر من بني حث . والمحنة العربية بأدية على الاسم .

ولقد تكرر ذكر بني حث والحِيثين في سفر التكوين والاسفار الاخرى باسموب يفيد انهم كانوا يشغلون حيناً في أرض كنعان ؛ حيث ذكروا في الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين في جملة الأقوام الذين وعد الرب ابراهيم بتمكين نسله عليهم ، وذكروا في الاصحاح السادس والعشرين والسادس والثلاثين بمناسبة تزوج عيسو بن اسحق حينما كانت مقيماً في قرية اربع بامراتين منهم اسم احدهما يوديت بنت بشرى الحثي وثانيتها بما بسمه بنت ايلون الحثي . وذكروا في اسفار يشوع والقضاة بأسلوب يدل على انهم كان لهم بعض

شأن والحيز في غرب الاردن بمناسبة طرء بني اسرائيل كما ذكروا في سفر صموئيل الثاني  
بمناسبة ذكر قائد منهم اسمه اوريا احب داود زوجته وضاجعها حسب ما ذكر فيه ؛  
حيث يفيد ذلك ان هذا القبيل ظل مستمراً ذا نشاط ويزور إلى ظروف خروج بني  
اسرائيل من مصر وطرؤتهم على غرب الاردن وما بعدها ايضاً .

ومن المعروف انه كان في شمال سورية شعب اسمه نخيتا الذي عُرب الى الحِيثين كان  
هـ بروز ونشاط وملك وحروب في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبعده مما ذكرنا  
طرفاً منه في الفصل السابق ومعظم الباحثين يذهبون الى ان هذا الشعب من الجنس الآري عدا  
مفسري العهد القديم الذين يأخذون انساب سفر التكوين قضية مسلمة ويقولون إن حدث احد  
ابناء كنعان بن حام بن نوح<sup>١</sup> أي ان الحِيثين . والكنعانيين اخوة لاب .

واقعد وصف الاصحاح السادس والثلاثون من سفر التكوين زوجتي عيسو الحِيثين  
بصفة بنات كنعان . والاسماء الحِيثية التي وردت في هذا السفر تحمل اللمعة العربية . ولا  
ندري هل هذا وذلك كان بسبب كون كثرة سكان الارض كنعانيين وغلبة طايعهم  
عليهم وانهم جالية من الحِيثين الشماليين جاءت الى هذه المنطقة واستقرت فيها قبل القرن  
العشرين قبل الميلاد ثم استمرت فيها وانطبعت بالطابع الكنعاني ؛ او لانهم حقاً اخوة  
للكنعانيين او فرع من فروعهم<sup>٢</sup> .

س - في الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين اسم « شكيم بن حور الحوي »  
وفي الاصحاح السادس والثلاثين اسم « اهليابمة بنت عانة بنت صبعون الحوي زوجة  
عيسو بن اسحق » حيث يدل على انه كانت ارومة اخرى في غرب الاردن تسمى الحويين  
حينما طراً ابراهيم على ارض كنعان . وقد ذكر الحويون في الاصحاح الثالث من سفر  
الخروج في جملة ما ذكر من اسماء شعوب سكان ارض كنعان . واللمعة العربية بادية على  
الاسم . وقد قال الاصحاح الثالث والثلاثون من سفر التكوين ان شكيم بارض  
كنعان وقال الاصحاح الثاني عشر حينما ذكر نزول ابراهيم لأول مرة في مكان شكيم  
« وكان الكنعانيون حينئذ في الارض » . وقد ذكر اسم « الحويين في الاصحاح العاشر  
من سفر التكوين في عداد ابناء كنعان او قبائلهم حيث يسوغ كل هذا ان يقال ان

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٠

(٢) انظر ايضاً المجلد (١) الجزء (١) من تاريخ سورية للديس ص ١٥٤ وما بعدها .

هذه الارومة فرع من الكنعانيين . فإن لم تكن كذلك فتكون على الأرجح فرعاً من  
ارومة عربية أخرى طرأت على بلاد الشام وانتشرت في انحاءها على نحو ما كان يسير عليه  
التنوج العربي<sup>١</sup> .

## صور مقتبسة من أسفار الخروج واللاويين

والعدد والتثنية عن شرق الاردن وغربه

قبل طروء بني اسرائيل وفي ظروف طروئهم وبعده

ولقد احتوت اسفار الخروج واللاويين والعدد والتثنية وهي بقية الاسفار الخمسة  
المنسوبة الى موسى اسماء كثير من المواقع والمدن والشعوب التي تعلبت عليها الملحمة  
العربية القديمة في شرق الاردن وغربه ووصفها وحالتها وما كان بين اهلها وبين بني اسرائيل  
من احداث بمناسبة خروج هؤلاء من مصر بقيادة موسى واتجاههم نحو ارض كنعان  
في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وإليك ما يمكن اقتباسه منها :

آ - من اول ما ذكر من المدن في هذه الاسفار اسم مدينة مدين وكاهنها يثرون .  
وقد ذكر لأول مرة في سفر الخروج بمناسبة فرار موسى من مصر لأول مرة والتجائه الى مدين  
وتزوجه ببنت كاهنها يثرون<sup>٢</sup> . ومدين تقع في شرق البحر الاحمر في منطقة العقبة .  
وقال مفسرو اسفار العهد القديم ان اهلها كوشيون والكوشيون والكنعانيون عندهم  
من اصل واحد وهو هام بن نوح . ومهما يكن من امر فان مدين مدينة عربية الجنس  
كما يبدو من اسمها واسم بنت كاهنها التي تزوجها موسى هو صفورة<sup>٣</sup> ويبدو ان كلمة  
يثرو ويثرون تعني الكهانة لان سفري الخروج والعدد ذكر الكاهن مدين اسماً آخر هو  
حوياب بن دعوئيل . والملحمة العربية القديمة بادية على الاسمين بما فيه تأييد لما قلناه<sup>٤</sup> .

---

(١) ان فليب حتي يقول ان الحويين هم غالباً الحوريون ، وهو يقول بمناسبة ذكر العهد القديم  
لحوريين والحويين ص ١٦٥ ) لماذا ذكر العهد القديم اسمين والحالة هذه ؟؟

(٢) سفر الخروج الاصحاح ٢ و٣

(٣) سفر الخروج الاصحاح ٢

(٤) سفر العدد الاصحاح ١٠

وبعض منسري اسفار العهد القديم يربطون بين اسم مدين واسم احد ابناء ابراهيم من زوجته قطورة كأنما يراد بذلك القول إن هذه المدينة هي مدينة مدين بن ابراهيم انشأها وسكنها .

ولقد ذكر القرآن مدين وقصة التجاء موسى اليها وتزوجه من ابنة شيخ كبير فيها يجمع المنسرون على انه نبي الله شعيب . ويلحظ شيء من التقارب بين شعيب وحوباب بحيث يسوغ ان يقال ان شعيب تعريب لحوباب . وهكذا تكون ظاهرة النبوة والاتصال بالله والدعوة اليه قد استمرت في الجنس العربي وتمثلت في كاهن مدين على حد وصف سفر الخروج ونبي الله شعيب على حد وصف القرآن .

ونستطرد الى القول إن ذكر مدين تكرر وروده في اسفار اخرى . فقد ذكرت في الاصحاح ٢٢ من سفر العدد بأسلوب يدل على انها كانت من جملة ما تشمله سيادة مملكة مؤاب . وذكرت في الاصحاح الخامس والعشرين من السفر نفسه بمناسبة قيام موسى بحركة حربية انتقامية ضدها . وذكر في ما ذكر اسماء اربعة من ملوكها وهم اوي وراقم وصور وحور ، وخبر حرق جميع مدنها حيث يفيد هذا وذاك ان اسم مدين لم يكن لمدينة فقط بل كان لمنطقة كبيرة ايضاً فيها مدن عديدة ولكل منها ملكها الخاص . ثم ذكرت في الاصحاح السادس والاصحاح السابع والاصحاح الثامن من سفر القضاة بمناسبة خبر غاراتها مع العمالة وبني المشرق على اسرائيل وازعاجهم لهم اشد ازعاج وتسلبهم عليهم سبع سنين . وقد ذكر في سياق ذلك زاباح واصلناع ملكيها وزيب وعوريب قائدي جيوشها كما ذكر ان عدد محاربيهم كان مئة وخمسة وثلاثين الفاً حيث ينقض هذا خبر إبادة اهل مدين وحرق مدنها الذي ورد في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد او يفيد انها عادت فقويت وعظمت في الثلث الاول من عهد القضاة بعد موسى ويشوع .

ب - لقد كان خروج بني اسرائيل من مصر من طريق برزخ السويس فصحاء سيناء الى خليج العقبة ثم اتجهوا الى الشمال حتى وصلوا الى تخوم مملكة ادوم . وهذه اسماء المواقع التي اجتازوها كما وردت في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد : ارتحلوا من رعسيس الى سكوت ومنها الى ايتام التي في طرق البرية . ورجعوا من هناء الى فم الحيروت التي تجاه بعل صفون ونزلوا امام مجدل . وساروا ثلاثة ايام في بركة ايتام ونزلوا بمارة . ومنها الى ايلام التي فيها اثنتا عشرة عيناً وسبعون نخلة . ومنها نزلوا على بحر القلزم وارتحلوا



من هنا ونزلوا ببرية سين ثم ارتحلووا ونزلوا بدفقة . ثم بألوش ثم برفيديم ثم ببرية سينا .  
وارتحلووا من هنا ونزلوا عند قبور الشهرة ثم ارتحلووا ونزلوا بحصيروت ومنها ارتحلووا ونزلوا  
برغسة ثم بربون قارص ثم بلبنة ثم برسة ثم بتهيلوت ثم بجبل شافر ثم بجراة ثم بمهيلون .  
وارتحلووا من هنا فنزلوا بتاحت ثم بمئة ثم بحشونة ثم بموسيروت ثم ببني يعثان . وارتحلووا  
منها ونزلوا عند كهف الجدياد . ثم بيظبات ثم يعبروت ثم بعصيون جابر ثم ببرية سين  
وهي قادش وارتحلووا من قادش ونزلوا بجبل هور في طرف ادوم .

ويبدو ان من هذه الاسماء ما هو مدن او قرى . والمحة العربية القديمة بادية على  
معظمها بحيث يصح ان يقال انها تسميات اورمات عربية الجنس وان لم يكن تعيينها .  
ولا غرو فان منطقتي سينا والعقبة كانت منذ اقدم الازمنة بجبال توج القبائل التي كانت  
تطرا من تخوم جزيرة العرب الشمالية .

ت - ومن اول ما ذكر من سكان الأرض بعد خروج بني اسرائيل من مصر  
عمالق . وذلك بمناسبة مجيء عماليق وقومه الى وفيديم ومحاربتهم وانهم امامهم .  
وعبارة الاصحاح السابع عشر من سفر الخروج التي ذكر بها هذا الحادث تفيدان عماليق  
رئيس قومه الذي جاء على رأسهم لحرب بني اسرائيل وان اسم القوم هو عماليق ايضاً .  
وقد مر هذا الاسم في عداد مواليد عيسر . وقد ذكر سفر التكوين<sup>١</sup> ان امه سريسة  
اسمها قنعا ، والى هذا فقد ذكر سفر التكوين على ما اوردناه قبل اسم « العمالق » في  
جملة من ضربهم الغزاة العراقيون الذين غزوا شرق الاردن وغربه بقيادة كدر لاومر .  
فعمالق اما ان يكون من العمالة الاولين او من نسل عماليق بن عيسو . وقد يكون  
الارجح الاحتمال الثاني لان ابناء عيسواسكنوا في منطقة جبل سيعر المتاخمة لمنطقة العقبة ؛  
والحرب التي جرت بين عماليق وبني اسرائيل جرت في هذه المنطقة .

ث - وفي الاصحاح الثالث عشر من سفر العدد اسماء بعض شعوب ارض كنعان  
ومدتها ووصف لما كانت عليه حالتها على لسان الرسل الذين ارسلهم موسى للتجسس عليها  
بعد ان وصلوا الى برية فاران في منطقة العقبة ونزلوا فيها .  
وقد ذكر في الاصحاح ان الرسل صعدوا وتجسسوا الارض من برية سين الى رحوب  
في مدخل حماة وصعدوا الى الجنوب واتوا الى جبرون .

وقد يفيد هذا ان ارض كنعان لم تكن في اعتبار بني اسرائيل غرب الاردن بل كانت تشمل شرق الاردن ايضاً . اما عبارة « مدخل حماة » فقد تفيد ان مملكة حماة كانت ممتدة الى رحوب التي يختمها الدبس بانها في ارض شرق الاردن .

ومن وردت اسماؤهم على لسان الرسل من سكان الارض بنو عناق واليبوسيون والحيشيون والآموريون والكنعانيون . ووصفوا بني عناق بالعائلة والجبابرة وقالوا انهم يسكنون في الجنوب وذكروا من فروعهم اخيان وتلماي وشيشان ؛ وقالوا ان الكنعانيين يسكنون عند البحر وعلى جانبي الاردن والاموريين والحيشيين يسكنون في الجبل .

والعبارة تفيد ان هؤلاء كانوا يسكنون في غرب الاردن . ومن المحتمل ان يكون بنو عناق الذين وصفوا بالعائلة والجبابرة هم من العائلة الاولى الذين تعرضوا لضربة الغزاة العراقيين في القرن العشرين حيث استمروا قائمين في المنطقة الجنوبية من غرب الاردن إلى هذا الوقت . وليس هناك ما يوضح هوية اليبوسيين الذين يظهر ان ذكرهم مع ذكر الكنعانيين بسبب كونهم من ارومة اخرى نرجح انها ارومة عربية الجنس تفرعت من إحدى الموجات التي كانت تخرج من جزيرة العرب وتطأ على بلاد الشام وجاءت الى غرب الاردن فاستقرت فيها قبل خروج بني اسرائيل من مصر . وبعض النصوص يفيد ان اسم مدينتهم ييوس وانها هي اصل مدينة القدس ؛ ولعل الاسم هو من اسم القبيلة على ما كان يجري عليه الاقدمون في التسميات .

وبما ذكره الاصحاب ان الرسل قطفوا من منطقة حبرون غصناً يحمل عنقوداً من العنب حمله منهم اثنان لثقله ، كما قطفوا شيئاً من الرمان والتين .

ولما عادوا الى موسى قالوا هذه ثمار الارض وانها حقاً تفيض لبناً وعسلًا غير ان الشعب الساكن فيها معتز ومدنه حصينة عظيمة جداً وانهم رأوا انفسهم ازاء بني عناق الجبابرة كالجراد وهكذا كنا في اعينهم ؛ وينطوي هذا الوصف على الدلالة على كثافة سكان ارض كنعان وقوتهم وما كان لهم من مدن كثيرة محصنة وما كانوا عليه من نشاط في مجال زراعة كروم العنب والتين والرمان .

وقد افزع الوصف بني اسرائيل اشد فزع وكان فزعهم سبباً لتحريم دخولهم الارض اربعين سنة وبقائهم في القفر حتى فني الجيل الذي ظهر منه هذا الفزع .  
ونقول استطراداً ان في سفر التثنية وصفاً قوياً وشاملاً لارض كنعان تزيد في قوة

الصورة التي ذكرها الاصحاح عن لسان رسل موسى ؛ حيث جاء في الاصحاح السادس منه « اذا ادخلك الرب الهك الارض التي اقسم لآباءك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لك مدناً عظيمة حسنة لم تبناها . وبيوتاً بملاوة كل خير لم نملأها . وصهاريج مخفورة لم نحفرها . وكروماً وزيتوناً لم تفرسها فأكلت وشبعت فاحذر ان تنسى الرب الهك النخ ؛ وحيث جاء في الاصحاح الثامن منه « ان الرب الهك مدخلك ارضاً صالحة . ارضاً ذات ماء وعيون تتفجر في غورها ونجدها . ارض حنطة وشعير وكرم وتين وورمان . ارض زيت وعسل . ارضاً لا تأكل فيها خبزك بتقير ولا يعوزك فيها شيء . ارضاً من حجارها الحديد . ومن جبالها تقطع النحاس . فتأكل وتشبع وتبارك الرب الهك لاجل الارض الصالحة التي اعطاها لك » .

ومما يمكن من احتمال كبير بان هذه التسجيلات والوعود متأثرة بالواقع وبعد دخول بني اسرائيل ارض كنعان ، ثم بعقدة الاختصاص الافتعالي فان ما جاء في وصف واقع ارض كنعان كان حقيقة قائمة مشاهدة .

ج - وفي الاصحاحات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سفر العدد اسما مدن وملوك وشعوب عديدة بمناسبة تقدم بني اسرائيل بقيادة موسى نحو ارض كنعان بعد انقضاء مدة الاربعين سنة من حياة الفقر والته .

١ - منها : ( قادش ) وهي في منطقة العقبة . وقد وصفت بقادش برنوع تمييزاً لها عن قادش اخرى كانت في غرب الاردن ومنها ملك آدوم الذي لم يذكر اسمه . وقد طلب منه موسى السماح بالمرور من ارضه وتعهده بأن يدفع ثمن كل ما يصيبه منها . ولكن الملك ابي واقدار بني اسرائيل بمنعهم بالسيف وخرج للقائهم بشعب غنير ويد شديدة حسب عبارة السفر ، مما اضطرهم الى التحول عن بلاده والاتجاه في اتجاه غيرها ؛ وفي سفر التثنية ١ ما يفيد ان الرب نهى موسى عن تملك هذه البلاد ووصاه بالتحرز منها لانه جعلها ميراثاً لبني عيسو وليس معطياً لهم ولو مرطى قدم ؛ حيث يفيد هذا ان هذا الملك ومملكته مما يتصل بعيسو الذي نعته سفر التكوين بأبي الآدوميين .

ولقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل فيه مملكة آدوم وفرضوا سلطانهم عليها ردهاً من الزمن في عهد داود وسليمان ناقضين بذلك وصية ربه .

وعلى كل حال فالنص يدل على ان مملكة ادوم كانت اذ ذاك قوية كثيفة السكان والمحاربين .

٢ - ومنها اسم ملك عراد الكنعاني . وقد ورد بهذه العبارة « وسمع الكنعاني ملك عراد المقيم بالجنوب ان بني اسرائيل قد جاؤوا على طريق اتاريم فقاتلهم وسبى منهم سبياً ثم نصرهم الرب عليه ففتكوا في قومه ودمروا مدنهم <sup>١</sup> » .

وتفيد العبارة ان عراد مدينة كنعانية من المدن التي كانت في منطقة العقبة الى الشمال وانها كانت كرسى مملكته ؛ وانه كان للكنعانيين في هذه المنطقة مدن عديدة اخرى غير عراد ؛ كما تفيد ان الكنعانيين لم يكونوا في غرب الاردن - فلسطين فقط - بل كانت منهم جماعات في شرق الاردن وفي جنوبها وانه كان لهم ملك ومدن . ومن المرجح ان ذلك امتداد لما كان عليه الأمر قبل طروء بني اسرائيل وربما قبل طروء ابراهيم ايضاً .

٣ - ومنها اوبوت وعبي عباريم وبئر ومثانة ونخليل وباموت والجواء وادنون التي هي تخم مؤاب . وقد ذكرت هذه الاسماء في سياق رحلة بني اسرائيل من جبل هور وهم يدورون عن ارض ادوم بطريق بحر سوف أي ان هذه المواقع في منطقة العقبة الى تخم مؤاب الواقعة في وسط شرق الاردن بعد حدود آدوم . ولا يعرف اذا كانت هذه الاسماء اسماء مدن او مواقع جغرافية من جبال واودية . وهي على كل حال تسميات عربية الجنس على ما تدل عليه اللمحة العربية القديمة البادية عليها . ويستثنى من ذلك مؤاب التي هي مدينة وكرسى مملكة بنفس الاسم .

٤ - ومنها سيحون ملك الآموريين وحسبون مدينته او عاصمته التي يقوم مكانها اليوم قرية تحتفظ باسمها معدلاً وهو حاسبان . وحسبان في وسط شرق الاردن . وهذا يعني ان هذه المملكة كانت في هذه المنطقة ويحدها من الجنوب مملكة مؤاب التي سوف يأتي بيان آخر عنها واللمحة العربية القديمة بادية على اسم الملك والمدينة . ولا غرو فالآموريون من الموجات العربية كما قلنا قبل .

وبما جاء في السفر ٢ ان اسرائيل ارسل رسلاً الى سيحون يطلب منه السماح له بالمرور

---

(١) سفر الخروج الاصحاح ٢١

(٢) العدد الاصحاح ٢١

في ارضه فلم يسمح لهم وخرج على رأس قومه للقائهم . ولكن بني اسرائيل تغلبوا عليه وملكوا ارضه واقاموا في جميع مدن الأموريين وقراهم . وتفيد العبارة انه كان للأموريين في هذه المنطقة مملكة ومدن وقرى كثيرة اخرى غير حسبون .

٥ - ومما ذكر من الاسماء في سياق ذلك ياهص ويبوق وبنو عمون . حيث ذكر السفر ان سيحون خرج الى البرية فأتى الى ياهص وحارب اسرائيل وان اسرائيل ملك ارضه من ارنون الى يبوق الى بني عمون .

ومن المحتمل ان تكون اسماء ياهص وارنون ويبوق مواقع جغرافية ، واللحمة العربية بادية عليها بحيث يسوغ ان يقال انها تسميات عربية الجنس من قبل سكان الارض الذين هم ارومات عربية الجنس كذلك .

٦ - اما بنو عمون فعبارة السفر تدل على انهم شعب ومملكة وقد وصف تخمهم فيه بانه كان قويا . وفي سفر التكوين ما يفيد نسبتهم الى بن عمي بن لوط على ما ذكرناه قبل .

ولم يذكر السفر ان بني اسرائيل اصطدموا بهم حينما اتجهوا لاول مرة الى ارض كنعان بعد خروجهم من مصر .

وفي سفر التثنية<sup>١</sup> نهي لبني اسرائيل عن معاداة بني عمون لان الرب لم يعطهم ارضهم التي جعلها ميراثاً لبني لوط .

ولقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل فيه مملكة عمون وفرضوا سلطانهم عليها ردحاً من الزمن في عهد داود وسليمان فاقضين بذلك وصية ربه .

وعلى كل حال فالنص يدل على ان مملكة بني عمون كانت قوية التخم ؛ ولعل هذا هو الذي جعل بني اسرائيل يتعاشونهم .

٧ - وفي سفر التثنية<sup>٢</sup> اسم لشعبيين من سكان ارض كنعان غرب الاردن وهم العويون والكتوريون . ووصف الاولون بانهم المقيمون بالقرى الى غزة وان الكتوريين الخارجين من كتور اجلوهم واقاموا مكانهم . وليس هناك اشارة اخرى اليهم . ولكن هذا لا يمنع من احتمال كونهم هم الآخرون من ارومة عربية الجنس حلت في

---

(١) الاصحاح ٢

(٢) الاصحاح ٢

ارض كنعان عرب الاردن قبل طروء بني اسرائيل بل وربما قبل طروء ابراهيم ان لم يكونوا فروعاً كنعانية .

٨ - ومن ورد ذكره في سفر العدد<sup>١</sup> مدينة باشان وملكها عوج وقومه بمناسبة ذكر صعود بني اسرائيل من ارض الاموريين في طريق باشان وخروج عوج على رأس قومه الى لقائهم ومحاربتهم في اذرعى . وباشان هي على الأرجح بيسان اليوم احدى مدن غور الاردن . ومن المحتمل ان تكون اذرعى هي قرية زرعين اليوم في منطقة بيسان .

وقد ذكر عوج مرة اخرى في الاصحاح الثالث من سفر التثنية ووصف هو وقومه انهم من الرقائين اخوان اولئك الذين كانوا في مكان بني عمون والذين وصفوا بالكثرة والطول ؛ وقد مر ذكرهم ورجعنا انهم ارومة عربية لما يبدو على اسمائهم من لغة عربية . وهذا القول ينسحب على عوج وقومه بالتبعية .

ويذكر هذا الاصحاح ان بني اسرائيل اخذوا كل مدن عوج وقراء ولم تبقى قرية لم يأخذوها . وقد سمي السفر بملكة عوج باسم كورة ارجوب وقال ان بني اسرائيل اخذوا كل مدنها البالغة ستين والتي كانت محصنة بأسوار شائعة وابواب ومزالبج سوى قرى الصحراء الكثيرة جداً . ووصف السفر سرير عوج فقال إنه من حديد وان طوله تسعة اذرع وعرضه اربعة بذراع الرجل . ويدل الوصف على ما كانت عليه بملكة باشان او كورة ارجوب من عمران وقوة .

٩ - وبما ذكر في سفر العدد<sup>٢</sup> مؤاب وعربات مؤاب من عبر اردن اريحا وبالاق بن صفور ملك مؤاب . وذلك بمناسبة ذكر ارتحال بني اسرائيل من باشان واتجاههم الى غور اريحا حيث تفيد العبارة وعبارات اخرى بجات في مكان آخر من السفر انه كان في وادي الاردن مملكة اسمها مؤاب عاصمتها مدينة بالاسم نفسه .

وقد ذكر سفر التكوين اسم مؤاب على ما مر بيانه . وفي الاصحاح الثاني من سفر التثنية نهي لبني اسرائيل عن معاداة مؤاب وعدم اثاربتهم عليهم حرباً لان الرب ليس معطيهم من ارضهم ميراثاً حيث اعطاها لبني لوط ميراثاً .

(١) الاصحاح ٢

(٢) الاصحاح ٢٢

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل مملكة موآب وسيطروا عليها ودحاها من الزمن  
في عهد داود وسليمان فاقضين بذلك وصية ربههم .

ومها يكن من امر فاللمحة العربية القديمة بادية على الاسماء بحيث يسوغ القول ان  
الموآبيين ارومة عربية الجنس سواء اصبحت نسبتهم الى لوط أم لم تصح أم كانوا مزيجاً من  
ذرية لوط وغيرهم من سكان المنطقة ، وانهم كانوا على شيء من القوة جعل بني اسرائيل  
يتحاشونهم .

وفي الاصحاحات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سفر العدد قصة بالاق بن صفور ملك موآب مع  
بلعام بن يعور . العراف او المتنبئ . فقد فزع الملك ماصنع بنو اسرائيل في  
الأموريين فأرسل وفدأ الى بلعام بن يعور الذي كان يسكن في مدينة اسمها فاتور على  
النهر والذي كان من شعب الملك لاستدعائه اليه لاجل لعن بني اسرائيل الذين غطوا وجه  
الارض وطردهم من حدود مملكته لانه يعرف ان من يلعنه يكون ملعوناً ومن يباركه  
يكون مباركاً وذهب الوفد المؤلف من شيوخ موآب ومدين يحملون حلوان العرافة الى  
بلعام وابلغوه دعوة بالاق . فتجلى الله لبلعام ونهاه عن اجابة الدعوة ولعن اسرائيل لانهم  
شعب مبارك . فرفض الدعوة قائلاً لو اعطاني بالاق ملء بيته ذهباً وفضة فلن اتجاوز امر  
الرب . فأرسل الملك وفدأ آخر والى على بلعام فتجلى له الرب وسمح له بالذهاب على  
شرط ان يبارك اسرائيل . ولما وصل الى مدينة موآب التي على تخم ارنون خرج بالاق  
لاستقباله واتى معه الى قرية حصوث واصعده الى مرتفعات بلع حيث بنى سبعة مذابح  
وهياً سبعة ثيران وسبعة أكباش كما طلب بلعام . ولكن هذا بدلا من ان يلعن اسرائيل  
باركهم بامر الله ولما عاتبه بالاق قال له لا اقدر ان اقول الا ما يقوله الرب لي .

وتفيد القصة منها يكن من امرها ما افادته نصوص اخرى من استمرار ظاهرة  
اتصال الله بالجنس العربي ، وتمثلة هذه المرة ببلعام الذي لم يكن من بني اسرائيل وان كان  
من الجنس ان يكون من بني ابراهيم ؛ بالاضافة الى ما فيها من اسماء مدن وصورة حياة  
ذلك الظرف واسم ملك موآب فيه . وتفيد ايضا ان مدين كانت في هذا الظرف داخلة  
في نطاق مملكة موآب او تحت سيادتها .

١٠ - وما ذكر من اسماء المدن في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد شطيم  
في تخوم موآب التي يحتمل ان تكون القرية التي تسمى اليوم شطة في منطقة بيسان . وقد

ذكرت في سياق ذكر بني اسرائيل فيها وما كان من اتصالهم ببني مؤاب ومديان وسجودهم لآلهة مؤاب حيث يدل هذا على سرعة تأثر الامرائيليين بسكان الارض التي حلوا فيها .

١١ - ومن الاسماء التي وردت في الاصحاح الحادي والثلاثين اوي وراقم وصور وحور ورابع وهي اسماء خمسة ملوك مديانيين . وذلك بمناسبة زحف بني اسرائيل على مديان بأمر موسى والرب انتقاماً من اهلها بسبب ما كان من اغواء بنات مديان الاسرائيليين وجعلهم يتعلقون بعبادة بعلمهم . ولعل الاسماء اسماء رؤساء مدن واقعة في منطقة مديان . وما ذكره الاصحاح ان بني اسرائيل قتلوا الملوك الخمسة مع كل ذكر في مديان وسبوا النساء والاطفال ونهبوا جميع البهائم والمواشي واحرقوا جميع المدن والحصون بالنار ورجعوا بالسبايا والتنائم الى عربات مؤاب التي على اردن اريحا حيث يقيم موسى . وكان عدد الغنم المنهوبة ٦٧٥٠ النأ والبقر ٧٣ الفاً والخيول ٦٠ الفاً وكان وزن الذهب ١٦٧٥٠ شاقلاً حيث يدل الوصف على ما كانت عليه مديان من سعة وعمران وثروة .

١٢ - ومن الجدير بالذكر ان مدين ليست وحدها التي كانت غنية هذا الغني بالمواشي بل كان ذلك شأن بقية شرق الاردن ايضاً .

ففي الاصحاح الخامس من سفر اخبار الايام الاول ان الاسرائيليين نهبوا من المهاجرين ويطور وفانديش ونودا بعد ان انتصروا عليهم ٥٠٠٠٠ رجلاً و ٢٥٠٠٠ رأس غنم و ٥٠٠٠٠ حميراً . وفي الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني ١ ان ميشع ملك مؤاب كان صاحب مواش وكان يؤدي للملك اسرائيل مئة الف خروف ومئة ألف كبش بصوفها . والعبارة قد تفيد ان ذلك كان جزية سنوية .

الى هنا ينتهي ما امكن اقتباسه من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى من اسماء واعلام عربية الجنس كانت موجودة في شرق الاردن وغربه قبل عهد موسى وفي عهده اي ما بين القرن العشرين الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وما كانت عليه الارومات العربية من حالات ونشاط وما كان لها في هذه البلاد من مآثر وبمالك .



## صور مقتبسة من سفر يوشع

اول الاسفار التي تلي اسفار موسى الخمسة هو سفر يوشع . وفيه اشياء كثيرة من تلك الاسماء والاعلام والآثر والممالك ايضاً وخاصة في غرب الاردن وردت فيه بمناسبة اخبار زحف بني اسرائيل على هذا الغرب واستيلائهم عليه وحروبهم مع سكانه حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

آ - واول ما ذكر مدينة اريحا باسلوب يفيد انها كانت كرسي مملكته وكان لها سور وكانت غنية بالذهب والفضة والنجاس والحديد <sup>١</sup>

ب - ثم ذكرت مدينة عاي التي عند بيت اون شرق بيت ايل التي كانت تسمى لموز . وكانت هذه المدينة ذكرت في مناسبة طروء ابراهيم حيث يفيد ذلك انها قديمة جداً ؛ وكانت كرسي مملكته ايضاً كما كان سكانها من الآموريين . وقد ذكر السفر ان الذعر والرعب دب في قلوب الاسرائيليين وقالوا غداً يسمع الكنعانيون وجميع سكان الارض ويحيطون بنا ويقرضون اسمنا <sup>٢</sup> حيث يدل هذا على ما كانت عليه من قوة .

ت - وفي الاصحاح التاسع من السفر هذه العبارة « لما سمع جميع الملوك الذين في عبر الاردن - فلسطين - في الجبل والسهل وفي كل ساحل البحر الكبير الى جهة لبنان الحيشون والآموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون اجتمعوا معالحرابة يشوع واسرائيل بصوت واحد » حيث تدل العبارة على انه كان في غرب الاردن عدد كبير من الممالك منها الكنعانية ومنها غير الكنعانية وانها كانت تعيش في الارض مع بعضها بوقاق .

ث - وفي التباارة شعب جديد لم يدر اسمه قبل وهم الفرزيون . ونرجح انهم كباقي شعوب غرب الاردن وشرفه من ارومة عربية ، ان لم يكونوا فرعاً كنعانياً .

ج - وبما ذكر في هذا الاصحاح مدن جيعون والكفيرة وبشرت وقرية بعاريم بمناسبة رسل ارسالهم جيعون الى الاسرائيليين ليأخذوا منهم عهد امان بعد ما سمعوا شدة القمع والفتك والتحريق والابادة التي سمعوا عنها في اريحا وعاي واهلها .

(١) الاصحاح ٢ - ٦

(٢) الاصحاح ٧ و ٨

ولا يزال في فلسطين الوسطى قرى تحمل هذه الاسماء معدلة مثل جبع والكفيروالبثرة .  
وعبارة السفر لا تفيد ان هذه المدن كانت كراسي ممالك وكان لها ملوك . وقد وصفت  
جبعون في الاصحاح العاشر انها مدينة عظيمة كاحدى المدن الملكية - العوامم - وانها  
اعظم من مدينة عاي وكل رجالها جبابرة حيث يدل ذلك على انها كانت زعيمة مدن  
وقرى منطقتها . وقد ذكر الاصحاح الحادي عشر ان اهلها من الحويين .

ح - وفي هذا الاصحاح اسماء ادوني صادق ملك اورشليم وهو هام ملك جبوروت  
ونخرام ملك يرموت وبافيتع ملك نخيش وديبر ملك عجون . وذلك بمناسبة تحالف الملوك  
الخمسة على جبعون بسبب مسالمتها لبني اسرائيل .

والعبارة تفيد ان الملوك الخمسة من الآموريين . واللمحة العربية بادية على اسماء الملوك  
ومدنتهم ؛ وكان لهم مدن محصنة على ما تفيد عبارة الاصحاح حيث تذكر انه لم ينبج منهم  
إلا من لحق بمدينته المحصنة .

والاصحاح يذكر ان ادوني صادق هو الذي استدعى الملوك الاربعة الآخرين واقترح  
عليهم التحالف ضد جبعون والتتكيل بها ؛ حيث قد ينبذ هذا ان ملك اورشليم كان  
بمثابة الرأس أو المتزعم للممالك الآمورية الخمسة . ولقد ذكر سفر التكوين ' اسم  
ملك يصادق ملك شليم بمناسبة عودة ابراهيم من الحقوق بالغزاة العراقيين ووصفه بالكاهن  
باسلوب يدل على انه كان موحداً على ما ذكرناه قبل . وليس من المستبعد ان يكون  
ادوني صادق من نسله وان تكون شليم هي التي عرفت فيما بعد باورشليم فدكرها  
الاصحاح بهذه الصيغة .

خ - وفي الاصحاح نفسه اسماء مدن مقيمة ولبنه وجازر بمناسبة زحف الاسرائيليين  
عليها ايضاً والعبارة تفيد انها هي الاخرى كانت كراسي ممالك وانه كان هناك مدن  
وقرى تابعة لكل منها ايضاً . ولم يذكر السفر ارومة ملوك وسكان المدن الثلاثة كما  
ذكر الخمسة الاولين . واللمحة العربية بادية على الاسماء ومن المحتمل ان يكونوا  
كنعانيين .

د - وفي الاصحاح الحادي عشر اسماء يابين ملك حاصور ويوباب ملك مادون وملك

شعرون وملك ا كشاف بدون اسماء وعبارة » والملوك الذين الى الشمال في الجبل وفي  
العربة ( وادي عربة على الارجح الذي هو في الجنوب الشرقي من غور اريحا ) جنوبي  
كنزوت وفي السهل وفي مرتفعات دور غرباً » وذلك بمناسبة ارسال الاول اليهم يدعهم الى  
الاجتماع تحت راية واحدة مع جيوشهم لمحاربة بني اسرائيل واجتماعهم فعلا على مياه  
اسمها ميروم ؛ حيث يؤيد الخبر وجود عدد كبير من المدن والملوك في غرب الاردن  
بالاضافة الى ما ذكر سابقاً . وقد عين الاصحاح مواقع الممالك بالنسبة لشعوب غرب  
الاردن فقال إن الكنعانيين في الشرق والغرب والآموريين والحيتيين والفرزيين  
واليبوسيين في الجبل والحويين تحت حرمون في ارض المصفاة . وقد جاء في الاصحاح  
» ان الملوك جاؤوا مع جيوشهم شعباً غفيراً كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة  
بجبل ومركبات كبيرة جداً » حيث يدل ذلك على ما كانت عليه ممالك هذا الاقليم  
من قوة وكثرة واستعداد . وقد يفيد ترلي ملك حاصور الدعوة انه كان بمثابة الرأس  
او المتزعم في هذه الممالك ؛ بل إن هذا ذكر صراحة في الاصحاح بهذه العبارة » إن  
حاصور كانت قديماً رأس جميع تلك الممالك .

ذ - ولقد ذكر الاصحاح ان يوشع فتح حاصور وقتل ملكها وجميع سكانها  
واحرقها بالنار في جملة ما ذكرت اصحاح سفر يشوع ما فتحه يشوع من مدن واباد من  
سكان . غير ان الاصحاح الرابع من سفر القضاء نقض هذا اشد نقض اذ قال إن الرب  
باع بني اسرائيل الى يد يابن ملك كنعان الذي كان ملكاً بحاصور وضيق عليهم بشدة  
عشرين سنة » وكان ذلك في عهد القضاة الذي اعقب عهد يشوع وبعبارة اخرى بعد  
موت يشوع بسنتين عديدة حيث يفيد ذلك ان مملكة حاصور - التي كانت في المنطقة  
الشمالية من ارض كنعان وبتعين ادق في منطقة الجليل وجبل تايور على ما يستفاد من  
الاصحاح المذكور ظلت ذات قوة وسلطان شامل الى هذا الوقت وان كان من المحتمل  
ان يكون الملك يابن الذي ذكره هذا الاصحاح هو غير يابن الذي ذكره الاصحاح سفر  
يشوع الحادي عشر ؛ وانما اسم على اسم حسب عادة الملوك الذين هم من اسرة واحدة  
على ما مر امثاله كثيراً .

١- وفي الاصحاح الثاني عشر من سفر يشوع احصاء اجمالي بياتم لبني اسرائيل من انتصارات وبما  
استولوا عليه من مدن وارضين في شرق الاردن وغربه وهو في الوقت نفسه احصاء بما كان في

شرق الاردن وغربه من ممالك حيث يقول «وهؤلاء ملوك الارض الذين ضربهم بنو اسرائيل وامتلكوا ارضهم في عبر الاردن نحو مشرق الشمس من وادي ارنون الى جبل حرمون وكل العربى نحو الشروق : سيحون ملك الآموريين الساكن في حبشون المتسلط من عروعر التي على حافة ولاي ارنون ووسط الوادي ونصف جلعاد الى وادي يبيوق نحو بني عمون والعربى الى بحر كنزوت نحو الشرق والى بحر العربى يجر الملح ( كناية عن بحيرة لوط على الارجح ) نحو الشروق بيت يشيموت ومن الشيمن تحت سفوح الفجّة . ونحوم عوج ملك باشان من بقية الرافائين الساكنين في عشتاروت واذرعى والمتسلط على جبل حرمون وسلاحة وعلى كل باشان الى تخم الجشوريين والميكيين ونصف جلعاد نحو سيحون ملك حبشون موسى عبد الرب وبنو اسرائيل ضربوها واعطاها موسى عبد الرب ميراثاً للراووبينيين ( بني راؤبين احد الاسباط ) والجاديين ( بني جاد احد الاسباط ) ولتصرف سبط منسى . وهؤلاء ملوك الارض الذين ضربهم يشوع وبنو اسرائيل في عبر الاردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان الى الجبل الاقرع الصاعد الى سعيير واعطاها يشوع لاسباط اسرائيل ميراثاً حسب فرقهم في الجبل والسهل والعربىة والسفوح والبرية والجنوب الحيشون والاموريون والكنعانيون والفريزيون والحييون واليبوسيون . ملك اريحا - ملك عاي - من اورشليم - ملك حيرون - ملك يرموث - ملك مخيش - ملك عجلون - ملك جازر - ملك دير - ملك جادر - ملك حرمة - ملك عراد ملك ابنه - ملك تمدلام - ملك مقيدة - ملك بيت ايل - ملك تفوح - ملك حافر - ملك افيق - ملك تشارون - ملك مادون - ملك حاصور - ملك شمرون - ملك اكشاف - ملك تغنك - ملك مجدو - ملك قادش - ملك يقتعام كرمل - ملك دور - ملك جوييم في الجبال - ملك ترصة . جميعهم واحد وثلاثون »

وفي هذه القائمة اسماء كثيرة لم ترد قبل .

ز - وفي الاصحاح الثالث عشر من السفر ما يفيد ان هذه الممالك ليست كل ما كان في شرق الاردن وغربه من ممالك فقد قال «انه بقي ارض كثيرة جداً لم يملكها يشوع وهي كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذي هو امام مصر الى تخم عقرون تحسب للكنعانيين واقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والاشدودي والاشتقوني والجني والعقروني والعريين من التيمن كل ارض الكنعانيين ومغارة التي لاصيدونييين الى رفيق تخم الاموريين وارض الجبلين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون الى مدخل حماة .

س - واسم « العويون » و« الشيحوريون » يأتي لأول مرة هنا ، ولا يذكر الاصحاح هويتهم ، ونميل الى القول فيهم بما قلناه في اليبوسيين والفرزيين والحويين .

ش - واسم الفلسطينيين يأتي لأول مرة هنا ١٠ . ومع انهم ليسوا ارومة عربية الجنس فقد لعبوا على مسرح غرب الاردن دوراً هاماً وشغلوا حيزاً عظيماً امتد الى القرن الثالث قبل الميلاد وصار هذا الغرب يسمى باسمهم . وهم الجماعات الذين طرأوا على جنوب فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وكان اسمهم بلست او فلست او بلاسج حسب اختلاف الروايات على ما شرحناه في الجزء الثاني من الكتاب ثم في الفصل الاول من هذا الجزء وكان لهم حيناً طراً بنو اسرائيل على غرب الاردن بعد خروجهم من مصر بمالك عديدة في هذا الجنوب منها غزة واشدود - اسدود اليوم - وعسقلون - عسقلان اليوم - وجت وعقرون اوميغرون وبينه ورافاح .

وعبارة الاصحاح تقيده ان بني اسرائيل لم يقدرُوا عليهم او لم يتحرشوا بهم فظلوا حيث هم . وقد نشب بينهم وبين بني اسرائيل في عهد القضاة وعهد الملوك صيال مديد كانوا يغلبون فيه حيناً ويغلبون حيناً ولكنهم ظلوا محتفظين بكيفياتهم وبلادهم .

ص - وفي الاصحاح الثالث عشر من سفر يوشع ثم في الاصحاحات التالية له الى الاصحاح العشرين اسماء مدن كثيرة في شرق الاردن وغربه لم تذكر قبل مثل ميدبا وعرعير وياموت وبعل بعل وبيت بعل معون وقديموت ومنية وبهض وسبعة وصارت الشجر وبيت فغور وبيت بشيموت ويعزيز وربة وزامة وبطوليم وبيت هادام وبيت غمرو وسكوت وصافون وقبطيل وعيدر وياجور وقينة ويمونة وعرعره وثنان وزيف وطالم وبعلون وحدته وتريوت وحضرون وامام وشماغ ومولادة وحصير حيسدو وعشمون وبيت قلط وحصر شو عال ويزبونة وبعلة وعيم وعاحم وتوكبد وكسيل وصقلغ ومدمنة

---

(١) ورد اسم الفلسطينيين في الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين في سياق ذكر حلول اسحق في منطقة بئر السبع حيث وردت هذه الجملة فيه ( حصد الفلسطينيين ) غير انه لما كان الفلسطينيون انما جاؤوا الى فلسطين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد في حين ان حقبة وجود اسحق كانت حسب ما نؤمن في القرن التاسع عشر قبل الميلاد فالمبادر ان الاسم اريد به اهل البلاد الكنعانيين وان الاصحاح ذكرهم باسم الفلسطينيين تأثراً بما كان من واقع وجود الفلسطينيين حيناً دون سفر التكوين بعد خروج بني اسرائيل من مصر وطروهم على فلسطين التي كانت تسمى ارض كنعان .

وستسنة ولباون وسلاحيم وعين ورمون وشتاؤول وصرعة واشنة وزانوح وعين جيم  
 وغيام وسوكرة وعزيقة وشعرايم وعديتايم وجديرة وجدير قرنايم وصنات وحداشة  
 ومجدل جاد ودلعان والمصناة ويقتنيل وبصعة وجديروت وبيت داجون وظعمة وعائر  
 وعاشان ويفتاح واشنة ونصيب وفصيلة واكريب ومريشة وشامير وبتير ودنة وسنة  
 وغناب واشنمو وعانيم وجوشن وحولوت وجبلو واراب ودومة واشعار وينوم وحصه  
 وصعبور ومعون وبوطه ويزرعيل ويقدعام والغاب وجبعة وتمنة وحلمول وبيت صور  
 وجدور ومعاره وبيت عنون وتقون ولمسكاكة والنيشان ومدينة الملح وعين حدي ولوز  
 وعطاروت وبيت حوروت ونغرات واشير ويساكر وبياعام وسكان دور وبيت حجة  
 وواهي قصيص وبيت العربية وصماريم والعويم والغارة وعفنة وكفرا والعفنى والموصه  
 وراقم ويبر قثيل وتزالة وصبلع وآلف ويهوس وجبعة وقربة وشبع وحصر شعوال وبالة  
 وصقلع وبيت المركبوت وحصر سوسة وبيت لباوت وشاررحين وعين ورمون وعائر  
 ومرعلة ودباشة وساريد وتابور والدبيرة وعلت قاصين ونبعة وحناتون وقطة ونهلال  
 وبدالة وبيت لحم ويزرعيل وشونم وحقارائيم وشينون واناصرة وربيت وقشيون وايص  
 ورمه وبيت شمس وحلقة وحلي وباطن والمملك وعمعاد ومثال وزبولون ونعنيل وبيت  
 العامق وكابول وعبرون وحمون وقانة وحوصه وعمة وحالف وينثيل وارزوبوت وحقوقه  
 والصديم وصير ورحمة ورقه وكنارة وادامة وقادش ويرثون ومجدل ايل وحوريم وبيت  
 غناه وصرعة وشعيلقي وايلون وشبله وتمنة والتقبة وحيثون وبعله وبني برك وحت رمون  
 والرقون ولشم . ويتبع كل مدينة من هذه المدن ضياع وقرى عديدة على ما ذكر في  
 الاصحاحات وان لم تورود اسمائها .

وفي هذا الثبت الطويل دلالة على ما كان من استبحار العمران في شرق الاردن وغربه  
 قبل طرؤ بني اسرائيل حتى لكأنه لم يكن مكان يقيم عليه الاسرائيليون مدناً جديدة  
 والامحة العربية القديمة بادية على جل هذه الاسماء إن لم نقل كلها . ولا غرو فاعلمها  
 عربية الجنس . وكثير من هذه الاسماء ما يزال يطلق على مدن وقرى ومواقع وخرائب  
 في شرق الاردن وغربه مع بعض التعديل . ويظهر هذا من مقابلة الاسماء باسماء المدن  
 والقرى القائمة فيها اليوم والتي اثبتناها في مطلع هذا الجزء حيث يدل هذا وذلك على أن  
 بني اسرائيل لم يكادوا يبنون مدناً جديدة وعلى انهم عاشوا في مدن وقرى من قبلهم .  
 ولقد جاء في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع خطاب وجهه بشوع لبني  
 اسرائيل بلسان الرب « اعطيتكم ارضاً لم تتبعوا عليها ومدناً لم تبنيوها وكروم زيتون  
 لم تفرسوها مما فيه تأييد لما قلناه .

## سورة ممتحنة من سفر القضاة

وفي سفر القضاة الذي يأتي بعد سفر يوشع اسماء واحداث كثيرة متصلة بشرق الاردن وغربه ايضاً ذكرت في سياق سيرة بني اسرائيل في عهد القضاة الذي سبق قيام ملكهم برثاسة طالوت ( شاؤول ) والذي كانت احوالهم فيه غير مستقرة وكانوا يعيشون فيه تحت حكم مشايخ عرفوا باسم القضاة ؛ وذلك حوالي ١١٥٠ - ١٠٢٠ ق م .

آ - فمن ذلك في الاصحاب الاول اسم ادوني بازق بوصفه ملك مدينة بازق الكنعانية في سياق زحف سبط يهوذا على هذه المدينة التي وقعت في التوزيع في حصتهم وقد قبضوا على الملك وقطعوا اباهم يديه ورجليه فقال ان سبعين ملكاً مقطوعة اباهم ايديهم وارجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتي مما يدل على ما كان عليه من قوة وسيطرة وشمول سلطات .

ب - وفي الاصحاب نفسه ان اسباط منسى وافرأيم وزبولون واشير ونفثالي لم يطردوا الكنعانيين الذين وقعت بلادهم في حصتهم وهي بيت شان ( بيسان اليوم ) وقراها وتعنك ( لا تزال قائمة باسمها ) وقراها ودور وقراها وبيلعام وقراها ومجدو وقراها وجازر وقطرون ونهول وعكو ( عكا اليوم ) واجلب واكزيب ( الزيب اليوم ) وحلبة ورحوب وبيت شمس وبيت عنات وان الاسباط المذكورة سكنوا مع اهلها الكنعانيين ؛ وكل ما كان من امر انهم فرضوا الجزية حينما اشتد ساعدتهم ؛ ولا شك ان هذا لما كان لعجزهم عن طردهم . وواضح منه ان كثيراً من اهل البلاد بل معظم اهلها في شمالها ووسطها وجنوبها ظلوا حيث هم .

ت - وفي الاصحاب نفسه ان الآموريين حصروا بني دان في الجبل ولم يدعهم ينزلون الى الوادي ، وانهم ظلوا يسكنون جبل حارس في ايلون وشعليم وكان تخيمهم من عقبة العقارب فصاعداً حيث يدل هذا على انهم كانوا على درجة من القوة وان كان الاصحاب ذكر ان بني يوسف فرضوا عليهم الجزية حينما اشتد ساعدتهم وبقوا حيث هم .

ث - وفي الاصحاح الثالث خبر غزوة حجبون ملك مؤاب لبني اسرائيل . وبما ورد فيه ان حجبون جمع بني عمون والعمايق وزحف بهم واستعبد بني اسرائيل ثاني عشرة سنة .

ج - وفي الاصحاحين الرابع والخامس خبر تسلط يابين ملك حاصور الكنعاني - في غرب الاردن - على بني اسرائيل واستعبادهم عشرين سنة ، وكان في تسعمائة مركبة من حديد واسم قائده سيسرا . وحاصور في منطقة جبل طابور في الجليل على ما ذكره الاصحاح . ويفيد الخبر انها مملكة قوية وان سلطانها كان شاملاً لمنطقة واسعة بعد دخول بني اسرائيل غرب الاردن . وقد تزعم ملكها حركة مقاومة وصدي بني اسرائيل على ما مر شرحه . وهذا الخبر ينقض ما ذكره الاصحاح الحادي عشر من استيلاء بني اسرائيل على حاصور واحراقها وقتل ملكها وابادة سكانها ...

ح - وفي الاصحاح السادس خبر غارات اهل مدين والعماقة وبني المشرق على اسرائيل غارات شديدة اضطرتهم الى ترك مدنهم وقراهم والالتجاء الى الكهوف والمغاور والحصون وكانوا اذا زرعوا صعدوا عليهم فأفسدوا غلاتهم الى مدخل غزة . ولم يبقوا لهم ميرة ولا غنماً ولا بقرأ ولا حميراً . وكانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويأتون كالجراد كثرة . فذلت لهم بنو اسرائيل ذلاً عظيماً لمدة سبع سنين حيث يفيد هذا ما كان عليه المغيرون المتحالفون من قوة وشدة . وقد ذكر الاصحاح السابع اسم ملكين من ماو كههم هما زاباح وصامناع . واسم قائدين من قوادهم وهما زيب وعوريب . والامحة العربية بادية بقوة عليهم . ولقد ذكر الاصحاح ( ٣١ ) من سفر العدد ان بني اسرائيل دمروا مدين وابادوا اهلها . والمدة بين هذا الظرف وذاك لا تزيد عن مئة سنة ان لم تقل . وهذا يعني ان الخبر الاول مبالغ فيه كثيراً وان اهل مدين وحلفاءهم انتعشوا وجمعوا اجمعهم وزحفوا على اسرائيل لاختذ ثأرهم .

خ - وفي الاصحاح العاشر خبر تسلط بني عمون على الامرائيليين الذين في شرق الاردن ثم عبورهم النهر وخرابهم اسباط يهوذا وبنيامين وافرايم ( في منطقة القدس ونابلس ) . وقد مر ذكر بني عمون بوصفهم مملكة في شرق الاردن كانت قائمة حيناً طراً بنو اسرائيل على هذه المنطقة بقيادة موسى ممتدة الى ما قبل ذلك . وقد كان موسى تحاشاهم لانهم كانوا اقوياء .

وهكذا يبدو مما ان الاموريين والكنعانيين والموآبيين والعمونيين والمدينيين



في غرب الاردن وشرقه ظافوا مستقرين في البلاد بعد طروء بني اسرائيل عليها محتفظين بشخصياتهم وكياناتهم . وقد ذكر الاصحاح العاشر من هذا السفر ان بني اسرائيل تأثروا بهم دينياً واجتماعياً فعبدوا آلهتهم وقلدوهم في عاداتهم حيث يفيد هذا انهم كانوا اقوى منهم استقراراً وثقافة حضارة ايضاً .

## صور مقتبسة من اسفار صموئيل والملوك واخبار الايام

وفي سفري صموئيل الاول والثاني وسفري الملوك الاول والثاني ( والاسفار الاربعة في النسخة الكاثوليكية تسمى باسفار الملوك فقط دون اسم صموئيل ) ثم في سفري اخبار الايام الاول والثاني وهي الاسفار التي تحكي سيرة بني اسرائيل منذ قيام ملكهم حوالي اواسط القرن الحادي عشر بزعامة طالوت ( شاؤول ) ثم ملك داود وسليمان ثم سيرة مملكتي يهوذا واسرائيل اللتين قامتا بعد سليمان نتيجة لتمرد اكرثية الاسباط على ابن سليمان الى زوال ملكهم على يد نبوخذ نصر عام ٦٠٦ ق م اشياء كثيرة متصلة باحوال شرق الاردن وغربه وتاريخها وما كان من مصادرات خاصة بين بني اسرائيل وبمالك شرق الاردن .

آ - ففي الاصحاح الحادي عشر من صموئيل الاول خبر زحف باحاش ملك بني عمون على يابيش جلعاد في شرق الاردن التي كان يقيم فيها فريق من بني اسرائيل بقصد فرض سيادته عليه فطلبوا منه الأمان فقبل بشرط قلع كل عين يبنى لهم حيث يدل هذا ان صح على مقدار ما كان عليه هذا الملك واهل بلاده من اعتداد وما كانوا يضرونه لبني اسرائيل من ازدوا . وطلبوا منه مهلة وارسلوا يستسيغثون بشاؤول الذي صار ملكاً على بني اسرائيل فزحف وضرب العمونيين ويبالغ الاصحاح كالعادة فيقول انه لم يبق منهم اثنان معاً وان الزاحفين معه كانوا ( ٣٣٠ ) ألفاً . ومن ادلة المبالغة ان الاصحاح ( ١٢ ) من السفر نفسه ذكر صعود الفلسطينيين على بني اسرائيل فوقعوا فيهم الذعر وتفرقوا شذر مذر حتى يبقى حول شاؤول الاستماعة رجل .

ب - وفي الاصحاح الخامس عشر من السفر نفسه خبر زحف شاؤول على قبائل العماليق في صحراء النقب وضربهم ضربة شديدة لانهم وقفوا في وجه بني اسرائيل حينما

جاءوا من مصر . ويفيد الخبر ان هذا القبيل العربي الجنس ظل محتفظاً بكيانه  
ايضاً في هذه المنطقة . ووصف ضربة شاوول مبالغ فيها كثيراً حيث يذكر انه قتلهم  
جميعاً وعفا عن ملكهم اجاج وفي هذا تناقض في الوقت نفسه . ولقد ذكر الاصحاح  
الثلاثون من السفر خبر غزو العالقة لمدينة صفلاح التي كان لجأ اليها داود اثناء مطاردة شاوول  
له واحرقوها بالنار وسبوا جميع سكانها فكيف يكون هذا اذا كان شاوول قد ابادهم !

ت - وفي الاصحاح الثامن من سفر صموئيل الثاني خبر اخضاع داود لبني مؤاب وبني  
عمون والعالقي وآدوم وصوبة آرام في حوران وجبابة الجزية منهم واقامته في آدوم  
محافظين وجعله جميعهم عبيداً . ولا يذكر هذا الاصحاح ولا غيره ان داود اخضع بالقوة  
الحربية غير عمون وآدوم على ما سوف يرد بيانه . والنصوص الآتية تدل على ان عمون  
ومؤاب خاصة ظلت محتفظة بكيانها . واذا صح الخبر فتكون قد خضعت لسيادة داود  
مع احتفاظها بكيانها باستثناء آدوم . ولقد ورد في الاصحاح الحادي عشر من سفر  
الملوك الاول ان هدد الآدومي بن ملك آدوم فر الى مصر مع بعض رجاله نتيجة لغزو  
داود بلاده فحظي فيها بترحيب ملك مصر وحميئة وزوجه باخت زوجته وظل في مصر  
الى ان مات داود فعاد الى بلاده وقاد حركة تمرد ضد سيادة بني اسرائيل عليها طيلة  
ايام سليمان .

وقد تمكن من استعادة سيادته في بلاده على ما تنفيه نصوص اخرى على ما سوف  
يأتي بعد . وقد ذكر الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الاول ايضاً ان زوزن بن  
اليداع من رجال ملك صوبة آرام جمع جموعه وقاد حركة تمرد وغارات على اسرائيل  
طيلة ايام سليمان حيث يفيد هذا ان صوباً كذلك لم تلبث ان تقلت من سلطان داود .

ث - وفي الأصحاح العاشر من صموئيل الثاني خبر موت ناحاش ملك بني عمون وقيام  
حاتون عوضه وقول داود ان ناحاش صنع معي معروفاً وارساله وفداً الى حنون لتعزيته .  
وقد استشر بنو عمون نية سيئة من وفد داود فقالوا لحنون ان داود قد ارسله لفحص  
المدينة تمهيداً للاستيلاء عليها ، وحينئذ حلق لحنون الوعد وقص ثيابهم من الوسط الى استاهم  
احتقاراً وازدراء . وغضب داود وسير جيشاً قوياً لقتالهم .

واستأجر بنو عمون عشرين ألفاً من آرام بيت رحوب وصوباً والفاً من مكن واثني  
عشر ألفاً من طوب ليقفوا في وجه زحف جيش داود . وقد امعن هذا في البلاد تديراً

ثم ضرب الحصار على ربة عمون العاصمة ( مكانها عمان اليوم ) وجاء داود على رأس جيش آخر وشدد الحصار حتى استولى على المدينة وأخذ تاج ملكها الذي يزن قنطاراً من الذهب والمرصع بالحجارة الكريمة مع غنائم وفيرة جداً . بعد ضربه بني عمون ضربة شديدة .

والنصوص الآتية تدل على ان كيان مملكة بني عمون بقي قائماً . ولعل داود اكتفى بفرض الجزية عليها وهو ما اشير اليه قبل .

ج- وفي الاصحاح الحادي عشر من سفر اخبار الايام الاول ان اليبوسيين اهل اورشليم حاولوا منع داود من دخول المدينة حينما تمت له البيعة فقاتلهم ودخلها عنوة ثم اتخذ لنفسه حصناً اقام فيه حيث ينبغي هذا ان اهل اورشليم الكنعانيين ظفوا محتفظين بقوتهم الى زمن داود امتداداً لما قبله بل وانهم ظلوا كذلك بعد دخول المدينة فترة من الزمن .

ح - وفي الاصحاح الرابع من سفر الملوك الاول ان سليمان كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر الى اراضي فلسطين والى نخم مصر وكانت تحمل اليه الهدايا وتخضع له كل ايام حياته . وعبارة ارض فلسطين تعني ممالك الفلسطينيين في الجنوب ( غزة وعسقلان وسدود وحت وعقرون وبنيه وتوابعا ) . وعبارة من النهر تعني غرب النهر .

وهذا وذاك يعني انه كان في غرب الاردن في زمن ملك سليمان ممالك كنعانية وآمورية محتفظة بكيانها مع خضوعها لسليمان وداود من قبله . بالإضافة الى ممالك الفلسطينيين التي لم تكن خاضعة له ؛ ويعني كذلك ان ما كان خضع لداود من ممالك شرق الاردن قد تقلت واستعاد استقلاله وسيادته .

خ - وفي الاصحاح الحادي عشر من السفر ان سليمان كان متزوجاً من مؤابات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات بالإضافة الى حشيات وبنت لفرعون وانه تعلق بهن فازغن قلبه فتبع عشقوت الالهة الصيدونيين وملكوم رجس بني عمون وبني مشرفاً لكاموش ورجس مؤاب .

والمعقول ان يكون ذلك قد شاع في بني اسرائيل في عهده ايضاً . وهذا يدل على ما كان للكنعانيين من قوة وتأثير ديني واجتماعي على بني اسرائيل في اقوى عهود سيادتهم امتداداً لما قبل ذلك بما ذكره سفر القضاة بل وسفر العدد والخروج واوردهاه قبل .

د - وفي الاصحاح الثاني من سفر اخبار الايام الثاني ان سليمان احصى الاجانب في ارض اسرائيل فكانوا ( ٥٣٦٠٠ ) فاستخدمهم عمالا ومشرفين في عمارة المعبد والقصر وغيرهما مما انشاءه . والرقم يمثل الرجال على الاغلب وهذا يعني ان عدد الاجانب - والمقصود من ذلك الخاضعون له في غرب الاردن من الكنعانيين والآموريين - يبلغ بالنساء والاولاد نصف مليون مما يعطي فكرة عن كثافة الذين بقوا في غرب الاردن الى عهد سليمان من الارومات العربية الجذس فضلا عن الفلسطينيين في الجنوب . وقد يدل الخبر على ان رجال الكنعانيين والآموريين كانوا اصحاب فن وبراعة مما جعل سليمان يستخدمهم في اعماله الانشائية ..

ذ - وفي الاصحاح الرابع عشر من سفر اخبار الايام الثاني خبر زحف الكوشيين بزعامه ملكهم زارح على دولة يهوذا في عهد آسا ثالث ملوك هذه الدولة بالف ألف مقاتل وثلاثمائة مركبة ووصوله الى مريشة . وارتاع آسا وبنو اسرائيل برغم ذكر الاصحاح انه كان لهم جيش قوامه ( ٥٨٥٠٠٠ ) حامل رمح وقوس وقوس . ولم يجروا على لقائهم الا بعد الاستغاثة من الله ووعدهم بالنصر . وقد ذكر الاصحاح انهم هزموا الزاحنين وطاردوهم الى جرار وفتكوا فيهم حتى لم يكن حي ثم ضربوا جميع المدن حول جرار ونهبوها وكان من المنهوبات مقادير عظيمة من الماشية .

وتسمير الكوشيين كان يطلق في آثار مصر القديمة على سكان بلاد النوبة . وسفر التكوين يذكر انهم من بني حام بن نوح .

وليس من المعقول ان يكون الزحف من بلاد النوبة . ومدينة جرار من المدن الكنعانية القديمة وهي شرقي خان يونس على ما ذكرناه قبل ولا تزال آثارها قائمة تعرف بام الجرار ؛ ونرجح ان الاصحاح اطلق تعبير الكوشيين على اهل هذه المنطقة اعتباراً وانهم من الكنعانيين القدماء . وبقطع النظر عما في الارقام وسير الحرب من مبالغة وخيال فالخبر يفيد على كل حال ان مملكة جرار ظلت قائمة بعد دخول بني اسرائيل الى غرب الاردن ثم خلال حكم داود وسليمان الى عهد دولتي يهوذا واسرائيل بعدها وانها كانت تضم مدناً عديدة .

و - وفي الاصحاح الاول من سفر الملوك الثاني جملة « وتمرد المؤابون على اسرائيل بعد وفاة آحاب » وفي الاصحاح الثالث بيان آخر حيث ذكر ان ميشاع ملك مؤاب كان

صاحب ماشية وكان يؤدي الى ملك اسرائيل ١٥٠٠٠٠ حمل و ١٥٠٠٠٠ كبش بصوفها فلما مات تمرد ابنه على اسرائيل . وقد ذكر السفر ان يورام بن آخاب ملك اسرائيل زحف عليهم واشترك معه في الزحف ملك يهوذا ولكن زحفهم اخفق وعاد يورام بجروحا ويفيد الخبر ان مملكة اسرائيل تمكنت في ظرف ما لم يذكر حقيقته من بسط سيادتها على مملكة مؤاب . ولقد اكتشف في قرية ديبان من قرى البلقاء - واسم هذه القرية متطور من اسم ديبون التي كانت عاصمة مؤاب على ما تفيد النصوص - حجر عرف انه نصب تذكارى اقامه ملك مؤاب ميشع ونقش عليه قصة تمرده على اسرائيل وتحريره لمملكته من سيادتها . وهذه ترجمته باللغة الفصحى<sup>١</sup> نقلا عن كتاب تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفستون ص ١٦٠ وما بعدها :

« انا ميشع بن كموش ملك مؤاب الديوني . حكم والدي مؤاب<sup>٢</sup> ثلاثين عاماً . وملكت بعد والدي . بنيت محلاً عالياً لكموش<sup>٣</sup> في قورخا لانه انقذني من جميع الملوكة وجعاني ازدي اعدائي . كان عمري ملك اسرائيل اضهد مؤاب عدة سنوات لان لكموش كان غاضباً على بلاده اثناءها . خلفه معاصري ابنه الذي قال ايضاً « سأظلم مؤاب . لكني اهلكته وبيته واسرائيل هلاكاً ابدياً . »

« استولى عمري على ارض مادبا وسكن عليها هو وابنه لمدة اربعين سنة . لكن لكموش افتتحها في عهدي . وقد شيدت بعل ميون وعملت فيها خزاناً واعدت بناء تبر جاثان . »

« سكن رجال جاد ارض عطور . حاربت المدينة واستوليت عليها . قتلت جميع اهلها ليسر لكموش ومؤاب . »

« وحملت منها مذبج دوده وسحبته امام لكموش في المدينة . »

« ثم اسكنت فيها رجال شارون وما خاروت . قال لي لكموش اذهب وافتح نبو بالقرب من اسرائيل فذهبت اليها ليلاً وحاربتها من الفجر حتى الظهر وتغلبت عليها رذبحت « جميع سكانها . ( ٧٠٠٠ ) رجل وولد وامرأة وطفل . لاني اوقفتهم الى عشور

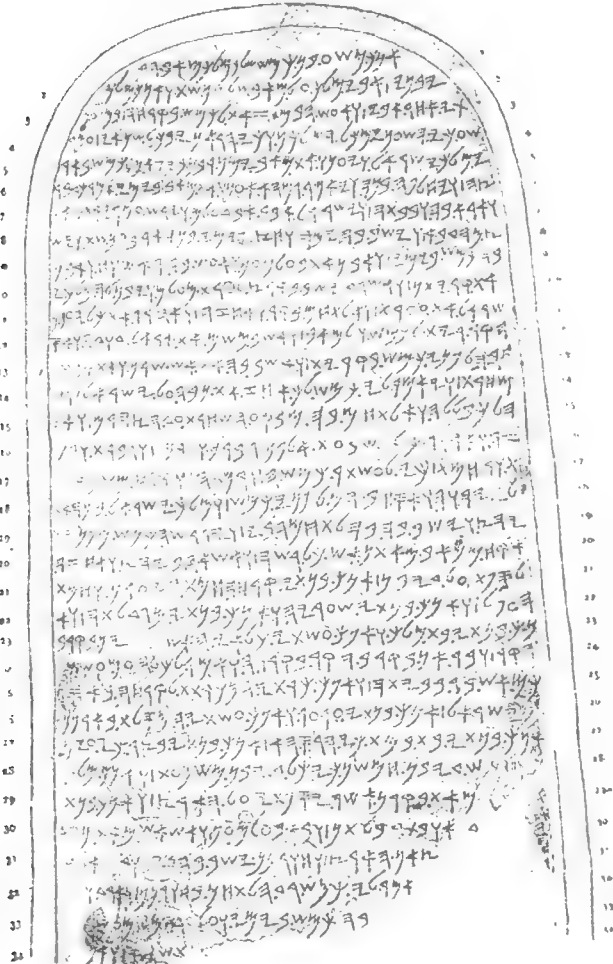
---

(١) اوردنا في تمهيد الجزء بعض سطور هذا النقش بلغته الاصلية التي تحمل اللمحة العربية القديمة .

(٢) كموش اسم اله مؤاب الخاص الهامي .

لكموش . واخذت منها مذابح هوا وجررتها على الارض امام لكموش . وقد بنى ملك  
اسرائيل جهاز وقطنها حين كان يعلن الحرب علي . لكن لكموش هزمه امامه . وافتتحت  
المدينة وضممتها الى دبون . انا الذي بنيت قورخا والسور الخشي والتاريس واعدت بناء

### نقش ميشع ملك موآب



جواباتها وابراجها وشيدت قصر الملك وحفرت مجاري خزانات المياه في المدينة . لم يكن في  
قورخا صهريج . لهذا امرت جميع الناس ليعمل كل منهم صهريجاً في بيته . وحفرت اقبية  
قورخا بواسطة اسرى اسرائيل . وقد اعدت بناء عروعر وعبدت الطرقات في ارنون

واعدت بناء بيت باروت لانها كانت تهدمت . اعدت بناء يبرز لان كل ديبون كانت خاضعة لسلطاني . وحكمت مئة المدينة التي ضمتها الى مملكتي . اعدت بناء مادبا . واستوليت على بيت ديلاتون . وبيت بوميون . واخذت هناك .

والنقش وثيقة اقوى من نص سفر العهد القديم بطبيعة الحال لانه دون في ظروف الحادث . ويفيد ان عمرى ملك اسرائيل هو الذي فرض سلطانه على مؤاب في زمن الملك لكوش واستمر هذا السلطان اربعين سنة ، وأن ميشع لم يكتف باسقاط سيادة اسرائيل وانما استولى على بلاد كانت لاسرائيل في شرق الاردن بعد أن اهلك واسر كثيراً من اهلها الاسرائيليين .

وآخاب هو سابع ملك من ملوك اسرائيل وملك في السنة الثانية والستين من قيام اسرائيل وامتد حكمه ٢٢ سنة ؛ حيث يكون تاريخ الحادث في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد . ونص نقشه يفيد ما كان عليه هذا الملك من نشاط عمراني وما انشأه من مشاريع عديدة نتيجة لذلك .

ز - وفي الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الاول ان آخاب ويوشافاط ملكي اسرائيل ويهوذا زحفا على راموت جلعاد في شرق الاردن لاستخلاصها من يد ملك آرام ولقي آخاب حتفه وارثه الزحف غائباً . والخبر يفيد ان ملك آرام - وهو ملك دمشق على ما يفيد اصحاح آخر من السفر نفسه كان يد سلطانه الى هذه الناحية من شرق الاردن الواقعة في آخر تخم شرق الاردن الغربي والتي كان يقيم فيها اسرائيليون .

س - وفي الاصحاح العشرين من سفر اخبار الايام الثاني ان بني مؤاب وبني عمون ومعهم الآدوميون صعدوا الى قتال يوشافاط .

وهذا رابع ملوك يهوذا وحكمه يصادف حكم يورام بن آخاب ملك اسرائيل الذي تمرد ميشع عليه ؛ حيث يحتمل ان يكون ميشع بعد ان نجح في تمرد تحالف مع ملوك آدوم وعمون ضد مملكة اليهود وقاموا بزحفهم على مملكة يهوذا . وبما ذكره الاصحاح ان يوشافاط ارتاع حينما جاءه خبر الزحف وأخذ يبتهل الى الله وأمر شعبه بالصوم والصلاة والابتهاال الى الله فجاءه رجل الله وبشره بالنصر وبث في قلبه الشجاعة وحينئذ خرج على رأس الجوع . ومع ذلك فالاصحاح يذكر مقرباً في الخيال ان الرب لم يجشم اليهود حرباً وانما ضرب الزاحفين ببعضهم وجعل بعضهم يقتل بعضاً حتى هلكوا جميعاً ومنح اليهود

اموالهم الكثيرة وأمتعتهم الثمينة . ومن العجيب ان يذكر الاصحاح اورتياح يوشافاط مع ان الاصحاح السابع عشر والثامن عشر من السفر نفسه استويا إطناباً بما كان من غناه وبجده وعظمته وقال ان قوته بلغت اكثر من مليون ومئة الف جبار من يهوذا (٧٠٠٠٠٠) ومن بنيامين ( ٣٨٠٠٠٠ ) !

ش - وفي الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الثاني ان امعيا بن يواش ملك يهوذا حارب الادوميين في وادي الملح وقتل منهم عدداً كبيراً . وهذا الملك ثامن ملوك يهوذا والحادث وقع بعد الحادث السابق بمدة لا تقل عن سبعين سنة حسب سني حكم الملوك المذكورة في الأسفار .

ص - وفي الاصحاح الثامن والعشرين من اخبار الايام الثاني ان الادوميين زحفوا على يهوذا في عهد الملك آهاز حفيد امعيا وضربوها وسبوها فأخذوا ثأرهم . والخبر يفيد في الوقت نفسه أن آدوم كانت لهم مملكة مستقلة فاستعادت قوتها وتمكنت من اخذ ثأرها .

ض - وفي الاصحاح السادس والعشرين من سفر الملوك الثاني ما يفيد ان رزيق ملك دمشق الآرامي ساعد الادوميين على استرداد ثغر ايله من الاسرائيليين في زمن فتوح بن رمليا ملك اسرائيل الذي يصادف حكمه نحو اواسط القرن الثامن قبل الميلاد وبعد نحو عشرين سنة من هذا الحادث اي في سنة ٧٢٠ ق م صعد شلنصر ملك آشور على السامرة وحاصرها واستولى عليها واجلى اهلها فكان ذلك نهاية دولة اسرائيل في عهد هوشع الذي خلف فتح المذكور آنفاً على ما ذكره الاصحاح السابع عشر من الملوك الثاني .

ط - وفي الاصحاح السادس والعشرين من سفر اخبار الايام الثاني ان العمونيين ادوا الجزية الى عزيا تاسع ملوك يهوذا الذي يصادف حكمه حوالي اواسط القرن الثامن قبل الميلاد . وفي الاصحاح التالي لهذا الاصحاح خبر قتال جرى بين بوتام بن عزيا وملك بني عمون انتصر الاول فيه وفرض على الثاني جزية سنوية مقدارها الف قنطار فضة وعشرة آلاف كرم من القمح ومثلها من الشعير : حيث يفيد الخبر ان عزيا استطاع في ظرف لم توضحه الاسفار فرض سيادته على مملكة عمون فلما مات تمرد ملك عمون على ابنه ولكنه اخفق . وعلى كل حال فالخبر يفيد ان مملكة عمون ظلت محتفظة بكيانها .

ظ - في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني ان غزاة من مؤاب وبني عمون



صعدوا على يواقيم سابع عشر ملوك يهوذا ولم يذكر الاصحاح نتيجةه ولكن صيغته تدل على ان الزاحفين شفوا غليلهم . والخبر يفيد ان مملكة عمون تقلت من سيادة مملكة يهوذا بل وحاولت ان تضرها انتقاماً لثأرها ؛ وان مملكة مؤاب كانت كذلك متمتعة باستقلالها وسيادتها متحالفة مع مملكة عمون ضد مملكة يهوذا . وكان هذا الحادث في ظروف ارتباك المملكة الاشورية وبروز دولة الكلدانيين وقبل قليل من صعود نبوخذ نصر ملك بابل ونسفه مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق م .

## صور مقتبسة من أسفار ما بعد زوال مملكة يهوذا وسيبي اهلها الى بابل

آ - في الاصحاح الرابع عشر من سفر عزرا ان اليهود حينما اذن لهم كورش ملك الفرس بالعودة الى اورشليم وتجديدها وتجديد المعبد وجاء منهم من جاء واخذوا يستعدون لتجديد المدينة والمعبد تصدى لهم اعداؤهم شعوب فلسطين وشرق الاردن لمنعهم وكتبوا عرائض الملك الفرس وذكروا فيها سيرة بني اسرائيل وشروهم ومصالحهم وطلبوا منهم وكان الملك قد آل في هذه الاثناء الى ارتخششتا الاول . فأمر بمنعهم . ومن جملة الذين اشتركوا بالعرائض الشعوب الذين أرسلهم ملوك آشور الى فلسطين واسكنوهم في بلاد السامرة حينما قوضوا مملكة اسرائيل سنة ٧٢٠ ق م والذين اعتنقوا الموسوية . وقد ارادوا أن يشتركوا في تجديد المعبد فرفض الاسرائيليون قائلين نحن نبي للرب اله اسرائيل فتضامنوا مع شعوب الارض ضدهم . حيث يفيد هذا ان أهل البلاد الاصليين ظلوا مقيمين في فلسطين وشرق الاردن بعد نسف دولتي اليهود وظلوا يحقدون على بني اسرائيل لسالف سيرتهم الباغية .

ب - في الاصحاح الخامس اسم تتناي والى عبر النهر ( شرق الاردن ) بمناسبة محاولة اليهود بناء المعبد للمرة الثانية . حيث يفيد هذا ان شرق الاردن صارت تحت حكم الفرس المباشر او تحت اشراف وال فارسي عام . وهكذا كان الامر في فلسطين على ما يفيد به الاصحاح الرابع والاصحاح الخامس أيضاً .

ت - في الاصحاح التاسع اشارة الى ما كان من المصاهرة والاختلاط بين بني اسرائيل

عائدين وشعوب الارض الكنعانيين والحِيثين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين  
والأموريين بحيث يؤيد هذا مايفيد الاصحاح الرابع بيان واف . وجميع هؤلاء الشعوب  
كانوا في فلسطين وشرق الاردن قبل طرود بني اسرائيل وظلوا فيها أثناء وجودهم وبعد  
زوال ملكهم ايضاً . وكانوا وظلوا أصحاب تأثير عليهم .

ث - في الاصحاحات ٣ - ٦ من سفر نحيا الذي هو من العائدين والذي عينه ملك  
الفرس كوال على منطقة اليهودية التي استقر فيها العائدون ( منطقة القدس ) ان نحيا  
بأشر في تعبير اورشليم وسورها فسمع بذلك سنبلط السامري فغضب واخذ يتوعد  
وينذر امام اخوته وجيش السامرة وكان عنده طوبيا العموني فتدلف معه وانضم اليهم  
العمونيون والاشدوديون والعرب الذين كان زعيمهم جاشم وارسلوا انذاراً الى نحيا .  
وكان بين طوبيا العموني وبعض اليهود نسب فأرسل الى أنسبائه يحرضهم على نحيا  
ويخوفهم من العاقبة . غير ان نحيا حين اتم بناء السور بجهد عظيم . وهذا يفيد بالاضافة  
الى تأييده ما ذكرناه سابقاً (١) أنه كان في السامرة حكم على رأسه حاكم سامري  
(٢) انه كان على رأس العمونيين زعيم أو حاكم منهم (٣) انه كان جماعات عربية صريحة  
العروبة على رأسهم زعيم أو حاكم منهم وان لم يعرف مكان وجودهم بالتحديد .  
(٤) ان الفلاطينيين كانوا موجودين في بلادهم في جنوب فلسطين وتضامنوا مع سائر الشعوب  
ضد بني اسرائيل .

ج - في الاصحاح الثامن من سفر زكريا نبوءة بسوء مصير الفلسطينيين ومدنهم غزة  
واسقلون وعقرون واشدود حيث يؤيد هذا ما قلناه آنفاً بيان اوفى .

ح - في الاصحاح الخامس من سفر المكابيين الاول - وهذا من زوائد النسخة  
الكاثوليكية - ان الامم من حول بني اسرائيل حينما علموا أن المذبح بني ودشن كما كان  
استشاطوا غضباً واخذوا يمدون ايديهم بالقتل لبني اسرائيل فتصدى لهم يهوذا زعيم الحركة  
المكابية اليهودية - وكان ذلك في عهد السلوقيين اليونانيين وفي أواسط القرن الثاني قبل  
الميلاد - فحارب اولاً بني عيسو وخربهم وسلبهم ثم حاصر بني بيبان وأسلمهم وحرق  
بروجهم ثم عبر الى بني عمون وكسره واستولى على يعزير وتوابعها من ارضهم ومع ذلك  
فان الامم التي في شرق الاردن احتشدوا واخذوا يهاجمون بني اسرائيل الذين هم في نحوهم  
وقتلوا منهم عدداً كبيراً . وابدوا الرجال في ارض طوب وعدهم الف وسبوا نساءهم

واولادهم ونهبوا اموالهم . وفي الوقت نفسه احتشد اهل عكا وصور وصيدا وسائر اهل الجليل واخذوا يهاجرون بني اسرائيل الذين هم في تخومهم معتزمين ابادتهم . وقد ارسل بنو اسرائيل في الناحيتين رسلا يستنجدون بيهودا فسارع الى نجدهم فارس اخاه سمعان الى الجليل على رأس نجدة وذهب هو الى شرق الاردن على رأس نجدة اخرى وتمكنت النجدة من التنكيل بالحشود وتدمير مدينتهم ثم سحب بني اسرائيل من الناحيتين الى اليهودية خشية من الكثرة عليهم . بحيث يفيد هذا استمرار وشدة الكره والنقمة على بني اسرائيل في اهل فلسطين وشرق الاردن الاصليين ومحاولتهم اغتنام اي فرصة للانتقام منهم والقضاء عليهم . وسحب بني اسرائيل من شرق الاردن والجليل يدل على أن يهودا لم يتمكن من سحق بني اسرائيل وانهم ظلوا اصحاب القوة والكثافة في الناحيتين مما جعل يهودا مضطرا الى سحب بني اسرائيل منها والتخلي عنها .

خ - وفي الاصحاحات ٧ - ٩ من السفر نفسه ان الملك ديمتريوس السلوقي امر بكيدس أمير عبر النهر - شرق الاردن - بالانتقام من بني اسرائيل بسبب استمرار ثورتهم . وعين رجلاً موالياً له من بني اسرائيل اسمه الكيمس كاهناً اعظم وامره بالتنضمين مع بكيدس في مهمته . وسار الرجلان على رأس جيش عظيم انضم اليه انصار الكيمس ؛ واخذوا ينكلان بالمكابيين وتمكنوا من فرض سلطانتها على اليهودية وانزال ضربة شديدة ببني اسرائيل . وتصدى لهم يهودا بمن معه من المكابيين ونشب صيال شديد بين الطرفين قتل خلاله يهودا واشتدت وطأة بكيدس على بني اسرائيل غير ان المكابيين نظموا صفوفهم بقيادة يوناثان اخي يهودا وانبروا لمصاولة بكيدس وأنزلوا في جيشه بعض الهزائم واضطروه الى التهادن معهم والعودة إلى بلاده .

والخبر يفيد على كل حال استمرار العداء ضد بني اسرائيل من شعوب فلسطين وشرق الاردن ؛ بالإضافة الى وجود مملكة في شرق الاردن تحت سيادة السلوقيين . وهذه المملكة هي مملكة الانباط في دور العروبة الصريحة على ما سوف نشرحه في الجزء التالي .

د - وفي الاصحاح الثاني عشر من السفر نفسه ان سمعان زعيم المكابيين بعد يوناثان سمع أن أهل يافا وأسقلون ( عسقلان ) والحصون التي قربها يريدون تسليم بلادهم لحزب ملك سلوقي منافس للملك الذي يواليه سمعان فزحف عليهم وضر بهم واستحوذ على بلادهم .

والخبر يكشف عن شدة حقد أهل البلاد على بني اسرائيل وجنوحهم الى التضامن مع خصوم المكابيين .

ذ - وفي الاصحاح العاشر من سفر المكابيين الثاني ان الآدوميين كان لهم حصون وكانوا يزعمون اليهود ويتجهزون لحربهم فهاجمهم المكابيون وضربوهم ضربة شديدة . حيث ينطوي في هذا نفس الدلالة السابقة . وملكة الانباط قامت في بدء امرها على أنقاض دولة آدوم . ومن المحتمل أن يكون في صدد جولة من جولات الصيال والحرب بين هذه المملكة واليهود .

ر - وفي الاصحاح الثاني عشر من هذا السفر خبر دعوة أهل يافا الاسرائيليين المقيمين عندهم الى نزهة بحرية في القوارب واغراقهم اياهم نساء ورجالا واطفالا . وخبر اعتزام أهل مينا القريبة من يافا على صنع مثل ذلك مع الاسرائيليين الذين عندهم . وخبر اشتداد وطأة بلاد اخرى مثل كسنيس وقرنم وهيكل وعفرون وبيت شان على الاسرائيليين الذين عندهم كذلك . وقد ذكر الاصحاح ان يهوذا زعيم المكابيين زحف على هذه البلاد واحدة بعد اخرى ونكل باهلها . والخبر يفيد على كل حال شدة الحقد والعداء بين أهل البلاد والاسرائيليين .

ز - وفي الاصحاح الثالث عشر خبر التشاد ما بسين المكابيين والسلوقيين نتيجة لايولة الملك الى ملك جديد اسمه ديمتريوس واستئناف المصاولة بين الطرفين وارسال الملك الجديد جيشاً لقتال المكابيين وقد ذكر الاصحاح الرابع عشر ان الامم الذين في اليهودية صاروا يتسابقون الى الانضمام لهذا الجيش لقتال الاسرائيليين ؛ وفي الخبر الدلالة نفسها .

## صور مقتبسة من الآثار المصرية والعراقية عن فلسطين وشرق الاردن

وفي الآثار المصرية والعراقية اشياء غير يسيرة عن شرق الاردن وفلسطين . منها ما هو عائد الى غيرهم قبل طروئهم على شرق الاردن وفلسطين وبعده .

ولا تذكر هذه الآثار اسم فلسطين وشرق الاردن . وكانت تسميات بلاد الاسيويين والمتنو والرتنو في الآثار المصرية تعنيها . وقد ذكر في الآثار المصرية اسماء مدن واماكن

وشعوب كانت في فلسطين كما ذكر في الآثار العراقية اسماء مدن واماكن وملوك في فلسطين وشرق الاردن ايضاً .

فما ورد في الآثار المصرية :

آ - اسم سيناء ووادي المغارة فيها . وقد ذكر ذلك مراراً واقدم مرة ذكرتها الآثار في آثار سترخست من ملوك الاسرة الاولى ٣٣٥٠ - ٣٤٥٠ ق م بمناسبة حملة للملك لصد غارات البدو ومنعهم من التسلل الى مصر<sup>١</sup> . وقد كشفت الحملة مناجم متنوعة في سيناء فصار ملوك مصر من بعده يتبنون انشغالها واستغلالها والدفاع عنها واهم هذه المناجم كان مناجم الفيروز .

ب - واسم انف الغزال الذي ختمه الاثريون بأنه الكرمل وجاء ذلك في آثار بيبي الاول من ملوك الاسرة السادسة<sup>٢</sup> ( ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ ) بمناسبة حملات سيرها لقمع اضطرابات قامت في جنوب فينيقية .

ت - واسم مدينة سككم في آثار سنوسرت الثالث من ملوك الاسرة الثانية عشرة<sup>٣</sup> ( ٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ) في مناسبة حملة ارسلها لمطاردة البدو وتوطيد سلطان مصر على فلسطين وقمع الاضطراب فيها . ويحتمل ان تكون هذه المدينة هي نفس مدينة شكيم الكنعانية التي ذكرها سفر التكوين وذكرناها قبل .

ث - واسم مدينة وقلعة شاروهن في شمال فلسطين في آثار احمس اول ملوك الاسرة الثامنة عشرة ( ١٥٨٠ - ١٣٤٠ ) بمناسبة مطارته جيش وحكام الهكسوس وقد تحصنوا في هذه القلعة فحاصروهم فيها واجلاهم عنها وفرض سلطانه على جميع فلسطين<sup>٤</sup> .

ج - واسماء مجدو وينعم اويونم وحرثكة في آثار تحتمس الثالث من الاسرة نفسها وهي مدن في شمال فلسطين في مناسبة المعركة التي دارت بينه وبين قوات ملوك الشام بزعامة ملك الحيثيين . وقد انتصر عليهم وفرض سلطانه على بلاد الشام نتيجة لذلك<sup>٥</sup> .

---

( ١ ) تاريخ مصر من اقدم المصور لبريستيد ترجمة حسن كيال ص ٢٤ وبمدها .

( ٢ ) مصر القديمة سليم حسن ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٧ .

( ٣ ) مصر القديمة ج ٣ ص ٢٧٨ وبمدها .

( ٤ ) مصر القديمة ج ٤ ص ٩٥ وبمدها .

( ٥ ) مصر القديمة ج ٤ ص ٣٩٨ وبمدها .

ج - وأسماء مدن بيت شان ( بيسان ) وابق وبجها وتاباس ( طوباس ) وسوكا ومجدل يون وقبعا وسومنه وتورر في آثار امنحتب الثاني من ملوك الاسرة نفسها بمناسبة تفرق بلاد الشام وحملاته لأخضاعها ، وقد تمكن من ذلك . وهذه المدن من مدن أو بمالك مدن فلسطين على ما خمنه الاثريون <sup>١</sup> .

خ - واسم مدينة جيزر في آثار تحتس الرابع من نفس الاسر . بمناسبة عصيانها والتنكيل بها <sup>٢</sup> . وجيزر من بمالك فلسطين الكنعانية على ما مر ايواده نقلاً من سفر يشوع .

د - واسم قبائل الخبيرو في احدى رسائل تل العمارنة المرسلة الى امنحتب الرابع او اخناتون من نفس الامرة من والى القدس عيد خيبا <sup>٣</sup> وقد ربط سليم حسن العالم الاثري المصري الجليل بين الخبيرو وبين اسم العبيرو الذي هو نواة اسم العبرانيين بما سوف نستوفي الكلام عنه في فصل العبرانيين . وقد جاء ذكرهم بمناسبة ما كان منهم من عيث وفساد وحركات ازعجت سكان فلسطين وارعبتهم .

ذ - أسماء اسدرالون ( وهذا هو اسم مرج بن عامر قديماً في وسط فلسطين للشمال ) وباهوبا وبيت شلل ورحوبو وثررو في آثار سيتي الاول من ملوك الاسرة التاسعة عشرة ( ١٣٤٠ - ١٢٠٠ ق م ) وهي مدن او بمالك فلسطينية . وقد ذكرت بمناسبة تمرد بلاد الشام وزحف سيتي لقمعه وتوطيد سلطان مصر على هذه البلاد ثانية <sup>٤</sup> .

ر - أسماء الجليل ودبور وعسقلان في آثار رمسيس الثاني من ملوك الاسرة نفسها في سياق خبر حملاته المتعددة على بلاد الشام لقمع تمرداتها والمصاهرة مع ملوكها وملك الحثثين الذي كان يحرضها <sup>٥</sup> .

ز - وأسماء عسقلان وجيزر واسرائيل وكنعان في آثار مرتباح من ملوك الاسرة نفسها بمناسبة ذكر التنكيل الشديد فيها بسبب الثورة التي نشبت في فلسطين .

( ١ ) مصر القديمة ج ٤ ص ٦٧٢ وبمدها .

( ٢ ) مصر القديمة ج ٥ ص ٥ وبمدها .

( ٣ ) مصر القديمة ج ٥ ص ٢٥١ وبمدها .

( ٤ ) مصر القديمة ج ٦ ص ٢٧ وبمدها .

( ٥ ) مصر القديمة ج ٦ ص ١٩٨ وبمدها .

والمقصود من اسرائيل قبيلة امراييلية كانت فرت من مصر قبل خروج بني اسرائيل من مصر . والمقصود من كنعان الشعب الكنعاني الذي كان يعبر فلسطين ؛ وعسقلان كرسى احدى ممالك فلسطين . وهذا يدل على ان الثورة كانت عامة اندمج فيها جميع شعوب فلسطين وهو ما تفيدته الآثار ايضاً<sup>١</sup>.

س - وأسماء قبائل شعر والشاسو وبلست في آثار رعمسيس الثالث من ملوك الاسرة العشرين ( ١٢٥٠ - ١٠٩٠ ) ق م<sup>٢</sup> وبلست هو الجماعات التي طرأت على فلسطين وحلت في جنوبها واقامت الممالك العديدة فيه وتطور اسمها الى فلسطينيين . وسعير اسم قبائل في شرق الاردن في منطقة العقبة وقد ذكروا في سفر التكوين وسفر الخروج ايضاً وذكراهم سابقاً . والشاسو قبائل من قبائل فلسطين او شرق الاردن . والتعبير يعني الرعاة . وقد ذكرت هذه الاسماء بمناسبة زحف رعمسيس الثالث على فلسطين وشرق الاردن وبلاد الشام لاختتام ثورة نشبت فيها وهذا يفيد ان فلسطين وشرق الاردن اندججتا في حركة الثورة .

ش - وأسماء جماعات واربوات وتاعنيكا وشنهايا وبيت شانرايا ورحبيا وجبرميا وادرم وشواد ونخم وقبعي وبيت حورن وقد تم وايرن ومكديا وادر وحينم وعرن وبرم وزدتبر ويحم وبيت عزم وكافاري وشيك وبيت تبوح وابريا وبيت زاي وككما وسدوبانيرو وقد سنت وبركت وادميا وصم دم ومجدد وباعق وعيزميا وانمر وباحقل فيتشيا وارهرو وباحقل ابرام وشبوت وركيت وباحقل نعزيت وزبكيا وخانايا وبانجب وتشدنو وباحقل شيا وعقق وبانجب واشمرت وباحقل حنن وباحقل ارقد وادمم وحننى وأدريا وباحقل ترون وحيدب ترز وحيدب ديوت وحقلم عرد ووبت وعرد نبت ويرحم وادر وبابي وباقرنه وحنج وفريم وايربيرد وبيت عنت وشرح وارمتن وحرث وادمم وارو وير ولان ويردن وشردد وريج وريتي وعنجرن وهام . وهذه الاسماء من نقوش شينق الاول اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ٩٤٥ - ٥٧٠ في مناسبة زحفه على فلسطين وفرض سلطانه عليها . وهي اسماء مدن في فلسطين في شمالها ووسطها وجنوبها ومنها مدن في شرق الاردن . مما يلي فلسطين . ومن هذه المدن ما كان كرسى ممالك

---

(١) مصر القديمة ج ٧ ص ١ وبمدها .

(٢) مصر القديمة ج ٧ ص ٢٥٤ وبمدها .

كنعانية وذكرت في سفر يوشع . وليست الاسماء هي كل ما نقشه شيشق ، ولكن ما  
امكن قراءته . وهناك اسماء مهشمة او ساقطة . ومجموع المدن ١٨٠ .

وبما ورد في الآثار العراقية :

آ - اسم بعشا ملك عمون . في آثار سلناصر الثالث ( ٨٦٠ - ٨٢٥ ق م <sup>٢</sup> وقد  
اندمج هذا الملك في حركة التمرد والتجمع ضد سلطان العراق الى جانب ملك  
دمشق الآرامي وكان عدد الجنود التي اشترك بها عشرة آلاف . وهذا يفيد ان ممالك  
شرق الاردن وبالتبعية بمالك فلسطين كانت تحتفظ بكيانها حينما كان ملوك مصر والعراق  
يبسطون سيطرتهم على شرق الاردن وفلسطين وكان هؤلاء الملوك يكتفون بأخذ الجزية .  
فكان ذلك مما يتيح للملك شرق الاردن وفلسطين التمرد او الاندماج في التمرد من حين  
الى حين . وقد ذكرت آثار سلناصر انه تمكن من قمع التمرد والتكيد بالرؤساء  
واخضاع البلاد .

ب - واسماء جليعاد وآبل في شرق الاردن وغزة في فلسطين في آثار تغلات بلاسر  
( ٧٤٥ - ٧٢٧ ق م ) بمناسبة حركة تمرد وزحفه لاحتلالها كذلك . وقد ذكرت  
الآثار انه قمع التمرد .

ت - واسماء رابيح ( وفح ) وغزة والآدوميين والفلسطينيين والمؤابيين واسدود في  
آثار سرجون الثاني ( ٧٢٢ - ٧٠٥ )<sup>٤</sup> بمناسبة ثورة وتمرد فلسطين وشرق الاردن وبلاد  
الشام معاً وزحف سرجون الثاني لاحتلالها .

ث - واسماء بدائل ملك عمون وكموش ندي ملك مؤاب وملكرام ملك آدوم  
واسما بل ملك غزة وبادي ملك ميفرون او عقرون حسب اختلاف المصادر وصدقا ملك  
عسقلون ومطني ملك اسدود . والثلاثة الاولون ملوك شرق الاردن والخمسة الآخرون  
ملوك الفلسطينيين في جنوب فلسطين . وكذلك اسماء مدن بيت داغون ( بيت اجن )  
ويافا وبني براق وازور ( يازور ) من مدن فلسطين الجنوبية . وكان بعضها كراسي بمالك

(١) مصر القديمة ج ٩ ص ١١٠ - ١٢٦ .

(٢) تاريخ كلداء وآثور ج ١ ص ٦٩ .

(٣) تاريخ الحرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وببداها .

(٤) تاريخ كلداء وآثور ج ١ ص ٨٨ - ١٠١ وتاريخ بابل وآشور لجبل المدور ص ٩٨ .



كنعانية وقد ذكرت هذه الاسماء في آثار منجاريب ( ٧٠٥ - ٦٨١ ) في سياق خبر  
تمرد بلاد الشام وفلسطين وشرق الاردن معاً وزحفه لانهاده وقمعه<sup>١</sup> وهذا يؤيد ما قلناه  
من ان ملوك العراق كانوا يبقون ملوك البلاد على رأس ممالكهم .

ج - واسماء موصوري ملك مؤاب وبدوئيل ملك بيت حمون وكموش جبوري ملك  
آدوم في آثار امرحدون ( ٦٤٠ - ٦٦٧ ) بمناسبة تمرد وزحف لانهاده ايضاً<sup>٢</sup>.

ح - وفي نقش من آثار بانيبال ( ٦٦٧ - ٦٢٧ ) ورد تعبير حكام آدوم وعموت  
ومؤاب في سياق خبر امره ايلهم بالتنكيل بالقبائل ورؤساء البدو الذين تحالفوا ضده<sup>٣</sup>.

خ - واسماء غزه واورشليم في آثار نبوخذ نصر بختنصر ( ٦٠٤ - ٥٦٢ ) بمناسبة  
زحف هذا الملك على فلسطين وتنكيله بملكها اليهودي لتحالفه ضده مع مصر وملك  
غزة<sup>٤</sup>.

## صور ما كان بين مصر والعراق من ناحية وشرق الاردن وفلسطين من ناحية اخرى

ان معظم المقتبسات التي اقتبسناها من النقوش المصرية والعراقية عائد لاحداث  
الزخوف التي كانت تتعرض لها شرق الاردن وفلسطين من ناحية مصر حيناً ومن ناحية  
العراق حيناً . ولقد كانت ممالك هذين القطاعين ممالك مدن كالممالك الفينيقية . وكان كل  
منها يحتفظ بكيانه وشخصيته وان كان احياناً يقوم بينها توائق وتحالف مثل تلك دور  
ان يغطي على شخصيتها . فكان هذا مما جعل القطاعين كمالك فينيقية عرضة لزعوف مصر

---

(١) تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ١٠١-١١٤ والمجلد الاول من الجزء الاول من تاريخ الدبس  
ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٢) تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ١١٢-١٢٤ وتاريخ بابل واشور لدمور ص ١١١-١١٥ والمجلد  
الاول الجزء الاول تاريخ سورية للدبس ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٣) تاريخ كلده وآسور ج ١ ص ١٢٣-١٢٥ وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٣١٩  
وبعدها .

(٤) تاريخ كلده وآثور ج ١ ص ١٣٩-١٥٣

والعراق اللتين كان يقوم فيها دول قوية يخضع لسلطانها جميع مصر او العراق منذ اقدم الازمنة . وكانت هذه الممالك تخضع للغزاة كذلك لانه لم يكن لها قوة موحدة تحت راية واحدة تستطيع ان تقاوم الغزو .

واقدم كانت القبائل البدوية تتسوح بصورة دائمة ومنذ اقدم الازمنة نحو حدود مصر الشمالية بطريق سيناء او ساحل خليج العقبة فكان ذلك الباعث الاول على نشاط ملوك مصر العسكري الدفاعي والهجومى في اتجاه بلاد الشام التي كان شرق الأردن وفلسطين جزءاً منها واولى مراحلها .

واول ما عرف من الآثار المصرية من هذا النشاط حركة سمر خست احد ملوك الاسرة الاولى وكان باعها احد غارات البدو على حدود مصر من ناحية سيناء .

وقد قاد اوسير حملة فاستطاع ان يعيد العدو وان يفرض سلطانه على سيناء وان يقيم فيها حامية لتكون مركزاً دفاعياً . وقد اكتشف هذا الملك مناجم في سيناء فصار استغلالها من بواعث حملاته وحملات مصر من بعده ايضاً . ثم كانت حملات سنغرو احد ملوك الاسرة الثالثة لصد البدو الذين عادوا الى غاراتهم واستغلال المناجم معاً وقد استولى هذا الملك على الاراضي التي كان ينزل فيها البدو بعد ان طردهم عنها وانشأ فيها فلاعاً وحصوناً وآباراً .

وسجل ذلك في نقش عثر عليه في سيناء عليه صورته على هيئة مقاتل يجمع اعداءه . ثم كانت حملات خوفو احد ملوك الاسرة الرابعة لنفس القصد . وقد طرد البدو من الحدود واقتفى آثارهم الى مسافة بعيدة شمالاً وفرض سلطان مصر على هذه الساحة . سجل ذلك في نقش سمى فيه البدو باسم المتنو<sup>١</sup> وهو اسم كان يطلق في الآثار المصرية على سكان بلاد الشام شمالها وجنوبها .

ثم كانت حملات سحورع احد ملوك الاسرة الخامسة لصد حركات البدو ايضاً . والآثار تذكر ان هذا الملك سير حملة بحرية فبسط سيطرته على السواحل الشامية . وقد ذكرنا ذلك في فصل فينيقية . والمتبادر ان هذا السلطان شمل فلسطين وشرق الاردن ايضاً .

---

(١) انظر مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٩٧

ويؤيد هذا ما ذكرته الآثار من حملات سيرها بنيي الاول احد ملوك الامرة السادسة لقمع اضطرابات حدثت في جنوب فينيقية بناحية انف الغزال ( الكرمل ) في فلسطين ؛ حيث يفيد هذا ان سلطان مصر استمر في عهد هذا الملك على فلسطين وشرق الاردن وفينيقية امتداداً لعهد الاسرة السابقة .

ومنذ صار سلطان مصر يمتد الى فينيقية وسورية منذ عهد سمورع وبعده كان يشمل بالتبعية فلسطين وشرق الاردن ، وحينما كانت يد مصر تنكشف عن هذه البلاد نتيجة لارتباك داخلي او تحريض يؤدي الى التمرد او حينما كانت مصر تزحف على بلاد الشام للقمع والتنكيل وتتمكن من اعادة سيطرتها كان ذلك يشملها بالتبعية . على ان سلطان مصر صار احياناً ينحصر في فلسطين بعد الاسرة العشرين او بتعبير ادق بعد وعسميس الثالث اقوى ملوك هذه الامرة وآخر ملوك مصر العظام . وصار ينكشف عنها ايضاً حينما كانت ترتبك احوال مصر في عهد ملوك هذه الامرة ثم في عهد معظم الاسر التالية لها . باستثناء محاولات كان يقدم عليها بعض ملوك هذه الاسرة في سبيل مد سلطان مصر الى فلسطين وما وراء فلسطين من حين الى حين فتنتج لفترات قصيرة .

ولقد شرحنا ما كان ذلك من صور في عهد الاسر الحادية عشرة والثانية عشرة ثم في عهد الهكسوس والاسرة الثانية عشرة وما بعدها الى نهاية حكم الاسر المصرية في الفصل السابق ؛ ومعظم هذه الصور يشتمل فلسطين وشرق الاردن ايضاً فلا نرى ضرورة للاعادة والتكرار . وانما ننبه فقط على امر هام وهو ان ملوك مصر كانوا على الاعم الغلب يبقون ملوك فلسطين وشرق الاردن على رأس ممالكهم ويكتفون منهم بالجزية والخضوع كما كانوا يفعلون مع ملوك فينيقية بل سائر بلاد الشام ؛ فيظل هؤلاء الملوك يمارسون السلطان المحلي وكان هذا الاسلوب مما يساعدهم على التمرد والعصيان والاستجابة للتخريض على ذلك بقصد الاستمتاع بالاستقلال التام ؛ مما تكرر كثيراً على ما تدل عليه الصور التي اوردها في الفصل السابق .

ولقد شمل اتجاه العراق المبكر نحو بلاد الشام شرق الاردن وفلسطين ايضاً . فحينما مد سرجون الاول الأكادي سلطانه الى بلاد الشام مده الى هذين القطاعتين وسار على ذلك ملوك الدول العراقية جميعها .

ولقد كانت زحف العراق تجيء احياناً الى شرق الاردن اولاً ثم تنتشر منها الى

الشيال نحو سورية او الى الغرب نحو فلسطين وفينيقية فيكون القطاعان - شرق الاردن وفلسطين - اول ما ينبسط عليها السلطان العراقي من بلاد الشام .

وحينما كان يطرأ ضعف او ارتباك على دول العراق تنكشف نتيجة له يدها عن بلاد الشام او حينما كان يقوم تمرد وعصيان في بلاد الشام ضد سلطان العراق حينما كانت دول العراق تسيير حملاتها لقمع التمرد والعصيان في بلاد الشام وتمكن من ذلك كان كله يشمل القطاعين بالتبعية .

ومن الجدير بالذكر ان سلطان العراق توطد على بلاد الشام منذ القرن التاسع باستمرار الى القرن السادس . رغم ما كان من تكرار العصيان والتمرد حيث كان ملوك العراق يتمكنون دائماً من قمع العصيان والتمرد وتوطيد سلطانهم . ولم يحدث ان انحصر سلطان العراق في فلسطين او شرق الاردن كما كان يحدث مثل ذلك بالنسبة لسلطان مصر على ما ذكرناه آنفاً .

ولقد شرحنا ما كان من صور النشاط العراقي ونتائجه في بلاد الشام منذ عهد سرجون الاول الاكادي الى نهاية دولة بابل الاخيرة في القرن السادس في فصل فينيقية . ولما كانت هذه الصور شاملة لشرق الاردن وفلسطين فلا نرى حاجة الى تكرار ايرادها هنا . وانما ننبه هنا ايضاً على ما نبهنا عليه في الكلام عن مصر وهو ان ملوك العراق ايضاً كانوا يبقون ملوك شرق الاردن وفلسطين على رأس ممالكهم ويكتفون منهم بالخصوع ولجزية كما كانوا يفعلون بالنسبة لسائر ملوك فينيقية وبلاد الشام . واحياناً كانوا يقتلون او يعزلون وينفون بعض الملوك ولكنهم كانوا يقيمون ملوكاً بدلاً منهم من نفس ادمتهم على الاغلب الا ما كان من نفس اسرحدون لدولة اسرائيل اليهودية ونفس نبوخذ نصر ( مجتئصر ) لدولة يهوذا اليهودية بعد ان تكرار عصيان ملوكها وتخامرتهم على ما سوف نستوفي الكلام عنه في فصل العبرانيين .

وهذا ما كان يساعد ملوك هذه البلاد على التمرد والعصيان والاستجابة للتحريض في الفرصة السانحة ضد السلطان العراقي طموحاً لممارسة السيادة التامة .

## فلسطين وشرق الاردن بعد دولة بابل

والصير الذي صارت اليه بلاد الشام بعد قليل من موت مجتئصر ( نبوخذ نصر ) صارت اليه فلسطين وشرق الاردن حيث دخلت هذه البلاد في سلطان الفرس حينما قوضوا

دولة بابل في سنة ٥٣٨ ق م ومدوا سلاطنتهم الى بلاد الشام ومصر التي كان ساطان دولة بابل يمتد اليها ؛ وظلت خاضعة لسلطان الفرس تبعاً لبلاد الشام الاخرى الى الفتح المكروني سنة ٣٣٣ هـ .

ولقد اذن كورش الملك الفارسي الذي قوض دولة بابل لبني اسرائيل المنفيين في بلاد العواق من قبل سرجون ملك آشور ومختصر ملك بابل بالعودة الى فلسطين وتجديد اورشليم والمعبدين فريقتهم منهم<sup>١</sup> . ولما حاول العائدون تجديد اورشليم والمعبدين اعترضهم اهل فلسطين وشرق الاردن الاصليون الذين ظنوا يعبرون البلاد امتداداً لوجودهم فيها قبل طرد بني اسرائيل وبعده ثم بعد نصف دولتي اسرائيل ويهوذا ونقي اهلها الاسرائيليين واظهروا لهم العداء والمناوأة ، ومن ثم نشب الصيال بينهم عوداً على بدء مما يدل على تأصل الحقد والكراهية ضدهم في اهل البلاد السابقين . واستمر يخفت حيناً ويشتد حيناً على ما ذكرته اسفار ما بعد السبي واورشليم صوراً عديدة منه في نبذة سابقة .

ومع ان الفرس عينوا ولاية عموميين لشرق الاردن وفلسطين على ما تذكره هذه الاسفار<sup>٢</sup> فان فيها ما يفيد انه كان يقوم تحت اشرافهم حكام محليون في انحاء فلسطين وشرق الاردن من اهلها الاصليين حيث ذكر اسم بسنلظ السامري وطوبيا العموني وجاسم العربي في سفر نحميا<sup>٣</sup> كزعماء لبلادهم في سياق ذكر تصدي اهل البلاد لمناوأة اليهود ومنعهم من تجديد اورشليم والمعبدين باسلوب يدل على انهم كانوا اصحاب سلطان محلي . وقد ذكر معهم الاشودديون . ثم ذكرت في سفر زكريا<sup>٤</sup> في سياق الاشارة الى هذه الاحداث اسماء مدن غزة وعسقلون وعقرون واسدود بصفتهما من جملة المتحالفين ضد اليهود . ولا يكون هذا معقولاً الا مع فرض وجود حكومات محلية في هذه المدن وقد جاء في كتاب تاريخ شرق الاردن<sup>٥</sup> ان عمون وسعت حدودها في فترة الحكم الفارسي

---

(١) الاصحاح الاول من سفر عزرا

(٢) انظر الاصحاح ٤ و ٥ من سفر عزرا .

(٣) الاصحاح ٤ و ٦ من سفر نحميا .

(٤) الاصحاح ٩

(٥) تأليف بيك الانكليزي وترجمة طوفان ج ١ ص ٣٥

حتى أصبحت تضم كل البقاع الى وادي الموجب . واسلوب العبارة يدل على ان عمون كانت كرسي مملكة وحكومة عمونية .

واستمر الأمر كذلك الى زحف الاسكندر المكدوني على بلاد الشرق ونسفه دولة الفرس فدخلت بلاد الشام ومن جملتها شرق الاردن وفلسطين في سلطانه .

ولما مات انقسمت مملكته . وقام نتيجة لذلك دولة السلوقيين اليونانيين في سوريا ودولة البطالسة اليونانيين في مصر فكان شرق الاردن وفلسطين تخضع لهذه فترة وتلك فترة . وكان اليونانيون يعينون ولاية عامين لها . وكان مع ذلك يقوم احياناً حكام محليون من اهل البلاد تحت سيادتهم . ولقد كان ابني اسرائيل حركة ثورية نجحت بعض الشيء في توطيد كيان وحكم سياسي لهم في منطقة القدس التي سميت باليهودية وكان سلاطنتهم يمتد الى ما وراء هذه المنطقة مما سوف نستوفي الكلام عنه في فصل العبرانيين .

وقد قام في شرق الاردن كيان وحكم سياسي هو المعروف بدولة الانباط التي حلت محل دول آدوم وعمون ومواب . وكان هذا الكيان صريح العروبة نتيجة لبروز العروبة الصريحة في هذه الظروف وانسياج القبائل العربية الجديدة الى بلاد الشام متسمين بسمتها مما سوف نستوفي الكلام عنه في الجزء التالي .

وظل الامر في فلسطين وشرق الاردن على ذلك الى ان زحف الرومان وقضوا على الدولتين اليونانيتين في بلاد الشام ومصر في القرن الاول قبل الميلاد فخضعت البلاد لسلطانهم ومن جملتها فلسطين وشرق الاردن . ولقد كان لهم ولاية عموميون ايضاً . غير ان كيان الانباط في شرق الاردن بقي امداً ما في عهدهم ثم زال وقام كيان عربي صريح آخر في منطقة حوران تحت سيادة الرومان كان حكمه يمتد الى شرق الاردن وحياناً الى بعض انحاء فلسطين مما سوف نستوفي الكلام عنه في الجزء التالي ايضاً .

وظل الامر كذلك الى ان جاءت موجة الفتح العربية الكبرى تحت راية الاسلام فحررت البلاد من الرومان ووطدت السلطان العربي عوداً على بدء فيها مع انسامه هذه المرة بسمه العروبة الصحيحة والاسلام .

## المآثر الحضارية والمقائم

ليس هناك وثائق يستند اليها للاسهاب في ذكر ما كانت عليه الارومات العربية الجنس في شرق الاردن وفلسطين من حضارة وفنون وتقاليدها فعلاً بالنسبة لفنيقية والعراق ومصر . فليس لنا مناص من الاكتفاء بما تخلل الفصول السابقة من ذلك ؛ مع القول ان طبيعة شرق الاردن الجغرافية قد جعلته اكثر مما يكون يشغل بالزراعة وتربية الماشية ويحتفظ بسمة اقرب الى البداوة منها الى الحضارة . وقد يؤيد هذا ان ذلك قد ظل الطابع المميز له في مختلف ادوار التاريخ الى اليوم تقريباً .

اما غرب الاردن في عهد الارومات غير الاسرائيلية فانه يبدو من خلال ما اورده انه كان احسن حالاً من ناحية العمران وكثافة السكان والحضارة والحياة والثروة ، وان الزراعة فيه كانت راقية وخاصة زراعة كروم العنب والتين والرومان .

أما ديانة هذه الارومات فقد كانت مزيجاً من التوحيد والوثنية كما كان شأن الارومات العربية في الاقطار الاخرى . وقد كان اسم الاله الرئيسي بعل واسم الالهة الرئيسية التي كانت بمثابة زوجة له عشتار وعشتروت . وكان يرمز بالاول الى القمر وبالثاني الى الشمس حيناً والزهرة حيناً . والمرجح انهم كانوا يلحون وراءهما قوة عظمى ويعتبدونها بمثابة عينها ويتعبدونها على هذا الاعتبار كما كان ذلك شأن بني عموثهم في الاقطار الاخرى كذلك .

وقد كان لهم آلهة محلية رئيسية ايضاً كحماة عرف منها اسم لكموش اله المؤابيين وملكوم اله العمونيين على ما جاء في الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الثاني .

والمرجح انه كان لآلهتهم تماثيل مادية يضعونها في معابدهم ويقومون عندها بطقوسهم كما كان شأن بني عموثهم في الاقطار الاخرى وان لم يمكن ايراد بيان موثق ودقيق عنه . وفي قصة بلعام ومراجعته من قبل بالاق بن صفور ملك مؤاب للعن بني اسرائيل

التي اسهب في سردها سفر العدد في اصحاحاته الثاني والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين والتي وقعت في حياة موسى ما يدل على انه كان يبرز من حين لآخر كهان او عرافون او متنبئون متصلون بالله او يزعمون انهم كذلك فيرجع اليهم الناس في الظروف العصيبة والخطوب الشديدة فيستعينون بهم عليها .

واذا اردنا ان نأخذ بالروايات البعيدة التي رواها سفر التكوين — فان هذا المظهر كان قائماً ايضاً قبل ذلك بامد طويل حيث ورد في الاصحاح الرابع عشر منه ان ملكيصادق ملك شليم كان كاهناً لله العلي وانه بارك ابرام — حينما عاد منصوراً من مطاردته للغزاة العراقيين قائلاً مبارك ابرام من الله العلي مالك السماوات والارض .

هذا ولقد مرت اشارات الى ما كان من تأثير بني اسرائيل بالحياة والتقاليد الدينية والاجتماعية للارومات الكنعانية التي كانت وظلت مستقرة في غرب الاردن تأثيراً كبيراً حتى اندمج في ذلك ملوكهم بل اعظم ملوكهم سليمان حيث يدل هذا على انهم كانوا اقوى شخصية وارقى ثقافة وحضارة .





العبرانيون وبنو اسرائيل  
في  
شرق الاردن وفلسطين

لقد شغل العبرانيون وبنو اسرائيل الذين ينتسبون اليهم والذين صار اسم بني اسرائيل مرادفاً لا سمهم بل علماً عليهم وعلى لغتهم حيزاً كبيراً طويلاً الامد من مصر شرق الاردن وغربه بما يسوغ افرادهم في فصل خاص .

والمصدر الرئيسي لتاريخهم هو اسفار العهد القديم مع تنف عابرة او مقتضبة في الآثار المصرية والعراقية . فليس من مندوحة من اقتباس هذا التاريخ من ذلك المصدر الذي احتوى من التفصيلات الجزئية ما يثير العجب وما يجعله فذاً بالنسبة لتاريخ اي امة قديمة اخرى في مثل قدم بني اسرائيل والذي نعتقد ان فيه حقائق تاريخية كثيرة مهما كان فيه ما نبهنا عليه في مطلع الفصل السابق من شوائب وماخذ .

وسفر التكوين الذي هو اول هذه الاسفار والذي يؤرخ الحقبة السابقة لقدم بني اسرائيل الى شرق الاردن وغربه من مصر يجعل طرء ابراهيم الذي يعتبره بنو اسرائيل جداهم الاعلى حادثاً افرادياً . وقد حكمت بعض اصحاباته قصة نزوحه الى غرب الاردن الذي كان يسمى ارض كنعان باسلوب يكتنفه شيء من الغموض والتناقض وتتأثر على الارجح بوقائع بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وانبثاق فكرة اختصاصهم من الله بامتيازات متنوعة .

ففي عبارة الاصحاح ( ١٠ ) من هذا السفر ما يفيد ان الزوج من اور الكلدانيين الى ارض كنعان كان فكرة تارح ابي ابراهيم وانه خرج منها ومعه ابنه ابراهيم وكنته ساره ولوط ابن ابنه هاران المتوفى وحل في حاران ومات فيها . وفي الاصحاح ( ١٢ ) ان الرب قال لابراهيم انطلق من ارضك وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي اريك فاجعلك امة كبيرة واباركك واعظم اسمك وتكون بركة ويتبارك بك جميع عشائر الارض . فخرج مسن حاران ومعه زوجته ولوط وامواله وعبيده الى ارض كنعان .

وبينما يذكر الاصحاح (١١) ان بلد ابراهيم اور الكلدانيين يروي الاصحاح (٢٤) ان ابراهيم استخلف كبير عبيده بان لا يأخذ لابنه اسحق زوجة من بنات كنعان وان يذهب الى ارضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لابنه ووصاه بان لا يرده الى هناك لان ربه اخذه من بيت ابيه وارض مولده واتى به الى ارض كنعان واقسم لي ان هذه الارض ستكون لي ولنسلي ، وان العبد ذهب الى آرام النهرين الى مدينة ناحور اخي ابراهيم وخطب ابنته لاسحق واتى بها الى ارض كنعان . ويلفظ هذا ان الاصحاح (١١) ذكر ان نارحاً ابا ابراهيم خرج مع ابنه وكنته وابن ابنه ولم يذكر ناحوراً بينما يذكر هنا ناحوراً ومدينته ! وقد كرر الاصحاح (٢٦) القصة بالنسبة ليعقوب ايضاً بحيث وصى اسحق يعقوب بان يذهب الى فدان آرام ويتزوج من بنت خاله لابان . ويبدو ان فدان هذا هو امم مدينة ناحور ؛ حيث يفيد هذا ان ارض مولد وعشيرة ابراهيم هي آرام النهرين . وعلى هذا فابراهيم اما ان يكون كلدانياً او آرايياً . والسكلدانيون والآراميون من الارومات العربية الجذس على ما شرحناه في الجزء الثالث ولقد جاء في الاصحاح (٢٦) من سفر التثنية في سياق وصايا الرب لبني اسرائيل وطقوس تقديم تقدماتهم هذه العبارة « ثم تجيء وتقول بين يدي الرب الهك ان ابي كان آرايياً قهراً فهبط مصر ونزل هناك في رجال ثلاثين فصارامة عظيمة شديدة كثيرة » حيث يمكن ان تكون هذه العبارة تمثل رواية أو ذكرى كان يتناقلها بنو اسرائيل بأن جدهم الاكبر آرامي وحيث يكون هذا من مرجحات او مقومات الأصل الآرامي . ولقد كان ابراهيم يسمى ابرام والصلة ملحوظة بين هذا الاسم وبين آرام كما هو ظاهر .

بقيت التسمية العبرانية التي تسمى بها ابراهيم وبنو اسرائيل من بعده ولغتهم التي صار اسم العبرانية علماً مستمراً عليها . فالاصحاح (١٤) من سفر التكوين سمى ابراهيم ( ابرام العبراني ) وفي الاصحاح الاول من سفر الخروج وردت هذه العبارة « كلم ملك مصر قاهليتي العبرانيات وقال لها اذا استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكرسي فان كان ذكراً فاقتلاه وان كان انثى فاستبقياها حيث يفيد هذا ان اسم العبرانيين كان يطلق على بني اسرائيل في مصر قبل خروجهم منها أي قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد وان هذا امتداد متصل بجدهم الاكبر ابراهيم الذي كان يوصف بوصف العبراني . ولقد ورد اسم عبري في ورقتين من أوراق البردي كتبتهما في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وفي عهد

رعمسيس الثاني ثالث ملوك الاسرة التاسعة عشرة ( ١٢٩٢-١٢٢٥ ق م )<sup>١</sup> وموجود في متحف لايد في هولانده . وقد ترجمها من المصرية القديمة عالم اسمه شباس ؛ ومب رسالتان . احدهما من كاتب اسمه كويسر جواباً لرئيس اسمه بكنفتاح يقول فيها « استرضاء لسيدي اتمت امره الذي انفذه الي قائلًا اعط الجنود قوتهم وأعط أيضاً « العبريو » الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعمسيس مريانان خليل العدل والذين وكل امرهم الي رئيس الشرطة عيخان فأنا اجریت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الاوامر السامية التي انفذها سيدي الي » والثانية من كاتب اسمه كينا الي رئيس له اسمه كجاناهو يقول فيها « اطعت ما امرني به سيدي قائلًا اعط الجنود أرزاقهم والعبريو ايضاً الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت اليه عناية رعمسيس مريمان في جنوب منف<sup>٢</sup> وقد رجح الباحثون ومنهم من جزم كالمطران الدبس ان العبريو هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين غموا وتوعرعوا في مصر ثم تعرضوا لقسوة ملوكها بعد تقويض حكم الهكسوس وكان ذلك سبباً لخروجهم من مصر بقيادة موسى حيث يبدو من هذا ان لتسمية العبرانيين لبني اسرائيل اصلا تاريخياً وثيقاً غير سفر التكوين<sup>٣</sup> .

هذا في نطاق روايات سفر التكوين التي لا تذكر شعباً باسم العبرانيين وتجعل وصف ابرام بالعبراني وصفاً خاصاً وتجعل تسمية العبرانيين لبني اسرائيل من هذا الوصف .

ولقد ذكرت إحدى رسائل تل العمارنة - وهي رسائل آجرية بابلية الخط واللغة عثر عليها في المكان المعروف بتل العمارنة اليوم بمصر - اسم قبائل بدو الخايبرو وما كان من عيشها فساداً وتخريباً في فلسطين في عهد اخناتون احد ملوك الاسرة الثامنة عشرة ( حوالي ١٤٥٠ - ١٣٨٠ ق م وهذا تاريخ حكم هذا الملك ) ولقد ذكر سليم حسن المؤرخ المصري الجليل استناداً الى دراساته ان جماعات مهمة من الخايبرو كانوا من جملة الذين تسلبوا الى مصر في ظروف حركة التسلل العربي الجنس التي سميت بحركة

( ١ ) هذا تاريخ حكم رعمسيس اما تاريخ حكم الاسرة فهو ١٣٤٠-١٢٠٠ ق م

( ٢ ) مقال في العبرانيين للمطران الدبس ص ٨٩ وقد ذكر هذه الوثائق مؤلف القصد الثمين ص ١١٧ - ١١٩ واكد على عبارة العبرانية على ما شرحناه في الجزء الثاني .

( ٣ ) في الاصطاح الاول من سفر الخروج ذكر خبر تسخير بني اسرائيل في مصر في اعمال البناء والطين والابن ما فيه توافق مع ما جاء في الرسالتين

الهكسوس في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وأنسبهم ساميون أي عرب الجنس حسب اصطلاحنا . وقد ربط بين تعبير خابيرو وتعبير عابيرو بطأفيه شيء من المنطق والصواب<sup>١</sup> بحيث يسوغ القول ان ابراهيم وذريته بني اسرائيل هم من الخابيرو او العابيرو وان هذا هو سبب تسميتهم بالعبرانيين ، وان قبائل الخابيرو او العابيرو قد طرأوا على فلسطين في القرن العشرين فتسلل منهم من تسلل الى مصر وبقي منهم من بقي في فلسطين ، وخرج جماعة من انسال المتسللين منهم من مصر مع من خرج بعد انهيار حكم الهكسوس فكان الماثثون في الامن في عهد اخناتون منهم . وبقي منهم جماعات في مصر في جملة من بقي بعد ذلك الانهيار مما سموا بالهكسوس على ما هو متفق عليه من قبل الباحثين استناداً الى الآثار واوردنا خبره في الجزء الثاني<sup>٢</sup> وان بني اسرائيل الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى كانوا هم الباقين في مصر او منهم .

ويرد على هذا (١) انه غير متسق مع سيرة ابراهيم واسحق ويعقوب واولاده الواردة في سفر التكوين . وهذا ليس مهماً لان هذه السيرة مجرفيتها تتحمل كثيراً من التوقف .

(٢) انه لم يرد ذكر لقبائل الخابيرو والمفروض انهم كانوا في فلسطين او شرق الاردن حينما خرج بنو اسرائيل من مصر بقيادة موسى وطرأوا على شرق الاردن ثم حينما طرأوا على فلسطين بقيادة يوشع لا في اسفار العهد القديم ولا في الآثار ولا في مصادر قديمة اخرى . والوقت الذي مر بين هذا الطرود وتاريخ رسالة ذل العارنة لا يزيد عن مئة وخمسين سنة وهذه المدة قد لا تكفي لتواريخهم عن المسرح اسماً او وجوداً في حين ظلوا قبلها اكثر من ذلك ولم يتواروا . وهذا مهم كما يبدو . ولعله هو الذي جعل بعض الباحثين ينكر هجرة يعقوب وذريته الى مصر ويخرجهم منها ويلتزم الى ان بني اسرائيل او العبرانيين موجة سامية ( عربية الجنس ) طرأت على شرق الاردن وفلسطين مثل

---

(١) انظر مصر القديمة ج ٢ ، ص ١٩٥ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد تعريب حسن كمال

١٥٤ - ١٦٣

(٢) تاريخ الجنس العربي ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٨ وفي هذه الصنف اقوال ومصادر اقوال المؤرخين في تأكيد بقاء جماعات كثيرة من الهكسوس في مصر بعد انهيار حكم الهكسوس .

غيرها وتداولت مع سكانها ثم تغلبت على بعض النخائل واستقرت فيها وهم الخابيرو او العابيرو الثابت وجودهم في فلسطين في القرن الرابع عشر يقيناً بناء على رسالة تل العمارنة والمتمد وجودهم الى ما قبل ذلك بأمد ما على ما هو المتبادر .

غير ان وجود العابيرو في مصر ثابت بورقي البردي اللتين اوردنا نصهما قبل . وخروج بني اسرائيل من مصر وطروثها على شرق الاردن وفلسطين اللذين يذكرهما اسفار العهد القديم لا يعقل عندنا ان يكون اختراعاً لانها ليسا موغليين في القدم ، وهما متصلان بواقع واحداث وذكريات لم تكده تنقطع من القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى القرن الثاني بعد الميلاد .

وبما خطر لبالناس من تعليل لذلك ان فروع الخابيرو الذين بقوا في فلسطين وشرق الاردن وذكرت رسالة تل العمارنة خبر عيهم في القرن الرابع عشر قد استقروا في المدن او الريف وصاروا يعرفون باسماء الاماكن التي استقروا فيها . ولقد ذكر في الاسفار ان المؤابيين والعمونيين هم من انسال لوط ابن اخي ابراهيم وان الآدوميين هم من انسال عيسو بن اسحق بن ابراهيم وانهم حلوا بين سكان البلاد التي نزلوا فيها على ما سوف يرد تفصيله بعد ، اي انهم من العبرانيين فلا يبعد ان يكونوا هم اولئك وان تكون اسماء مؤاب وعمون وآدوم هي اسماء الاماكن التي حلوا فيها فصارت لهم اسماء بدلا من اسم الخابيرو او العابيرو ، وان يكون بنو اسرائيل قد عرفوا روابط القربى بينهم فجعلوا هذه الروابط في الاسفار تتصل بابراهيم ولوط اللذين جعلتهما هذه الاسفار آباء العبرانيين جميعهم .

وبما خطر لبالناس أيضاً ان خابيرو او عابيرو هي حفة او اسم خاص لجماعات من القبائل الآرامية أو الآمورية أو الكنعانية التي كانت في بلاد الشام وشرق الاردن وفلسطين في ظروف حركات الهكسرس وبعدها وظلوا فيها بعد طروء بني اسرائيل واحتفظوا باسماء اروجاتهم العامة دون صفة أو اسم الخابيرو أو العابيرو في حين احتفظ بنو اسرائيل في مصر بهذا الاسم فسوا به في الآثار المصرية ثم في أسفار العهد القديم وظل مرادفاً لاسمهم وبنوع خاص صفة للعتهم<sup>١</sup>

---

(١) بلحظ ان ما اوردناه هنا عن اصل العبرانيين يختلف بعض الشيء عما اوردناه عن ذلك في كتابنا تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم والذي اوردناه هنا هو ما تبين لنا اخيراً انه الاصح ولا سيما بعد ان عرفنا ما جاء في رسائل تل العمارنة عن الخابيرو .

أما اسم بني إسرائيل فقد سميت به ذرية يعقوب خاصة لان إسرائيل هو اسم ثاب  
ليعقوب . وقد ذكر سفر التكوين الاصحاح ( ٣٢ ) أن ملك الله هو الذي سمى يعقوب  
بهذا الاسم فصار بنوه يتسمون به . ولقد نقشت قصيدة على جدران الكارناك سجلت  
فيها انتصارات مرتبناخ أحد ملوك الاسرة التاسعة عشرة الذي كان حكمه حوالي ١٢٢٥ -  
١٢١٥ ق م ( حكم الاسرة ( ١٣٤٥ - ١٢٠٥ ) فيها ذكر إسرائيل في جملة الشعوب التي  
نكل بها الملك <sup>١</sup> . ولما كان خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى قد وقع بعد هذا  
الملك على ما يرجح وبالتالي قبل تدوين سفر التكوين أول أسفار العهد القديم على كل حال  
فتكون تسمية إسرائيل حقيقة تاريخية تعود إلى ما قبل الثاني عشر قبل الميلاد .

ولقد ذكر بعض المؤرخين <sup>٢</sup> ان قبيلة من بني إسرائيل هربت من مصر الى فلسطين  
قبل حكم مرتبناخ المذكور تنفياً فراراً من العذاب والاضطهاد الذي وقع عليها في عهد  
ابيه وعميس الثاني الذي كان حكمه ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م حيث يكون في هذا توفيق  
بين وجود جماعة من بني إسرائيل في فلسطين قبل خروج بني إسرائيل الجماعي بقيادة  
موسى إذا صح أن التكنيل الذي وقع من قبل مرتبناخ الأول على بني إسرائيل كان  
في فلسطين .

وننبه على ان الاسفار لم تذكر شيئاً عن ذلك ومن المحتمل ان تكون هذه القبيلة قد  
هلكت او هلك معظمها واندج من بقي منها في سكان فلسطين وذهبت بدداً . وعبرة  
القصيدة المار ذكرها تساعد على هذا التعليل حيث جاء فيها « ان إسرائيل خربت ولم  
يبق لها بذو . »

ونريد ان ننبه على نقطة اخرى وهي ان كل ما تقدم مسن توجب كونه العبرانيين  
وبني إسرائيل من قبائل الحاييرو او العاييرو لا ينفي احتمال وجود ابراهيم كشيخ عشيرة  
من هذه القبائل وان يكون سكن في فلسطين في القرن التاسع عشر وان تكون ذرية  
منه قد سكنت في شرق الاردن واخرى قد نزحت الى مصر وان الذين خرجوا بقيادة  
موسى هم او منهم وان فيما ورد في سفر التكوين مسن سيرة ابراهيم واولاده واحفاده  
حقيقة ما شئت بخيال واغلاط بسبب تداول الروايات والذكريات سماعاً .

(١) مصر القديمة ج٧ ص ١١١

(٢) انظر مثلاً تاريخ مصر القديمة من اقدم المصور لبريستيد ترجمة حسن كمال ص ٢٦٧ وما بعدها .



هذا ولقد كتبنا سيرة العبرانيين وبني اسرائيل بشيء من التفصيل في كتاب سميناه  
تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم اقتباساً من اسفار العهد القديم في الدرجة الاولى كما اوودنا  
نتقا كثيرة منها في الفصل السابق . لذلك سوف نلتزم الايجاز هنا محيلين على ذلك الكتاب  
من اراد الاطلاع على تفصيل اوفى .

غير اننا نرى ان ننبه بين يدي سيرتهم على امر مهم وهو التسجيلات الكثيرة المتكررة  
في مختلف اسفار العهد القديم بان الله عز وجل إلههم وحسب وانه جعل الشعوب لهم عبيداً  
وجعلهم أصحاب الحق الأبدي المطلق في أرض كنعان التي كانت حدودها تسجل تسجيلاً  
متبايناً فتكون حيناً غرب الاردن او قسماً منه وحيناً تمتد الى شرقه وغربه وحيناً تمتد  
من النيل الى الفرات ، وانه أباح لهم بل شرع لهم وأمرهم تعالى وتقدس أن يبنيوا جميع  
سكانها من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وحذرهم من قطع أي عهد لاي منهم او باقائهم  
بين ظهرانهم بدون حاجة الى انذار وإعذار وانه أباح لهم استعباد سكان المدن البعيدة  
جداً إذا ما استسلموا لهم وابادتهم إذا رفضوا الاستسلام مع استيلائهم على جميع أموالهم ،  
وانه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام ويرتكبون فيه من انحرافات وانه إذا غضب عليهم  
وعرضهم للاذى بسبب انحرافاتهم فان ذلك يكون على سبيل التأديب ثم لا يلبث ان  
يعود الى نصرهم وتأييدهم بمافيه غلو عجيب انحرفوا به وشذوا عن الارومات العربية حتى  
صاروا وصمة عار في جبين الجنس العربي ومما هو من دلائل ومظاهر الشوائب التي أمت  
بالاسفار ، ومما كان منشاءه على الاغلب ما قاسوه في مصر من ذل واضطهاد وما قوبلوا به  
من اهل البلاد حينما خرجوا من مصر واتجهوا نحو شرق الاردن من تهمهم ومقاومة على  
ما سوف نذكره بعده فكون فيهم عقدة وظل مكبوتاً إلى أن وجد امكان الانفجار  
ورد الفعل في شرق الاردن وغربه ، فكان من أثره هذه التسجيلات وكان بدوره سبباً  
لما عاملهم به اهل البلاد والغزاة من قسوة وتنكيل وتشريد .

ولقد ظلت هذه العقدة قائمة في نفوسهم وناظمة لسيرتهم بعد تشردهم من فلسطين  
وتشتتهم تحت كل كوكب خلال الفتي عام وسرت الى من اعتنق دينهم من غير جنسهم  
ايضاً لان دعايتها مسجلة في الاسفار التي يقدسها اليهود من اسرائيليين وغير اسرائيليين  
فبقوا غريزة تجاه الأمم التي عاشوا بينها ، وتعاملوا مع هذه الامم في نطاقها ، وتعرضوا  
لاضطهاد هذه الامم وكراهيتهم بسببها ؛ وظل اثر الاضطهاد والكراهية مكبوتاً في

حدودهم جيلاً بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار في فلسطين فكان منهم ما كان من وحشية القمع والتدمير والتخريب واستحلال كل شيء... .

ولقد قلنا قبل ان اسفار العهد القديم تتسم بالسمة الدينية . وهذه السمة تسم الاسفار التاريخية وغير التاريخية معاً . وتبدو هذه السمة في الاسفار التاريخية في ما تربطه بين سيرة بني اسرائيل السياسية والاجتماعية وبين سلوكهم الديني بحيث تفسر دائماً ما كان يصيبهم من بلاء وأذى وعدوان وهوان بأنه عقوبة ربانية لهم على ما كانوا يرتكبون فيه من مخالفات لوصايا الله واوامره ومن انحرافات خلقية ودينية ، وما كانوا يصيرونه من نصر على اعدائهم ويغفونهم منهم من غنائم ويتيسر لهم من وفاء حياة بأنه مكافأة لهم على ما يكونون قد التزموه من جادة الاستقامة والصلاح الديني والخالقي واتباع وصايا الرب واوامره ؛ ثم فيما تقرره من ان ما قاموا به من غزوات وتحركات من حركات وفعولهم من افعال في سبيل امتلاك ارض كنعان وغيرها وما اصابوه من نصر ونجاح فيها كان بأمر الله وتأيد ومعجزاته ؛ وانهم كانوا يفرقون ويرتعدون من أي زحف يأني اليهم بقطع النظر عما تذكره الاسفار من كثرة مقاتليهم فلا يقدمون على لقائه الا بعد وعد من الله بالنصر والتأييد ..

## (٧) سيرة ابراهيم واولاده واحفاده الاولين

هذه السيرة وارادة في سفر التكوين . ومن اهم ما فيها امر اتصال ابراهيم واولاده وبعض احفاده الاولين بالله وتجليه لهم ودعاؤهم باسمه مما ورد في اصحاحات عديدة بأساليب مختلفة<sup>١</sup> بقطع النظر عما جاء في سياق ذلك من وعود واختصاصات ترجح انها من جملة ما كان متأثراً بتاريخ ووقائع بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر .

وهذا امر على جانب عظيم من الخطورة بالنسبة للجنس العربي ، ولا سيما انه ظل يتكرر وظلت روايته ومأثوراته تتواتر جيلاً بعد جيل الى دور العروبة الصريحة الذي تمثل فيه هذا الأمر بمحمد بن عبد الله النبي العربي الهاشمي القرشي صلى الله عليه وسلم . وقد حمل هذا الجنس به رسالة الدعوة الى الله وحده ونبذ كل عقيدة شركية او وثنية والدعوة الى مكارم الاخلاق والنهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولقد

(١) انظر الاصحاحات ١٢ و ١٦ و ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٢٦ و ٣٢ و ٣٥

ورد في سفر التكوين<sup>١</sup> عن ملكيصادق ملك شليم انه كان كاهناً للاله العلي وانه بارك ابراهيم وهتف مجدداً اسم الله مالك السموات والارض مما ينطوي فيه ان هذا الامر العظيم لم يبدأ في الجنس العربي بابراهيم بل يعود الى زمن اقدم منه وهو زمن الكنعانيين مما يزيد في خطورته وجلاله .

وبما ورد في السفر اسماء اولاد واحفاد ابراهيم من زوجتيه السريتين هاجر وفطوره، وهم اسماعيل من الاولى وزمران ويقشان ومدان وميدان ويشبان وشوحا من الثانية وقد ذكرت اسماء بنايوت وقيدار وادبئيل وبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار ويثا ويطور وثافيش وقدمه ابناء لاسماعيل وسبا وددان ابناء ليفشان . وعيفة وعفر وحنوك وابي راع والدعة ابناء لمديان . وآشوريم ولطوشيم ولؤميم ابناء لددان<sup>٢</sup> وفي الاصحاح الذي وردت فيه هذه الاسماء ان ابراهيم اعطى جميع ماله لاسحق ووهب لبني السراي هبات وصرفهم عن اسحق ابنه في حياته شرقاً الى ارض المشرق .

وبقطع النظر عما في العبارة من فكرة الاختصاص الافتعالي التي ظلت دائماً تبرز في كل سيرة بني اسرائيل فمن المحتمل ان يكون فيها حقيقة أي ان يكون ابراهيم قد حمل ابناءه من هاجر وقطوره الى الرحيل والسكنى في شرق الاردن .

وبعض الاسماء كانت قبائل ومدناً وشعوباً في ظروف خروج بني اسرائيل من مصر الى شرق الاردن في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ومن هذه القبائل والمدن والشعوب ما كان في شرق الاردن نفسها مما تفيد العبارة ايضاً<sup>٣</sup> حيث يحتمل ان يكون التدوين متأثراً بالواقع ومراداً به ربط الحاضر بالماضي بقطع النظر عن صحته وان كان لا يبعد ان يكون فيه حقيقة ايضاً وان يكون ابناء ابراهيم من هاجر وقطوره قد غنوا وتكاثروا وغدوا قبائل تسمت باسماء الآباء الاولين وبنو امدناً كذلك بعض هذه الاسماء واختلطوا

---

(١) الاصحاح ١٤

(٢) الاصحاح ٢٥

(٣) وردت بعض هذه الاسماء كاسماء شعرب في منقوشات الاشوريين في اواسط القرن الثامن قبل الميلاد انظر الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١٠٦ والمفارقة في تسمية اشور كحفيد لابراهيم ظاهرة فان الاشوريين وجدوا في العراق قبل ابراهيم بامد طويل !

بأهل المنطقة وصاروا جزءاً منها . وإذا لم يصدق هذا على الجميع فلا يبعد أن يصدق على البعض .

وما ذكره السفر قصة ولادة ساره لاسحق وقطع ابراهيم له العهد دون ابنه البكر اسماعيل بأن يكون الابن المبارك الذي يكون لنسله الملك وارض كنعان والسيادة على نسل اخويه والشعوب الأخرى<sup>١</sup> مما يلمح فيه ذلك الاختصاص الافتعالي المتأثر بالوقائع الذي ظل بنوا اسرائيل يحرمون على تسجيله لأنفسهم والذي انبثق فيهم على الاغلب من عقد متنوعة نشأت فيهم أثناء اقامتهم في مصر وبعد خروجهم منها وقويت حتى صارت الناطقة لسيرتهم وجعلتهم شاذين عن سائر ارومات الجنس العربي ...

ومن هذا القبيل ما ورد في سفر التكوين عن عيسو ويعقوب ولدي اسحق ، حيث ذكر الاصحاح (٢٥) ان عيسو عاد منها تعباً من الصحراء وكان يعقوب قد طبخ طبخاً قطب عيسو منه ان يطعمه فأبى الا مقابل تنازله عن حق بكوريته فنعل ؛ وحيث ذكر الاصحاح (٢٧) ان اسحق طلب من عيسو ان يصنع له طعاماً من صيدا ليباركه وكانت الام تحب يعقوب اكثر لأن عيسو تزوج من بنات كنعانيات وحيثيات فجعلت يعقوب يصنع الطعام وجعلته في زي عيسو فاحتمالت بذلك على زوجها ليعطي بركته ليعقوب ونجحت في حيلتها وبارك اسحق يعقوب على تومعه انه عيسو ودعا له بأن يجعله مباركاً تخدمه الامم وتسجد له القبائل ويكون سيداً لآخوته ويسجد له بنو امه ويكون لا عنه ملعوناً ومباركه مباركاً ... ويعقوب هو الجد الثالث العمود من بني اسرائيل الذي سماه ما ذكره سفر التكوين اسرائيل ؛ حيث يلمح من تسجيل ذلك الاختصاص الافتعالي على المتأثر .

ولقد كان التسجيل لهذه الروايات والتي قد تكون صحيحة او لا تكون ، مثالها ذا أثر عجيب فيما نعتقد في بني اسرائيل الى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة في كل وقت حتى أصبح ذلك خلقاً راسخاً من ملامحهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهرأ بعد دهر ويتأثر به الذين اعتنقوا اليهودية . خير بني اسرائيل ، وان يكون من جملة مقويات عقدهم النفسية .

---

(١) الاصحاح ١٦ و ١٧ و ٢١

ولقد اثارت الحيلة عيسو على ما ذكره السفر<sup>١</sup> فخافت الام على يعقوب منه وهربته إلى بلد يخاله في آرام النهرين حيث لبث بضع سنين تزوج فيها وصار له أولاد وماشية . وارتحل عيسو نائماً ومعه زوجاته وأولاده إلى شرق الاردن حيث نزل في جبل سمير . وهذا جبل واقع في منطقة العقبة ومعان في جنوب شرق الاردن لجهة الغرب على ما ذكره السفر الذي ذكر كذلك انه كان لعيسو خمسة أولاد هم اليناز ورعوئيل ويعوش وبيلام وقورح فتزوجوا وتناسلوا وغدوا قبائل تسمى باسمائهم . وكانت لعيسو اسم آخر هو آدوم فسميت البلاد والذرية بهذا الاسم أيضاً . وهكذا يتكرر تسجيل نفي عيسو من ارض كنعان كما سجل نفي اسماعيل واخوته لتبقى هذه الأرض لاسحق ثم ليعقوب وفريته من بعده مما فيه أثر الاختصاص الافتعالي بقطع النظر عن صحته وعدمها . وعبرة السفر تفيد أن القبائل المسماة بتلك الأسماء كانت موجودة حينما جاء بنو اسرائيل إلى شرق الاردن فأريد بتسجيل هذا الواقع ربط الحاضر بالماضي ولا مانع من أن يكون فيه حقيقة .

وقد ذكر سفر التكوين ما كان من صدام بين بني يعقوب واهل شكيم ورهيلهم عنها إلى جهات حبرون ثم حسد اخوة يوسف ليوسف واحتياهم على أبيهم حتى أذن لهم بأخذه معهم والقائم إياه في الحب وغنور قافلة اسماعيلية عليه وبيعه لرئيس شرطة فرعون فوطيفار وما كان من غرام زوجة هذابه وسجنه ثم تعيينه أمين الخزائن فرعون وإحضاره أبويه واخوته وتزولهم أرض جاسان التي أمر فرعون بتخصيصها لهم والتي يخمن الباحثون انها في الدلتا الشرقية في اصحاحات متواليه<sup>٢</sup> بأسلوب لا يخلو من الخيال والحقيقة معاً ويخمن بعض الباحثين أن تزوج يعقوب وأولاده كان في عهد الهكسوس أو في ظروف حركتهم على ما شرحناه في الجزء الثاني من الكتاب شرحاً يغني عن التكرار .

## (٢) سيرة بني اسرائيل في مصر وقصة خروجهم

منها إلى حلولهم في شوق الأودن بقيادة موسى

هذه السيرة مشروحة بأساليب متنوعة في أسفار الخروج والعدد والتثنية واللاويين . ولقد ورد في سفر الخروج في سياق طويل واصحاحات متواليه ما كان من غو بني

(١) الاصحاح ٢٧ ايضاً

(٢) من الاصحاح ٣٣ إلى الاصحاح ٥٠ آخر اصحاحات السفر .

اسرائيل وخشية فرعون من عواقب ذلك واضطهادهم وتسخيرهم في اعمال الساء والطين  
ثم ايعازهم لقبالاتهم بقتل الاولاد الذكور وسفقة الرب عليهم وعزمه على انتقامهم  
واخراجهم الى الارض التي تدر لبناً وعسلاً ، وتجليه لموسى في جبل حوريب في سيناء  
وأمره بالقيام بهذه المهمة ومعجزات موسى واتخذه ورده مسع فرعون وانتهاء الأمر  
بمخرج بني اسرائيل بقيادته الى بركة شور ثم الى بركة سيناء مما لا يخلو من خيال ومبالغة  
وحقيقة معاً<sup>١</sup>

ويحتمن هؤلاء ان يخرج بني اسرائيل من مصر كان على دفتين حيث هربت قبيلة  
منهم قبل خروج موسى بمدة غير قصيرة على ما مر بيانه . ويحتمن خروجهم بقيادة موسى  
في اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ( حوالي ١٢٥٥ ق م ) وهذا وقت كانت احوال  
مصر فيه مرتبكة بعض الشيء<sup>٢</sup> .

ونبه على ان الاسفار لم تذكر خبر فرار القبيلة وبالتالي لم تذكر شيئاً عنها في سياق  
احداث بني اسرائيل في شرق الاردن وفلسطين . وقصيدة مرتباج السبي ذكرت  
اسرائيل على ما ذكرناه قبل قالت ان بذرة اسرائيل قد خربت فاذا كانت الكلمة  
تعني اسرائيل في فلسطين فتكون هذه القبيلة ابعدت از هلاك معظمها . وإذا كان  
بقي منها بقية فتكون قد اندمجت في قبيلة اخرى وضاعت معها حينما خرج بنو  
اسرائيل بقيادة موسى خروجهم الجماعي وحلوا في شرق الاردن ثم في فلسطين .

وفي اثناء وجود موسى وبني اسرائيل في بركة سيناء تكررت ظاهرة تجلي الله لموسى  
حينما كان يصعد الى الجبل لمناجاة ربه وتلقي كلامه على ما فصلته الاصحاحات التاسع  
عشر وما بعده من سفر الخروج ثم اصحاحات سفر اللاويين او الاحبار وسفر العدد .

ولقد احتوت وصايا الله التي وصى بها موسى على ما ذكرته تلك الاسفار تشريعات  
متنوعة في الاطعمة والانكحة والطقوس والعبادات وخيمة المعبد وثياب الكهان والشؤون  
الاجتماعية والمدنية والاخلاقية مما يمكن ان يطلق على مجموعه اسم الشرائع الموسوية ،  
ومما كان ولا يزال ذا اثر قوي في تاريخ البشر وحياتهم الى اليوم ، وما كان مظهرأ

(١) الاصحاحات ١-١٥

(٢) مصر القديمة ج ٧ ص ١ ٢٠٣ والمقد الثمين ص ١١٧ ، ١١٩٠ والكافي ج ١ ص ٩٠ و٩٨ وناريخ  
مصر من اقدم المصور بربستيد ص ٢٦٧ وبعدها .

جديداً آخر من مظاهر الحدث العظيم الذي كان من مميزات الجنس العربي فكان له به المأثرة الخالدة والرسالة الانسانية السامية بما كان في ذلك من تأكيد فكرة وحيدة الله وربوبيته والدعوة اليه وحده وتحرير الانسان من الخضوع لأي قوة خفية وظاهرة اخرى وانشاء مجتمع انساني حر تسود فيه الاخلاق الفاضلة ، ومن تحطير لعبادة الاوثان والشرك بالله والقتل والزنا والزور والكذب والسرقة والحسد واشتهاء نساء الناس واموالهم واضطهاد الفقراء والغرباء والارقاء والرشوة والربا والنفياق والبغي والمجاهاة ومن الحث على تكريم الآباء وعمل الخير والبر بالاقارب والاباعد والغرباء وتحرير الأرقاء ومساعدة المحتاجين بصيغ متنوعة وتأكيد مكرر بقطع النظر عما كان من انحراف بني اسرائيل عن وصايا الله وتشريعاته الاخلاقية والتوحيدية وعما كان من ضيق افقهم الذي صور لهم أن الله هو الههم وحدهم وان الدين الذي جاء به موسى هو دينهم الخاص وانهم شعب الله المختار الذي يكون سائر الشعوب عبيداً له بما يحتمل ان يكون نتيجة للكبت والاضطهاد المديد الذي قاسوه في مصر فأوجد فيهم عقدة عقدت حياتهم وشوّهت أخلاقهم وجعلتهم يرتكبون في الانحرافات الدينية والاخلاقية ارتكاساً شديداً ويشذون عن الجنس العربي شذوذاً كبيراً على ما ألمعنا اليه في مطلع الكلام .

وان كان من شيء يقال في صدد هذه الشرائع فهو في صدد التفصيلات الجزئية العجيبة للطقوس والاشكال الكهنوتية والتعبدية التي لا يبعد أن تكون متأثرة بواقع بني اسرائيل بعد خروجهم .

وبما ذكره الاصحاح الاول من سفر العدد أن موسى أحصى بني اسرائيل عند خروجهم فبلغ عدد الذكور الذين في سن العشرين فما فوق ( ٦٠٣٥٠٠ ) يضاف اليهم ( ٢٢٠٠٠ ) ذكور سبط لاوي الذين لم يدخلوا في العدد حيث يعني هذا ان عدد الخارجين مع النساء والاطفال يبلغ نحو مليون ونصف مما فيه مبالغة كبيرة كما هو المتبادر .

ونقد سجلت اصحاحات سفر الخروج ( ١٥ - ٣١ ) مراحل خروجهم وسييرهم الى أن وصاوا إلى بركة سينا حيث اقاموا راحاً من الزمن فيها . وقد لقوا مصاعب ومشاق وحرماناً في رحلتهم فكانوا يتبرمون ويندمون ويشورون على موسى وهرون مرة بعد مرة في اثناء ذلك .

ولقد احتوى هذا السفر ( الاصحاح ٣١ وما بعده ) وعوداً من الرب لموسى باعطاء

قومه ارض الكنعانيين والاموريين والحيتيين والفرزيين والحويين واليبوسيين وبطرد هذه الامم امامهم ، وتحذير من قطع أي عهد لهم أو معاشرتهم أو مصاهرتهم ، وتوكيد بأن الرب قد اتخذ بني اسرائيل له شعباً وسيكون لهم الها ؛ بما هو متأثر بالوقائع التي جرت بعد وما يمثل في الوقت نفسه الاختصاص الافتعالي والعقد النفسية التي نبهنا عليها والتي جعلتهم يعتبرون أنفسهم متميزين على غيرهم مختصين بالرب ورعايته دون سائر البشر لهم الحق المطلق فيما في أيدي الغير بل وفي دمائهم ، ثم التي جعلتهم مستعدين لتفجير حقدهم في من يقدرون عليه .

ولقد تكررت التسجيلات المماثلة في أسفار العهد القديم بما يدل على ان هذه الروح ظلت الناطم لسيروتهم مع غيرهم . وقد صارت كذلك في سيرة أنسالمهم وفي سيرة من اعتنق اليهودية من غيرهم بسبب تكرار قراءتها في كتب يقدسونها ..

ويحكى الاصحاح (١٧) من سفر الخروج خبر مجيء العمالقة لمحاربتهم بما فيه اولى بوادر العداء نحوهم من سكان البلاد ومن المحتمل ان يكون قد بدا منهم حركات عدوانية جعلت هؤلاء يبادرون الى مقابلتهم وصددهم .

ولقد تكرر هذا من مختلف أرومات البلاد في مختلف الظروف وبدون أي شذوذ مما لا يمكن تعليقه إلا بأنه بدا منهم روح حاقدة عدوانية ونفس شرهة طامعة في ما في أيدي الغير جعل أهل البلاد يناصبونهم العداء منذ بدء طرؤهم عليهم . ولقد أظهرت الوقائع التي سجلوها في أسفارهم كل هذه الصفات بما كان لهم من سيرة غادرة معتدية شرهة قاسية أثرة حتى ان الذين سالوهم لم يسلموا منهم .

وفي برية سينا تكررت مخالفاتهم للوصايا التي بلغها موسى عن الله من توحيد ونهي عن الجرائم والمنكرات على ما ذكرته اصحاحات سفر الخروج . وكان من اهم ذلك صنع عجل من ذهب وتقديم القرابين له وقد ظل هذا ديدنهم في جميع تاريخهم أيضاً وسبباً لتكرار الانذارات الرهيبة لهم عن لسان الرب دون ما جدوى <sup>١</sup> .

ولقد احتوى سفر اللاويين - الأخياء - وصايا وتشريعات طقسية ومدنية وخلقية بلسان الرب واحتوى إلى هذا توغيباً وترهيباً شديدين لبني اسرائيل في حالة اتباعهم الوصايا ومخالفتها في سياق طويل يلح فيه ما نبهنا عليه من مزاعم الاختصاص بالرب

---

(١) انظر الاسحاح الرابع من سفر عزرا



وكونهم شعبه ويشفق عليهم وينقذهم منها أثوا وانحرفوا وطغوا وبغوا كما يلمح فيه أثر الوقائع المتأخرة أيضاً .

ومن الجدير بالذكر انه ليس في هذا السفر ولا في غيره ما يدل على أن موسى أو بني اسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم الى ديانتهم وان كل ما فيها مصبوب على كون الديانة ديانتهم الخاصة وكون الرب هو ربهم حتى بلغ منهم هذا الى درجة انهم رفضوا اشتراك السامريين الذين اعتنقوا اليهودية في تجديد معبد اورشليم حينما أعادهم كورش من منفاهم الى فلسطين بهذا التجديد .

ومع هذا فانه يبدو خلال النصوص انه كان بينهم غرباء معتنقون للديانة اليهودية . والارجح ان هذا ليس نتيجة دعوة ولا تبشير وانما هو تساهل مع غرباء كانوا يعيشون بينهم وكانت أحكام الديانة ورسومها تشملهم<sup>١</sup> .

وهكذا يصح أن يقال إن الديانة اليهودية ليست تبشيرية مع أن ما انطوى فيها من تعاليم ومبادئ يجعلها جدية بأن تكون ديانة ورسالة انسانية عامة وخالدة . والمتبادر أن هذا قد أتى من عقدة بني اسرائيل النفسية التي جعلتهم اثنان يعتبرون انفسهم متميزين عن البشر ويضطفنون الحق لغيرهم ويحنجون الى الانفراد في حياتهم وإذا كانت طوائف كبيرة من امم اخرى اعتنقت الديانة اليهودية بما هو ثابت أيضاً كسكان بلاد السامرة الذين ارسلهم الملوك الآشوريين وأقاموهم مكان المسيين من بني اسرائيل على أثر نسف دولة اسرائيل (٧٢٢ ق م) وفي ظروف سببهم في بابل<sup>٢</sup> ثم بعد عودتهم ثم بعد جلائهم عن فلسطين<sup>٣</sup> فالمتبادر أن ذلك كان بسبب ما صاروا اليه من حالة وهن وتشتت ولعله كان بقصد تقوية انفسهم بغيرهم على أن هذا ظل في نطاق ضيق محدود أيضاً حينما يقاس عددهم بعدد أهل الديانات الانسانية العامة التي تنسق اصولها وجوهرها مع ديانتهم .

---

(١) انظر الاصحاح ١٩ و ٢٠ من سفر اللاويين او الاجار .

(٢) انظر الاصحاح ٤٥٢ من سفر عزرا .

(٣) انظر تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم المؤلف من ٣٢٩ - ٣٣٠ .

ولقد احتوى سفر العدد قصة مراحل بني اسرائيل من بركة سيناء إلى شرق الاردن وما كان من تدميرهم ولجاجهم بل وتمردهم ومؤامراتهم على موسى وتفكيرهم بالعودة إلى مصر خوفاً من مواجهة أهل البلاد وما كان من غضب الله وغضب موسى عليهم المرة بعد المرة . وما حكاه قصة الرسل الذين أرسلهم موسى للتجسس على أرض كنعان وعودتهم بملتين خوفاً ورعباً بما كان عليه أهلها من كثافة وضخامة وقوة جعلتهم يرون أنفسهم كالجراد مع تنويرهم بما كانت عليه البلاد من خصوبة وعمران ؛ فأعلن جمهور بني اسرائيل رفضهم فأثاروا غضب الله ونبيه عليهم وكتب عليهم المكوث في البرية أربعين سنة حتى يموت الجيل الجبان . ولما انتهى الاجل أخذوا يتقدمون نحو شرق الاردن مع استمرارهم على التذمر واللجاج والخوف . وطلب موسى من ملك آدوم السماح لهم بالمرور فأبى فتحاشوا أرضه وساروا في طريق طويلة لقوا فيها كثيراً من المشاق والأذى وتجمع عليهم الكنعانيون والعمالقة ليقاتلوهم . غير أنهم تغلبوا عليهم ؛ وجاؤا إلى أرض الآموريين فطلب موسى من ملكها سيحون الاذن بالمرور فأبى وخرج اليهم فتغلبوا عليه واستولوا على بلاده وقتلوا أهلها وغنموا أموالها ثم فعلوا ذلك في ملك بيسان عوج وأهل مملكته ثم نزلوا في صحراء مؤاب وأقاموا حول شليم . ولم يلبثوا أن أخذوا يفجرون مع بنات مؤاب ومدن ويتعلقون بأهنتهم وسير موسى من هنا جيشاً إلى مدین فضر بها ودمرها بحجة أن بغتا منها اغوت بعض شباب بني اسرائيل .

وتصادف حركات موسى في شرق الاردن لظروف ارتباك حالة الاسرة العشرين المصرية ( ١٢٥٠ - ١٠٩٠ ) التي كانت صاحبة السيادة على فلسطين وشرق الاردن رسمياً . وهذا ما يعطل عدم حدوث رد فعل لهذه الحركات التي كانت حروباً شديدة إذا صحت روايات الاسفار .

### (٣) سيرة بني اسرائيل في فلسطين بقيادة يوشع

ومات موسى بعد قليل من حادث ضرب مدین وتدميرها فتولى فتاه يوشع قيادة بني اسرائيل في الزحف على أرض كنعان . ولقد احتوى سفر التثنية فيما احتواه الحطة التي رسمت لبني اسرائيل ليسيروا عليها حينما يتجهون إلى أرض كنعان او بالاحرى الحطة التي طبعتها ثم سجلوا انها حطة الهمة تعالى الله عز وجل عن ذلك .

وتقوم هذه الحطة المذكورة في السفر المذكور ( الاصحاح السابع ) بالنسبة لاهل

ومدن أرض كنعان على أساس « عدم قطع أي عهد لهم وعدم الرأفة بهم وعدم مخالطتهم وعدم مصاهرتهم وضربهم خرب إبادة والاستيلاء على أموالهم المنقولة وغير المنقولة والصامته والصائتة » وبالنسبة لأهل المدن البعيدة جداً على أساس « دعوتهم إلى المسألة فان أجابوا وفتحوا لهم فيكونون لهم عبيداً وان رفضوا ثم تغلبوا عليهم فيقتلون جميع ذكورهم ويسترقون نساءهم وأطفالهم وتكون أموالهم ودوابهم غنيمة لهم » . ولم يسجل التاريخ خطة رهيبة مثل هذه الخطة في الظلم والقسوة والشمول والعدوان المبادر دون استفزاز ولا سبق عدااء ولا إعداء ولا إنذار ! وقد يكون هذا التسجيل متأثراً بالواقع وما جرى بعد دخول بني إسرائيل أرض كنعان من تطبيق هذه الخطة الرهيبة ؛ غير أن ذلك يدل على ما كان يعتل في نفوسهم من حقد وشره وإفانية بما صار طابعاً مميزاً لهم في صلاتهم بغيرهم في مختلف الأزمنة والأمكنة

وفي سفر يشوع تفصيل ما جرى بين أهل أرض كنعان ومدنها وبين بني إسرائيل حينما اتجهوا نحوها وأخذوا يتصرفون في نطاق هذه الخطة بما أوردنا كثيراً منه في الفصل السابق ، وبعد أن استولوا على ما استطاعوا أن يستولوا عليه من مدن وقرى وغنائم وأموال نصبوا خباء المعبد في مكان اسمه شيلو بين نابلس والقدس على اثني عشر ميلاً من نابلس فأصبح هذا المكان عاصمة دينية ومدنية لهم في دور وجودهم الأول في أرض كنعان .

ويفيد الاصحاح الثالث عشر من السفر ان انحاء كثيرة من ارض كنعان في الجنوب والشمال والوسط لم تدخل في يد بني إسرائيل في هذا الدور كما يفيد الاصحاح الأول من سفر القضاة أن جماعات كبيرة من الكنعانيين والآموريين ممن استولى بنو إسرائيل على مدنها وقبضوا بالكمهم في انحاء فلسطين المختلفة ظلوا في بلادهم وعاش بنو إسرائيل بينهم هذا بالإضافة الى ممالك الفلسطينيين في الجنوب التي ظلت بمنأى عن نشاطهم ومطامعهم بآرة في هذا الدور . ويفيد هذا السفر وغيره أن بني إسرائيل لم يكادوا ينشئون جديداً من المدن وانهم عاشوا في مدن أهل البلاد وان كان من المحتمل انهم غيروا بعض اسمائها بلهجتهم .

وحركات يوسع كانت كذلك في العهود الاخيرة من حكم الاسرة العشرين التي ازدادت احوالها ارتباكاً فيها فلم يكن لها رد فعل أيضاً برغم ان السيادة الاسمية كانت لها على فلسطين .

## (٢) عهد القضاة

ولقد عاش بنو اسرائيل رشحاً من الزمن في ظل ما عرف بعهد القضاة الذي كان يتولى قيادتهم وتديير شؤونهم فيه مشايخ عرفوا باسم القضاة . ومدة هذا العهد حسب روايات سفر القضاة الذي يقص سيرة هذا العهد أكثر من ٤٥٠ سنة .

وهذا من مبالغات الأسفار . فقد خرج بنو اسرائيل من مصر بعد مدة ما من وفاة رمسيس الثاني التي كانت سنة ١٢٢٥ ومات سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق م ومدة حكمه وحكم داود وطالوت ثم موسى ويوشع لا تقل عن ١٨٠ سنة فتكون مدة العهد مئة سنة أو أقل حسب هذا الحساب المعروف طرفاه معرفة يقينية تقريباً . ومن الطريف أن المطران الدبس يعمل حساباً وينتهي منه إلى أن مدة العهد ٣٣١ سنة ١ ! .

ولقد كان بنو اسرائيل في هذا العهد في حالة فوضى وتفكك ثم في حالة انحراف خلقي وديني شديد على ما تفيد اصحاحات هذا السفر ٢ حتى ليفيد الوصف ان الانحراف وخاصة عبادة آلهة اهل البلاد الذين كانوا يعيشون بينهم أو في جوارهم كالبلع وعشتاروت وآله مؤاب وعمون لكموش وملكوم كان شاملاً عاماً حيث يدل هذا على انهم كانوا فاقدى الشخصية الخلقية والدينية برغم ما تبجحوا فيه وسجلوه في أسفارهم وان اهل البلاد كانوا اقوى منهم حضارة وحيوية وثقافة واستقراراً فما لبثوا أن تأثروا بهم .

ولقد تعرضوا في هذه الحقبة لغزوات وخربات واستعباد وذل من ارض كنعان ومن خارجها والاصحاحات تسجل ذلك كعقوبة لهم من الرب على انحرافاتهم بما يمكن أن يكون فيه دليل على أنها كتبت متأخرة متأثرة بالوقائع .

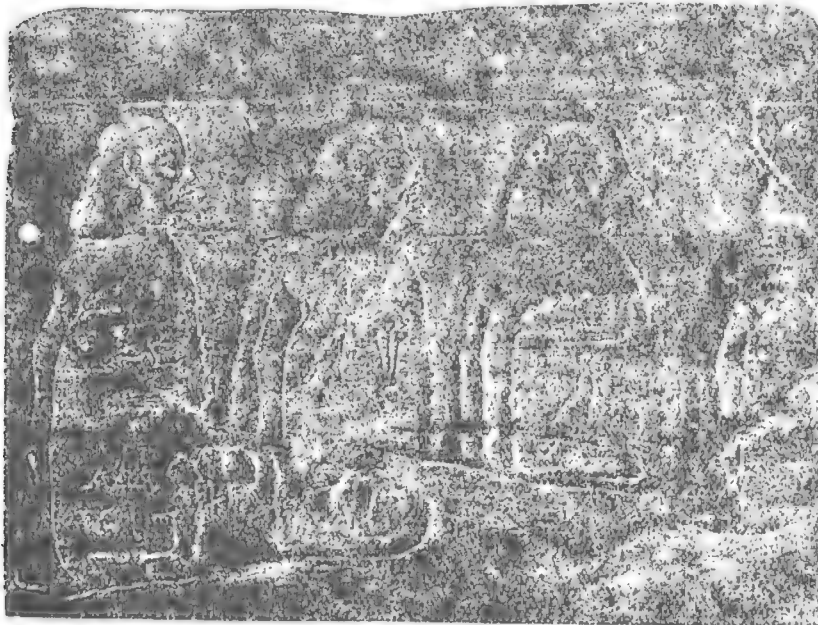
وأول من غزاهم واستعبدهم شعناخ ملك الاراميين في النهرين فكان اخلاصهم على يد عنتنيل اخي كالب الذي كان أول قضاتهم . ثم غزاهم حيجاون ملك مؤاب ودمه جموع العمونيين والعماليق فكان خلاصهم على يد اهودا بن بـييرا الذي صار قاضيهم . ثم غزاهم الفلسطينيين فكان خلاصهم على يد شيجرين عنات أحد قضاتهم ٣ ثم تسلط عليهم يابين

(١) مقال في العبرانيين ص ٢٢٠

(٢) اقرأ خاصة الاصحاح الثاني . وفي جميع اصحاحات هذا السفر تكرور عبارة بنو اسرائيل الشر

في عيني الرب ....

ملك حاصور الكنعاني الذي ظلت مملكته قائمة في الجليل وكان خلاصهم على يد باراق . ثم أخذ المدينيون والمماليقة وبنو المشرق يزعمونهم بغاراتهم الشديدة ويشخون فيهم قتلاً وتدميراً ونهباً . وكان خلاصهم على يد القاضي جدعون . وقد حاول ابن لهذا أن يقوم بانقلاب ويسمي نفسه ملكاً وقتل سبعين من اخوته لاجل ذلك ولكنه اغتيل فذهبت حركته بدياً . ثم غزاهم بنو عمون وكان خلاصهم على يد ينتاح الجلعادي الذي صار



اشخاص من بني اسرائيل من القرن العاشر قبل الميلاد

قاضيهم . ثم غزاهم الفلسطينيون مرة اخرى فكان خلاصهم على يد شمشون .

وفي سفر صموئيل الاول <sup>١</sup> بقية قصة سيرة القضاة ، حيث ذكر فيه استمرار بني اسرائيل على انحرافهم الخلقي والديني وغزو الفلسطينيين لهم للمرة الثالثة في هذا الدور وضرهم اياهم ضربة شديدة واخذ تابوتهم — أي الصندوق الذي فيه آثار والواح موسى

(١) انظر الاصحاحات ١-١٠

مما أفرعهم أشد الفزع وجعلهم يعلنون رغبتهم في التوبة ويطلبون من نبيهم صموئيل  
انتخاب ملك يقاتلون تحت لوائه ، وقد اخذوا لهم شاوول فكان ذلك أول عهدهم  
الملكي .

واقـد ظلت احوال مصر مرتبـكة في عهد الاسرة العشرين ثم في عهد الاسرة الحادية  
والعشرين ١٠٩٥ - ٩٤٥ ، وهذا ما يعلل به ما كان من حركات حربية واعتداءات  
متنوعة بين بني اسرائيل في عهد القضاة وغيرهم من داخل فلسطين وخارجها دون أي رد  
فعل في مصر .



مشهد قديم من مشاهد بني اسرائيل في معبد اورشليم  
مرسوم على اثر قديم في روما

## (٥) الدور الملكي الاول

ان العهد الملكي لبني اسرائيل كان دورين متميزين ففي الاول تولى الملك شاوول ثم  
ابنه اشبوشث ، ثم داود ، ثم ابنه سليمان . وتخلل ذلك حادثان : الأول ان داود نادى  
بنفسه ملكاً في جبرون حينما مات شاوول وآل الحكم في اورشليم الى ابنه اشبوشث ، والثاني  
ان ابناً لداود اسمه ابشالوم تمرد على ابيه ونادى بنفسه ملكاً في جبرون ثم استطاع ان

يستولي على اورشليم ردها من الزمن وقد قتل ابشالوم فعاد داود الى عرشه الشامل .  
؟ -- وخلاصة سيرة عهد شاوول الذي يضمن انه كان في اواخر القرن الحادي عشر  
قبل الميلاد ١٠٥٥ - ١٠٢٠<sup>١</sup> انه تصاول مع الفلسطينيين حتى تمكن من تحرير اسرائيل  
من ربقتهم ؟ ثم تصاول مع العمونيين فحمى بني اسرائيل الذين هم في جلعاد شرق  
الاردن من سيطرتهم ، وقد حكمت هذه القصص عدة اصحاحات من سفر صموئيل  
الاول في سياق فيه وليس في الاسفار اشارة واضحة الى المكان الذي اتخذ شاوول  
عاصمة له . غير ان الاصحاح (١١) من صموئيل الاول ذكر أن صموئيل دعا الناس الى  
الصعود الى الجلجال حيث جدد فيها البيعة له .

وقد ذكر الاصحاح ( ١٣ ) من السفر خبر اجتماع الشعب واءراء شاوول في الجلجال  
حينما زحف الفلسطينيون لمحاربة بني اسرائيل ؛ حيث قد يفيد هذا وذلك ان الجلجال  
كانت مركز شاوول او عاصمته وقد ذكر الدبس<sup>٢</sup> ان الجلجال هذه هي ما يسمى الجلجول  
اليوم حذاء اريحا .

وبما فعله شاوول زحفه على مدينته جبعون وضربه اهلها خربة ساحقة لانهم ارسلا  
الى بني اسرائيل وفداً حينما دخلوا فلسطين واستولوا على اريحا والعي وابادوا اهلها طلبوا  
منهم الأمان وقالوا لهم اننا من بلد بعيد ثم ظهروا انهم من كنعان وانهم اخذوا  
الأمان بطريق الاحتيال<sup>٣</sup> .

وبما حكته اصحاحات سفر صموئيل الاول قصة تخوف شاوول من داود ومطاردته  
له لقتله ولجوء داود الى الفلسطينيين وقضائه عندهم ردها طويلاً الى ان مات  
شاوول ؛ وفي القصة العجيب الغريب من الاساليب التي عمد اليها شاوول في مطاردته  
لداود والتي عمد اليها داود في التفادي من الوقوع في يده واحترامه له فيها كثير من  
الخيال والمبالغة .

٢ - ولم تذكر الاسفار أي نشاط لاشبوشث الذي خلف اباه في الملك بل ذكرت  
انحرافاً خلقياً فظيماً -- وهو سطوه على سراي ابيه -- ادى الى نفرة الناس منه واغتياله<sup>٤</sup> .

(١) هذه السيرة في سفر صموئيل الاول الاصحاحات ١١-٣١ .

(٢) مجلد مقال في العبرانيين من ٢٧٧ .

(٣) الاصحاح ٢١ من سفر صموئيل الثاني .

(٤) الاصحاح ١ من صموئيل الثاني .

٣ - وكان داود حينما مات شاوول قد جاء الى جبرون وبويع من قبل بني اسرائيل الذين هم فيها فلما اغتيل اشبوشث تمت لداود البيعة من قبل جميع الاسباط <sup>١</sup> .  
وسيرة داود مشروحة في سفر صموئيل الثاني وبعض اصحاحات سفر اخبار الايام  
الاول .

وخلاصة اهم ما ذكر منها خبر زحف الفلسطينيين على اسرائيل في عهده لئلا يتفاهم  
أمر اليهود وتمكنه من صدمه ، وسكنه في مدينة اورشليم وانشائه حصناً له فيها بعد  
تمكنه من التغلب على اليبوسيين أهلها حينما تصدوا لمنعه ، ونقله تبوت الرب الى هذا  
الحصن ، وانبساط سلطانه وجزيته على ممالك شرق الاردن عمون ومواب وآدوم وعلى  
مملكة صوبا الآرامية التي قال مفسرو الاسفار انها في حوران ، وغزوته لدمشق وفرض  
الجزية على ملكها الآرامي .

وكل ما تقدم جاء باشارات مقتضبة عدا سيطرة داود على عمون حيث ذكرت بشيء  
من التفصيل <sup>٢</sup> ذكر خلاله قصة داود البشعة مع زوجة اوريا الحثي التي صارت ام سليمان .  
ومن ذلك خبر تمرد ابشالوم ابن داود على ابيه . فقد اعتدى اخ له من ام اخرى على عرض  
شقيقته <sup>٣</sup> ولم يعاقبه ابوه فغضب وغادر اورشليم واخذ كثير من بني اسرائيل ينضون  
اليه فنأدى بنفسه ملكاً في جبرون ثم زحف الى اورشليم فاضطر داود الى الفرار منها  
فاستولى عليها واستمرت الحنة رديحاً من الزمن حتى انتهت بعودة بني اسرائيل ثانية  
الى داود واغتيال ابشالوم .

على ان احوال المملكة عادت فاضطربت حيث تمرد زعيم اسمه شبع بن بكرى الذي  
التف عليه كثير من الاسباط فكانت محنة شديدة عكرت عهد داود مرة اخرى .  
واغتنم الفلسطينيون فرصة المحن الملمة باسرائيل فأخذوا يغيرون عليها وتكررت الوقائع بين  
الطرفين دون نتيجة حاسمة . وقد كاد داود ان يقتل في احداها . والمرجح ان ممالك  
شرق الاردن وممالك الآراميين وراءه التي ذكر خبر سيطرة داود عليها قد تقلبت من

(١) الاصحاح ١ من صموئيل الثاني .

(٢) صموئيل الثاني او الملوك الثاني الاصحاح ١٠ - ١٢ .

(٣) لقد تكرر مثل هذه الفاحشة . ومن ابشع ما كان من ذلك اعتداء بكر يعقوب على زوجة ابيه

الظر الاصحاح ٣٥ من سفر التكوين .



هذه السيطرة خلال المحن التي أوهنت قوة داود ودولته لان الاسفار لم تذكر أي سلطان لسلیمان عليها أما الممالك الفلسطينية فالظاهر من نصوص السفر انها ظلت متمتعة باستقلالها وسيادتها .

وبما ذكر من سيرة داود اهتمامه الشديد لانشاء بيت للرب وإعداده لوازم ذلك من ذهب وفضة وخشب ومعادن أخرى وحجارة ورخام الخ وقد ذكر الاصحاح (٢٩) من أخبار الأيام الاول انه أعد لذلك ثلاثة آلاف قنطار أو وزنة<sup>١</sup> من ذهب أوفير وسبعة آلاف قنطار أو وزنة فضة مصفاة ، وانه طلب من رؤساء بني اسرائيل أن يتبرعوا فتبرعوا بخمسة آلاف قنطار أو وزنة من الذهب وعشرة آلاف قنطار أو وزنة من الفضة وثمانية عشر ألف قنطار من النحاس ومئة ألف قنطار من الحديد عدا كميات كبيرة من الخشب وحجارة الخبز وحجارة التروصيع وحجارة الرخام والحجارة الكريمة الأخرى حيث يدل هذا برغم ما يحتمل من مبالغة على أن عهد داود كان عهد رخاء وثناء على أن ما جاء في الاصحاح ( ٢٢ ) من ذلك السفر من امر داود بجمع الأجانب الذين في أرض اسرائيل لأعمال النحت واعداد المعادن يدل على ما كان عليه بنو اسرائيل من ضعف في المهن وخاصة الرفيعة منها .

ولقد ظلت أمور مصر مرتبكة في حقبة داود أيضاً فأتاح هذا وذاك لداود ما أتاحه من حرية الحركة والنشاط والسيادة والتبسط في البلاد المجاورة في أواسط عهده كما هو المتبادر .

وقد بلغت مدة حكمه أربعين سنة منها سبع في جبرون على ما ذكره الاصحاح (٢٩) من سفر أخبار الأيام الاول .

وينسب إلى داود سفر الزامير وفيه مئة وخمسون مزموراً . وهي أناشيد استغاثة واستغفار تمجيد وتقديس وتسبيح رائعة الاسلوب والمعنى وتعد من أعظم آداب اللغة العبرانية ؛ ومن أعظم الآداب الانسانية معاً .

٤ - وتولى بعد داود سليمان الذي بلغت مدة حكمه كذلك أربعين سنة ؛ وقد تصدى لمنافسته على العرش في حياة ابيه أخ له من ام أخرى اسمها ادونيكاء ولكنه تغلب

---

(١) النسخة الكاثوليكية تذكر «القنطار» والبروتستانتية تذكر «الوزنة»

عليه . وسيرته مشروحة في سفر الملوك الاول ثم في سفر أخبار الأيام الثاني ١  
وقد دشّن عهده بقتل أخيه المنافس وقتل رئيس جيش أبيه وعزل الكاهن الأكبر  
لانها كانا متحزبين لآخيه .

ويستفاد من الاصحاح الثالث والرابع من سفر الملوك الثاني أن عهد سليمان كان عهد  
هدوء وسلام ورفاه بالجملة وأن سلطانه في الوقت نفسه كان قاصراً على فلسطين باستثناء  
بعض ممالك الفلسطينيين في جنوبها . وكان يشل مملكة حشبون في شرق الاردن التي  
استولى عليها بنو اسرائيل بقيادة موسى دون غيرها .

واهم أعماله انشاء المعبد الذي أعد أبوه لوازمه المتنوعة وانشاء قصر لسكناء ولحكم  
معاً في اورشليم . وقد اطنبت الاصحاحات ٥-٩ من الملوك الاول والاصحاحات ٢-٧ من أخبار  
الأيام الثاني بما كان عليه وخاصة المعبد من فخامة وخطامة وناقة وبما بذله سليمان في سبيل زخرفته  
وتذهيبه وحجارته وقناطيله وارضه وسقفه وابوابه ومصاريعه من جهود واكلاف حتى لكأنه  
سبيكة من ذهب ثم بما كان من حفاوته العظمى مع الشعب بتدشينه والمقادير العظيمة التي ذبحها  
من الثيران والغنم للقرابين والولائم التي امتدت اعيادها اربعة عشر يوماً منها كان فيها  
مبالغة وخيال فالمرجح انها احتوت حقائق ظلت تتناقلها الاجيال . وقد أعانه حيرام  
ملك صور الذي كان على صداقة مع أبيه داود واستمرت في عهده على ذلك بما ارسله اليه من  
مهندسين وصناع ماهرين وانخساب وذهب . وقد كافأه سليمان فوهبه عشرين مدينة من  
الجليل وخصص له عشرين ألف كر من الخنطة ومثلها من الزيت سنوياً .

وقد ذكر الاصحاح الرابع من الملوك الاول أن طعام سليمان في كل يوم ثلاثون كراً من السمن  
وستين من الدقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثوراً من المرعى ومئة من الشاة عدا الايائل  
والظباء واليحمير وسمان الطير وأنه كان له اربعون ألف مزود خيل مراكبه واثنان عشر  
الف فارس .

وقد اطلب هذا الاصحاح ثم الاصحاح (١٠) من سفر أخبار الأيام الثاني بما كان  
سليمان عليه من حكمة وعدل وما كان من انتشار حبيته وتوافد ملوك الارض اليه لسماع  
حكيمته حاملين هداياهم الثمينة اليه ومن جعلتهم ملكة سبأ التي جاءت في موكب عظيم  
ومعها اجمال من الطيوب والذهب والحجارة الكريمة . وقد بلغ وزن ما ورد عليه في سنة

---

(١) الاصحاحات ١-١١ من الملوك الاول و ١-٩ من أخبار الأيام الثاني .

واحدة (٦٦٦) قنطاراً من الذهب غير الوارد من ذلك من التجار والمكاسين . وقد صنع  
٢٥٥ مجنب من ذهب وعرشاً من عاج ملبس بالذهب . وكانت جميع آنيته من ذهب .  
وكانت الفضة عنده مثل الحجارة كثرة . وقد لا يتخلو ما ذكرته الاسفار من خيال ومبالغة  
ولكن المرجح كذلك ان فيها حقيقة تداولتها الاجيال . وفيها ما يدل على ما كانت  
عليه حالة المملكة في عهده من وفاء وثناء وما كان له من مجد وصيت ؛ وقد ذكر  
الاصحاح (٤) من سفر الملوك الاول انه كان لسليمان اسطول تجاري يبحر البحر الاحمر  
وكان حيرام ملك صور شريكه ومساعدته في ذلك .

وبما ذكرته الاسفار من اهم من سيرة سليمان انه احصى الاجانب الذين هم في ارض  
اسرائيل فكانوا ( ١٤٣٦٠٠ ) وانه سخرهم في أعمال الحمل وقطع الاحجار والمناظرة على  
الاعمال في منشأته التي أنشأها في اورشليم وغيرها وهم الآموريون والحيتيون والفريزيون  
والحويون واليبوسيون الذين بقوا من السكان القدماء ولم يستطع بنو اسرائيل قتلهم ؛  
والعبارة تفيد أن هذا الرقم هو عدد الرجال القادرين على العمل وهذا يعني ان عدد اهل  
البلاد الاصليين في غرب الاردن في زمنه كان يقرب من نصف مليون إذا ما اضيف الى  
الرقم النساء والاولاد وهذا غير الفلسطينيين الذين كانوا خارج سيطرة سليمان !

وقد تفيد العبارة انهم كانوا الاقدر والابوع في الاعمال الانشائية من بني اسرائيل .  
ولقد كانت الرقعة الخاضعة لسيطرة سليمان في غرب الاردن لا تضم صحراء النقب ولا  
منطقة غزة وسواحلها إلى ما فوق سدود وبينه حيث يبدو من ذلك مقدار كثافة  
السكان الاصليين في عهده حتى ولو كان في الرقم مبالغة .

وبما ذكره الاصحاح (٩) من سفر الملوك الاول ان سليمان اصهر الى فرعون مصر  
وان هذا الفرعون صعد إلى فلسطين وأحرق مدينة جيزر وقتل الكنعانيين ووهب المدينة  
لسليمان كمهر لابنته . وقد نحن سليم حسن العالم المصري ٢ ان هذا الملك هو بسوسنس

---

(١) انظر الاصحاح ٤ من سفر الملوك الثاني و٨ من اخبار الايام الثاني

(٢) مصر القديمة ج ٩ ص ٧٢-٧٣ وقد نحن بريستيد ان الملك الذي اصهر اليه سليمان هو شيشنق  
اول ملوك الاسرة الثانية والمصريين انظر تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٤٧-٣٦٢ والاصحاح ١١ من  
سفر الملوك الاول قد يؤيد تخمين بريستيد .

الثاني من ملوك الاسرة الحادية والعشرين ( ١٠٨٥ - ٩٥٥ ق م ) . والخبر يفيد ان يد مصر قويت بعض الشيء في بعض سني حكم سليمان ومارست سيادتها في أرض فلسطين ، امتداداً لما كان لها من هذه السيادة في العهد السابق وان كانت قد ضعفت بسبب ارتباك حالتها على ما ذكرناه قبل . ولعل اصهار سليمان للمكبا كان مظهرأ من مظاهر التودد والتزلف ابان قوة يده هذه .

ولم يخل عهد سليمان مع كل ذلك من انحرافات خلقيه ودينية التي ذكر الاصحاب الحادي عشر من سفر الملوك الثاني انه هو نفسه كان إلى شيشق ملك مصر ( اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ٩٤٥ - ٧٢٠ ق م ) حتى إذا مات سليمان عاد وقاد حركة تمرد ضد ابنه أدت إلى انشطار مملكته على ما ذكره الاصحابان ١١ و ١٢ من سفر الملوك الاول .

ويظهر أن سليمان أثقل كاهل الشعب بمشاريعه الانشائية وتكاليفه الباهظة حيث كان ذلك من الذرائع التي تدرع بها يربعام في حركته التحررية على رحيعام ابن سليمان .

هذا وينسب الى سليمان سفر الامثال ونشيد الاناشيد من أسفار العهد القديم . وفي الاول مواعظ ووصايا وأمثال حكيمة خلقية واجتماعية ودينية . وفي الثاني تخيلات ومزبة فيها حكمة وموعظة . واسلوب السفرين بليغ رائع ويعد من أعظم آداب اللغة العربية ومن أعظم الآداب الانسانية في الوقت نفسه .

## (٦) الدور الثاني لملوك بني اسرائيل

-- ١ --

قام هذا الدور بعد قليل من موت سليمان ونتيجة لحركة التمرد التي قام بها يربعام . فقد خلف سليمان على العرش ابنه رحيعام ؛ فأخذ بيعة سبطي يهوذا وبنيامين في منطقة اورشليم وجبرون وجاء الى السامرة لأخذ بيعة بقية الاسباط فتصدى له يربعام الذي عاد من مصر وطلب منه وعداً بتخفيف الأعباء التي فرضها أبوه على الشعب فأجاب بلفظة وجفاء وعناد فأثار عليه الاسباط ورفضوا بيعته وعاد مخففاً . ونادى الاسباط يربعام ملكاً عليهم فانقسمت المملكة بذلك إلى مملكتين جنوبيه عاصمتها اورشليم واسمها يهوذا وقوامها سبطايم وذاو بنيامين وشمالية عاصمتها شكيم واسمها اسرائيل وقوامها الاسباط الباقية .

وأخبار الدولتين مسرودة بشيء من التداخل في الاصحاح الثاني عشر وما بعده من سفر الملوك الاول - الثالث في الطبعة الكاثوليكية - وجميع سفر الملوك الثاني - الرابع في الكاثوليكية - والاصحاح العاشر وما بعده من سفر اخبار الايام الثاني .

ولقد ذكر بريستيد<sup>١</sup> ان شيشق اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ٩٤٥ - ٩٢٥ ق م هو الذي حرض يربعام الذي كان فر من وجه سليمان ولجأ اليه استهدافاً لاعادة نفوذ مصر الفعلي الى جميع فلسطين . وذكر الدبس<sup>٢</sup> ان شيشق كان ينوي غزو فلسطين ثم سورية وفينيقية لتوطيد سلطان مصر عليها كما كان في العهود السابقة فأرسل يربعام لثق المملكة اليهودية كما دس على ملك صور حليف سليمان من اغتاله تمهيداً لذلك .

لقد غزا شيشق فعلاً فلسطين في عهد رحبعام ويربعام بعد انقسام المملكة واستولى عليها على ما عرف من النقوش التي أمر بنقشها على سور الكارناك والتي ذكر فيها اسماء ( ١٨٥ ) مدينة من مختلف انحاء فلسطين وتخوم شرق الاردن كمدن فتحها من جديد<sup>٣</sup> . وقد ذكر الاصحاح الثاني عشر من سفر اخبار الايام الثاني غزوة شيشق هذه وقال ان شيشق صعد في السنة الخامسة من ملك رحبعام على اورشليم في الف ومئتي مركبة وستين الف فارس وعدد لا يحصى من اثوبيين والسكيين والكوسيين واستولى على مدن يهوذا المحصنة وصار الى اورشليم ونهب ما في خزائن بيت الرب ودار الملك . حيث يبدو من هذا كله اصبع شيشق فيما تم من انقسام المملكة .

ولقد كانت مملكة اسرائيل تشمل اكثر الاسباط كما كانت اوسع مساحة وأكثر قابلية مادية الا انها كانت في معظم ايامها مضطربة بعكس مملكة يهوذا التي كانت اكثر استقراراً وطول عمراً . وقد استمرت سلسلة ملوكها بدون انقطاع في ذرية سليمان خلافاً لسلسلة ملوك اسرائيل التي كانت من اسر واسباط متعددة .

وقد تولى عرش مملكة يهوذا تسعة عشر ملكاً هذه اسماؤهم ومدة حكمهم كما ذكرته الاسفار :

---

(١) تاريخ مصر من اقدم المصور ترجمة حسن كمال ص ٣٥٧-٣٦٢

(٢) الجزء الاول المجلد الاول تاريخ موريه ص ٢٩٩

(٣) انظر مصر القديمة ج ٩ ص ١١٠-١٤٦

١ - رحبعام بن سليمان	مدة حكمه ١٧ سنة		
٢ - ايبا بن رحبعام	» » ٣		
٣ - آسا بن ايبا	» » ٤١		
٤ - يوشافاط بن آسا	» » ٢٥		
٥ - يهورام بن يوشافاط	» » ٨		
٦ - اخزيا بن يهورام	» » ١	مات قتلا	
عتليا ام اخزيا	» » ٦	ماتت قتلا	
٧ - يواش بن اخزيا	» » ٤٠	مات قتلا	
٨ - امعيا بن يواش	» » ٢٩	» »	
٩ - عزيا بن امعيا	» » ٥٢	» »	
١٠ - يوثام بن عزيا	» » ١٦		
١١ - يوحاز بن يوثام	» » ١٦		
١٢ - حزقيا بن آحاز	» » ٢٩		
١٣ - منسى بن حزقيا	» » ٥٥		
١٤ - آمون بن منسى	» » ٢	مات قتلا	
١٥ - يوشيا بن آمون	» » ٣١	» »	
١٦ - يوحاز بن يوشيا	» »	ثلاثة اشهر	
١٧ - يواقيم » »	» » ١١ سنة		
١٨ - يهوآكين بن يواقيم	» »	ثلاثة اشهر	
١٩ - صدقيا بن يواقيم	» »	سنة اشهر	

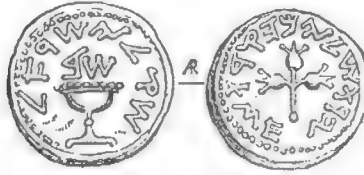
وقد عمرت هذه المملكة الى سنة ٥٨٦ ق م وسقطت على يد نبوخذ نصر ملك بابل

الكلداني الذي قتل حدقيا ونهب اورشليم ودمرها وسبي اهلها الى بابل .

وقد تولى عرش مملكة اسرائيل ايضاً تسعة عشر ملكاً على ما ذكرته الاسفار . وكانوا من اسر مختلفة حيث كان يتمرد على الملك الجالس متمرد فيخلعه ويحل محله ويخلفه بعض ابنائه حيناً ومتمرد آخر حيناً . وقد قلب على عرش المملكة نتيجة لذلك ثمانى أسر وافنيت ثلاث اسر من ملوكها افناء تاماً وعمرت الى سنة ٧٢٠ ق م وسقطت الى يدسرجون

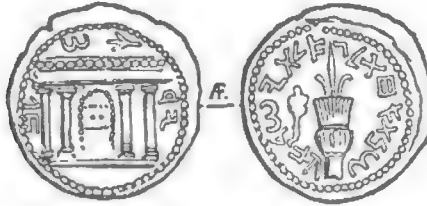
الثاني الذي اعتقل آخر ملوكها ونفاه مع معظم اهالي المملكة الى آشور . وقد تبدلت عاصمتها اكثر من مرة بسبب الانقلابات فكانت شكيم هي العاصمة اولاً ثم صارت قرصة ثم شامر القريبة من شكيم . وهذه اسماء ملوكها حسب ما ذكرته الاسفار مع مدة حكمهم :

### كتابات على نقود عبرية قديمة .



الرسم الاول

( ١ ) שקל ישראל בש (נ.ז.) ( ٢ ) ירושלים דקדושה



الرسم الثاني

( ١ ) ירושלם ( ٢ ) שנה אחת לנאלת ישראל

١ - يربعام بن نباط الافرايمي ومدة حكمه ٢٢ سنة

٢ - ناداب بن يربعام » » ٢ سنة

ثار عليه بعشا بن اخيا من سبط يساكر وقتله واباد نسل ابيه .

٣ - بعشا مدة حكمه ٢٤ سنة

٤ - ايله بن بعشا » » ٢ سنة

ثار عليه قائد اسمه رمزي وقتله واباد نسله .

٥ - رمزي سبعة ايام

ثار عليه قائد اسمه عمرى وحصره فأحرق نفسه .

- ٦ - عمري  
٧ - آخاب بن عمري  
٨ - اخزيا بن آخاب  
٩ - يورام بن آخاب

ثار عليه قائد اسمه ياهو بن يوشافاط وقتله وabad نسله

- ١٠ - ياهو بن يوشافاط مدة حكمه ٢٠ سنوات  
١١ - يواحاز بن ياهو مدته ١٧ سنة  
١٢ - يواش بن يواحاز » ٤١ سنة  
١٣ - يربعام بن يواش » ٤١ سنة  
١٤ - زكريا بن يربعام » ستة أشهر

ثار عليه قائد اسمه شلوم بن يابيش وقتله

- ١٥ - شلوم » شهر واحد  
ثار عليه مناحيم بن جاد وقتله  
١٦ - مناحيم » ١٠ سنوات  
١٧ - قتيحا بن مناحيم » سنتان  
ثار عليه فقح بن رمليا وقتله  
١٨ - فقح بن رمليا » ٢٠ سنة  
ثار عليه هوشع بن ايله وقتله  
١٩ - هوشع بن ايله »

ويرجح ان سليمان مات سنة ٩٣٥ ق م ويبدو من ذلك ان روايات الاسفار لمدة حكم الملوك مقارب مع تاريخي انتهاء كل من الدولتين.

## - ٢ -

وهذا اجمال لسيرة الدولتين الداخلية والخارجية مستمد من اصحاحات اسفار الملوك الاول والثاني واخبار الايام الثاني التي ذكرناها قبل ١ .

(١) انظر الصحف ١٣٠ - ١٧٩ من تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ففيها تفصيل لهذا الاجال .



١- كانت الصلات بين الدولتين في اغلب حقبة وجودهما معاً صلات عداء وجفاء وحرب . ولم تصف الا حقبة قصيرة في عهد عمرى ملك اسرائيل ويوشافاط ملك يهوذا وبعض خلفائهما بسبب المصاهرة التي قامت بين الاسرتين .

٢ - وكانت الصلات بين دولتي اليهود وملوك دمشق الآراميين أيضاً صلات عداء وجفاء حرب على الاكثر . وكان النصر يحالف الآراميين في الاكثر فيتمكنون من احتلال بعض بلاد من المملكتين ويشخون فيها نهياً وسلباً وقتلاً وسيياً . وكان بعض ملوك المملكتين في سياق تصاورهم فيما بينهم يستجدون بملوك دمشق ضد بعضهم فيتاح بذلك لهؤلاء الزحف والنهب والسلب واحتلال بعض البلاد . وقد سجل ليواحاظ ملك اسرائيل وابنه يواشي ولخفيه يربعام نصر على الآراميين . وفي آخر مرة زحف رصين ملك آرام على مملكة يهوذا بالاتفاق مع ملك اسرائيل فاستنجد ملك يهوذا بتغلات بلاسر ملك آشور وارسل اليه ما في خزائنه من مال فجاء هذا وضرب دمشق ضربة قاضية .

٣ - وقد سجلت الاسفار بعض الاحداث بين دولتي اليهود ومصر . وكان بعضها محالقات ضد آشور وبابل مع ملوك مصر بما جعل ملوك آشور وبابل يزحفون على الدولتين المرة بعد المرة ويضربونها وينسفونها في النهاية .

ومن اهم هذه الاحداث زحف شيشق في عهد رحبعام ويربعام على فلسطين ونهبه لخزائن الرب والملك في اورشليم واحتلاله المدن المحصنة وبما سجلته الاسفار تحالف ملك اسرائيل هوشع مع شباقام ملك مصر الذي تسميه الاسفار سوا . ضد سلناصر ملك آشور . وقد ادى هذا الى زحف سلناصر ثم مرجون من بعده على اسرائيل ونفى سكانها الى آشور وارسل جماعات عديدة من هذه البلاد واسكانهم محل المنيفيين . وهم الذين صاروا يعرفون بالسامريين لأن معظمهم سكنوا في منطقة السامرة . وقد اعتنقوا الموسوية . ومن ذلك تحالف حزقيا ملك يهوذا مع ملك مصر ضد سنجاريب ملك آشور فزحف هذا وكاد ان يسحق الدولة لولا اضطراره الى العودة بسبب حادث تمرد في بلاده . ومع ذلك زحف نخو ملك مصر وضربه يوشيا ملك يهوذا . وقد اقام اليهود ابنه مكانه فلم يوافق نخو على ذلك وقبض عليه واقام اخاً له تعهد بإداء ١٠٠ قنطار فضة وقنطار ذهب جزية سنوية .

ومع ذلك تحالف ملك يهوذا يهوياقيم مع ملك مصر ضد نبوخذ نصر ملك بابل

فزحف هذا اول مرة فأعلن ييويافيم خضوعه ثم نكث فزحف ملك بابل ثانية وخلع الملك واقام مكانه ملكاً اسمه صدقيا ومال هذا الى مصر فزحف ملك بابل للمرة الثالثة وقضى على دولة يهوذا ودمر اورشليم والمعبد ونهب جميع ما في المعبد والقصور وسبي عدداً كبيراً من اهلها الى بابل<sup>١</sup>.

٤ - وقد سجلت الاسفار احداثاً ومساومات بين دولتي اليهود والفلسطينيين . فمن ذلك صعود هؤلاء على مملكة يهوذا في عهد الملك يورام ودخولهم اورشليم ونهبهم خزائنها وسبيهم عدداً كبيراً من جملتهم ابناء الملك ونساؤه وزحف عزيا ملك يهوذا على جت ويينة واشدود من مدن الفلسطينيين وتدميره اسوارها . وزحف الفلسطينيون في عهد يواحاز حفيد عزيا على مملكة يهوذا واستيلائهم على مدن بيت شمس وايلون وجديروت وسوكو وقنه وجزرو وتوابعا .

وكان هذا آخر ما ذكرته الاسفار من المساومات بين الفريقين الذي يدل على ان الفلسطينيين ظلوا متمسكين بكيانهم وممالكهم وقوتهم . ولقد اخذت بلاد الشام ومن جملتها شرق الاردن وغربه نتعرض في هذا الظرف ( ٧٥٠ ق وما بعده ) لغزوات واكتساحات الملوك الآشوريين فكان ذلك مما شغل الفريقين عن بعضهم كما هو المتبادر .

٥ - وقد سجلت الاسفار مساومات عديدة بين ممالك شرق الاردن ودولتي اليهود مما شرحناه في الفصل السابق شرحاً يغني عن التكرار .

٦ - وبالإضافة الى ما ذكرناه في البند الثالث فقد احتوت الاسفار احداثاً اخرى بين دولتي اليهود والمملكة الآشورية . من ذلك صعود ملك آشور على اسرائيل وتقديم ملكها مناجيم اليه الف قنطار من الفضة فدية . وزحف سنحاريب على يهوذا واستيلائه على عدد من مدنها وفرضه عليه ( ٣٠٠ ) قنطار فضة و ( ٣٠ ) قنطار ذهب اداها اليه حتى انه نزع الذهب عن ابواب الهيكل ودعائمه من اجل ذلك

ولقد ذكرت النقوش الآشورية احداثاً عديدة بين ملوك الآشوريين وملوك دولتي اليهود منها ما ورد في الاسفار ومنها ما لم يرد وكان مغايراً لما ورد والمستفاد منها ان آشور ناصر بال الثالث ( ٨٨٥ - ٨٦٠ ق م قد سيطر على بلاد الشام التي منها على الأرجح

---

(١) معظم هذه الاحداث مؤيد بأنار مصرية وعربية أيضاً انظر الجزء الثاني من كتاب تاريخ الجنس العربي ص ٢٢١-٢٣٦ و ٢٤٧-٢٧٥ والجزء الثالث ص ٨٢ - ١٤٤ و ١٥٠-١٥٣ .

مملكة اليهود وقد انتقلت السيطرة الى ابنه شلمنصر الثالث فتمردت عليه بلاد الشام واشترك آخاب ملك اسرائيل بمئتي مركبة وعشرة آلاف مقاتل مع الجيوش تحت قيادة نبهدد ملك دمشق الارامي . وكانت الغلبة للملك آشور . وقد ارسل الياهو ملك اسرائيل هداياه الى هذا الملك مع وفد خاص معلناً ولاءه . وتمردت بلاد الشام على



مشهد من مشاهد بني اسرائيل الى بابل

شور في عهد اداد نيري ( ٨١٢ - ٧٨٣ ق م ) فاختضعها وذكر في النقوش ارض عمري في عداد الخاضعين والعبارة تعني مملكة اسرائيل التي كان ملكها عمري . ثم زحف تغلات بلاسر الثالث ( ٧٤٥ - ٧٢٧ ق م ) على بلاد الشام ووطد سيطرته عليها وقد ذكرت نقوشه ان فلسطين كانت من جملة الخاضعين لهذه السيطرة .

وفي نقش لهذا الملك ذكرت مدن جلعاد وأرض عمري واجلاء وجبائها إلى آشور وقتل ففتح ملك اسرائيل ونصب هوشع مكانه وأخذ من هذا عشر وزنات من الذهب وألف وزنة من الفضة . وبما ذكرته الآثار الاشورية غير ما ورد في الاسفار سيطرة آشور بانيبال على بلاد الشام ومن جملتها بملكة يهوذا . وكانت مملكة اسرائيل قد زالت قبله فكان الحاكم عليها والياً آشورياً (١) .

٧ - وقد سجلت الاسفار كثيراً من أحوال دولتي اليهود الداخلية ونددت بنوع خاص وبقوة انحرافاتها الدينية والخلقية وربطت بينها وبين سقوطها .

وجملة القول في صدد دولة اسرائيل ان ملوكها وشعبها انحرفوا منذ البداية بتأثير العامل السياسي وما قام من جفاء وقطيعة بينهم وبين ملك اورشليم وسبطي يهوذا وبنيامين اللذين تابعوه . فأقاموا معبدين رئيسيين في دان وبيت ايل ليقيموا فيها أعيادهم ويستغنوا عن معبد اورشليم تفادياً من عواقب الاختلاط ووضعوا في كل من المعبدین تمثالا ذهبياً للعجل . وظلوا منحرفين في هذا الطريق إلى النهاية . وإلى هذا فانهم كانوا ينحرفون إلى عبادة آلهة الكنعانيين وطقوسهم وينشؤون لها المذابح . وجاء وقت كانت عبادة البعل فيه مستشرية نتيجة لمصاهرة يهورام لملك صيدون وزواجه من بنته ايزابيل حتى لقد كان للبعل أربع مئة كاهن أو نبي . وكانت فترات صلاحهم الديني الجزئي قصيرة . وتعددت الانقلابات في هذه السلسلة وكانت تؤدي إلى سفك دماء غزيرة وإبادة أسر مالكة بومتها . وظلت عرضة للغزوات الخارجية . ولم يسجل لها استقلال واستقرار ونشاط إلا في فترات قصيرة .

وجملة القول في صدد دولة يهوذا انها كانت بالاجمال أحسن حالا من دولة اسرائيل سواء من ناحية الاستقرار أم من ناحية الصلاح وقد سجلت الاسفار لبعض ملوكها نشاطاً غير يسير في مختلف المجالات . ونوهت بما كان لهم من مجد وغنى وقوة مثل يوشافاط وحزقيا ويوشيا وان كان في ما ذكرته من ذلك مبالغه وخيال . على انها سجلت مظاهر انحراف وتضعف شديد شاملة . وكانت فترات ذلك أطول من فترات الاستقامة والصلاح ،

---

(١) انظر في صدد المآثورات الاشورية تاريخ كلدان وآشور لآدي شير ج ١ ص ٥٨-٧٦ و٨٠-٨٨  
١٠١٥-١١٤ و١٢٣ و١٢٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٢٨ و١٢٩ و١٣٠ و١٣١ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٤ و١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ و١٣٩ و١٤٠ و١٤١ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧ و١٤٨ و١٤٩ و١٥٠ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٤ و١٥٥ و١٥٦ و١٥٧ و١٥٨ و١٥٩ و١٦٠ و١٦١ و١٦٢ و١٦٣ و١٦٤ و١٦٥ و١٦٦ و١٦٧ و١٦٨ و١٦٩ و١٧٠ و١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٧٤ و١٧٥ و١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و١٧٩ و١٨٠ و١٨١ و١٨٢ و١٨٣ و١٨٤ و١٨٥ و١٨٦ و١٨٧ و١٨٨ و١٨٩ و١٩٠ و١٩١ و١٩٢ و١٩٣ و١٩٤ و١٩٥ و١٩٦ و١٩٧ و١٩٨ و١٩٩ و٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٢ و٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ و٢١٠ و٢١١ و٢١٢ و٢١٣ و٢١٤ و٢١٥ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ و٢١٩ و٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٢٥ و٢٢٦ و٢٢٧ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٣١ و٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٨ و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤١ و٢٤٢ و٢٤٣ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٧ و٢٤٨ و٢٤٩ و٢٥٠ و٢٥١ و٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٤ و٢٥٥ و٢٥٦ و٢٥٧ و٢٥٨ و٢٥٩ و٢٦٠ و٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢٦٦ و٢٦٧ و٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٠ و٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٤ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٣ و٢٨٤ و٢٨٥ و٢٨٦ و٢٨٧ و٢٨٨ و٢٨٩ و٢٩٠ و٢٩١ و٢٩٢ و٢٩٣ و٢٩٤ و٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧ و٢٩٨ و٢٩٩ و٣٠٠ و٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٣ و٣٠٤ و٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٧ و٣٠٨ و٣٠٩ و٣١٠ و٣١١ و٣١٢ و٣١٣ و٣١٤ و٣١٥ و٣١٦ و٣١٧ و٣١٨ و٣١٩ و٣٢٠ و٣٢١ و٣٢٢ و٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٢٦ و٣٢٧ و٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣٠ و٣٣١ و٣٣٢ و٣٣٣ و٣٣٤ و٣٣٥ و٣٣٦ و٣٣٧ و٣٣٨ و٣٣٩ و٣٤٠ و٣٤١ و٣٤٢ و٣٤٣ و٣٤٤ و٣٤٥ و٣٤٦ و٣٤٧ و٣٤٨ و٣٤٩ و٣٥٠ و٣٥١ و٣٥٢ و٣٥٣ و٣٥٤ و٣٥٥ و٣٥٦ و٣٥٧ و٣٥٨ و٣٥٩ و٣٦٠ و٣٦١ و٣٦٢ و٣٦٣ و٣٦٤ و٣٦٥ و٣٦٦ و٣٦٧ و٣٦٨ و٣٦٩ و٣٧٠ و٣٧١ و٣٧٢ و٣٧٣ و٣٧٤ و٣٧٥ و٣٧٦ و٣٧٧ و٣٧٨ و٣٧٩ و٣٨٠ و٣٨١ و٣٨٢ و٣٨٣ و٣٨٤ و٣٨٥ و٣٨٦ و٣٨٧ و٣٨٨ و٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩١ و٣٩٢ و٣٩٣ و٣٩٤ و٣٩٥ و٣٩٦ و٣٩٧ و٣٩٨ و٣٩٩ و٤٠٠ و٤٠١ و٤٠٢ و٤٠٣ و٤٠٤ و٤٠٥ و٤٠٦ و٤٠٧ و٤٠٨ و٤٠٩ و٤١٠ و٤١١ و٤١٢ و٤١٣ و٤١٤ و٤١٥ و٤١٦ و٤١٧ و٤١٨ و٤١٩ و٤٢٠ و٤٢١ و٤٢٢ و٤٢٣ و٤٢٤ و٤٢٥ و٤٢٦ و٤٢٧ و٤٢٨ و٤٢٩ و٤٣٠ و٤٣١ و٤٣٢ و٤٣٣ و٤٣٤ و٤٣٥ و٤٣٦ و٤٣٧ و٤٣٨ و٤٣٩ و٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٢ و٤٤٣ و٤٤٤ و٤٤٥ و٤٤٦ و٤٤٧ و٤٤٨ و٤٤٩ و٤٥٠ و٤٥١ و٤٥٢ و٤٥٣ و٤٥٤ و٤٥٥ و٤٥٦ و٤٥٧ و٤٥٨ و٤٥٩ و٤٦٠ و٤٦١ و٤٦٢ و٤٦٣ و٤٦٤ و٤٦٥ و٤٦٦ و٤٦٧ و٤٦٨ و٤٦٩ و٤٧٠ و٤٧١ و٤٧٢ و٤٧٣ و٤٧٤ و٤٧٥ و٤٧٦ و٤٧٧ و٤٧٨ و٤٧٩ و٤٨٠ و٤٨١ و٤٨٢ و٤٨٣ و٤٨٤ و٤٨٥ و٤٨٦ و٤٨٧ و٤٨٨ و٤٨٩ و٤٩٠ و٤٩١ و٤٩٢ و٤٩٣ و٤٩٤ و٤٩٥ و٤٩٦ و٤٩٧ و٤٩٨ و٤٩٩ و٥٠٠ و٥٠١ و٥٠٢ و٥٠٣ و٥٠٤ و٥٠٥ و٥٠٦ و٥٠٧ و٥٠٨ و٥٠٩ و٥١٠ و٥١١ و٥١٢ و٥١٣ و٥١٤ و٥١٥ و٥١٦ و٥١٧ و٥١٨ و٥١٩ و٥٢٠ و٥٢١ و٥٢٢ و٥٢٣ و٥٢٤ و٥٢٥ و٥٢٦ و٥٢٧ و٥٢٨ و٥٢٩ و٥٣٠ و٥٣١ و٥٣٢ و٥٣٣ و٥٣٤ و٥٣٥ و٥٣٦ و٥٣٧ و٥٣٨ و٥٣٩ و٥٤٠ و٥٤١ و٥٤٢ و٥٤٣ و٥٤٤ و٥٤٥ و٥٤٦ و٥٤٧ و٥٤٨ و٥٤٩ و٥٥٠ و٥٥١ و٥٥٢ و٥٥٣ و٥٥٤ و٥٥٥ و٥٥٦ و٥٥٧ و٥٥٨ و٥٥٩ و٥٦٠ و٥٦١ و٥٦٢ و٥٦٣ و٥٦٤ و٥٦٥ و٥٦٦ و٥٦٧ و٥٦٨ و٥٦٩ و٥٧٠ و٥٧١ و٥٧٢ و٥٧٣ و٥٧٤ و٥٧٥ و٥٧٦ و٥٧٧ و٥٧٨ و٥٧٩ و٥٨٠ و٥٨١ و٥٨٢ و٥٨٣ و٥٨٤ و٥٨٥ و٥٨٦ و٥٨٧ و٥٨٨ و٥٨٩ و٥٩٠ و٥٩١ و٥٩٢ و٥٩٣ و٥٩٤ و٥٩٥ و٥٩٦ و٥٩٧ و٥٩٨ و٥٩٩ و٦٠٠ و٦٠١ و٦٠٢ و٦٠٣ و٦٠٤ و٦٠٥ و٦٠٦ و٦٠٧ و٦٠٨ و٦٠٩ و٦١٠ و٦١١ و٦١٢ و٦١٣ و٦١٤ و٦١٥ و٦١٦ و٦١٧ و٦١٨ و٦١٩ و٦٢٠ و٦٢١ و٦٢٢ و٦٢٣ و٦٢٤ و٦٢٥ و٦٢٦ و٦٢٧ و٦٢٨ و٦٢٩ و٦٣٠ و٦٣١ و٦٣٢ و٦٣٣ و٦٣٤ و٦٣٥ و٦٣٦ و٦٣٧ و٦٣٨ و٦٣٩ و٦٤٠ و٦٤١ و٦٤٢ و٦٤٣ و٦٤٤ و٦٤٥ و٦٤٦ و٦٤٧ و٦٤٨ و٦٤٩ و٦٥٠ و٦٥١ و٦٥٢ و٦٥٣ و٦٥٤ و٦٥٥ و٦٥٦ و٦٥٧ و٦٥٨ و٦٥٩ و٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ و٦٦٣ و٦٦٤ و٦٦٥ و٦٦٦ و٦٦٧ و٦٦٨ و٦٦٩ و٦٧٠ و٦٧١ و٦٧٢ و٦٧٣ و٦٧٤ و٦٧٥ و٦٧٦ و٦٧٧ و٦٧٨ و٦٧٩ و٦٨٠ و٦٨١ و٦٨٢ و٦٨٣ و٦٨٤ و٦٨٥ و٦٨٦ و٦٨٧ و٦٨٨ و٦٨٩ و٦٩٠ و٦٩١ و٦٩٢ و٦٩٣ و٦٩٤ و٦٩٥ و٦٩٦ و٦٩٧ و٦٩٨ و٦٩٩ و٧٠٠ و٧٠١ و٧٠٢ و٧٠٣ و٧٠٤ و٧٠٥ و٧٠٦ و٧٠٧ و٧٠٨ و٧٠٩ و٧١٠ و٧١١ و٧١٢ و٧١٣ و٧١٤ و٧١٥ و٧١٦ و٧١٧ و٧١٨ و٧١٩ و٧٢٠ و٧٢١ و٧٢٢ و٧٢٣ و٧٢٤ و٧٢٥ و٧٢٦ و٧٢٧ و٧٢٨ و٧٢٩ و٧٣٠ و٧٣١ و٧٣٢ و٧٣٣ و٧٣٤ و٧٣٥ و٧٣٦ و٧٣٧ و٧٣٨ و٧٣٩ و٧٤٠ و٧٤١ و٧٤٢ و٧٤٣ و٧٤٤ و٧٤٥ و٧٤٦ و٧٤٧ و٧٤٨ و٧٤٩ و٧٥٠ و٧٥١ و٧٥٢ و٧٥٣ و٧٥٤ و٧٥٥ و٧٥٦ و٧٥٧ و٧٥٨ و٧٥٩ و٧٦٠ و٧٦١ و٧٦٢ و٧٦٣ و٧٦٤ و٧٦٥ و٧٦٦ و٧٦٧ و٧٦٨ و٧٦٩ و٧٧٠ و٧٧١ و٧٧٢ و٧٧٣ و٧٧٤ و٧٧٥ و٧٧٦ و٧٧٧ و٧٧٨ و٧٧٩ و٧٨٠ و٧٨١ و٧٨٢ و٧٨٣ و٧٨٤ و٧٨٥ و٧٨٦ و٧٨٧ و٧٨٨ و٧٨٩ و٧٩٠ و٧٩١ و٧٩٢ و٧٩٣ و٧٩٤ و٧٩٥ و٧٩٦ و٧٩٧ و٧٩٨ و٧٩٩ و٨٠٠ و٨٠١ و٨٠٢ و٨٠٣ و٨٠٤ و٨٠٥ و٨٠٦ و٨٠٧ و٨٠٨ و٨٠٩ و٨١٠ و٨١١ و٨١٢ و٨١٣ و٨١٤ و٨١٥ و٨١٦ و٨١٧ و٨١٨ و٨١٩ و٨٢٠ و٨٢١ و٨٢٢ و٨٢٣ و٨٢٤ و٨٢٥ و٨٢٦ و٨٢٧ و٨٢٨ و٨٢٩ و٨٣٠ و٨٣١ و٨٣٢ و٨٣٣ و٨٣٤ و٨٣٥ و٨٣٦ و٨٣٧ و٨٣٨ و٨٣٩ و٨٤٠ و٨٤١ و٨٤٢ و٨٤٣ و٨٤٤ و٨٤٥ و٨٤٦ و٨٤٧ و٨٤٨ و٨٤٩ و٨٥٠ و٨٥١ و٨٥٢ و٨٥٣ و٨٥٤ و٨٥٥ و٨٥٦ و٨٥٧ و٨٥٨ و٨٥٩ و٨٦٠ و٨٦١ و٨٦٢ و٨٦٣ و٨٦٤ و٨٦٥ و٨٦٦ و٨٦٧ و٨٦٨ و٨٦٩ و٨٧٠ و٨٧١ و٨٧٢ و٨٧٣ و٨٧٤ و٨٧٥ و٨٧٦ و٨٧٧ و٨٧٨ و٨٧٩ و٨٨٠ و٨٨١ و٨٨٢ و٨٨٣ و٨٨٤ و٨٨٥ و٨٨٦ و٨٨٧ و٨٨٨ و٨٨٩ و٨٩٠ و٨٩١ و٨٩٢ و٨٩٣ و٨٩٤ و٨٩٥ و٨٩٦ و٨٩٧ و٨٩٨ و٨٩٩ و٩٠٠ و٩٠١ و٩٠٢ و٩٠٣ و٩٠٤ و٩٠٥ و٩٠٦ و٩٠٧ و٩٠٨ و٩٠٩ و٩١٠ و٩١١ و٩١٢ و٩١٣ و٩١٤ و٩١٥ و٩١٦ و٩١٧ و٩١٨ و٩١٩ و٩٢٠ و٩٢١ و٩٢٢ و٩٢٣ و٩٢٤ و٩٢٥ و٩٢٦ و٩٢٧ و٩٢٨ و٩٢٩ و٩٣٠ و٩٣١ و٩٣٢ و٩٣٣ و٩٣٤ و٩٣٥ و٩٣٦ و٩٣٧ و٩٣٨ و٩٣٩ و٩٤٠ و٩٤١ و٩٤٢ و٩٤٣ و٩٤٤ و٩٤٥ و٩٤٦ و٩٤٧ و٩٤٨ و٩٤٩ و٩٥٠ و٩٥١ و٩٥٢ و٩٥٣ و٩٥٤ و٩٥٥ و٩٥٦ و٩٥٧ و٩٥٨ و٩٥٩ و٩٦٠ و٩٦١ و٩٦٢ و٩٦٣ و٩٦٤ و٩٦٥ و٩٦٦ و٩٦٧ و٩٦٨ و٩٦٩ و٩٧٠ و٩٧١ و٩٧٢ و٩٧٣ و٩٧٤ و٩٧٥ و٩٧٦ و٩٧٧ و٩٧٨ و٩٧٩ و٩٨٠ و٩٨١ و٩٨٢ و٩٨٣ و٩٨٤ و٩٨٥ و٩٨٦ و٩٨٧ و٩٨٨ و٩٨٩ و٩٩٠ و٩٩١ و٩٩٢ و٩٩٣ و٩٩٤ و٩٩٥ و٩٩٦ و٩٩٧ و٩٩٨ و٩٩٩ و١٠٠٠ و١٠٠١ و١٠٠٢ و١٠٠٣ و١٠٠٤ و١٠٠٥ و١٠٠٦ و١٠٠٧ و١٠٠٨ و١٠٠٩ و١٠١٠ و١٠١١ و١٠١٢ و١٠١٣ و١٠١٤ و١٠١٥ و١٠١٦ و١٠١٧ و١٠١٨ و١٠١٩ و١٠٢٠ و١٠٢١ و١٠٢٢ و١٠٢٣ و١٠٢٤ و١٠٢٥ و١٠٢٦ و١٠٢٧ و١٠٢٨ و١٠٢٩ و١٠٣٠ و١٠٣١ و١٠٣٢ و١٠٣٣ و١٠٣٤ و١٠٣٥ و١٠٣٦ و١٠٣٧ و١٠٣٨ و١٠٣٩ و١٠٤٠ و١٠٤١ و١٠٤٢ و١٠٤٣ و١٠٤٤ و١٠٤٥ و١٠٤٦ و١٠٤٧ و١٠٤٨ و١٠٤٩ و١٠٥٠ و١٠٥١ و١٠٥٢ و١٠٥٣ و١٠٥٤ و١٠٥٥ و١٠٥٦ و١٠٥٧ و١٠٥٨ و١٠٥٩ و١٠٦٠ و١٠٦١ و١٠٦٢ و١٠٦٣ و١٠٦٤ و١٠٦٥ و١٠٦٦ و١٠٦٧ و١٠٦٨ و١٠٦٩ و١٠٧٠ و١٠٧١ و١٠٧٢ و١٠٧٣ و١٠٧٤ و١٠٧٥ و١٠٧٦ و١٠٧٧ و١٠٧٨ و١٠٧٩ و١٠٨٠ و١٠٨١ و١٠٨٢ و١٠٨٣ و١٠٨٤ و١٠٨٥ و١٠٨٦ و١٠٨٧ و١٠٨٨ و١٠٨٩ و١٠٩٠ و١٠٩١ و١٠٩٢ و١٠٩٣ و١٠٩٤ و١٠٩٥ و١٠٩٦ و١٠٩٧ و١٠٩٨ و١٠٩٩ و١١٠٠ و١١٠١ و١١٠٢ و١١٠٣ و١١٠٤ و١١٠٥ و١١٠٦ و١١٠٧ و١١٠٨ و١١٠٩ و١١١٠ و١١١١ و١١١٢ و١١١٣ و١١١٤ و١١١٥ و١١١٦ و١١١٧ و١١١٨ و١١١٩ و١١٢٠ و١١٢١ و١١٢٢ و١١٢٣ و١١٢٤ و١١٢٥ و١١٢٦ و١١٢٧ و١١٢٨ و١١٢٩ و١١٣٠ و١١٣١ و١١٣٢ و١١٣٣ و١١٣٤ و١١٣٥ و١١٣٦ و١١٣٧ و١١٣٨ و١١٣٩ و١١٤٠ و١١٤١ و١١٤٢ و١١٤٣ و١١٤٤ و١١٤٥ و١١٤٦ و١١٤٧ و١١٤٨ و١١٤٩ و١١٥٠ و١١٥١ و١١٥٢ و١١٥٣ و١١٥٤ و١١٥٥ و١١٥٦ و١١٥٧ و١١٥٨ و١١٥٩ و١١٦٠ و١١٦١ و١١٦٢ و١١٦٣ و١١٦٤ و١١٦٥ و١١٦٦ و١١٦٧ و١١٦٨ و١١٦٩ و١١٧٠ و١١٧١ و١١٧٢ و١١٧٣ و١١٧٤ و١١٧٥ و١١٧٦ و١١٧٧ و١١٧٨ و١١٧٩ و١١٨٠ و١١٨١ و١١٨٢ و١١٨٣ و١١٨٤ و١١٨٥ و١١٨٦ و١١٨٧ و١١٨٨ و١١٨٩ و١١٩٠ و١١٩١ و١١٩٢ و١١٩٣ و١١٩٤ و١١٩٥ و١١٩٦ و١١٩٧ و١١٩٨ و١١٩٩ و١٢٠٠ و١٢٠١ و١٢٠٢ و١٢٠٣ و١٢٠٤ و١٢٠٥ و١٢٠٦ و١٢٠٧ و١٢٠٨ و١٢٠٩ و١٢١٠ و١٢١١ و١٢١٢ و١٢١٣ و١٢١٤ و١٢١٥ و١٢١٦ و١٢١٧ و١٢١٨ و١٢١٩ و١٢٢٠ و١٢٢١ و١٢٢٢ و١٢٢٣ و١٢٢٤ و١٢٢٥ و١٢٢٦ و١٢٢٧ و١٢٢٨ و١٢٢٩ و١٢٣٠ و١٢٣١ و١٢٣٢ و١٢٣٣ و١٢٣٤ و١٢٣٥ و١٢٣٦ و١٢٣٧ و١٢٣٨ و١٢٣٩ و١٢٤٠ و١٢٤١ و١٢٤٢ و١٢٤٣ و١٢٤٤ و١٢٤٥ و١٢٤٦ و١٢٤٧ و١٢٤٨ و١٢٤٩ و١٢٥٠ و١٢٥١ و١٢٥٢ و١٢٥٣ و١٢٥٤ و١٢٥٥ و١٢٥٦ و١٢٥٧ و١٢٥٨ و١٢٥٩ و١٢٦٠ و١٢٦١ و١٢٦٢ و١٢٦٣ و١٢٦٤ و١٢٦٥ و١٢٦٦ و١٢٦٧ و١٢٦٨ و١٢٦٩ و١٢٧٠ و١٢٧١ و١٢٧٢ و١٢٧٣ و١٢٧٤ و١٢٧٥ و١٢٧٦ و١٢٧٧ و١٢٧٨ و١٢٧٩ و١٢٨٠ و١٢٨١ و١٢٨٢ و١٢٨٣ و١٢٨٤ و١٢٨٥ و١٢٨٦ و١٢٨٧ و١٢٨٨ و١٢٨٩ و١٢٩٠ و١٢٩١ و١٢٩٢ و١٢٩٣ و١٢٩٤ و١٢٩٥ و١٢٩٦ و١٢٩٧ و١٢٩٨ و١٢٩٩ و١٣٠٠ و١٣٠١ و١٣٠٢ و١٣٠٣ و١٣٠٤ و١٣٠٥ و١٣٠٦ و١٣٠٧ و١٣٠٨ و١٣٠٩ و١٣١٠ و١٣١١ و١٣١٢ و١٣١٣ و١٣١٤ و١٣١٥ و١٣١٦ و١٣١٧ و١٣١٨ و١٣١٩ و١٣٢٠ و١٣٢١ و١٣٢٢ و١٣٢٣ و١٣٢٤ و١٣٢٥ و١٣٢٦ و١٣٢٧ و١٣٢٨ و١٣٢٩ و١٣٣٠ و١٣٣١ و١٣٣٢ و١٣٣٣ و١٣٣٤ و١٣٣٥ و١٣٣٦ و١٣٣٧ و١٣٣٨ و١٣٣٩ و١٣٤٠ و١٣٤١ و١٣٤٢ و١٣٤٣ و١٣٤٤ و١٣٤٥ و١٣٤٦ و١٣٤٧ و١٣٤٨ و١٣٤٩ و١٣٥٠ و١٣٥١ و١٣٥٢ و١٣٥٣ و١٣٥٤ و١٣٥٥ و١٣٥٦ و١٣٥٧ و١٣٥٨ و١٣٥٩ و١٣٦٠ و١٣٦١ و١٣٦٢ و١٣٦٣ و١٣٦٤ و١٣٦٥ و١٣٦٦ و١٣٦٧ و١٣٦٨ و١٣٦٩ و١٣٧٠ و١٣٧١ و١٣٧٢ و١٣٧٣ و١٣٧٤ و١٣٧٥ و١٣٧٦ و١٣٧٧ و١٣٧٨ و١٣٧٩ و١٣٨٠ و١٣٨١ و١٣٨٢ و١٣٨٣ و١٣٨٤ و١٣٨٥ و١٣٨٦ و١٣٨٧ و١٣٨٨ و١٣٨٩ و١٣٩٠ و١٣٩١ و١٣٩٢ و١٣٩٣ و١٣٩٤ و١٣٩٥ و١٣٩٦ و١٣٩٧ و١٣٩٨ و١٣٩٩ و١٤٠٠ و١٤٠١ و١٤٠٢ و١٤٠٣ و١٤٠٤ و١٤٠٥ و١٤٠٦ و١٤٠٧ و١٤٠٨ و١٤٠٩ و١٤١٠ و١٤١١ و١٤١٢ و١٤١٣ و١٤١٤ و١٤١٥ و١٤١٦ و١٤١٧ و١٤١٨ و١٤١٩ و١٤٢٠ و١٤٢١ و١٤٢٢ و١٤٢٣ و١٤٢٤ و١٤٢٥ و١٤٢٦ و١٤٢٧ و١٤٢٨ و١٤٢٩ و١٤٣٠ و١٤٣١ و١٤٣٢ و١٤٣٣ و١٤٣٤ و١٤٣٥ و١٤٣٦ و١٤٣٧ و١٤٣٨ و١٤٣٩ و١٤٤٠ و١٤٤١ و١٤٤٢ و١٤٤٣ و١٤٤٤ و١٤٤٥ و١٤٤٦ و١٤٤٧ و١٤٤٨ و١٤٤٩ و١٤٥٠ و١٤٥١ و١٤٥٢ و١٤٥٣ و١٤٥٤ و١٤٥٥ و١٤٥٦ و١٤٥٧ و١٤٥٨ و١٤٥٩ و١٤٦٠ و١٤٦١ و١٤٦٢ و١٤٦٣ و١٤٦٤ و١٤٦٥ و١٤٦٦ و١٤٦٧ و١٤٦٨ و١٤٦٩ و١٤٧٠ و١٤٧١ و١٤٧٢ و١٤٧٣ و١٤٧٤ و١٤٧٥ و١٤٧٦ و١٤٧٧ و١٤٧٨ و١٤٧٩ و١٤٨٠ و١٤٨١ و١٤٨٢ و١٤٨٣ و١٤٨٤ و١٤٨٥ و١٤٨٦ و١٤٨٧ و١٤٨٨ و١٤٨٩ و١٤٩٠ و١٤٩١ و١٤٩٢ و١٤٩٣ و١٤٩٤ و١٤٩٥ و١٤٩٦ و١٤٩٧ و١٤٩٨ و١٤٩٩ و١٥٠٠ و١٥٠١ و١٥٠٢ و١٥٠٣ و١٥٠٤ و١٥٠٥ و١٥٠٦ و١٥٠٧ و١٥٠٨ و١٥٠٩ و١٥١٠ و١٥١١ و١٥١٢ و١٥١٣ و١٥١٤ و١٥١٥ و١٥١٦ و١٥١٧ و١٥١٨ و١٥١٩ و١٥٢٠ و١٥٢١ و١٥٢٢ و١٥٢٣ و١٥٢٤ و١٥٢٥ و١٥٢٦ و١٥٢٧ و١٥٢٨ و١٥٢٩ و١٥٣٠ و١٥٣١ و١٥٣٢ و١٥٣٣ و١٥٣٤ و١٥٣٥ و١٥٣٦ و١٥٣٧ و١٥٣٨ و١٥٣٩ و١٥٤٠ و١٥٤١ و١٥٤٢ و١٥٤٣ و١٥٤٤ و١٥٤٥ و١٥٤٦ و١٥٤٧ و١٥٤٨ و١٥٤٩ و١٥٥٠ و١٥٥١ و١٥٥٢ و١٥٥٣ و١٥٥٤ و١٥٥٥ و١٥٥٦ و١٥٥٧ و١٥٥٨ و١٥٥٩ و١٥٦٠ و١٥٦١ و١٥٦٢ و١٥٦٣ و١٥٦٤ و١٥٦٥ و١٥٦٦ و١٥٦٧ و١٥٦٨ و١٥٦٩ و١٥٧٠ و١٥٧١ و١٥٧٢ و١٥٧٣ و١٥٧٤ و١٥٧٥ و١٥٧٦ و١٥٧٧ و١٥٧٨ و١٥٧٩ و١٥٨٠ و١٥٨١ و١٥٨٢ و١٥٨٣ و١٥٨٤ و١٥٨٥ و١٥٨٦ و١٥٨٧ و١٥٨٨ و١٥٨٩ و١٥٩٠ و١٥٩١ و١٥٩٢ و١٥٩٣ و١٥٩٤ و١٥٩٥ و١٥٩٦ و١٥٩٧ و١٥٩٨ و١٥٩٩ و١٦٠٠ و١٦٠١ و١٦٠٢ و١٦٠٣ و١٦٠٤ و١٦٠٥ و١٦٠٦ و١٦٠٧ و١٦٠٨ و١٦٠٩ و١٦

وأسماء الملوك المنحرفين كلياً أو جزئياً أكثر من المستقيمين كلياً أو جزئياً . وكانت الانحراف الديني شاملاً شمولاً عجيبيّاً في معظم حقبتها حتى كان بيت الرب في أوقات عديدة مملوءاً بالرجاسات والاصنام والمشاهد الوثنية ومسرحاً لاقامة الطقوس الوثنية فضلاً عن الأماكن الأخرى وفي كل ناحية من أنحاء الدولة .

وفي الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني وصف عام لحالة الدولتين الانحرافية وربط بينهما وبين سقوطهما ، وقد جاء فيه « كان بنو اسرائيل قد خطئوا الى الرب إلههم الذي أخرجهم من يد فرعون . وعبدوا آلهة أخرى وجروا على سنن الامم التي طردها الرب من وجههم وعلى ما سنه ملوك امرائيل (١) وعملوا في الخفاء أموراً غير مستقيمة في حق الرب إلههم . ابتنوا المشارف في جميع مدنهم وأقاموا أنصاباً على كل أكمة . وقتلوا هناك (٢) مثل سائر الامم وفعلوا افعالا سيئة لاسخاط الرب وعبدوا الاصنام فأمرهم الرب على السنة أنبيائه بالتوبة وحفظ وصاياه فلم يسمعوا وصلبوا رقابهم مثل آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم ورددوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم واقتفوا الباطل وصاروا باطلا وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وصنعوا لهم عجولين من المسبوكات وأقاموا غاباً ومجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وأجازوا لبنينهم وبناتهم في النار (٣) وتعاطوا العرافة والقال وهأعوا أنفسهم لعمل الشر فغضب الرب جداً اسرائيل ونفاهم من وجهه ولم يبق إلا سبط يهوذا فقط ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب وسلكوا في سنن اسرائيل فرذل الرب جميع ذرية اسرائيل واذلهم واسلمهم الى ايدي الناهيين وبندهم من وجهه .

وفي الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني تعقيب شديد ثان في سياق ذكر سقوط دولة يهوذا على يد نبوخذ نصر جاء فيه « حتى ان جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثرى الخيانة حسب كل رجاسات الامم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في اورشليم فأرسل الرب اله آبائهم اليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لأنه أشفق على شعبه وعلى مسكنه فكانوا يمزأون برسلى الله ورددوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب

---

(١) يربعام ومن بعده باقامة المعبدين ووضعها فيها تمثالي المعجل .

(٢) من طقوس الديانة اليهودية ان تذبح القرابين في مذبح المعبد

(٣) من طقوس الكهنة ان يجيزوا اولادهم من فوق النار وان يقدموها احياناً قرابين تحرق

بالنار

غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء فأعبد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختارهم بالسيف في بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وسبي الذين بقوا من السيف الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً الى ان ملكت مملكة فارس لا كمال كلام الرب (١) .

(٧)

## دور ما بعد السبي

يقص قصة هذا الدور اسفار ارميا وعزرا ونحميا واستير وطوبيا والمكابيين - والاخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية - بالاضافة الى المؤرخ اليهودي يوسفوس من رجال القرن الاول الميلادي ثم الى مصادر أخرى قديمة وحديثة غير يهودية .  
ومما ذكرته هذه المصادر (٢) ان نبوخذ نصر أقام على اليهودية - وهذا الاسم الذي صارت تعرف به بلاد مملكة يهوذا - والياً اسرائيلياً اسمه حلقيا ، وان هذا أراد أن يطوع من بقي من بني اسرائيل في البلاد لسلطان بابل فأثار غضب زعمائهم فقتلوه مع بعض رجاله ثم غادروا البلاد الى مدينتهم فراراً من انتقام الكلدانيين فغدا جلاء بني اسرائيل تماماً عن البلاد تقريباً .

وقد ظلت المنطقة التي كانت تقوم فيها مملكة اسرائيل مأهولة بأنسال سكانها القدماء من كنعانيين وآموريين ويبوسيين وفريزيين ثم بأنسال الجماعات العراقية التي أرسلها أممردون وسنحاريب اليها واسكنها في منطقة السامرة والتي صارت تعرف فيما بعد بالسامريين . وقد اعتنقوا الموسوية في مراحل اقامتهم الاولى (٣) . والى هؤلاء

---

(١) انظر في مدد احوال وانحرافات تولي اليهود اسفار الملوك الثاني واخبار الايام الثاني واسمعا وارميا ومراثي ارميا وباروك وعاموس ومينا وصقنيا

(٢) الاصحاح ٢٥ من سفر الملوك الثاني

(٣) انظر الاصحاح ١٧ من سفر الملوك الرابع في النسخة الكاثوليكية والثاني في البروتستانتية والاصحاح ٤ و ٩ من سفر عزرا

فقد كان جماعات من أهل البلاد الأصليين في منطقة مملكة يهوذا بعد سبي بني اسرائيل منها (١) كما كانت الاقسام الجنوبية من فلسطين مأهولة بالفلسطينيين الذين ظلت ممالكهم قائمة في مدن غزة واسدود وعسقلون وحلب وعقرون (٢) .

وحينما قوض كورش ملك فارس دولة بابل الكلدانية سمح لمن يريد من بني اسرائيل بالعودة الى فلسطين وتعمير اورشليم والمعبد وأعطاهم ما أخذوه نبوخذ نصر من المعبد من اواني الذهب والفضة فعاد جماعات منهم على دفعتين يبلغ عددهما نحو خمسين ألفاً . وبقي أكثر المنفيين في منفاهم (٣) .

ولما أخذوا يستعدون لتعمير المدينة والمعبد بعد وصولهم تصدى لهم شعوب الأرض في شرق الأردن وغربه وأرسلوا العرائض ضدهم إلى ملك الفرس الذي خلف كورش يحدرونه منهم ويدكرون له ما كان من سيرة آبائهم حيث يبدو من هذا استمرار كراهية وحقد أهل البلاد لهم نتيجة لما كان من سيرتهم معهم التي كانت تملأها عليهم عقدهم . وقد نجحوا في حملتهم فصدرت الأوامر بمنعهم وظل المنع مستمراً رديحاً غير قصير الى أن أذن لهم دارا الثاني بالبناء (٤) . ولقد أراد السامريون الذين ذكرنا أنهم اعتنقوا الموسوية وكانوا يقيمون في منطقة السامرة أن يشتركوا مع بني اسرائيل في تعبير المعبد لأن الموسوية جامعة بينهم فرفض هؤلاء وقالوا انما نبني للرب اله اسرائيل مما جعل السامريين ينضمون إلى شعوب الارض في العداء لهم والشكوى ضدهم (٥) ولقد برز من المنفيين زعيم اسمه نخميا عينه الفرس والياً على اليهودية فجاء وأخذ ينشط في سبيل انعاش قومه وتحصين سور أورشليم فتصدى له أهل شرق الاردن وفلسطين بقيادة ثلاثة زعماء هم جاشم العربي وسنبلط السامري وطوبيا العموني وأخذوا يصاولونه وينعجونهم ويعرفلون نشاطه . واشترك معهم الاشوريون والفلسطينيون (٦) .

وقد ظل مع ذلك أمرهم مستقيماً طيلة حكم الفرس . وظلوا موالين لهم وماتزمين

(١) انظر سفر المكابيين الثاني الاصحاح ١٤

(٢) انظر سفر نخميا الاصحاح ٤ وسفر زكريا الاصحاح ٨

(٣) سفر عزرا الاصحاحات ١ - ٨

(٤) الاصحاح ٤ سفر عزرا

(٥) سفر نخميا الاصحاحات ١ - ٧

للحياد ازاء ما كان يقوم ضد هذا الحكم من تمرد في بلاد الشام ومصر (١) .

ولما زحف الاسكندر المكدوني اليوناني على الشرق وقوض الدولة الفارسية وبسط سلطانه على امبراطوريتها دخلوا في سلطانه أسوة ببلاد الشرق .

ولقد قام بعده دولتان يونانيتان وهما دولتا البطالسة والسلوقيين وكانتا تتنافسان بنوع خاص على فينيقية وغرب الأردن وشرقه فكان بنو اسرائيل ينقلون من سلطة هذه إلى سلطة تلك تبعاً لتساجل النصر بينهما غير ان الفترة التي خضعوا فيها للسلوقيين كانت أطول (٢) وقد نشأ نتيجة لذلك فيهم حزب ميال للبطالسة وآخر ميال للسلوقيين ، وتعرض الحزب البطلمسي ككيل شديد من السلوقيين جعل فريقاً كبيراً منه يفرون إلى مصر ويقيمون فيها وينسبون هيكلهم على غرار هيكل أورشليم — وبذل السلوقيون جهودهم في تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية اليهودية إلى تقاليد اليونانيين فاستجاب كثير منهم الى ذلك ، وكان التنافس بين زعمائهم على الكهانة التي كانت صاحبة السلطان الديني والمدني معاً على اليهود والمسؤولة أمام الدولة السلوقية مؤدياً بدوره كذلك الى انشقاقات ودسائس ووشايات بينهم كان لها تأثير قوي في المجتمع اليهودي ورتبت الى تعرض الاحزاب المناوئة للتقاليد اليونانية والبراسات الدينية المتزلفة للسلوقيين لاضطهادات ومذابج شديدة في عهد سلوقس الرابع وانطيخوس الثالث . وقد كانت قسوة هذا اشد وأشملاً فأوقع فيهم مذابح هائلة ونهب أموالهم وهدم بيوتهم وأقام المذابح الوثنية في مختلف الانحاء وأخذ يكرهم بالقوة على عبادة الآلهة اليونانية واقامة الحفلات اليونانية وأكل لحم الخنزير وترك الختان الخ (٣) مما أدى الى انفجار الثورة الكبرى التي عرفت بالثورة المكابية والتي يعتز بنو اسرائيل بها ويعدونها من مفاخرهم وهي في الحق مفخرة ولعلها مفخرة العملية الوحيدة لأنها كانت تعبيراً عن الابطال والتمرد على الظلم والاضطهاد ولأن بعض رؤسائها ورجالها كانوا حقاً أبطال حروب وأبطال تضحية في سبيل الذب عن أممتهم ومقدساتهم والتمتع بالاستقلال والسيادة والكرامة مما لم يكذب يسجل لهم مثله بمثل بواعثه وبعض أدوار سيرته . وقد صا لم نتيجة لهذه الثورة من

(١) عيد المبرانيين للمطران الدبس ٦٢٩ وما بعدها

(٢) تاريخ سورية لدبس المجلد الثاني الجزء الثالث ص ٨٥-١٢٣

(٣) المصدر السابق الاصحاحات ٢٠١ من سفر المكابيين الاول والاصحاحات ٤٥ و ٤٦ و ٧ من

سفر المكابيين الثاني .



جديد كيان دولة امتد نحو مئتي عام ونيفاً (١٦٠ ق م - ٧٠ ب م) وتمتع في بعض أحواله بشيء من السيادة والبروز والنوسع والامتداد إلى بقية أنحاء فلسطين وبعض أنحاء شرق الأردن نتيجة لما كان من تنافس السلوقيين والبطالسة . غير ان دولتهم كانت في معظم أحوالها خاضعة لسيادة السلوقيين التي كانت تشدد وتقوى حيناً وتخف حيناً .

على ان عهد دولة المكابيين قد شيب بمعكرات كثيرة من اليهود أنفسهم مما هو شئنة بني اسرائيل حيث ظل كثير منهم على انحرافهم الديني والخلقي وكان كثير منهم يمالئون السلطات السلوقية والبطلسية وينضون الى جيوشها التي كانت تقاتل الدولة المكابية وتحاول نسفها أو اخضاعها ، وكان كثيراً ما ينشب خلافات دينية وتنافسية فيما بين اليهود تراق فيها الدماء الغزيرة ويسام الناس فيها الجور وتؤدي الى الاضطراب والارتباك . وكان هذا من أسباب قصر مدة السيادة المكابية التامة وخضوعها في أكثر مدتها للسيادة السلوقية أو البطلسية كما أدى في النهاية إلى انهيارها .

(٨)

## الدولة المكابية (١)

ولقد تولى الامر فيها أمرتان : الاولى عرفت بأسرة حشمتاي وكان منها عشرة ملوك وهم :

مثنيا بن يوحنا بن شمعون - يهوذا بن مثنيا - بوزاتان بن مثنيا - شمعون بن مثنيا -  
ظاهر كانوس بن شمعون - ارسطو بولوس بن هركانوس - اسكندر زحبة بن هركانوس -  
هركانوس بن اسكندر - انيتغونوس بن ارسطو بولوس - وقد كان الخمسة الاولون يلقبون بلقب الكهانة والآخرون بلقب الملك .

والاسره الثانية لا يعرف اصلها يقيناً ويتراوح التخمين في ذلك بين انها اسرائيلية أو آدومية أو فلسطينية عسقلانية . وكان منها خمسة ملوك وهم :

هيرودوس الاول - ارخلاوس ابنه - انتيفوس المسمى هيرودوس الثاني - اغريبا ابن اسطو بولوس بن هيرودوس - اغريبا الثاني ابن هذا .

وقد امتد حكم الاسرة الاولى نحو ١٢٥ سنة أي من ١٦٠ ق م إلى ٢٥ ق م والثانية من ٢٥ ق م إلى ٧٠ ب م ومن أشهر زعماء الاسرة الاولى ثانيهم يهوذا الذي توطدت الدولة

---

(١) هذه البذرة مقتبسة من سفرى المكابيين من زوائد النسخة الكاثوليكية وتاريخ بوسيفوس طبعة صادر وتاريخ سوريه المجلد الثالث الجزء الثاني للديس ص ٨٥-٣٥

المكابية على يده . وقد سجل له سفر المكابيين الاول انتصارات عديدة على السلوقيين بأسلوب لا تخفى فيه المبالغة والخيال . وجعلهم مضطرين الى الاعتراف بدولته على شرط خضوعه لسيادتهم اسماً . وقد ضرب الاقوام والمدن غير الاسرائيلية في شرق الأردن وغربه بسبب ما كان من اعتداءاتهم على بني اسرائيل واندماج في الحرب التنافسية بين البطالسة والسلوقيين الى جانب الاولين . وكذلك من أشهرهم شمعون وهو رابعهم وهركانوس ابنه وخليفته حيث تمتعت الدولة المكابية في عهدها بالاستقلال والقوة . وهركانوس هذا هو أول من تلقب بلقب الملك وقد مارس السيادة التامة ، وكان عهد ابنه اسكندر ايضاً عهد قوة وسيادة . ولقد نجمت فتنة بين الطائفتين الفريسية والصودية في عهد هركانوس امتدت الى ما بعده وأدت الى حروب اهلية بين بني امراثيل كانت تشتد حيناً وتخف حيناً واندمج فيها الملوك أنفسهم فكانت من أسباب ضعف الدولة المكابية وخضوعها ثانية لسيادة السلوقيين .

ومن اشهر من رؤساء هذه الدولة هيروودوس الأول أول ملوك الاسرة الثانية التي يتراوح التخمين في أصلها بين أن تكون أدومية أو إسرائيلية أو فلسطينية .

وقد كان الرومان قد استولوا في سنة ٦٤ ق م على بلاد الشام وحلوا محل السلوقيين وأخذوا يتدخلون في شؤون الدولة المكابية . وكان ان حظي هيروودوس وأبوه من قبل لديهم فعينه ملكاً . وقد استطاع ان يبرز كملك قوي واسع السلطان جهم النشاط والثروة على ما جاء في تاريخ يوسفوس بأسلوب فيه كثير من الخيال والمبالغة .

ولما مات هذا اشتدت قبضة الرومان وأخذوا يتدخلون في جميع شؤون الدولة المكابية وعينوا ولاة الى جانب ملوكها كانوا هم اصحاب السلطان الفعلي وخاصة في عهد اغريباش الأول والثاني .

وفي هذه الفترة وبالتحديد في عهد اوغسطس قيصر وفي السنة ٢٩ من حكمه وفي اواخر عهد هيروودوس الثاني ظهر من بني اسرائيل عيسى ابن مريم عليه السلام داعياً الى الله وحده ربه ورب السموات والأرض ورب العالمين والى الصلاح والاصلاح مبشراً بالهبة والرفق والسلام ناعياً على اليهود وخاصة زعمائهم الدينيين ما ارتكسوا فيه من انحرافات وآثام دينية وخلقية شاجباً النفاق واستغلال الدين مؤمداً الوصايا والتشريعات الموسوية مخففاً عن الناس كثيراً من التكاليف والقيود مبيناً لهم حقائق ما كانوا مختلفين فيه داعياً إلى البر بالفقراء والمساكين مندداً بالتكالب على الدنيا فكان ظهوره ودعوته وسيرته مظهراً جديداً من مظاهر ميزة الجنس العربي الفذة التي هي من أعظم مآثره ذات



صورة قديمة تمثل السيد المسيح وأمه

الاثر الخالد في الانسانية وتاريخها بقطع النظر عما كان من انحراف عنها وتحريف فيها وسوء تأويل لها وانقسام الى شيع واحزاب متناحرة فيها .  
وقد كان من طبيعة الدعوة التي دعا اليها ان غدت الديانة المسيحية ديانة انسانية عامة انضوى تحت لوائها امم مختلفة في اجناسها والوانها وبلادها مما لم يكن حظ الديانة الموسوية بسبب ضيق الافق والنظر الذي كان اليهود عليه على ما ذكرناه قبل ، بحيث جاءت الدعوة المسيحية لتكون معدلة ومصلحة ومنقية للمعلق بالاولى من شدة وتزمت وادران وتشويش وانحراف وتحريف وسوء تأويل وضيق أفق ونظر .

وقد تألب رؤساء اليهود على السيد المسيح بسبب دعوته الإصلاحية التجديدية لأنه كان يشدد الجملات والنكير عليهم خاصة وحرضوا عليه الجمهور ، وشكوه إلى الوالي الروماني بيلاطوس البنطي وطالبوا بشنقه والانجيل المتداولة تذكر ان الحاكم استجاب لهم ونفذ طلبهم .

ونقول استطراداً ان القرآن يقرر ان الله انزل الانجيل على عيسى وان شق عيسى لم يتم بل شبه لهم ، وان رواية شنقه قائمة على الظن دون اليقين وان هناك اختلافات كثيرة في شأن عيسى بين النصارى انفسهم .



كنيسة القيامة التي فيها قبر المسيح

والانجيل المتداولة ليست الا ترجمة لعيسى كتبها اشخاص بعد موته بمدة غير قصيرة واستقوا ما كتبوه من الرواة . وقد احتوت كثيراً من اقوال عيسى وتعاليمه التي عليها

طابع الوحي الرباني . والمتداول المعترف به منها وان كان اربعة فقد كانت اكثر من ذلك مع اختلاف في هذا العدد والنصوص . ومن الاناجيل غير المعترف بها انجيل برتانا فيه تقارير عن شخصية عيسى وحكاية لاقواله متطابقة مع ما احتواه القرآن من مثل ذلك في صدد توكيده انه عبد الله ورسوله ودعوته إلى عبادة الله وحده ، وتنديده بالذين دعوه او يدعونه ابن الله ، وتبشيرهم بمبعث النبي بحمد عليه السلام ، وفي صدد انكار صلبه وتقدير كون المصلوب هو غيره وقد شبه به ، وفي صدد كون ولادته هي معجزة ربانية وحسب .

ولقد وجد بين معتنقي المسيحية من كان يقول ان المسيح بشر احرز الفضائل فاختره الله ابناً له وان العذراء حبلت به بفعل الروح القدس وينكر مساواته لله واشتهر من هؤلاء ايون حتى لقد روى ان يوحنا انما كتب انجيله لتنفيذ كلامه وقد وجد غير واحد من كبار رجال المسيحية في القرون التالية يقولون اقوالا مماثلة او مقاربة . وصارت أقوالهم مذاهب اعتنقها جمهور كبير من النصارى من اشهرهم نسطور واوطيخا ويعقوب البردعي في بلاد الشام واريوس وديستوروس في مصر<sup>١</sup> .

ولقد آمن كثير من النصارى وفيهم القسيسون والرهبان حينما سمعوا النبي يتلو القرآن وتبين لهم ما عرفوه من الحق والصدق في ما ورد فيه على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة<sup>٢</sup> .

ثم اخذ يدخل النصارى في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقية في الاسلام افواجا بعد الفتح الاسلامي حتى شمل في النهاية اكثريتهم ؛ مما ينطوي فيه دلالة حاسمة على انهم انما فعلوا ذلك لانهم رأوا في القرآن تقارير في صدد السيد المسيح متطابقة مع مذاهبهم .

---

(١) انظر تاريخ سورية لهدس مجلد ٣ ج ٢ ص ٥٥٧ - ٥٥٨ ومجلد ٢ ج ٢ ص ٨٥ وبعدها ٢٦٦ وبعدها ٣٨٢ - ٣٩٠ و٦٦٢ وبعدها

(٢) اقرأ مثلاً آيات القصص ٥٢-٥٣ والامراء ١٠٧-١٠٩ والمائدة ٨٢-٧٥ وبعض المبرئين والمفرضين يزعمون ان النصارى اعتنقوا الاسلام كرها ورهبة ووجود انسال النصارى القدماء محتفظين بنصرانيتهم في مختلف انحاء بلاد الشام والعراق ومصر خلال الحكم الاسلامي الشامل المستند دليل على ذلك . فإني قد ذكرت في بعض الاحداث قد كان لامباب سياسية وشخصية على ما سوف يأتي تفصيله في الاجزاء التالية من الكتاب ان شاء الله .

## تدمير اورشليم وأسبابه

ان اليهود نتيجة لما حسبه انتصاراً لهم على عيسى عليه السلام اشتدت محاسنهم فأداهم ذلك الى الاعتداء على الوثنيين والسامريين في فلسطين وسورية . وكان هؤلاء يقابلونهم بالمثل ويشتكونهم الى الرومان . ولم يقفوا عند هذا الحد فانهم أخذوا يتنمرون على الرومان ايضاً فكان هذا وذاك مؤدياً الى تدمير اورشليم وضربهم ضربة قاصمة على ما جاء تفصيله في الجزء الثاني المجلد الثالث من تاريخ سورية ، للدبس وفي تاريخ يوسفى اليهودي .

وقد اسهب المؤرخ اليهودي المذكور خاصة فيما كان من أحداث بين اليهود والرومان التي أدت الى ذلك التدمير . وقد قال ان بداية الشر والبلاء كانت بهجوج خارجي — وهذا تعبيره — اسمه العازار بن الكاهن حناني ألف عصابات من الحرامية على حد تعبیر يوسفوس ايضاً وصار يعيث في البلاد فساداً فسير عليه الوالي الروماني فيلكن حملة انهزمت أمامه فاستفحل أمره ، وكان اغريبا في روما فرجع على عجل وأخذ يخوف الناس من عاقبة الحركة ولكن العازار لم يرتدع ، وأخذ يشق بك مع القوات الرومانية فانقلبت حركته الى ثورة ضد الرومان وتمكن من احتلال القدس وفر اغريبا الى روما . وأرسل القيصر نيرون حملة قوية أحرقت جميع ما عبرت به من مدن اليهود وقتلت أهلها الى أن وصلت الى اورشليم وضربت عليها الحصار . وتمكن العازار من كسرها وقتل عدد كبير منها فأرسل القيصر حملة أقوى بقيادة قائد مشهور اسمه وسباسيانوس وأمره باستئصال اليهود وهدم حصونهم وتخريب بلدانهم . وقد جاء هذا القائد الى الجليل أولاً فأوقع في اليهود مذبحه هائلة حتى كادوا يفنن فيها . وبرز بعد ذلك خارجي ثالث اسمه يوحانان فالتف عليه من بقي من فلول اليهود في الجليل واتجهوا تحت قيادته نحو القدس وسيطروا عليها وتصرفوا فيها تصرفاً ارهابياً شديداً وانحشوا في القتل والمصادرة ، واستعانوا بجيش من آدوم<sup>(١)</sup> فجاء الجيش وشارك يوحانان وجماعته في القتل والنهب ، فبرز

(١) آدوم دولة كانت من دول شرق الاردن عاصمتها بطرا فحلت محلها دولة الانباط المريجة العربية . والاستعانة اذا كانت من هذه الدولة التي سبق ان استعان احد ملوك اليهود باحد ملوكها على ما ذكرناه قبل

خارجي ثالث اسمه شمعون ونشب بينه وبين يوحانان نزاع على الرئاسة وانقسم الناس في القدس بينها وأخذت الاشتباكات تقع وكثر القتل في الشوارع والازقة حتى صار الناس لا يمشون الا على الجثث والدماء والاشلاء كما كثرت المصادرات فأخذ أهلها يرسلون الاستغاثات الى القائد الروماني ، وكان في روما نزاع جعل وسباسيانوس يعود اليها مع قسم من جيشه ليشترك في النزاع لحسابه - وقد آل اليه الملك نتيجة لذلك - وترك ابنه طيطوس على رأس بقية الجيش فزحف هذا على القدس وضرب عليها حصاراً شديداً ذاق أهلها منه الهول وجاعوا جوعاً شديداً حتى أنهم اكلوا الحيويات والجيف وروث البهائم ومنهم من أكل اولاده بعد ما أتوا على كل اخضر ويابس ، هذا بالإضافة الى ما كان يقع عليهم من فتك ونهب وشدة من رؤساء الثورة الذين ظل يوسيفوس يصفهم بالخوارج ويعزو اليهم الخراب وتشتيت الأمة .

وقد تمكن طيطوس في النهاية سنة ٧٠ م من اقتحام المدينة وأخذ يعمل مع جيشه يد التدمير والنهب والتحريق والقتل حتى تركها قاعاً حنفصاً ، وكانت أسوارها ومعبداتها من جملة ما دمر من معالمها وبذلك زالت الدولة المكاية وانقرط عقد بني اسرائيل السياسي في فلسطين .

وقد ذكر يوسيفوس ان عدد من قتل ومات في اورشليم في هذه المعامع زاد عن ألف ألف وان عدد الذين سباهم واسرهم طيطوس من جماهير اليهود ومحاربيهم زاد على مئة ألف ونزح عدد كبير من النازحين الى قبرص ومصر والقيروان والحجاز ولم يبق في فلسطين منهم الا شرادم ضعيفة .

( ٩ )

## بعد تدمير اورشليم<sup>(١)</sup>

على أن اليهود لم يخذلوا نأمتهم بالمرّة بعد هذه الضربة . فان الجماهير التي نزحت عن فلسطين الى قبرص ومصر والقيروان هاجت على اليونانيين والوثنيين الذين كانوا في هذه الاقاليم وتمكنوا من قتل الآلاف المؤلفة منهم وكانوا يمثلون بضحاياهم تمثيلاً فظيماً فيقطعون

(١) هذه النبرة مقتبسة من الجزء الثاني من تاريخ سورية للديس ص ٥٥٩ وما بعدها والجزء الثاني من الجزء الرابع ص ٤٤١ وما بعدها وص ٩٩ وتاريخ كلدان واشور لادي شير ج ٢ ص ٨ وما بعدها .

أطرافهم ويشربون دماهم وياكلون لحومهم ؛ مما فيه دلالة على شدة الغيظ والحقد ؛ وكان ذلك في عهد الامبراطور الروماني ترايان ٩٨-١١٧ ب م فاستشاط غضباً على اليهود ، ووقع فيهم مذبحة هائلة في الاسكندرية ، واثنى قواده في من كان منهم في قبرص وحظروا على اي يهودي دخولها ولو كان ضالا ، وارسل ترايان رجلا خصوصيين الى مصر وليبية وبين النهرين فأوقعوا فيهم المذابح الكبيرة .

ولقد انشأ الامبراطور أدريان الذي تولى بعد تراجان ( ١٣٧ - ١١٧ ب م ) هيكلاً للشمس في مكان هيكل اليهود المدمر في اورشليم واسكن جالية رومانية في جبل صهيون وحظر الحثان على اليهود ، فهاجت الشرافم اليهودية التي بقيت في فلسطين وماجت وحمل زمر منها السلاح وقام فيهم رجل اسمه باركوكبا اي ابن الكوكب وادعى انه المسيح المنتظر فضربهم والى القدس الروماني ضربة قوية ولكنهم لم يرتدعوا فأرسل الامبراطور قائداً خاصاً على رأس حملة قوية فأخذ يضربهم في مكان بعد مكان ويضيق عليهم ويدمر قراهم ويسبي نساءهم واولادهم ويبيعهم في اسواق العبيد . وقد اخذ كثيراً من رجالهم امرى ليكونوا غذاء لأسود الملاعب . وحرم على اليهود دخول اورشليم ثم سمح لهم بدخولها يوماً واحداً في السنة لقاء غرامة كبيرة لينوحوا على خرائب المعبد . فكان هذا القمع الشديد الذي يخمن انه كان في سنة ١٣٢ ب م الضربة النهائية لليهود في فلسطين التي لم تقم لهم فيها قائمة بعد ١

غير ان التاريخ سجل لهم في فلسطين بعض النشاط الديني في القرن الثاني بعد الميلاد وبعده حيث اجتمع فريق من احبارهم في طبريا فأنشأوا مدرسة لتعليم الفرائض الدينية وألفوا الكتاب المعروف بالتلمود . وهو قسيمان ( المشناة ) ومعناها الشريعة الثانية وهذا القسم هو بمثابة تفسير للتوراة ( والفجرة ) ومعناها التتمة وهو تفسير للمشناة ٢ .

---

( ١ ) انظر تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني ص ٥٥٩ وما بعدها للمطران الدبس وبروي المؤلف . ان عدد الذين قتلوا في القبروان وليبية من اليهود بلغ ( ٢٢٠ ) ألفاً وفي قبرص ( ٢٤٠ ) ألفاً وفي فلسطين ( ٥٨٠ ) ألفاً وعدد القرى التي دمرت لهم في فلسطين ( ٩٠٠ ) والارقام لا تخلو من مبالغة ولكنها تفيد على كل حال ان الضربة التي نزلت فيهم كانت ساحقة ماحقة .

( ٢ ) ننبه على ان المؤرخين يذكرون ان تسمي التلمود لم يتكاملا الا في القرن الرابع . وان هناك تلموداً آخر يسمى البابلي ألفه بعض الرابين بعد هجرتهم الى العراق اثر ما انزله فيهم ادريان من ضربه ولم يكمل الا في القرن الخامس او السادس ( انظر تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثاني للدبس ص ٥٧٥ .



على ان اليهود لم ينضوا جميعهم الى جامعة التلمود حيث بقي فريق منهم فيهم العلماء والاحبار ينكرونه ولا يقرون بغير الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم ثم باسفار الانبياء الاخرى ويعرفون بالقرائين . اما الذين قبلوا التلمود وساروا عليه فقد عرفوا بالربانيين .

ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية وصارت القسطنطينية عاصمة للامبراطورية الشرقية كانت فلسطين كسائر بلاد الشرق العربي تابعة لها : يديها ولاية وعمال يعينهم قيصرتها حيناً وولاية الشام الرومان حيناً آخر .

ولقد تولى عرش القسطنطينية بعد قسطنطين بقليل يوليانوس الذي عرف بالجاحد أو المرتد لانه ارتد عن المسيحية الى الوثنية واخذ يضطهد المسيحيين ويعيد الهياكل الوثنية . وقد حرص اليهود على تجديدهم في اورشليم وامدهم بالمال والرجال والمعدات لتكذيب قول المسيح بانه لا يقام في الهيكل حجر على حجر . وقد تسارع اليهود الى اورشليم مغتمين الفرصة غير ان هذه الحركة لم تصل الى نتيجة لان يوليانوس لم يلبث ان قتل ( ٣٦٣ م ) وكان اليهود كلما اقاموا جبهة تداعت على ما يرويه الديس . وعاد خلفاء يوليانوس الى المسيحية فصار اليهود يتعرضون لاضطهادهم واضطهاد المسيحيين معاً . وقد اشدت الاضطهاد عليهم خاصة في عهد جوتيان ( ٥١١-٥٢٩ ) الذي شمل اضطهاد جميع المخالفين لمذهبه من النصارى ثم اليهود الوثنيين على السواء . وفدئ اليهود في عهده فقمع ثورتهم بشدة . ثم ثاروا في انطاكية في عهد الملك فوقا ٦٠٢ - ٦١٠ على النصارى وقتلوا بطركها وكثيراً من بشارها فنكل بهم فوقاً تنكيلاً شديداً وارغم كثيراً منهم على التنصر . وفي سنة ٦١٥ م انتصر الفرس على الرومان واستولوا على بلاد الشام وفلسطين فتمتع اليهود وشرعوا ينتقمون لانفسهم من النصارى والسامريين فشهدت فلسطين المذابح الاهلية مرة اخرى . وقد روى ان اليهود ساعدوا الفرس على ما تم لهم من انتصار . وانهم كانوا يشترون من الفرس الاسرى ويدبجونهم وقد بلغ من قتلوه بهذه الطريقة ١٨٠ و ٩٠٠ القام فيه بالغ الحقد والقسوة ولما انتصر هرقل على الفرس سنة ٦٢٥ م واجلاهم عن فلسطين تهيأ للنصارى ان ينتقموا من اليهود ؛ فتجددت المذابح . وهذه المذابح التي وقعت قبيل الفتح الاسلامي تفسر لنا ما كان من شدة كراهية النصارى الذين غدوا اكثرية اهل فلسطين وخاصة اكنوية مدينة اورشليم في ظل حكم الروم لليهود حتى

جعلتهم يشترطون في الصلح الذي عقده معهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عدم سكنى اليهود في المدينة المقدسة .

ولقد كان انتصار الروم على الفرس واستردادهم فلسطين كالشبهة الاخيرة للسراج قبل الانطفاء فانهم لم يلبثوا الا قليلا حتى قوضوا خيامهم وزال حكمهم سنة ٦٣٩ م ب ١٧ هـ نتيجة لحركة الفتح الاسلامي التي قاد البطل العربي عمرو بن العاص معاركها في فلسطين ضد الروم بعد الانتصار الحاسم الذي احرزه جيوش الفتح عليهم في اليرموك .

ولقد كان كثير من اليهود قد اعتنقوا المسيحية كما اعتنق كثير منهم الاسلام اسوة بمعظم سكان فلسطين القدماء فصار عدد الذين احتفظوا باليهودية فيها قليلا . ولقد اخذ الطابع العربي يشتد في فلسطين نتيجة لتوالي الموجات العربية الصريحة إليها قبيل الاسلام ثم في ظل الفتح الاسلامي وبغده حتى شمل ييسر وسهولة جميع سكانها الذين احتفظوا بنصرانيتهم ويهوديتهم والذين هم من انسال الادومات العربية الجنس القديمة لاتحاد اروماتهم مع هذه الموجات الصريحة العروبة حتى غدا هذا الطابع طابع فلسطين المقدس الحالد .

ولقد ذكرنا قبل أن جماعات من اليهود قد نزحوا بعد تدمير اورشليم الى الحجاز .

---

(١) في الجزء الثاني من طبقات ابن سعيد ورد ذكر « وفد الدارين » في جملة الوفود . وذكر ان احدهم تيمياً قال لني عليه السلام لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لاحدهما خبرى والاخرى بيت عنون فان فتح الله عليك الشام فهبها لي قال له هما لك . وهاتان القريتان هما من ضواحي مدينة الخليل حيث يفيد هذا ان قبيلة الدارين كانت في ارض فلسطين قبل الفتح وهي صريحة العروبة . ( انظر طبقات ابن سعيد ج ٢ ) وقد روى جواد علي في الجزء الثالث من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ( ص ٢٠٤ ) نقلا عن المؤرخ الروماني بروكوبيوس من رجال القرن السادس بعد الميلاد ان الامبراطور جوستنيان عين والياً اسمه ابو كرب بن جبلة حاكماً على عرب فلسطين اي انه كان في القرن السادس عرب مصر حاضري فلسطين ممتداً على الأرجح الى ما قبل ذلك ايضاً ويؤيد هذا الامتداد الى القرن السادس قبل الميلاد اسم جاشم العربي الذي ورد في الاصحاح (٦) من سفر نحميا في عداد الذين تصدوا لمناوأة اليهود ومنعهم من تجديده اورشليم والمبعد .

وهذا امر طبيعي لان الموجات العربية الصريحة اخذت تتساح الى بلاد الشام منذ القرن السابع قبل الميلاد بل وقبله على ما اثبتته آثار الاشوريين ( انظر الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ص ٢٧٧ وما بعدها ) وتاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١٦٩ وما بعدها ) ثم اشتد تواليها تحت راية العروبة الشديدة الصراحة في القرون السبعة السابقة للفتح حتى صارت تملأ جنبات بلاد الشام .

وقد استقر النازحون في مدينة يثرب والقرى التي في طريق الشام القريبة منها واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصناعة والربا واثروا وبنوا وحاولوا ان يستعلوا على العرب فشكاهم للملك غسان في رواية وملك حمير في رواية اخرى فجاء وضرهم ضربة شديدة غير انها لم تكن قاضية عليهم حيث ظلوا محتفظين بكيانهم ونشاطهم .

ولقد ذكرت الروايات العربية وايدتها المدونات اليونانية والرومانية والحبشية القديمة ان ملكاً من ملوك حمير اسمه تبان اسعد ابو كرب مر في احدى غزواته بيثرب فجاءه حبران من احبار اليهود فاعجب بها واتبع دينها واخذها معه الى اليمن ودعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه وكان ذلك على ما ينجح في القرن الخامس الميلادي<sup>١</sup> . وكانت النصرانية بدورها قد انتشرت في اليمن قبل ذلك فأخذ رجال الديانتين يتناقسون ويتكايدون نتيجة للعداء الذي كان مشتداً بين اليهود والنصارى في مختلف انحاء بلاد الشام ومصر ؛ وكسب اليهود الجولة الاولى في عهد ذي نواس الذي اشتد في اضطهاد النصارى وارسل الى ملك الحيرة يجره على مثل ذلك ؛ وجر هذا الاضطهاد على اليمن غزو الاحباش الذين اتخذوه ذريعة انتصار لبني دينهم في الثلث الاول من القرن السادس فتمكنوا من تقويض الدولة الحيرية وضرخوا بدورهم اليهود ضربة شديدة حتى افنواهم او كادوا<sup>٢</sup> .

ولما بعث النبي محمد عليه السلام وهاجر الى المدينة وقفوا من دعوته موقف المتهمج ثم المناوء ثم التأمروا لانهم رأوا فيها تهديداً لمصالحهم ومركزهم ، وقد اندرهم النبي المرة بعد المرة وطاولهم فلم يرتدعوا فينس من ارعوائهم ونكل فيهم جماعة بعد جماعة حتى انحصدت شوكتهم وكانت وصيته الاخيرة اخرجهم بالمرة من جزيرة العرب فنفذ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الوصية .

هذا ، وواضح مما تقدم ان العبرانيين وبني اسرائيل عاشوا على عمران وحضارة وفنون من سبقهم في سكنى شرق الاردن وغربه من الارومات العربية الجنس الكنعانية

---

(١) انظر الطبري ج ٣ ص ١٠٥ والعرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٧١ وبعدها وتاريخ اليهود في بلاد العرب لاسرائيل ولفنون ص ٥١ وبعدها .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٣ ص ١٧٢ وبعدها ج ٤ ص ١٧٨ وبعدها والطبري ج ١ ص ٥٣٠ وبعدها .

والأمورية ، وكانوا يتأثرون بهم في كل ذلك حتي لقد ظلوا ينحرفون عن مزيّتهم العظمى التوحيد المطلق نتيجة لذلك بحيث يضح أن يقال أنهم لم يكادوا يجددون شيئاً في مجال الفن والحضارة ، وقد يكون لهم ميزة فيما تمثله أسفار العهد القديم من آداب . غير أن ذلك لا يعد ابتكاراً لأنه وجد كثير من أسسه في الآثار المكتشفة في العراق ومصر وسورية (١) وفي خلال الفصل كثير من مظاهر نشاطهم الحضاري والعمراني والادبي والديني يغنيان عن عقد نبذة خاصة بذلك .

## استدراك واستطراد

إن بعض العرب ينظرون بشيء من الازورار إلى سلك العبرانيين وبني اسرائيل في سلك الجنس العربي بسبب ما قام بين العرب واليهود في التاريخ الحديث من عداوة وصدام ناتجين عن عدوان اليهود على فلسطين وأهلها بمساندة الاستعمار الباغي .

غير أن هذه النظرة في غير محلها . فالعبرانيون وبنو امرائيل المتفرعون منهم هم من الأرومات العربية الجنس سواء . أكلوا قبيلًا خاصاً هو الذي عرف باسم الحايبرو أو العايبرو أم فرعاً من الآموريين أو الآراميين أو الكلدانيين على ما يكاد يجمع عليه الباحثون مع فارق واحد هو أنهم يسمون هذه الأرومات بالساميين في حين نسميها نحن بالجنس العربي على ما شرحناه في مقدمة الجزء الأول من تاريخ الجنس العربي . ومن واجب المؤرخ أن يذكر ما يثبت له من حقائق بدون النظر إلى أي اعتبار . وهذا هو الذي جعلنا نسلكهم في سلك الجنس العربي .

ومن الحق أن ننبه في هذه المناسبة على أنه لا يعقل أن يكون الجنس العربي شاذاً عن البشر ليكون كله صالحاً . ففيه الصالح والطالح وفيه العادل والظالم وفيه المستقيم والمنحرف بما هو بديهي لا يتحمل مرأه . مع القول ان القبيل العبراني الامرائيلي قد جاء شاذاً حيث كان في مختلف سيرته المعروفة منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد من أسوأ ما يكون قسوة وظلماً وعدواناً وحقدًا وشرهاً وانحرافاً دون أن يكاد يكون لذلك استثناء على ما يستبينه القارئ من خلال أسفارهم .

---

(١) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لليليب حتي ترجمة حداد ص ٢٢١-٢٣٧ ومصر القديمة ج ٥ ص ٣٠١-٣٢٨ والجزء الاول من مقدمة في الحضارات القديمة لطفه باقر ج ١ الفصل الثاني عشر

ونستطرد الى القول ان الحركة اليهودية الحديثة التي تقوم على أساس زعم اليهود المعاصرين بأنهم أنسال بني اسرائيل القدماء وربطهم حركتهم بتاريخ هؤلاء في فلسطين وجعلهم ذلك مستمداً لحركتهم ومبرراً لما يهدفون اليه من اقامة دولة لهم في فلسطين وما جاورها لا تستند إلى أي أساس من منطق وتاريخ صادق . فبالإضافة الى أن دعوى حق اليهود بالعودة إلى فلسطين لأن بني اسرائيل اليهود عاشوا فيها زمناً ما قبل ألفي سنة باطلة مضحكة ، وبالإضافة كذلك إلى أن بني اسرائيل قد طارأوا على فلسطين طروداً وهي غاصة بالسكان ولم يكن لهم فيها أي مجد ومفخرة على ما تقدم شرحه فان دعوى اليهود المعاصرين بصلتهم ببني اسرائيل القدماء هي زائفة أيضاً لأن معظم الفئة القليلة التي بقيت في فلسطين بعد ضربات الرومان القاصمة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد اعتنقوا المسيحية ثم الاسلام واندجوا في العروبة . ومعظم الذين تشرّدوا في انحاء الشام ومصر وشمال افريقية ونجوا من القتل اعتنقوا الاسلام واندجوا في العروبة كذلك . والذين حافظوا على يهوديتهم عاشوا بين الأقاليم الأخرى في آسيا وأوروبا وافريقية فاختلطت دماؤهم بدماء هذه الأقاليم . وهذا فضلاً عن أنه من الثابت ان كتلا كبيرة من أصل آري في آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية ديناً . منهم من فعل ذلك قبل الميلاد ومنهم من فعله بعده (١) بحيث يصح أن يقال ان معظم اليهود اليوم من أنسال هذه الكتل وان الدم الاسرائيلي العربي الذي كان في الجدود الأولين قد بادأ أو كاد ، وان قصارى ما في الأمر ان الدين الطبيعي هو الطابع المخصص للكتل التي تدعى بهذا الدين والتي تمت إلى مختلف الاجناس .

وان اسفار العهد القديم التي ظل اليهود يتدارسونها مع التلمود ويعتبرونها مرجعهم

---

(١) ان الشعوب التي أرسلها اسرحدون إلى فلسطين واسكنها بلاد السامرة بعد نصف مملكة اسرائيل اعتنقت الموسوية وكثير من اهل العراق اندمجوا مع بني اسرائيل في المنفى واعتنقوا اليهودية على ما ذكرته اسفار العهد القديم ( انظر سفر استير وعزرا ) وقد ذكرت الموسوعة اليهودية في مجلدها السادس خبر اعتناق قبائل الحزر للدين اليهودي وانتشارها بعد ذلك في انحاء روسية ومنها الى اوربا الوسطى في مختلف الظروف وهؤلاء هم الطوائف الشكتازية التي تؤلف اكثرية اليهود . ولا شك ان اعتناق اليهودية من قبل جماعات آرية الجنس ليس قاصراً على الحزر وكل ما في الامر ان الحزر اكبر الكتل المتهودة . ولقد أورد البلاذري في كتابه فتوح البلدان (ص ٢٠٨) نص كتاب امان كتبه القائد العربي حبيب بن مسلمة لاهل مدينة واسيل في بلاد الارمن والحزر جاء فيه انه اعطى الامان لنصاراهم ومجوسهم ويهودهم اي انه كان في مناطق ارمينية والحزر يهود في اوائل القرن الهجري الاول ممتداً الى ما قبل ذلك . والمتبادر ان لا يكون اليهود في مدينة واحدة فقط ...

الديني والتشريعي والتاريخي ظلت تؤثر فيهم وتطبعهم بطابع الجبل الشاذل التي تميز بها بنو اسرائيل القدماء وليس من شأن هذا ان يسبغ عليهم صفة قومية متميزة . ومحاولة احياء اللغة العبرانية القديمة التي حفظتها الكتب والاسفار الدينية وظلت في نطاقها وحسب هي عملية اصطناعية ومتصلة بفكرة النزوع إلى إحياء قومية لها لغة خاصة مما أوحى به حالة اليهود الاجتماعية والسياسية حيث رأى بعض رجالهم في أواخر القرن التاسع عشر ان لا خلاص لبني ملتهم من تلك الحالة إلا بإيجاد مكان يجتمعون فيه ويحيون كأمة فتفتقت في ذهنهم فكرة الذهاب الى فلسطين واحياء اللغة العبرانية لأنهم رأوا في تاريخ اليهود القديم ما يمكن أن يكون سنداً لفكرتهم وباعثاً على اعتناقها من قبل اليهود فكانت الحركة الصهيونية التي اقتبس اسمها من أحد تلال مدينة القدس أو شليم عاصمة مملكة داود وسليمان ويهوذا ومكان معبدهم البائد والتي ترمي الى حشد اليهود في فلسطين واقامة دولة وكيان قومي فيها بقوة الدافع الديني والذكريات التاريخية مهما كان ذلك من بعد عن الحقائق ومناقضة للعلم والتاريخ والمنطق السليم .

وبقاء اليهود في كل مكان وجدوا فيه كتلا منطقية على نفسها في مساكنها ومعاشها وأخلاقها وعاداتها معرضة للاحتقاد والاضطهاد والاحتقار وخاصة في القرن السابق وما قبله ليس من شأنه أن يعرض صحة القومية المتميزة التي تتصل ببني اسرائيل القدماء الذين يريد اليهود الصهونيون نسبة أنفسهم إليهم ، وإنما هو متصل بوجودهم بين الكثرة الدينية الأخرى التي يقوم العداء الديني والاجتماعي والاقتصادي بينها وبينهم ونتيجة من نتائجه ومظهر من مظاهر حياة الاقلية الدينية والمذهبية الأخرى وما تقرضه هذه الحياة وامتدادها في القرون الوسطى .

على ان الهدف الصهيوني لم يتحقق في معناه ومداه القومي والديني والتاريخي المزعوم برغم ما بذله الصهونيون من جهود جبارة ودعاية قوية وحكوه من مؤامرات واسعة ، وحتى برغم ما وصلوا اليه من نتائج ايجابية قد تبدو عظيمة فيما تم من حشد عدد كبير من اليهود في القسم الذي ساعدتهم طواغيت الاستعمار على اغتصابه من فلسطين وفيما أنشأوه من منشآت وحصلوا عليه من اعترافات دولية بكيانهم . فاليهود الذين حشدوا إلى الآف في فلسطين لا يزيدون عن ١٥٪ من مجموع يهود العالم . وتسعون في المئة من المحشورين لم يأتوا بدافع صهيوني قومي وديني وتاريخي وإنما أتوا بالدرجة الاولى بدافع الفقر والبطالة والخوف من الاضطهاد والاعزاء بالحياة الآمنة الرضية . ولم يأت من اليهود الذين هم في

حالة مادية حسنة وأمن من يعيشون في أوروبا الغربية وأمريكا إلا القليل جداً برغم ما يتظاهرون به من حماس للصهيونية وبرغم ما بذل من جهود ودعايات واغراءات وخداع لأن ذلك الهدف غير متسق مع طبائع الأشياء وراهن التاريخ والوفائع في شيء . وكل الدلائل تدل على ان الحركة الصهيونية في حالة جمود أو تراجع من ناحية هدفها القومي والديني والتاريخي . وإذا كانت هذه الحركة مستمرة مع ذلك على نشاطها فان مرد هذا الى كونها قد غدت منظمة موظفين تضم عشرات الالوف الذين يرتقون منها في فلسطين وسائر أنحاء العالم ، ثم إلى الدول الاستعمارية التي وأت وما تزال ترى في هذه الحركة وسيلة إلى تحقيق مآربها في الشرق العربي فتعقد عليها المساعدات وتؤيدها بمختلف الوسائل والمواقف . وحياة الدولة اليهودية منوطة بالدرجة الاولى بهذه المساعدات والتأييد ولن يدوم هذا إلى الأبد وحينما ينقطع تنقطع هذه الحياة ؛ وسيحدث ذلك حتما في ما نعتقد عاجلا أو آجلا ونخاصة ان الشعب العربي الذي يعد تسعين مليوناً والذي يحدق بهم ويكونون فيه كعوامة تافهة في بحر عظيم قد انجرح أشد جرح وانكاه من سيرتهم في فلسطين وقد تنبه لنواياهم المريبة تجاه جميع بلاده . وقد صمم على ان لا أمن ولا نجاه له إلا باقتلاع جراثيمهم . ولهذا أخذ يقوى ويزداد تصميا . ولسوف يأتي يوم يصبحون فيه عالة على الدول الاستعمارية والغربية التي ساعدتهم على الهجرة ثم على اقامة دولتهم على الأرض المغتصبة من الوطن العربي والتي شرد عنها أهلها دون أن يكون لهذه الدول الفائدة التي املوها من وراء ذلك . ولسوف يثير ذلك التبرم في هذه الدول التي ترى مصالحها تتعرض في بلاد العرب العظيمة الساحة والامكانيات والعدد بسببهم واسوف يؤدي هذا إلى تركهم وشأنهم وحينئذ تقوم قيامتهم وتنتهي مسرحيتهم .

الموجات العربية

في

سوريا الوسطى والشمالية وحوض الفرات



## تقديم

- ٩ -

ان الثغرات في تاريخ الموجات العربية في بلاد الشام الداخلية الوسطى والشمالية واسعة جداً مع الاسف بحيث يتعذر عرض سلسلة تاريخية بأي شكل . لا من حيث الممالك والملوك ولا من حيث الاحداث والمآثر ، في حين ان اكثر من نصف اسماء مدن وقرى هذه الاقسام الشامية اليوم ما تزال تحمل اللسجة العربية القديمة على ما يبدو من النظر في قوائم الاسماء التي أثبتناها في مطلع هذا الجزء . بقطع النظر عن احتمال كون كثير من القرى والمدن التي تحمل اسماء غير عربية أو اسماء عربية فصحي والتي كانت موجودة قبل الفتح كانت تسمى بمثل تلك الاسماء مما فيه الدلالة على أن الجنس العربي قد طبعها بطابعه ولعله كان أول من استعمرها ثم ظل يستعمرها .

ومع انه جرى تنقيبات عديدة في هذه الاقسام فان ما جرى قليل بالنسبة لما فيها من خرائب وأطلال وتلول كثيرة ، ولم يعثر في ما جرى على شيء ذي غناء في حدود التاريخ السياسي والمآثر الحضارية لما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد باستثناء كشفيات ماري في تل الحريري في حوض الفرات التي سوف نفصلها بعد والتي لم تسد مع ذلك إلا ثغرة ضيقة في تاريخ سورية (١) السياسي والحضاري القديم . ومعظم ما عثر عليه يعود الى عهد الرومان بعد الميلاد الذي كان يقوم في خلاله حكومات عربية صريحة في بعض انحاء بلاد الشام مثل تدمر وحوران اللتين وجد فيها كثير من الآثار قد تكون مفيدة في تاريخ البلاد في عهد العروبة الصريحة ، مما سوف نورده في الجزء الثاني .

ونرجو ان تهتم الجمهورية العربية المتحدة لهذه الناحية فينشط في عهدها التنقيب ويتسع وينكشف كثير مما غمض من أحداث هذه البلاد السياسية وغير السياسية القديمة وبالتالي من تاريخ ومآثر الجنس العربي الذي عمرها من أقدم أزمنة التاريخ على ما هو متفق عليه عند الباحثين . فالجنس العربي قد اعتاد على تدوين أحداثه في مختلف حقب التاريخ على

---

(١) في اخر مبحث الاراميين من هذا الفصل شرح منشأ اسم سورية واطلاقه على بلاد الشام .

ما مر شرحه في الاجزاء والفصول السابقة . ولا بد من أنه فعل ذلك في إبان وجوده ونشاطه في هذه البلاد . وكشفيات أوغاريت في الساحل الشامي التي نوهنا بها في فصل الكنعانيين في الساحل الشامي وكشفيات ماري التي سوف نتكلم عنها بعد دلائل قوية على ذلك .

### - ٣ -

ولقد كتبت كتب كثيرة في تاريخ سورية القديم . ولكن هذه الكتب لم تسد شيئاً هاماً من الثغرة أيضاً . ويبدو أن مؤلفيها لم يستطيعوا ذلك بسبب نقص المادة الاثرية . وهذا كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتي الذي ترجم الجزء الأول منه المعقود على تاريخ بلاد الشام هذه قبل الاسلام إلى العربية جورج حداد شاهد على ذلك وهو أحدث ما نشر ومؤلفه متبحر في التاريخ ومطلع من دون شك على جل أو أهم ما كتب في مادته من كتب عربية أو أعجمية . وكل ما كتبه عن الآموريين والآراميين وهم الموجتان الكبريان اللتان غمرتا بلاد الشام الداخلية الوسطى والشمالية وحوض الفرات وكان منها معظم سكان هذه البلاد لا يزيد عن ثلاثين صفحة بأسلوب عام وعابر فيه بعض أسماء وأحداث ثانوية ، في حين ان فصل الكنعانيين استغرق ثمانين صفحة وفصل الشعب العبراني استغرق سبعة وأربعين صفحة لأن المادة التاريخية المعروفة لهذين الشعبين متوفرة أكثر اثرياً وتدويناً .

### - ٤ -

ومع سعة تلك الثغرات فانه عرف من تاريخ هذه الاقسام الشامية والموجات العربية الجنس فيها أشياء كثيرة أيضاً مما عثر عليه من نقوش آشورية ومصرية ومن التنقيبات التي جرت فيها ثم من أسفار العهد القديم على علاقتها غير ان ما عرف من ذلك لا يساعدنا قلنا على عرض سلسلة تاريخية بشكل ما . فليس من مناص من الاقتصار والاقصار على نيك مستفادة من المصادر المذكورة على نحو ما فعلنا بالنسبة لشرق الاردن وفلسطين باستثناء العبرانيين .



الأمور اليون

# الاموريون

## أوليائهم

من أول ما عرف من الموجات العربية الجنس الطارئة على بلاد الشام الوسطى والشمالية موجة الآموريين التي تخمن تاريخ طروئها منتصف الالف الثالث قبل الميلاد أو ثلثه الاول حيث ذكر اسمهم في منقوشات عراقية مدونة في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد (١). ولا يختلف الباحثون في كونهم من الساميين أي من الجنس العربي حسب اصطلاحنا على ما شرحناه في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي (٢).

ولا يعني هذا بطبيعة الحال ان الموجة الامورية هي أولى موجات جزيرة العرب إلى هذه الاقسام الشامية . فهي متصلة اتصالاً مباشراً بجزيرة العرب من ناحيتها الشمالية . وانسياب الموجات من جزيرة العرب إلى الاقطار المجاورة لها في الشمال والجنوب أقدم بكثير من هذا الوقت على ما شرحناه في الجزء الثاني والثالث من تاريخ الجنس العربي . فمن المعقول أن تكون هذه الأنحاء من الأنحاء التي كانت تندسح إليها تلك الموجات منذ بدء توجها وانسيابها من الجزيرة . ولقد كان في هذه الأنحاء سكان وعمران قبل الموجة الامورية نسبهم المؤرخون والاثريون إلى الارومة السامية اي الجنس العربي حسب اصطلاحنا (٣). وكل ما في الأمر أنه ليس من الممكن تاريخياً ذكر شيء يحدد الاسماء والاحداث عنهم .

ويظن ان الاموريين جاؤوا من شمال الجزيرة إلى بادية الشام ثم أخذوا يتسربون منها إلى بلاد الشام وينتشرون في أرجائها الشمالية وحوض الفرات . وكان هذا الحوض من مراكز تكتلهم . ومنه تدفقوا إلى العراق الجنوبي وكانت منهم سلالة بابل الأولى التي أقامت في بابل دولة عظيمة من ملوكها حمورابي على ما شرحناه في الجزء الثالث (٤) .

(١) كتاب فيليب حتي المذكور في التمهيد ص ٧٠

(٢) ص ٥٠ وما بعدها انظر ايضاً الجزء الاول من مقدمة الحضارات القديمة لعله باقر ص ١٣٩

والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٩٤

(٣) انظر تدريج الابصار فيما يحتوي لبنان من الآثار للاب لامارتين ج ١ ص ٧٣-٧٤ مثلاً .

(٤) ص ٥٠-٦٤

ولقد اختلف المؤرخون في وقت قيام هذه الدولة حيث ذكر ادي شير في تاريخ كلداء وآشور سنة ٢٤١٦ ق م بداية لتاريخها بينما ذكر بويسيد سنة ٢٢٠٠ ق م وبينما يؤخذ من سياق طه باقر ان قيامها كان حوالي القرن العشرين (١) .

ولا بد من أن يكون مر على طروثهم على العراق مدة لا تقل عن مئة سنة حتى أمكنهم أن يتغلبوا على الحكومات القائمة وينشئوا دولتهم . وهذا يعني أن تدفقهم من حوض الفرات للعراق كان بين القرن السادس والعشرين والقرن الحادي والعشرين حسب اختلاف التقديرات ، ويسوغ تقدير طروثهم على بلاد الشام بين القرن الثامن والعشرين والقرون الخامس والعشرين لانه لا بد من أن يكون مر على طروثهم على بلاد الشام مدة ما قبل أن يتدفقوا على العراق .

ولقد ذكر جرجي زيدان ان الاموريين هم من الآراميين وان اسم آمورو نعت نفعتهم بها العراقيون ويعني الغرب لأنهم كانوا يقيمون في البلاد الواقعة غربهم وجاؤوا منها إلى العراق (٢) وقد سموا في الآثار العراقية باسم مارتو أيضاً ومعناه الغرب في اللغة السومرية (٣) . ومع ان طه باقر وفيليب حتي يقرران ان الاموريين غير الآراميين وانهم أولى موجات السامية ( العربية ) المعروف طروؤها على بلاد الشام فانها يقولان ما يقوله زيدان عن اسمهم وكونه نعتاً جغرافياً من العراقيين (٤) . وهذا القول الذي هو على الأرجح قول علماء غربيين يقتضي أن تكون التسمية وصفية سماهم بها العراقيون . هذا في حين ان اسم آمورو كان لاصقاً بمن بقي منهم في سورية ومن ذهب منهم الى فلسطين وشرق الاردن واستقروا فيها على ماورد في أسفار يوشع واقضاة والعدد والثنية من أسفار العهد القديم (٥) وإذا كانت الآثار العراقية سمت بلاد الشام آمورو فلا يقتضي أن يكون اسم الاموريين من ذلك ولا يمنع بل يقتضي ان يكون ذلك ناتجاً عن كون اسم الآموريين أصيلاً فسمت الآثار العراقية البلاد التي يسكنونها به . ومن الغريب انه

---

(١) انظر تاريخ كلداء واثور ج ١ ص ٢٧ والقرون القديمة لبريستيد ص ٩٤ ومقدمة الحضارات لاهل

باقر ج ١ ص ١٣٩

(٢) انظر العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ١٥٠-١٦٦

(٣) كتاب طه باقر المذكور آنفاً ص ١١٧

(٤) مقدمة الحضارات ج ٢ ص ٢٣٢-٢٣٣ لاهل باقر وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٧٠-٧١

(٥) انظر الاصحاح ١٣ من سفر العدد والاول من سفر التثنية والخامس من سفر يوشع والاول

من سفر القضاة

بينما يقال ان آمورو معناها الغرب في لغة العراق إذ ذاك تورد انظة أخرى من هذه اللغة بهذا المعنى وهي مارتو . والفرق واضح بين اللفظين . . .

ومن العجيب كذلك ان فيليب حتي بينما يتابع زيدان في قوله ان امورو نعت نعت به العراقيون سكان حوض الفرات وسورية بمعنى الغربيين والغرب يقول ان اسم الاموريين الخاص او اسم اله القبيلة هو آمورو (١)

لأن هذا يعني حسب قوله وقول زيدان وطه باقر ومن أخذوا قولهم عنهم ان الآراميين عرفوا النعت الجغرافي الذي نعتهم وسماهم به العراقيون في آثارهم وتسموا به وسماهم المهم الخاص به أيضاً ! ولا ندري كيف يفوت هؤلاء العلماء ان هذا لا يعقل حدوثه في حال ، وان تسمية الاموريين المهم الخاص باسم آمورو دليل حاسم على ان هذا الاسم أصيل لهم وليس نعتاً جغرافياً نعتوا به من العراق وصاروا يعرفون أنفسهم به . . .

ولقد ورد اسم الاله « آمورو » على خاتم اسطوانتي عثر عليه في خرائب مدينة مار ي. الآمورية التي كانت عاصمة مملكته منذ النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد والتي اكتشفت حديثاً فأصبح الامر في درجة اليقين (٢) . ولقد اعتادت كل قبيلة من الجنس العربي ان تتخذ حامياً لها وان تسمي نفسها ابناء هذا الاله على ما مريانه في الأجزاء الثلاثة . بما فيه تفسير لقول حتي ان الاله آمورو هو اله الاموريين القبلي وبما فيه دليل حاسم على ان التسمية الامورية اصيلة لهذا القبيل . فاما ان يكون اسم الاموريين مقتبساً من اسم المهم الخاص أو يكون اسم المهم الخاص مقتبساً من اسمهم .

أما قول زيدان ان الاموريين هم الاراميون فهو قول يتخالف فيه جمهور الباحثين الذين يقررون انها موجتان متباعدتان وان الاموريين جاؤوا الى بلاد الشام قبل الاراميين بأمد طويل قد يكون الف عام او سبعة عام (٣) .

هذا واستتباعاً لاصالة تسمية آمورو لهذا القبيل الذي سمي بها فان مما يرد على البال ان يكون بين الكلمة وكلمة عمور العربية الصريحة التي هي في الوقت نفسه اسم قبائل عربية في دور العروبة الصريحة في بادية العراق في القرن الرابع للهجرة بمدة إلى ما قبل ذلك على الاوجح صلة تطورية ما (٤) .

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ترجمة حداد ص ٨٣

(٢) انظر مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد الخامس ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ص ١٧٦ وبدماء ومقدمة الحضارات لطف باقر ج ١ ص ١٠٧

(٤) ذكر مؤلف القعد الفريد اسم قبائل العمور من قبائل بادية العراق والمؤلف من اهل القرن الرابع

انظر الجزء ٢ ص ٢٣٦

## صور من آثار ونشاط الاموريين

ومن المدن التي يرجح انها من منشآتهم وما تزال قائمة شهيرة مدينة حلب . وقد قري اسمها على نقوش عراقية اكادية تعود الى اواخر الالف الثالث قبل الميلاد . وقريء معه اسم لومكال أو شومكال موصوفاً بصفة كاهن وملك (١) . وقد عرف من الآثار ان الالهة عشتار كانت تقبوا مركزاً مهماً في حلب وخارجها وكانت تنسب اليها فيقال عشتار حلب . وكانت تدعى ابنة الاله سين اله القمر .

وقد وجد في لارسه احدى عواجم الدويلات التي يظن ان الاموريين اقاموها في العراق في أوائل طروثهم (٢) نقشان يرجع عهدهما الى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد أمر بنقشها وردسين بن كودق مابوك الذي حكم بين سنتي ٢٠٤٧ و ٢٠٢٦ وفيها خبر بنائه معبداً وتروميه آخر اكراماً لعشتار الحلبية وخطاب موجه اليها جاء فيه : انا وردسين ملك لارسه من أجل حياتي وحياة كودور مابوك الى الذي انجيني بنيت في قدس اقداس الالهة النقي مسكناً ماورفعت قمته كجبل عال عساها تقر عيناً بعلمي وتهبني حياة طويلة حيث يبدو بالاضافة الى تأييد ما ذكر من اهمية حلب والاهتها عشتار التشارك الديني بين مملكة لارسه في العراق والاموريين في سورية مما يمكن ان يكون قرينة على وحدة الاصل .

ويلفت النظر الى اسم عشتار ثم الى سين التي تعني اله القمر فالاسمان من اسماء الهة جنوب الجزيرة العربية وكانا يطلقان على ما أطلقا عليه في العراق وحوض الفرات حيث يبدو التشارك الديني كذلك قائماً بين الاصل والفرع مما فيه قرينة على صلة الاموريين بجزيرة العرب والجنس العربي .

## ماري

ومن مدن الاموريين مدينة ماري التي كانت مدفونة تحت تل اسمه تل الحريري على بعد

(١) مجلة الحوليات الاثرية السورية لسنة ١٩٥١

(٢) مقدمة الحضارات ج ١ ص ١٤٠ ومجلة الحوليات المذكورة انفاً



كيلو مترين ونصف من خفة الفرات الغربية وكشف عنها في سنة ١٩٣٢ ب م . ولا تزال تنقياتها ودراسة مكتشفاتها مستمرة موسماً بعد موسم . وقد عثر على آثار متنوعة برونزية وزجاجية وعاجية وصدفية وعلى نحو عشرين الف لوح من الفخار عليها كتابات بالخط المسماري واللغة الامورية كتبها الملوك والموظفون ووثائق اقتصادية وادارية وتقارير وقصائد النخ وعلى آثار قصور ومعابد عديدة . وقد استدل بما عثر عليه على انها كانت مزدهرة الحضارة والعمران وان مدينتها تعود في جذورها الى الالف الثالث قبل الميلاد . وقد عرف من النقوش اسماء عدد من ملوكها منهم لمعى وماري وايكورنا وشماس وايتو ورشماغان وايب لول ايل وثوراداجان ويوزور عشتار ويشوب ايلوم وشتوم ايلوم وزمري ايم . وهم من أسر مختلفة حيث تقلب على عرش ماري أكثر من أسرة . وقد بلغ سلطان ملكة ماري اوجه في أواخر الالف الثالث فعدت صاحبة السيطرة التامة على منطقة الفرات الاوسط وعلى طرق المواصلات بين الخليج العربي وآسية الصغرى . ومما قرئ من نقوشها قصيدة وصف فيها العموري في حياته البدوية وحياته الحضرية جاء فيها : كان السلاح رفيقه ولا يعرف الخضوع ويأكل لحماً غير مطبوخ ولا يملك بيتاً ولا يدفن رفيقه اذا مات فصار يملك بيتاً وحبوباً . ومما قرئ من النقوش نقش لوالد زمري ايم يذكر فيه انه هزم سبعة ملوك حيث ينطوي في هذا ما وصلت اليه المملكة من قوة ونشاط .

وزمري ايم هو آخر ملوكها . ويصادف عهده لحكم حمورابي سادس ملوك دولة بابل الكبرى الذي يتراوح تاريخ حكمه بين القرن الثاني والعشرين والقرن الثامن عشر تبعاً لاختلاف تقدير المؤرخين على ما ذكرناه قبل . وقد طمح حمورابي على ما عرف من النصوص الى مد سلطانه على ماري واغتنم فرصة فزحف واستولى عليها فاضطر زمري للخضوع له . ولكنه لم يلبث ان اعلن تمرده فزحف حمورابي ثانية فاستولى على ماري ودمرها واحرق قصر الملك فكان ذلك نهاية المملكة وعاصمتها ، وقد امتدت سيطرة حمورابي الى بقية انحاء سورية نتيجة لذلك .

وقد عثر على ألواح عديدة كرسائل مرسلة من شخص اسمه ييدي ايم ووظيفته محافظ قصر ماري خطاباً الى سيده يخبره فيها بأحوال ماري وما يجري فيها ومن يأتي اليها وينهب منها وخمن ان هذا الرجل اقيم كنائب او حاكم على ماري بعد الاستيلاء البابلي عليها .

وقد كشف فيما كشف عنه اطلال لقصر الملك بدا انه كان يشغل مساحة تزيد عن هكتارين ونصف . ويضم ٣٠٠ غرفة ويعود تأسيسه الى القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد . وكان بمثابة قلعة وفيه ما تمس الحاجة اليه من اجنحة وغرف للوظفين ومعبد ومدرسة لتدريب الكتاب على الكتابة على الطين المجفف وقاعة لحفظ الوثائق وهي التي وجدت فيها الواح الفخار التي ذكرناها سابقاً وقاعة للعرش مزينة الجدران بالمشاهد المتنوعة ومن جملتها مشهد تنويع الملك رمزي وقاعات استحمام بالماء البارد والماء الساخن .

وقد بدت مدينة ماري فسيحة الشوارع تقوم على جنباتها ابنية مذهشة في هندستها وباحاتها وغرفها تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد . وعثر على اكثر من بناء في حالة جيدة كما شوهد على كثير منها آثار الحريق الذي يحتمل ان يكون دمر المدينة .

وقد كشف عن معابد عديدة . منها معبد لعشتار وجدفيه تمثال للملك لغى ماري وابيه ايل ، ومعبد للاله داجان اله الحصب يزين مدخله اسدان برونزيان يعتبران من اجمل الآثار البرونزية ، ومعبد للاله شماس ( الشمس ) وآخر للاله نيني زازا . وهذا المعبد واسع جداً وفيه فخار مخطط جميل ومذبح من الاجر المجفف المزين بالدعائم والتجايف والمشاهد المتنوعة . وكشف عن زاقورة او برج من الآجر ايضاً .

ومما عثر عليه تمثال للملك يشوب ايلوم وتمثال لربة في يدها كأس تتفجر منه المياه . ومشهد من الصدف يمثل الملك وهو يستعرض جنوده وهم يقودون الامرى . وتمثال عليها ثياب كهنوتية . وتمثال رائع لغنية اسمها اورنيتا . ومثنا اثر صدي تمثل اشخاص بلاط ماري الملكي قبل القرن العشرين . وعثر في فجوة جدار احد المنازل على ثلاثة الواح عليها حسابات شعر وبعض اسماء وتعود الى النصف الاول من الالف الثالث . وهي اقدم وثائق ماري . والكتابة بالحظ المسماة باللغة السومرية ووجد في فجوة جدار آخر ادوات متنوعة مثل منجل ومجرفة وكأس وركابات . ومنها قطعناث تحملان اسماء فتيات من فتيات الملك الاكادي نارام سين مما استدل به على ان ماري تعرضت لغزوة سرجون ونارام سين في النصف الثاني من الالف الثالث حينما مدا سلطانها الى حوض الفرات وبلاد الشام على ما شرحناه في الجزء الثالث .

ومما عثر عليه اسطوانة تعود الى سنة ٢٤٠٠ ق م وصفحة من العاج تمثل محارباً على رأسه خوذة تعود الى النصف الاول من الالف الثالث وصفحة من الجص ترقى الى آخر

١٤٠٠ الثالث . وخاتم اسطواني نقش عليه اسم صاحبه في ثلاثة سطور وهو نينغورسو  
ابنيسو الرشواني خادماً للاله انكي . ورسم عليه صورة الاله آمورو وامامه شخص تتقدمه  
ربة رافعة يدها الى ارتفاع الوجه كإشارة للتوسط او الشفاعة . وكشف عن مقابر عديدة  
فيها حلى برونزية فضية مما نحن ان تكون من ادوات الموتى التي وضعت معهم في قبورهم .  
وفي بعض الوثائق ما يدل على ان اهل ماري كان لديهم مركبات تجرها الخيل وانهم  
كانوا يستعملون الاشارات النارية كتدبير دفاعي وطني او كوسيلة سريعة للانباء .

ولقد وجد الاثريون في النقوش دلائل تؤكد الصلة بين اللغة الآمورية واللغة العربية  
سواء في مفرداتها ام نحوها وصرفها وبالتالي تؤكد صحة نسبتهم الى الجنس العربي .

ولقد ورد اسم حلب بصيغة حلبو كثيراً في نقوش ماري وفي احد ملوكها يريم ايم  
ووصف لها كعاصمة لمملكة يخاض . وكانت على ما تفيد النقوش ذات مركز سياسي  
و ديني خطير وظلت تتمتع بهذا المركز مدة طويلة . كذلك بما عرف منها ان ابن ملك  
اوغاريت حج الى حلب وفعل مثله ابن ملك قطنة وان رمزي ليم ملك ماري حج اليها  
مراراً وقدم هدايا سنوية الى معبد الاله حدد فيها ومن جملتها تمثال مصوغ من البرونز  
ومرصع بالفضة وان الصلات بين ماري وحلب كانت وثيقة وان كثيراً من اهل ماري  
كانوا يحجون الى معبد الاله حدد فيها طلباً للاستشفاء .

ومن مراكز او عواصم دول و امارات الاموريين التي عرفت من نقوش ماري قطنة  
الواقعة شمال شرقي حمص ويعرف مكانها اليوم بالمشرفة وحرانو ( حران ) وعمريت  
وجبل ١ .

وكل ما تقدم يدل على ما كانت عليه مملكة ماري من ابهة وثروة وفن وثقافة وازدهار  
في ذلك العهد السحيق قد يصح القياس عليه بالنسبة لسائر دول الآموريين التي لم يقسم

---

(١) لبذة تنقيبات ماري ومكتشفاتها مقتبسة من مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلدات ١ و ٣ و ٤  
وه لسنى ١٩٥١-١٩٥٥ ومقدمة الحضارات لطفه باقر ج ١ ص ١٣٩-١٤٠ ومقال لبشير زهدي الاثري  
السوري في جريدة النصر عدد ٤٣١٣ وتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٥٩ عن آخر اخبار ومواسم تنقيبات  
ماري وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ترجمة حداد ص ٧٠ - ٧٤ . وقد عجبنا للفسير حتي 'جبل جيبيل  
وقوله انها امورية مع ان اثار جبل كنعانية . ومن الطريف انه هو نفسه يقرر ذلك ايضاً ! انظر ص ٨٨

الحظ اكتشاف آثارها بعد كما يدل على ما كان للاموريين من سلطان وانتشار في ساحة  
واسعة من بلاد الشام الشمالية بما فيها حوض الفرات .

وحدد او اداد من اسماء اله القمر مثل سين على ما عرف من الآثار الآمورية . وهذا  
يعني ان القمر كان الاله الرئيسي او من الالهة الرئيسيين للاموريين مثل سائر الجنس  
العربي . ولقد كانت عشتار من آلهتهم الرئيسية ايضاً . وعشتار هي من الالهة الرئيسية  
المشتركة من الجنس العربي حيث كانت كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق ثم عند  
الكنعانيين في الساحل الشامي والجنوب الشامي . وكل ما كان من تطور فيها انها عند  
الآموريين ابنة للقمر في حين انها عند الكنعانيين زوجة له .

ولقد قال فيليب حتي عزوا الى الواح ماري ان الديانة الآمورية في شكلها البدائي  
لم تختلف غالباً عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين التي كانت شائعة بين الرحل في بادية  
الشام وبلاد العرب وان اله القبيلة عند الآموريين هو آمورو ، وان لهم بالاضافة  
اليه عدداً من الالهة لا تعرف صفاتها بالضبط ويظهر كثيراً منها في عداد الالهة الكنعانية  
وكان اهمها حدد او ادد المعروف ايضاً باسم رومانو الهاً للمطر والعواصف ثم اصبح  
البعل الاعظم وكان منها داجون الذي اقتبسه الفلسطينيون في جنوب فلسطين والذي كان  
اله الفداء وانه كان للاله امورو شريكة تسمى عاترة تشبه نموذج عشتار المعروف وتتصف  
بالمسرات والنشاط وهي من آلهة جنوبي بلاد العرب متصلة بالاله القمر وفي هذا توثيق  
١١ ذكرناه آنفاً .

## انتشار الاموريين نحو العراق وجنوب الشام ومصر

- ٤ -

ويظهر ان الموجة الآمورية كانت كبيرة جداً لم تسعها بلاد الشام الشمالية وحوض  
الفرات فأخذت تتدفق منها الى الشرق والغرب . وقد تدفق منها جماعات كبيرة نحو  
بلاد العراق الجنوبية وانتشروا فيها واستطاعوا ان يفرضوا انفسهم عليها فكان منهم اولا  
دولة لارسه ودولة ايسن ثم دولة بابل الكبرى التي كان من ملوكها حمورابي على ما مر  
بيانه قبل ومر تفصيله في الجزء الثالث .

ومن الطريف انهم لم يلبثوا ان طمحووا الى مد سلطانهم الجديد الى موطنهم ~~الساحلي~~ ويوحدها المواطنين تحت راية واحدة وتمكن سادس ملوك دولة بابل الكبرى من تحقيق ذلك وفي الوقت الذي كانوا يتدفقون فيه على العراق الجنوبي اخذوا يتدفقون على بلاد الشام الجنوبية ايضاً . حيث عرف من الآثار المصرية ان الملك بيبي الاول من ملوك الاسرة السادسة ( ٢٦٢٥ - ٢٤٧٥ ق م ) سرحمات عديدة نحو جنوب فينيقة لاجل اذطرابات ثارت فيها نتيجة لتدفق جماهيم غفيرة نحو فلسطين من بلاد ما بين النهرين من المرجح انهم من الاموريين لانهم كانوا في هذه الظروف ينشطون في التوسع والانتشار ولم يكن هناك غيرهم في حالة التوسع في ما بين النهرين .

ومع ان الآثار تذكر ان حملات الملك المصري نجحت في صد التدفق فانها لم تستطع رد المتدفقين الى حيث اتوا وان جماعات كثيرة منهم استطاعت ان تتدفق الى فلسطين ثم الى مصر في عهد الملك بيبي الثاني من ملوك الاسرة نفسها على ما عرف من وثيقة مصرية عثر عليها لحكيم مصري اسمه ابور ذكر فيها ما آلت اليه حالة مصر من اضطراب وسوء بسبب دخول الغزاة اهل الصحراء الى مصر وحلولهم في كل مكان وانتقاد الأمن وتعطل المصالح نتيجة لذلك . وقد سميت الآثار هؤلاء القبائل باسم عامور الصلة مملوكة بين عامو وآمورو كما هو ظاهر ٢ .

وقد كان هذا التدفق مقدمة للحركة الهكسوسية حيث كان الاموريون من العناصر الاساسية التي كونت هذه الحركة التي نشأ عنها مملكة الهكسوس في مصر وامتد حكمها نحو مئة سنة ؛ والتي ظل كثير من عناصرها في مصر واستطاع بعض رؤسائهم ان يفرضوا حكمهم ايضاً بين وقت وآخر فيكون منهم امر مالكة على ما شرحناه في الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي ٣ ولقد ايد سليم حسن العالم المؤرخ والآثري المصري ذلك ولو لم يذكر اسم الاموريين صراحة حيث قال نتيجة لدراساته ان العنصر الاهم الذي كان في حركة الهكسوس هم ساميون ( عرب حسب اصطلاحنا ) جاؤوا من بلاد الشام وموسوباتاميا اي بين النهرين ٤ .

(١) انظر الجزء الثاني تاريخ الجنس العربي ص ٦٢-٧٠ و مصر القديمة ج ١ ص ٣٦٥-٣٧٦ .

(٢) انظر ايضاً مصر القديمة ج ١ ص ٤٠٨ .

(٣) ص ١١٩-١٣١ و ١٦٧ و ١٧٦-١٧٩ و ١٩٢ و ٢٢٠-٢٢١ مثلاً .

(٤) مصر القديمة ج ٤ ص ١٨٥-١٩٨ .

ولقد ذكر الاموريون في سفر التكوين كجاليات وزعماء اصحاب قوة في منطقة الخليل كانت موجودة قبل طروء ابراهيم على فلسطين الذي يحتمن طروئه حوالي القرن التاسع عشر كما ذكروا كمقيمين في حصاؤون تمار ( في فلسطين )<sup>١</sup> وذكروا في سفر العدد كسكان الانحاء الجبلية من ارض كنعان<sup>٢</sup> وقد ذكر هذا السفر<sup>٣</sup> بالاضافة الى ذلك مملكتي سيجون وبنشان في شرق الاردن بوصفها آموريتين كانتا قائمتين حينما طرأ بنو اسرائيل على شرق الاردن بقيادة موسى .

وقد ذكر سفر يوشع<sup>٤</sup> خمس ممالك بوصفها آمورية كانت قائمة في فلسطين وشرق الاردن حينما زحف بنو اسرائيل على فلسطين وهي ممالك اورشليم وملكها ادوني صادق وجبرون ( الخليل اليوم ) وملكها هو هام ويزموت وملكها فرام ولخيش وملكها يافيع وعجلون وملكها ديبور على ما شرحناه في فصل شرق الاردن وفلسطين وفصل العبرانيين حيث يرجح ان من الجماعات الامورية المتدفقة على جنوب بلاد الشام من استطاع ان يستقر في فلسطين وشرق الاردن وينشئ فيها الدول على نحو ما فعل اخوانهم في العراق قبلهم ثم في مصر بعدهم .

## انكماش الاموريين في سورية الوسطى وأخر صور نشاطهم ونهايتهم

ويظهر ان هذه الهجرات الى العراق وجنوب الشام ومصر قد اضعفت عنصر الاموريين في سورية الشمالية وحوض الفرات وجعلتهم يتعرضون لرحوف وحملات قضت على معظم دولهم وسلطانهم . ومن ذلك ما ذكرناه من قضاء حمورابي على مملكة ماري اقوى ممالكهم في حوض الفرات . ومن ذلك غارات الحيشيين الذين هم من الارومات الارية والذين كانوا ينزلون في نواحي جبال الأمانوس<sup>٥</sup> ( من سلسلة جبال طوروس )

(١) الاصحاح ١٤

(٢) الاصحاح ١٣

(٣) الاصحاح ٢١

(٤) الاصحاح ١٠ و ٩ و ١٠

(٥) المجلد الاول الجزء الاول تاريخ سورية لندس من ١٥٦ وما بعدها .

حيث اخذوا يغيرون في القرن التاسع عشر على شمال سورية وحوض الفرات واطراف العراق ويبرزون على مسرحها ويلعبون عليه ادواراً متنوعة خلال عشرة قرون ولقد نجحوا في فرض سلطانهم على هذه الانحاء وبالتالي على الاموريين فيها وانشأوا دولا عديدة منها واحدة في حوض الفرات عاصمتها كركميش شمال شرقي حلب واخرى في شمال سورية عاصمتها قدس في شمال حمص . وقد امتد نفوذهم اوسيا دبتهم حتى شملت اطراف العراق من ناحية واطراف سورية الوسطى وفينيقية من ناحية<sup>١</sup> فانكمش السلطان والنشاط الاموري من حوض الفرات وانحصر في سورية الوسطى<sup>٢</sup> . وكان ذلك قبل القرن الخامس عشر . ولم يكن الحبشيون وحدهم الذين نشطوا وزاحموا الاموريين في حوض الفرات حيث ذكرت الاثار المصرية اسم ميتاني كملكة وشعب في ما بين النهرين في الوقت الذي كان ينشط فيه الحبشيون وكانوا يتنافسون معهم حيناً ويتحالفون حيناً . ومن المحتمل ان يكونوا من نفس ارومتهم وقريبين اليهم<sup>٣</sup> .

وقد عرف من رسائل تل العمارنة اسماء بعض ملوك وممالك ومدن الاموريين في ظروف انكماشهم المذكور اي في القرنين الخامس عشر والرابع عشر . من ذلك ممالك او امارات قطمة التي كانت تقع شمال حمص والتي يظن انه يكون مكانها اليوم قرية المشرفة<sup>٤</sup> وملكيها اكيزي ومملكة نوخاشي التي يظن انها في جهات حلب وملكيها حداد نيري وممالك سننزاز ( شيزر ؟ ) وكينانات ومشق واوبي ومدينة تونب التي يظن انها بعلبك القديمة والتي يحتمل ان تكون كرمي مملكة او امارة وان لم يذكر ذلك في الرسالة التي ورد اسمها فيها وملك اسمه عبد عشتوت . وابن له اسمه عزيزو او ازيرو دون ذكر اسم مملكتها .

(١) انظر مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد الثالث سنة ١٩٤٣ من ١٢٢ - ١٤٣

(٢) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حتى ص ٧٤ - ٧٥

(٣) انظر الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي ص ١٤٨ - ١٤٩ وكتاب مصر القديمة ج ٦ ص ٥١ - ١٥٤

(٤) انظر تاريخ مصر من اقدم الصور لبريستيد تمريب ترجمة حسن كمال ص ١٥٣ - ٢٦٣ ومصر القديمة ج ٥ ص ٢١٥ - ٢١٩ و ٦٤٩ - ٦٤٨ وتاريخ الجنس العربي ج ٢ ص ١٤٤ - ١٥٨

ولقد نشط ملوك الاسرة الثامنة عشرة المصريين ( ١٥٨٠ - ١٣٤٠ ق م ) بعد القضاء على حكم الهكسوس في سبيل مد سلطانهم الى بلاد الشام واستطاع اول ملوكها احسن من مده الى فلسطين ثم استطاع امنحتب الاول ابنه وتحتمس الاول حفيده ان يفرضوا سلطان مصر على جميع بلاد الشام الاخرى ثم على جزيرة الفرات الى حدود العراق فدخلت الممالك الامورية مع دول الحيثيين والميتانيين في هذا السلطان . غير ان الحيثيين خاصة الذين كانوا على ما يظهر في ذروة نشاطهم وحيويتهم لم يرضوا ذلك فحرضوا ملوك وامراء بلاد الشام وبين النهرين ومن جملتهم الاموريون ضد هذا السلطان فاستجابوا وتمردوا معهم فزحف تحتمس الثالث لارغامهم واحتشدت قوات الملوك والامراء المتمردين بزعامة ملك الحيثيين الذي كانت عاصمته قدس وساروا نحو فلسطين للقائه ونشبت معركة كبرى عند محيرو في شمال فلسطين دارت الدائرة فيها على الحيثيين وحلفائهم وخضعوا ثانية لسلطان مصر . على ان الحيثيين لم يسكتوا وظلوا يجرضون ويؤلبون وكان كثير من امراء وملوك البلاد يستجيبون لهم فتكرر التمرد وتكررت زخوف ملوك مصر طيلة عهد الاسرة الثامنة عشرة ثم في عهد الاسرة التاسعة عشرة ( ١٣٤٠ - ١٢٠٠ ) وكان ملوك مصر يتمكنون من قمع التمرد ولكنه كان لا يلبث ان يتكرر بتحريض الحيثيين .

وقد اضطر رمسيس الثاني ثاني ملوك الاسرة التاسعة عشرة بعد تكرور زخوفه الى عقد معاهدة صلح مع الملك الحثي اعترف فيها بنفوذه وسيادته على بلاد الشمال الواقعة شمال وادي العاصي مقابل اعتراف هذا بنفوذه وسيادة مصر على البلاد الشامية التي تقع في جنوب هذا الوادي على ما شرحناه في فصل فينيقية شرحاً يغني عن التكرار ١ .

ورسائل تل العمارنة التي اشرفنا اليها قبل ارسلت الى امنحتب الثالث وابنة امنحتب الرابع - اخناتون - من ملوك الاسرة الثامنة عشرة . منها رسائل من امير قطنة اكيزي الى امنحتب الثالث يعلن فيها خضوعه ومحبة واستعداده لكل خدمة باسمه وامم ملوك نوخاشي وسنزار وكينانات ودمشق واوبي .

ومنها رسالة من عبد عشتروت الذي لم تعرف مملكته معرفة يقينية يعلن فيها كذلك

---

(١) مصادر ذلك مذكورة في الفصل المذكور



خضوعه وعبوديته لهذا الملك<sup>١</sup> . ومنها رسائل من حداد نيري مالك نوخاشي واكيزي ملك آطنا ومن اهل مدينة تونب في ظروف تحالف قام بين عبد عشترت ثم ابنه عزيزو من بعده اللذين يبدو انهما كانا اقوى ملوك الاموريين واشدهم حيوية وطموحا وبين ملوك الحيثيين والميتانيين نتج عنه حركة عصيان على مصر ونشاط في احلال سلطانهم في البلاد محله اغتناماً لفرصة ارتباك الم بمصر في آخر حكم امنحيب الثالث وحكم ابنه اخناتون . وهناك رسائل عديدة اخرى من امير جيبيل في صدد هذه الحركة التي تمكن عبد عشترت وعزيزو بها من بسط سلطانه على معظم سورية الوسطى ثم على بعض الحياء ومدن فينيقية . وقد اوردنا نصوص الرسائل وشرحنا ما كان من نتائج الحركة في فصل فينيقية فلم يعد حاجة الى التكرار هنا .

ولم يعد الاموريون يذكرون بعد هذه الحركة في سياق النشاط والسلطان . وان كان هذا لا يمنع من ان يكون قد بقي لهم دويلات يمارس رؤساؤهم او ملوكهم فيها الحكم المحلي وان يكون هؤلاء الرؤساء والملوك قد استمروا على رأس دويلاتهم امداً ما كانوا يشتركون في حركات التمرد ضد السلطان المصري التي استمر الحيثيون يحرضون عليها والتي اضطرت رعمسيس الثاني الى التهادن مع الملك الحيثي على ما ذكرناه قبل . ولقد اخذ الاراميون يبرزون وينشطون في مجال الحكم والسلطان في سورية وحوض الفرات منذ القرن الثاني عشر وصارت الاثار والمدونات القديمة تذكرهم دون الاموريين مما سوف نستوفي الكلام عنه في الفصل التالي وبما يسوغ القول انهم قد حلوا في الحكم والسلطان محل الاموريين وان هؤلاء ما لبثوا ان اندمجوا فيهم .

## الاموريون في فلسطين وشرق الاردن

اما في فلسطين وشرق الاردن فقد ظلوا يحتفظون باسمهم ودولهم وشخصيتهم المتميزة الى القرن الثاني عشر حيث نشب الصيال بينهم وبين بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر ولقد تغلب بنو اسرائيل على دولهم في شرق الاردن بقيادة موسى وتغلبوا على دولهم في فلسطين بقيادة يوشع . غير انهم ظلوا يحتفظون باسمهم وشخصيتهم بل وبشيء من حيويتهم

---

(١) هذه الرسالة ذكرت في تاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي ترجمة حداد ص ٧٦ .

وقوتهم حيث ذكر سفر القضاة الذي يؤرخ احداث ما بعد يوشع ان الاموريين حصبوا بني دان في الجبل ولم يدعواهم ينزلون الى الوادي وظلوا يسكنون جبل حارس في ايلون وشعليم وكان تحمهم من عقبة العقاب فصاعداً .

ومع ان بني اسرائيل استطاعوا ان يسيطروا سلطانهم على معظم فلسطين والبلاد التي كان فيها الاموريون من اجللة بعد ذلك فانهم ظلوا يحتفظون باسمهم وشخصيتهم اثناء سلطان دول بني اسرائيل من القرن الحادي عشر الى القرن السادس ثم بعد زوال هذه الدول ونفي بني اسرائيل الى آشور وبابل في القرنين الثامن والسادس ؛ حيث ذكر الاصحاح التاسع من سفر عزرا اسمهم في جملة اسماء سكان فلسطين الاصليين الذين كانوا يعبرونها قبل طروء بني اسرائيل والذين اختلط بهم بنو اسرائيل العائدون من السبي وصاهروهم .

ولم تذكر الاسفار بعد سفر عزرا اسمهم . غير ان الاصحاح الخامس من سفر المكابيين الاول ذكر ان الامم من حول اسرائيل اخذوا يمدون ايديهم بالقتل لبني اسرائيل وان الذين في عكا وصور وصيدا والجليل منهم احتشدوا ضد بني اسرائيل الذين هم بين ظهرانيهم وحاولوا ابادتهم وذلك في عهد يهوذا المكابي في القرن الثاني قبل الميلاد حيث يحتمل ان يكون الاموريون من جملة هؤلاء الامم التي كانت وظلت موجودة الى عهد المكابيين . وقد ذكر الاصحاح الثالث عشر من سفر المكابيين الثاني ان الامم في اليهودية اخذوا يتسابقون الى الانضمام الى جيش السالوقيين الذي جاء لقتال الاسرائيليين بعد يهوذا المكابي مما ينطوي فيه نفس الاحتمال مستمراً الى ما بعد يهوذا .

## كلمة ختامية عن الاموريين

وواضح مما تقدم ان الاموريين شغلوا حيزاً عظيماً على مسرح بلاد الشام الشمالية والجنوبية ومصر والعراق معاً وكان لهم الدول العديدة والحضارة الزاهرة والفن والثقافة والحيوية والنشاط منذ القرن السابع والعشرين قبل الميلاد او قبله واحتفظوا باسمهم وشخصيتهم في بعض بلاد الشام الى القرن الخامس يقيناً وإلى القرن الاول قبل الميلاد احتمالاً مما لم يكدر يقسم نعيمهم .

وإذا كان ما كشف عن آثارهم في بلاد الشام لا يساعد على تفصيل سيرة ممالكهم وملوكهم وصور نشاطهم وثمارهم الحضارية المتنوعة فيها فإن ما عرف من ذلك نتيجة لتنقيبات ماري يدل على أنهم أسهموا في الحضارة والفن والثقافة والعمران والحكم والسلطان بنصيب وافر يمكن أن يقاس عليه ما يحتمل أن يكون لهم من ذلك في سائر الأنحاء . وهذا بالإضافة إلى ما عرف يقيناً من آثارهم الباهرة في مختلف ميادين الحياة السياسية والحضارية في العراق في عهد لارسة وايسن وبابل وخاصة في عهد حمورابي نجدهم اللامع على ما فصلناه في الجزء الثالث ثم في مصر في عهد الهكسوس والامرتين التاسعة عشرة والعشرين الذين يحتمل كثيراً أن يكونوا منهم على ما شرحناه في الجزء الثاني .

الإراملون

## أوليائهم

وهذه موجة من موجات جزيرة العرب التي عمرت بلاد الشام وشغلت جزءاً كبيراً فيها وما تزال آثارها ممتدة إلى الآن ممثلة في عدد كبير من أسماء المدن والقرى الشامية التي هي من لغتهم ولهجتهم .

وليس من خلاف بين الباحثين في كونهم من الأرومة السامية أي العربية حسب اصطلاحنا (١) . ومفردات اللغة الآرامية التي اثبتنا جملة منها في مطلع هذا الجزء من الدلائل على ذلك .

ولقد عثر على نقوش آرامية عديدة في أكثر من مكان شمال سورية تبدو عليها اللمحة العربية القديمة بارزة وتقوم شاهداً أو دليلاً آخر . وقد أوردنا نص نقشين منها في مطلع هذا الجزء واحد لملك شمال وآخر لكاهن نيرب .

### ٣-

ويكتنف تاريخ طروء الآراميين على بلاد الشام غموض كثير . فجرجي زيدان يجعلهم على ما مر ذكره في النصل السابق نفس الاموريين أو العمالقة الذين أنشأوا دولة بابل والذين كان منهم الهكسوس في مصر ، ويجعل وجودهم في بلاد العراق والشام في الألف الرابع قبل الميلاد ! غير انه لا يسند كلامه إلى أثر ومرجع ويلقيه جزافاً أو ما يشبه الجزاف مستنداً فيه حيناً على أنسال سفر التكوين التي تجعل آرام أحد أبناء سام بما لا يمت إلى العلم الصحيح بسبب وحيناً على أقوال مؤرخي العرب القدماء التي لا يمكن التعويل عليها في مثل هذا الموضوع (٢) .

ولقد قال سليم حسن المؤرخ المصري الآثري (٣) ان من المحتمل أن يكون الآراميون

---

(١) انظر مقدمة الحضارات القديمة لطف باقر ج ١ ص ١١٧ وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ٥٢ وما بعدها وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفسون ص ١١٤ وبعدها وتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جرجي زيدان ترجمة حداد ص ١٧٤ وبعدها

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ص ٥٣ - ٧٤ الطبعة الجديدة

(٣) مصر القديمة ج ١ ص ١٨٥ - ١٩٨

من جملة من تألفت منهم حركة الهكسوس حيث يكون الآراميون لو صح قوله موجودين في بلاد الشام قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد وهو الوقت الذي بدأت به تلك الحركة غير ان كلامه قائم على التخمين .

ولقد وردت كلمة آرام اكثر من مرة في سر التكوين الذي يقص أخبار ما قبل موسى . فوردت لأول مرة كاسم من أسماء احد أبناء سام بن نوح ( الاصحاح ١٠ ) غير ان الانساب الاولى في هذا السفر لا يمكن التعويل عليها في مجال تاريخ وثيق أو بما يقرب من ذلك . ووردت في سياق وصية ابراهيم لكبير عبيده بالذهاب الى بيت أهله وموطن مولده ليأتي بزوجة لابنه اسحاق حيث ذهب الى آرام النهرين ( الاصحاح ٢٤ ) ووردت في سياق ذهاب يعقوب للتزوج من بنت خاله حيث ذهب الى مدينة فدان آرام (الاصحاحات ٢٨ و ٢٩) . ولو لم يحتمل أن يكون كاتبو السفر قد ذكروا آرام تأثراً بالواقع الذي كان حينما كتبوه في القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو بعد ذلك لآمكن أن يقال بناء على ذلك وبشيء من الجزم ان الآراميين كانوا موجودين في حوض الفرات في القرنين العشرين والتاسع عشر اللذين يخمن او يفترض وجود يعقوب و ابراهيم فيها .

وفيليب حتي يقول (١) ان الآراميين كانوا قبائل رحلا في بادية شمالي الجزيرة العربية وكانوا يضغطون من وقت إلى آخر على أرض جيرانهم في بلاد بابل وسورية استهدافاً لامتلاكها . وقبل أن ينتصف الالف الثاني قبل الميلاد كانوا قد سكنوا في خفاف وادي الفرات الاوسط حيث نشأت قوميتهم ولغتهم . وقد يعني هذا ان حركة التهج الآرامي نحو بلاد الشام وجزيرة الفرات والعراق قد بدأت قبل النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد . على ان كلام حتي عائم لا يسمح بالحكم الجازم ولا يؤيد بأثر يقيني . وقد قال هذا المؤلف الى قوله المذكور ان الآراميين لم يكتسبوا اسمهم إلا في أيام تغلات فلاسر الاول ( ١١١٥ - ١١٠٠ ق م ) حين اقاموا في منطقة الفرات الاوسط وانتشروا إلى سورية . وهذا القول ينقض الاول كما هو ظاهر .

وطه باقر يقول (٢) ان الآراميين نزحوا إلى أعالي الرافدين ومنطقة الفرات الاوسط وبلاد الشام في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وقد جاءت منهم قبيلة الى جنوبي العراق

(١) تاريخ سورية وابتان وفلسطين تعريب جورج حداد ص ١٧٤

(٢) مقدمة الحضارات الاول ج ١ ص ١٧

واستوطنته ومنها الامبراطورية البابلية الاخيرة التي عرفت بالامبراطورية الكلدانية . وقد كونوا دولا وامارات مهمة في سورية أيضاً .

ولقد ذكر ادي شير مؤلف كتاب كلدة وآشور الذي يستند في رواياته الى آثار منقوشة ومدونات قديمة ومؤلفات الاثريين (١) ان سلعاصر الاول ملك آشور (١٢٩٠-١٢٦٠) ق م زحف على الاراميين في جبل ماشا الذي يعرف اليوم باسم قره جه طاغ في شمال جزيرة الفرات وكانت قبائلهم المتعددة قد انتشرت من دجلة الى البليخ والفرات ففتح مدنها ودك حصونها حيث يتضمن هذا توكيد وجود الاراميين في حوض الفرات ونشاطهم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ممتداً الى ما قبله بأمد ما . والمتبادر أن المدن الارامية التي دكها هذا الملك كانت كراسي بمالك وامارات آرامية . وهذا يعني توكيد وجود الاراميين ونشاطهم في مجال الحكم والعمران والحضارة في أوائل القرن الثالث عشر ممتداً الى ما قبل ذلك بأمد ما . ولقد انساح جماعات من الاراميين من حوض الفرات الى جنوب العراق وأنشأوا فيه دولا وامارات منها المملكة الباشية في بابل التي قامت سنة ١١٥٠ ق م على ما شرحناه في الجزء الثالث (٢) . ولا بد من أن يكون انسياحهم قبل هذا التاريخ بأمد ما على ما هو المتبادر .

وعلى هذا فمن السائغ أن يقال ان المواجهة الارامية أخذت تتموج وتنساح نحو بلاد الشام في النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد . وان بعض فروعها انساحت الى جنوب العراق وانها لم تبرز في سورية وجزيرة الفرات في مجال الحكم والسلطان والحضارة باسمها الصريح إلا في القرن الثالث عشر أو قبله بقليل .

- ٣ -

## الملك الارامية

### في جزيرة الفرات وسورية

ان أول ذكر صريح للاراميين في مجال الحكم والسلطان هو ما ورد في سفر القضاة ( الاصحاح ٣ ) من خبر استعباد كوشان وشعنائيم ملك آرام النهرين بني اسرائيل مدة ثماني سنين .

(٢) ج ١ صفحة ٤٧-٤٩

(١) صفحة ٦٦

وكان هذا الحادث حسب تسلسل الاحداث التي تزويها أسفار العهد القديم بعد زحف بني اسرائيل على فلسطين واستقرارهم فيها بأمدمما وفي أثناء ما عرف في تاريخ بني اسرائيل بعهد القضاة الذي يخمن انه كان في حدود ١١٥٠-١٠٥٠ ق م وكان حسب رواية السفر أول ضربة نزلت ببني اسرائيل في هذا العهد . وهذا يعني ان الحادث وقع في حدود سنة ١١٣٥ ق م كما قد يعني انه كان للاراميين في أواسط القرن الثاني عشر أو قبلها دولة قوية في حوض الفرات استطاعت أن تكتسح جميع سورية ثم شرق الاردن ثم فلسطين بل ان العبارة قد تعني ان كوشان كان ملك جميع الاراميين .

وبعض الباحثين يخمنون ان هذا الملك آشوري (١) . ولقد انتعشت فعلا مملكة آشور بعد فترة ارتباك في عهد تاغلث بلاسر الاول ١١١٥-١١٠٠ وعرف من آثاره انه قام بمجملات عديدة نحو بلاد ما بين النهرين وحوض الفرات وقاتل الحثيين والاراميين واخضعهم واستولى على كركميش عاصمة الحثيين ثم فرض سلطانه على بلاد سورية الشمالية ثم اتجه نحو لبنان وفرض سلطانه على فينيقية ونصب تذكاراً لانتصاراته عليه صورته . ونحو حروبه على صخرة على ضفة نهر الكلب ما يزال قائماً إلى الآن (٢) . ولا دليل على زحفه على فلسطين وان كان ذلك محتملاً . غير ان الاسم المذكور في سفر القضاة ووصفه بعيدان عن اسم تاغلث بلاسر ووصفه كما ان الظرف الذي وقع فيه الحادث اسبق من ظرف ظهور ونشاط تاغلث .

على ان ما ذكرناه قبل عزواً إلى سيرة سلمناصر الاول ملك آشور يؤيد وجود ممالك آرامية في حوض الفرات في القرن الثالث عشر كما هو المتبادر .

والمتبادر ان الاراميين عادوا فاستأنفوا نشاطهم بعد ضربة سلمناصر الاول وقوا . وطمحوا الى الامتداد بسلطانهم إلى بلاد الشام الاخرى فكان من ذلك حركة كوشان شعنائيم التي ذكرها سفر القضاة .

وفي الاصحاح الثامن من صموئيل الثاني ( الملوك الثاني في النسخة الكاثوليكية ) اسم مملكتين آراميتين اخريين هما صوبه وحماه وذلك في سياق ذكر نشاط داود ملك بني اسرائيل حيث ذكر انه ضرب هدد بن عازر بن رحوب ملك صوبه واخذ منه الفأ

(١) انظر مقال العبرانيين للديس ص ٢٢٤

(٢) انظر تاريخ الجنس العربي ج ٣ ص ٧٧-٨٢ وكتاب لبنان لجنة الادباء ص ١١٠



وسبعمئة فارس وعشرين ألف راجل وعرب خيل المركبات حذا مئة منها أبقاها لنفسه وإن آرامي دمشق جاؤوا لنجدة هدد فقتل داود منهم ٢٢٠٠٠ وأقام محافظين في دمشق وإن نوعي ملك حماه سمع بما فعله داود فأرسل إليه ابنه يورام ومعه أوان من الفضة والذهب والنحاس هدية وليحييه ويباركه لأنه كان بينه وبين هدد حرب وعداء . والسياق قد يفيد أنه كان في دمشق مملكة آرامية أيضاً . ومملكة صوبه هي بجاورة المملكة حماه وكانت تشمل مناطق تدمر وبيروود والنبك والقريتين على ما يخمنه منسرو الاسفار (١) وقد يفيد السياق أن مملكة صوبه كانت في هذا الظرف أبرز أو أقوى الممالك الارامية في سورية . وزمن داود بصادف أواخر القرن الحادي عشر ( حوالي ١٠١٥-٩٧٥ ق م ) حيث يفيد أن الاراميين عادوا فاستأنفوا نشاطهم في مجال الحكم والسلطان والقوة بعد ضربة تغلات بلاسر .

وبالإضافة الى الممالك الارامية الثلاث التي ذكرت في الاصحاح الثامن من سفر صموئيل الثاني فقد ذكر الاصحاح العاشر أسماء ثلاث ممالك أخرى هي بيت رحوب ومعكة وطوب . وذلك في سياق خبر الحرب بين داود وبني عمون حيث ذكر الاصحاح أن بني عمون استأجروا من ملك معكة ألف رجل ومن رجال طوب اثني عشر ألف رجل ومن آرامي بيت رحوب وآرامي صوبا عشرين ألف رجل ، وقد وصف الاصحاح جميعهم بوصف الاراميين .

وبما ذكره الاصحاح أن جيش داود تمكن من كسر وهزيمة الاراميين والعمونيين . وإن ذلك صعب على هدد عازار ( ملك صوبه ) فبحشد جميع الاراميين بقيادة قائد جيشه شوباك لقتال داود وزحف داود عليهم في حيلام وهزمهم وأهلك منهم سبعمئة مركبة وأربعين ألف فارس وقتل شوباك . ولما رأى جميع الملوك - والمقصود ملوك الاراميين- أن عبيد هدد عازر قد انكسروا أمام اسرائيل ذعروا وهربوا ومعهم ثمانية وخمسون ألفاً وصالحوا اسرائيل وتعبدوا لهم وخافوا أن يعودوا إلى نجدة بني عمون . وفي هذا تأييد آخر على وجود الاراميين وممالكهم ونشاطهم أيضا بقطع النظر عن مبالغات الارقام . ومنسرو الاسفار يخمنون أن موقع مملكة معكة في جنوبي صوبه أو في شرقي رحوب وتمتد قليلا في سهل الحولة وتتصل بالجبل المسمى اليوم جبل حيتس في جنوبي جبل الشيخ ،

---

(١) انظر مقال في العبرانيين للديس ص ٢١٠

وان بيت رحوب هي السماء اليوم هوين في الشمال الغربي من بحيرة الحولة وان بملكته  
كانت تشمل سهول الحولة إلى بانياس ، وان موقع طوب هو منحدر جبل الشيخ في الجهة  
المعروفة بالبلاس .

ولقد ورد في احد نقوش سلناصر الثالث (٨٦٥-٨٢٥) انه فتح مئة مدينة من مدن  
آرام وأحرقها . وفي نقش آخر له انه فتح تسعاً وثمانين مدينة أخرى من مدن حماه (١) .  
والمقتضي أن يكون بعض المدن المئة السابقة كراسي ممالك وامارات آرامية حسب ما  
كان جارياً في ذلك الظرف .

ولقد جاء تعبير ملوك آرام صراحة في نقش لتاغلالات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٥) حيث  
ذكر ان ثمانية عشر ملكاً من ملوك آرام من جملتهم ملوك حماه وبيلا ودمشق قدموا اليه  
ولاءهم وهداياهم (٢) . ولقد جاء في سفر الملوك الأول (الثالث في النسخة الكاثوليكية)  
ان ملك دمشق جمع اثنين وثلاثين ملكاً معه وغزا دولة اسرائيل . وهذا وذاك يدلان  
على ما كان للآراميين من انتشار ونشاط في مجال الحكم والسلطان على مسرح هذه البلاد  
منذ القرن الثالث عشر .

ولقد عرف بالإضافة إلى ما سبق اسماء عدد غير قليل من ممالك الآراميين وملوكهم  
ومدنها ورد ذكرها في نقوش الآشوريين وأسفار العهد القديم .

فما ورد في نقوش الآشوريين اسماء ممالك شمال وبيت كوسى أو أكواسى وكركم  
وموحرى وميلدا واقوا وأمرسو وأونى وكاجين في شمال سورية وبيت زمانى وزوفى  
وبيلدا ولاقى وبيت ادبى وباتين وبادي في جزيرة الفرات . وما عرف من هذه النقوش  
من اسماء الملوك الآراميين احونى ملك بيت ادبى وحبانى ملك زوخى وامين بعل  
وبورمان وأورنيتا ملوك بيت زمانى وحبانى ملك شمال وكوبودو وترحولا من ملوك  
كركم وكوبودا ولوبارنا من ملوك باتين ومريحا ملك أمرسو وكندوشى ملك كاجين  
وارامى ومتيلا من ملوك كوسى وليلى ومتيلا من ملوك ميلدا وعازر ياهو ملك بادي  
وتومان ملك أونى وترحونا ملك بيلدا وابن هود واداد يدري وحزائيل ورسين من ملوك  
دمشق وايل بودى وارحو لبيى من ملوك حماه واوربعل ملك قوا (٣) . وقد قرئ على

---

(١) تاريخ كادة واشور ج ١ ص ٦٥-٧٤

(٢) ٧٩ ٧٧

(٣) انظر الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربى ص ٨٤ وبعدها

نصب تذكري اسم زاكر ملك حماه . وقد أقامه ذكرى لنجاته من هجوم سبعة عشر ملكاً منهم ملوك دمشق وشمأل وعدد من المدن الفينيقية واللحمة العربية قديمة بأدية على الاسماء كما هو ظاهر .

ومما ورد في أسفار العهد القديم اسم خدراك كعاصمة لمملكة آرامية اسمها ولعش وموقعها جنوبي حماه وغربي قطنة ( ذكر الاسم في سفر زكريا الاصحاح ٩ والتفسير في كتاب حتي ص ١٨٤ ) . ثم اسم بنهدد بن حزبون ملك آرام دمشق ( سفر الملوك الاول في النسخة البروتستانتية الاصحاح ١٥ ) . والحادث الذي ذكر في مناسبته وقع على ما يخن حوالي ٩١٠-٩٠٠ ق م . ثم اسم بنهدد آخر ( نفس السفر الاصحاح ٢٠ ) والحادث الذي ذكر في مناسبته وقع ما يخن حوالي ٨٧٠-٨٥٠ ق م ومن المحتمل أن يكون هذا هو أبو اداد ( هدد ) يدري بن بنهدد الذي ذكر في النقوش الاشورية .

وقد ذكر فيليب حتي ( ص ١٨٣ الترجمة العربية ) خبر اكتشاف نصب نذري يرجع إلى نحو عام ٨٥٠ ق م كتب عليه العبارة التالية باللغة الآرامية « النصب الذي أقامه بارحدد ( بن حدد ) ابن طان رمان ابن حاديان ملك آرام لسيده ملقارت وقد نذره له لأنه أصغى الى صوته » والأسماء المذكورة في هذا النص هي نفس الاسماء المذكورة في الاصحاح ١٥ من سفر الملوك الاول بشيء من التحريف كما هو ظاهر .

وهكذا يكون لدينا سلسلة للملك دمشق تتألف من :

- ١ - حاديان ٢ - طبرمان ٣ - بنهدد الاول ٤ - اداد يدري ٥ - بنهدد الثاني
- ٦ - حزائيل ٧ - بنهدد الثالث ٨ - رصين .

ولقد ورد في النقوش الاشورية (١) اسماء عدد كبير من عواصم ومدن الاراميين بما لم يذكر قبل مثل خيداني وخايريدي وعانه من مدن مملكة زوخي وكنالو عاصمة باتين واري عاصمة بيت كوسى قرب جبال الامانوس التي وصفت بأنها كانت حصينة جداً وكنيالو عاصمة أونقي وقرابي وسوحي ودياني وايزيتي من مملكة بيت اديني وبقرحبوني عاصمتها ومركاسى ( مرعش اليوم ) عاصمة كركم وادين وبراغا وارغانا وقورق من مدن حماه واربادا من مدن كوسى وسور ونودباريا وربكا من مدن كاجين .  
والثغرات مع ذلك تظل واسعة جداً بين ما عرف وذكر اسمه وبين ما هو مفروض

---

(١) الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٨٤ وبمدها

وجوده وممالك وملوك ومعالم حضارة كما هو ظاهر .

وهناك الى هذا مدن عديدة من التي ذكرت في النقوش غير موجودة اليوم والمرجح انها مطبورة .

ولقد جرت في سنة ١٨٩١ ب م تنقيبات في قرية زنجيري عثر فيها على قصر الملك بور كب بن بنو ملك مملكة شأل على ما عرف من نقش أمر بنقشه هذا الملك (١) . ولم يذكر اسمه ولا اسم أبيه في النقوش الاشورية . ويعود هذا النقش إلى زمن تغلات بلاسر الثالث الاشوري (٧٤٥-٧٢٥) ق م وقد أوردنا نصه في مطلع هذا الجزء .

وفي نفس السنة جرت تنقيبات في قرية نيرب شمال حلب فعثر فيها على مقبرة لكاهن آرامي اسمه ششتو على ما عرف من نقش فيها أوردنا نصه كذلك في مطالع الجزء (٢) .

ولقد جرت عام ١٩٥٦ تنقيبات في تل يقع على بعد ٣٥ كيلو متراً شمال حلب اسمه تل رفاه في منطقة تنص بالتلال الاثرية اعتاد أهلها العثور على قطع أثرية واستوفت بعد توقف عام ١٩٥٩ فظهرت نتيجة للتنقيبات أنقاض مدينة أرباد عاصمة مملكة آرامية كانت تسمى بنفس الاسم ، وعرف انها تعرضت في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد لغزوة آشورية ذبح من أهلها فيها عدد عظيم وأشعلت فيها النيران فدمرت أقساماً كثيرة منها أو معظمها . ومع ذلك فالآثار الباقية تدل على انها كانت مدينة كبيرة حافلة بمخلفات راقية ووصل سكانها الى مستوى ممتاز في العيشة وأسباب الترف . ولم تنته التنقيبات والدراسات حيث تعزم البعثة البريطانية التي اضطلعت بها باشراف ومشاركه مديرية الآثار السورية متابعة التنقيب من جهة ودراسة ما عثر عليه من آثار قائمة وقطع أثرية متنوعة للتعرف على حالة المملكة وحضارتها (٣) .

ومما لا ريب فيه انه لو جرت تنقيبات جادة في سورية وحوض الفرات وهو ما نرجوه ومما تدل الدلائل على انه موضع عناية وانجام — لاكتشف كثير من مدن الاراميين وآثارهم ولعثر على كثير من تسجيلاتهم التي من شأنها أن تسد الثغرات الواسعة في الاسماء وان تمدنا بمعارف كثيرة عن نشاطهم وآثارهم المتنوعة .

---

(٢٠١) انظر تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفسون ايضاً ص ١٢١-١٢٣

(٢) جريدة النصر الدمشقية عدد ٤٦٧٧ ، وتاريخ ٩ ايلول ١٩٦٠ عزوا الى الاستاذ درويش زهدي

حافظ المتحف السوري

# صور متنوعة من الاحداث

## بين الممالك الآرامية والدول الاخرى

لقد أوردنا قبل نقلا عن الاصحاح الثالث من سفر القضاة خبر زحف شعنائيم ملك آرام النهرين في أواسط القرن الثاني عشر واكتساحه سورية ثم فلسطين . فاذا صحت هذه الرواية فيكون هذا الزحف في رأس قائمة هذه الصور لأنه أول حادث يروى عنهم وهو حادث قوي يدل على ما كان لهم في ذلك الظرف من قوة وحوالة .

أما ثاني حدث مروي لهم فهو ما ذكر في نقوش تاغلات بلاسر الاول (١) من زحفه على ما بين النهرين وتغلبه على الاراميين فيها بدون بيان آخر على ما أوردناه قبل .

وثالث حدث هو حرب داود مع مملكة صوبه التي ورد خبرها في الاصحاح (٨) من سفر صموئيل الثاني وأوردناه قبل أيضاً والتي كانت في أوائل القرن العاشر أو أواخر القرن الحادي عشر لأن حكم داود كان تقريباً حوالي ١٠١٥-٩٧٥ ق م .

ومقتضى رواية الاصحاح ان داود تغلب على جيش مملكة صوبه وهزمه وهزم آرامي دمشق الذين جاؤوا لنجده وفرض سلطانه عليهم .

ومما ذكر في الاصحاح في سياق الخبر ان داود اخذ من ناطح وبيروتاي مدينتي هدد وعازر نحاساً كثيراً جداً وان توعي ملك حماه أرسل اليه مع ابنه آنية من الفضة والذهب والنحاس . حيث يدل هذا على غنى الممالك الآرامية بالمعدن وتقدم صناعة الاواني النضية والذهبية والنحاسية فيها .

ورابع حدث مروي لهم كان بينهم وبين داود أيضاً . وهو ما ذكره الاصحاح العاشر من السفر نفسه وأوردناه قبل . وهو استئجار العمونيين مقاتلين من آرامي صوبه وبیت رحوب وطوب ومعكه للوقوف معهم ضد داود .

والخبر في حد ذاته ينقض الخبر السابق باستعباد داود للاراميين أو يفيد على الأقل انهم تغلبوا من سلطانه بعد مدة قصيرة . وقد روى الاصحاح أن داود انتصر عليهم وهزمهم .

ورابع حدث لهم كان ذلك بينهم وبين داود وهو ما ورد في الاصحاح نفسه وأوردناه قبل أيضاً وهو حشد ملك صوبه الاراميين وملوكهم لأخذ ثأر الهزيمة من داود . وقد زحف داود عليهم وكسبرهم وجنح ملوكهم إلى مصالحته نتيجة لذلك على ما ذكره

---

(١) الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٧٧-٨٢

الاصحاح .

وعشرات الالوف من المقاتلين والفرسان ومئات المركبات التي ذكرها الاصحاح في سياق الاحداث السابقة تدل على ما كان عليه الاراميون من قوة وتنظيم .  
ومقتضى سياق هذه الاحداث ان مملكة صوبة كانت في عهد داود مركز الثقل والنفوذ بين الممالك الارامية .

وخامس حادث من احداثهم كان بين مملكة دمشق الارامية في عهد ملكها بن هدد بن طبريمون بن حزبون وبين مملكتي يهوذا واسرائيل اليهوديتين في فلسطين ، نتيجة لاستنجد آسا ثالث ملوك يهوذا منه حينما اراد بعشا ثالث ملوك اسرائيل غزو بلاده على ما جاء في الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الاول . وقد ارسل آسا إلى بن هدد جميع ما في خزانته وخزائن المعبد وقال له ان بني وبينك وبين أبي وأبيك عهد فانقض عهدك مع بعشا حتى ينصرف عني . فلباه وزحف على مملكة اسرائيل وضرب عيون وابل بيت معكة ودان وكنزوت وجميع أرض نقتالي في شمال فلسطين ، مما اضطر بعشا إلى الكف عن حركة غزو يهوذا .

وهذا الحادث وقع في أواخر القرن العاشر حوالي ( ٩١٠ - ٩٠٠ ق م ) تقريباً .  
والخبر يفيد ان صلات عهد داود كانت قائمة بين هذه المملكة ومملكتي اليهود .  
ولقد ذكر فيليب حتي دون ذكر مصدر ان مملكة دمشق كانت غدت حوالي سنة ١٠٠٠ ق م مملكة كبرى تمتد الى الفرات من جهة والى اليرموك من جهة أخرى وكانت سورية الداخلية شرقي لبنان وسورية الشمالية تحت سلطتها الاكيدة (١) وهذا محل توقف . فقد كان عدد كبير من الممالك الارامية موجودة الى جانب مملكة دمشق وكل ما يمكن ان يصح وهو ما يؤيده الحادث الذي رواه سفر الملوك ثم الاحداث التي وقعت بعده التي نورد خبرها بعد - ان هذه المملكة صارت الابرز الاقوى التي لها شيء من الهيمنة على الممالك الارامية الاخرى بعد مملكة صوبة التي لم تعد تذكر .

ولقد تكررت الاحداث بين الاراميين ومملكتي اليهود في فلسطين بقيادة مملكة دمشق حسب روايات الاسفار .

من ذلك ما ذكره الاصحاح (٢٠) من السفر نفسه من خبر زحف بنهدد على

---

(١) ص ١٧٧ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ترجمة حداد .

مملكة اسرائيل وحصاره للسامرة عاصمتها . وكان ذلك في زمن آخاب بن عمري ملك اسرائيل الذي كان حوالي ٨٧٠ - ٨٥٠ ق م والاعلم ان هذا الملك هو غير الملك الاول وان كان على اسمه لان المسافة طويلة بين هذا الحادث والحادث السابق .

وقد جاء في الاصحاح في سياق الخبر ان بنهدد جمع كل عسكره ومعه اثنان وثلاثون ملكاً ونخيل ومراكب وصعد وحاصر السامرة وحاربها . ووجه رسلاً الى آخاب يقولون له بلسانه ان فضتك وذهبك هما لي وازواجك وبنوك الحسان هم لي واجاب آخاب قائلاً كما قال سيدي الملك انا وجميع ما هو لي لك . وارجع بنهدد الرسل ثانية ليخبروا آخاب بأنه سيرسل عبيده ليفتشوا بيته وبیت عبيده ويأخذوا كل ما يحلو لهم . ودعا آخاب شبوخ الارض واخبرهم بالخطب . فقرروا وفض التفتيش فانخبر الرسل بهذا القرار قائلاً ان كل مالي هو للملك ولكننا لا نقبل التفتيش . وقد أدى الامر الى الاشتباك الحربي بين الطرفين دارت الدائرة فيه بمعجزة ربانية حسب زعم الاصحاح على الاراميين وقتل منهم مئة ألف واضطر بنهدد الى التخلي عن ما اخذه ابوه من مدن وعقد الصلح مع آخاب على هذا الأساس ! والخبر يؤيد ان بنهدد هذا هو ابن بنهدد الاول .

ومن ذلك ما ذكره الاصحاح (٢٢) من السفر نفسه من إتفاق ملكي يهوذا واسرائيل يوشافاط وآخاب على الزحف على راموت جلعاد - في شرق الاردن - لاستخلاصها من يد ملك آرام . وقد زحف الملكان بقواتهما فارتدت خائبة ولقي آخاب حتفه .

والخبر يفيد ان سلطان الاراميين قد امتد الى هذه المنطقة التي كانت موطناً للاسرائيليين منذ عهد موسى ويوشع . والراجح ان جملة ملك آرام تعني ملك دمشق لانها صارت تعنيه في الاصحاحات التالية ايضاً .

ويظهر ان حركة زحف ملكي اليهود على راموت جلعاد قد جعلت ملك آرام يقوم بحركة مضادة . ففي الاصحاح الرابع من سفر الملوك الثاني خبر غزوة آرامية لارض مملكة اسرائيل وسبي فتاة منها . وفي الاصحاح الخامس خبر مفاده ان هذه الفتاة صارت خادمة عند زوجة نعمان رئيس جيش ملك آرام . وفي الاصحاح السادس من السفر المذكور آتياً عبارة « وكان ملك آرام يحارب اسرائيل » ثم سياق يذكر ان بنهدد ملك آرام جمع عسكره وصعد الى السامرة وحاصرها محاصراً شديداً فأصابها جوع شديد

حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع الثوب من ذبل الحمام بخمسة من الفضة وأكل الناس أنباعهم . وفي الأصحاح السابع خبر فك الآراميين الحصار وانهم تاركين خيامهم وأثقالهم ومؤنهم غنيمة باردة الاسرائيليين نتيجة المعجزة البانية . لأن الرب حزن على ما حل في اسرائيل من خوف وجوع ...

وهذا الحادث في زمن الملك يورام بن آخاب الذي كان حكمه حوالي ٨٤٨ -

٨٣٦ ق م .

وفي الأصحاح الثامن خبر زحف اغزيا ملك يهوذا مع يورام ملك اسرائيل على راموت جلعاد ثانية لقتال حزائيل ملك آرام حيث يفيد هذا ان الملكين اقدا على ذلك كجواب لزحف بنهدد على اسرائيل .

والظاهر ان بنهدد كان قد توفي في هذه الاثناء وتولى ابنه حزائيل محله .

وفي الأصحاح العاشر هذه الجملة « وفي تلك الايام ابتداء الرب يقطع من اسرائيل فصرهم حزائيل في جميع التخوم من الأردن لجهة المشرق جميع ارض جلعاد الجاديين والروبيين والمنسيين ( نسبة الى أسباط جاد وروبين ومنسى الذين كانوا يقيمون في اراض في شرق الأردن ) من عر وعير التي على وادي ارنون وباشان وذلك في زمن ياهو ملك اسرائيل الذي ثار على يورام وقتله وأباد نسله وحل محله حيث يفيد الخبر ان حزائيل كر على دولة اسرائيل بعد اخفاق زحف اغزيا ويورام على راموت جلعاد وسيطر على قسم كبير من مشارقها .

وفي الأصحاح الثاني عشر من السفر نفسه خبر صعود حزائيل إلى جت واستيلائه عليها ثم صعوده إلى اورشليم في زمن ملكها يواش . وقد أخذ هذا الاقداس التي قدسها ملوك يهوذا وكل الذهب الموجود في خزان الرب وبيت الملك وأرسلها إلى حزائيل حتى انصرف عن اورشليم حيث يفيد الخبر والخبر السابق ان دولتي يهوذا واسرائيل غدنا في هذا الوقت تحت رحمة وهيمنة ملك دمشق الآرامي . وهذا الظرف يصادف ٨٢٠ - ٨٣٠ ق م .

وفي الأصحاح الثالث عشر ان غضب الرب اشتد على اسرائيل في زمن يواحاز بن ياهو فأسلمهم إلى يد حزائيل ثم إلى يد ابنه بنهدد ( الثالث ) بعده جميع الأيام . ولم يكن بقي ليواحاز سوى خمسين فارساً وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأن ملك آرام أبادهم وجعلهم مثل التراب الذي يوطأ بالاقدام .. والخبر يفيد استمرار هيمنة مملكة دمشق



على اسرائيل مدة ما . ثم ثقلت منها في زمن يواش بن يواحاز واستودت من بنهدد (الثالث) ما أخذه من يواحاز على ما جاء في الاصحاح الثالث عشر نفسه . وقد استطاع يربعام بن يواش أن يسترد ما بقي في يد الآراميين من أملاك اسرائيل على ما جاء في الاصحاح الرابع عشر .

وفي الاصحاح السادس عشر خبر يفيد انه قام عهد تحالف وتضامن بين رسين ملك دمشق وفتح بن رمليا ملك اسرائيل ، حيث ذكر ان رسين صعد مع فتح إلى اورشليم وحاصرها في زمن الملك آحاز بن يوثام ، وان رسين استرد ايله من اليهود وأعادها إلى الآدوميين . وان آحاز أخذ ما وجده من فضة وذهب في بيت الرب وبيت الملك وأرسله إلى تغلات بلاسر ملك آشور قائلاً له أنا عبدك وابنك فاصعد وخلصني من يد ملك آرام وملك اسرائيل فلباه وصعد إلى دمشق فأخذها وسبأها وقتل رسين . وتغلات بلاسر هذا هو الثالث الذي كان حكمه بين ٧٤٥-٧٢٧ ق م .

ولقد ورد الخبر في سفر أخبار الأيام الثاني ( الاصحاح ٢٨ ) في صيغة أخرى حيث جاء فيها ان الرب أسلم آحاز إلى يد ملك الآراميين فضربوه وأسروا منه جمعاً عظيماً وأخذوا الأسرى إلى دمشق . ثم أسلم آحاز إلى يد ملك اسرائيل ففحق فضربه ضربة عظيمة حتى بلغ ما قتله ١٢٠ ألفاً وما سباه (٢٠٠٠٠٠) وان آحاز استنجد بملك آشور فجاءه تغلات بلاسر وضيّق عليه ولم يؤيده وأعطاه آحاز بعض ما في بيت الرب وبيت الملك وما أخذه من الرؤساء فلم يغن ذلك عنه .

ومع ذلك فان مؤلفي تاريخ كلد و آشور ومقال في العبرانيين يذكران استناداً إلى نقوش وآثار تغلات بلاسر الثالث ان هذا الملك صعد الى دمشق وحاصر رسين وظفر به وقتله بناء على شكوى ملك يهوذا وغدت دمشق بعد ذلك ولاية آشورية (١) .

ولقد كان طراً على مملكة آشور بعد قليل من موت سامنصر الثالث (٢) فكان ذلك مما جعل معظم البلاد الخاضعة لها ومن جملتها بلاد الشام تتنرد وتسترد سيادتها ومما اتاح للملك دمشق واسرائيل ويهوذا حرية الحركة والمصالوة فيما بينهم . ثم برز تغلات بلاسر

---

(١) تاريخ كلد و آشور ص ٨٠-٨٦ و ٤٦٦ و بعدها من مجلد مقال في العبرانيين للدبس

(٢) انظر تاريخ كلد و آشور ج ١ ص ٥٧-٧٧

الثالث ونجح في توطيد النظام وانخضاع البلاد المتمردة ومن جعلتها بلاد الشام ووصين ملك دمشق فجعل ذلك آحاد يستجير به على ما هو المتبادر (١) .

ولقد جاء في الاصحاح (٢٤) من سفر الملوك الثاني ان الرب ارسل على يوباقيم ملك يهوذا وهو من آخر ملوكها ( حوالي عام ٦٠٠ ق م ) غزاة من آرام . ولما كانت بلاد الآراميين في هذا الظرف خاضعة لسلطان بابل وكانت مملكة دمشق قد زالت بعد قتل وصين فتكون الغزوة الآرامية هذه غارة شعبية .

ولقد كان الظرف الذي كانت مملكة دمشق الآرامية التي غدت رأس الممالك الآرامية تنشط فيه يصادف حدوث ارتباكات داخلية في مصر والعراق تمنعها من متابعة خططها في السيطرة والتنافس على بلاد الشام .

ولقد زالت الارتباكات خاصة من المملكة الآشورية منذ القرن التاسع - باستثناء فترة في أوائل القرن الثامن - وأخذ ملوكها ينشطون في سبيل توطيد سيطرتهم على بلاد الشام فلم تستطع مملكة دمشق ولا الممالك الآرامية الأخرى ان تحمي نفسها منهم لأن كلا منها كان محتفظاً بكيانه ولم تستطع أن تكون جبهة قوية متماسكة بوغم ما كان أحياناً من تضامن عابر بينها ، بل وكان أحياناً يقوم بين بعضها جناء وعداء اذا أخذنا برواية سفر صوئيل الثاني عن العداء الذي كان بين ملك حماء وملك صوبه والذي أوردنا خبره قبل .

ولقد بدأ نشاط ملوك الآشوريين في سبيل إعادة سيطرتهم على الممالك المجاورة للعراق في الشمال والغرب والشرق بعد فترة الارتباك التي آلت بالدولة بعد تغلات بلاسر الأول منذ القرن التاسع كما قلنا . ومن أعظمهم آشور بال الثالث ( ٨٨٠-٨٦٠ ق م ) وقد باشر نشاطه منذ اليوم التالي لتتويجه (٢) وزحف بقوات كبيرة نحو الشمال الغربي من العراق فوطد سلطانه على الممالك العديدة التي فيه ثم اتجه نحو الحابور في جوص الفرات فخرج اليه ملوك هذه الانحاء معلنين خضوعهم ومن جعلتهم للاقبون والآراميون الذين كانوا يمتدون بين الحابور والبلخ ثم ملك مملكة حيدانا الآرامية الواقعة على ضفة الفرات الشرقية وفي السنة الثانية خضع له - حوباني ملك زوخى وجاء إلى نينوى وقدم اليه فيها

(١) انرا منيرة تغلات بلاسر في تاريخ كلدان واشور ج ١ ص ٧٧-٨٦

(٢) انرا سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٨٤-٩٠

هداياهم . وقد زحف في هذه السنة على مملكة بيت زمانى الارامية في حوض الفرات وكان ملكها قد تأخر عن اعلان خضوعه فتغلب عليها وعزل الملك ونصب اخاه ارتيانا مكانه واستولى على مقادير كبيرة من العربات والثيران والغنم والذهب والفضة والنحاس والحديد والاقمشة والاولاني الذهبية والعاجية مما يدل على ما كانت عليه هذه المملكة من غنى وازدهار .

وفي السنة التالية أغار على وادي الخابور وضافت الفرات ثانية حيث كان بعض المدن والقبائل والممالك الارامية لم تعلن ولاءها لاشور وكان ملوك زوجي ولائي متفقين سرّاً مع ملك بابل على مناورتها .

وقد أرسل ملك بابل نبو بلدان وهو آرامي الأرومة أيضاً قسماً من جيشه إلى ملك زوجي بقيادة أخيه زبدان وقائده بيل دان تدعيماً للدفاع والمخافة . وقد استطاع اسور ناصر بال أن يهزم جيش ملك زوجي مع جيش ملك بابل وأن يأسر قائد هذا الجيش وأن يستولي على مدن حيداني وخريدي وعانه من مدن مملكة زوجي وأن يعمل يد التخريب في هذه المملكة ثم ينشئ قلعتين منيعتين على جانبي الفرات سمى إحداهما نيبار آشور وثانيتهما كرح آشور . وكانت مملكة بيت اديني التي كانت تشمل ما يعرف اليوم بأقضية عنتاب وروم قلعة وبيرة حلب وسروج ومنبج والرفة ودير الزور لم تعلن خضوعها فزحف عليها في سنة ٨٧٧ ق م وحاصر مدينة قبراني التي هي أمنع مدنها وفتحها وهدم أسوارها وقتل حاميتها ونفى عدداً كبيراً من أهلها مما جعل الملك احوني يسارع إلى إعلان خضوعه بدوره .

وفي سنة ٨٧٦ زحف على جزيرة الفرات أيضاً وتوغل فيها ووطد سلطانه على أنحاء لم تكن موطدة فيها . وكان من جملة ذلك مملكة باتن . وقد زحف على عاصمتها كئالو وضرب عليها الحصار فلم يسع ملكها إلا الخضوع . وقد زحف بعد كئالو على مدينة لوحوتي فقاومته فدمرها ونهبها .

وخلف هذا الملك ابنه سلمناصر الثالث (٨٦٠-٨٢٥) وكان على غرار أبيه شجاعة ونشاطاً واقداماً . وقد بلغت غزواته ٣٢ وتكررت حملاته على بلاد الحثيين والاراميين والفينيقيين في جزيرة الفرات وسورية ولبنان مما يدل على أن هذه البلاد كانت تتمرد مرة بعد مرة (١) .

---

(١) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي من ٩١-١٠٠

والتد كانت الممالك الارامية والحيشية والارمنية من أول من تمرد على سلمان آشور بعد وفاة اسور ناصر بال . وكان من جملة ذلك اخوني ملك بيت اديني وملوك كركم وشمال وقوا وباتين من الاراميين . فزحف نحوها وتداى الملوك الى الوقوف في وجهه ولكنه انتصر عليهم ونكل بهم وفرض سلطانه عليهم ووصل إلى جبال الامانوس وقطع خشب الارز والصنوبر منه ثم اتجه نحو سورية وفينيقية فسارع ملوكها الى اعلان خضوعهم وتقديم هداياهم

ولم يكذب يعود إلى نينوى حتى عادوا إلى التمرد فسارع إلى الزحف وكسر أولا اخوني ملك بيت اديني ثم عبر الفرات وأخذ يكتسح مدنها واحدة بعد أخرى ثم اتجه نحو سورية الشمالية وفعل فيها مثل ذلك مما اضطر ملوك هذه الانحاء الى الخضوع والرضوخ . وكان من جملتهم ملوك باتين وشمال وكوسى الاراميين .

وفي السنة التالية (٨٥٨) ق م عاد إلى حوض الفرات لمطاردة ملك بيت اديني الذي كان فر من وجهه واحرق مدينة اسمها ايزني ونهب مدن سوخي وزباني من مدن المملكة وبعد ذلك أخذ يطارد الملك من مكان إلى مكان ويدمر ما يقف في طريقه حتى حصره في تلال شيتامرات في الجانب الايمن من الفرات وشدد عليه الحناق حتى تمكن من أسره مع عدد كبير من رجاله وأخذهم إلى آشور .

وبعد أن ذلت له مملكة بيت اديني التي كانت أقوى بممالك الاراميين في حوض الفرات وشمال سورية اتجهت همته إلى مملكة دمشق التي كانت أقوى بمالكهم في سورية الوسطى . وقد خرج سنة ٨٥٤ وعبر الفرات وعند مدينة بارسيب أناه جميع ملوك سورية الشمالية ليسجدوا له ويقدموا هداياهم ومن جملتهم ارامي ملك اكوسى وليلى ملك ميليدا وحياني ملك شمال وكوبرودا ملك باتين وكوبرودا ملك كركم . ثم دخل مملكة حماه واستولى على بعض مدنها . وحشد اداد يدرس ملك دمشق حشوداً عظيمة لمقابلته . ومن تضامن معه وأرسل اليه نجداته من ملوك سورية وفينيقية ارحوليبي ملك حماه الذي اشترك بسبعمئة مركبة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل آخاب ملك اسرائيل الذي اشترك بمئتي مركبة و ١٠٠٠٠ راجل وملك قوا الذي أرسل ٥٠٠ راجل وملك موصري الذي أرسل ١٠٠٠ راجل وملك ارقانات (عرقا) الذي أرسل عشرين مركبات وعشرة آلاف راجل وملك اوواد مانيتو الذي أرسل ٣٠٠ راجل وملك اوسنات في فينيقية الذي أرسل ٢٠٠ راجل

وملك شيبانا في فينيقية الذي أرسل ٣٠ مركبة وعشرة آلاف راجل وجنوب ملك العرب الذي اشترك بـ ١٠٠٠ رجل وبعشا ملك العمونيين الذي أرسل ١٠ آلاف راجل . وكان مجموع القوات التي اجتمعت تحت قيادة اداد ٧١٩٠٠ راجل و ١٩٠٠ فارس و ٣٩٤٠ مركبة و ١٠٠٠ رجل .

ونشبت المعركة بين الطرفين عند مدينة قرقر في جهة حماه فكتب النصر للاشوريين وقتل من الطرف الثاني مقتلة عظيمة . وقد سجل سمانصر هذه الواقعة في أكثر من نقش من نقوشه التي عثر عليها وذكر أرقام النجيدات وأسماء المنجدين المذكورة اعلاه ووصف ما كان من كثرة القتلى الذين ضاقت بهم الارض والصحراء ونهر اورانت العاصي وما أخذه من غنائم ومركبات وأسرى .

ومع ذلك فان الممالك الارامية والحثية تمردت بعد فقوله فعاد اليها سنة ٨٥٠ ونكل بالحيشيين اولاً ثم حمل على اكوسى الارامية وفتح عاصمتها ارني مع مئة من قراها . وعادت ايضاً للتمرد فعاد اليها في السنة التالية ونهب مدن الحيشيين ومملكة كوسى وسار الى مملكة باتين واخذ منها الفدية . وكان اداد يدري ملك الشام من جملة المتمردين وقد جمع حشودة وحشود حلفائه فزحف سمانصر عليهم والتقى بالقوات المتحالفة قرب حماه وكسرها . وعادت مملكة بيت اديني التي كانت اقوى واكبر الممالك الارامية في الفرات وشمال سورية الى التمرد فزحف عليها سنة ٨٤٨ واخضعها وعادت مملكة دمشق الى التمرد فزحف عليها سنة ٨٤٦ وانتصر عليها وعلى حلفائها الذين احتشدوا معها ايضاً . ومات اداد يدري بعد قليل وآل العرش الى حزائيل فتمرد بدوره على آشور واتخذ من جبل سائير معصماً . فزحف سمانصر عليه وجاصره وشدد عليه حتى جره الى المعركة وانتصر عليه وقتل ١٦٠٠٠ من رجاله و ٤٧٠ من فرسانه واستولى على ١١٢١ مركبة . وكان يقطع الاشجار وينهب القرى في طريقه وتوغل في جبال حوران وغنم غنائم عظيمة ثم اتجه الى فينيقية ونقش صورته على صخرة نهر الكلب بجانب صورة تغلات بلاسر . وكان ذلك سنة ٨٤٤ . وعادت البلاد الى التمرد فزحف في سنة ٨٤١ على حوض الفرات وشمال سورية ووصل الى جبل اللكام منكلامدمراً . وعاد سنة ٨٤١ فحضر مملكة قوا الارامية . وعاد سنة ٨٣٩ الى سورية وفتح أربع مدن من مدن حزائيل ملك دمشق الذي يظهر انه عاد الى التمرد . ولم يباشر سمانصر بعد ذلك حرباً . وفي هذه الفترة تمردت مملكة باتين على ملكها الخاضع لاشور لوبارنا وبايعت ملكاً آخر اسمه سوري فسير سمانصر حملة دخلت عاصمتها

عنوة وقبضت على الملك الجديد وصلبته مع رجاله وانصبت ملكاً جديدا تعهد بالخضوع .

ولما آل الملك بعد سلمانصر الى ابنه شمس اداد (٨٢٥ - ٨١٢) تمردت عليه البلاد مرة بعد مرة وتكررت زخوفه بسبيل تنكيلها . وكان ينقش أخبار ذلك . وقد ذكر في نقوشه ملكاً اسمه ماري وقال انه حاصره في عاصمته وأخذ جميع كنوزه وثروته ومن ذلك ٣٣٠٠ وزنة فضة و ٢٠ وزنة ذهب و ٣٠٠٠ وزنة نحاس و ٥٠٠٠ وزنة حديد وثياباً مزركشة وسيراً وعرشاً من العاج .

والم بالملكة الاشورية بعد هذا ارتباك فتفلتت الممالك الآرامية في حوض الفرات وسورية في جملة من تفلت وتمرد من البلاد الخاضعة لها ومارست سيادتها . وتصادف هذه الفترة لظرف اشتداد هجمات خزائيل وابنه بنهد من ملوك دمشق على مملكتي اسرائيل ويهوذا على ما مر بيانه .

وفي سنة ٧٤٥ استولى على الحكم تغلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧) (١) وبدا منه نشاط عظيم فوطد سلطانه أولاً ثم أخذ يزحف على البلاد المتمردة وينكل بها ويخضعها . وقد سار على أسلوب جديد حيث صار يجعل الممالك التي يخضعها ولايات آشورية وقيم حاميات فيها وينفي ما شاء من أهلها في حين كان أسلافه يكتفون بالفتح والنهب وفرض الجزية ويقيمون الملوك على رأس ممالكهم .

وكان من أول أعماله تأديب الآراميين الذين كانوا يمتدنون على سواحل القنوات المحفورة بين دجلة والفرات وسواحل الدجلة في حدود عيلام والذين أقاموا فيها ممالك صغيرة عديدة أشهرها بيت دقوري وبيت أموقاني وبيت شيلاني وبيت شلانا ونبطا وبوقودا وكمبولا وابتوعا . والابتوعيون خاصة كانوا الأقوى وقد مدروا سلطانهم الى سواحل الزاب الاصغر (٢) .

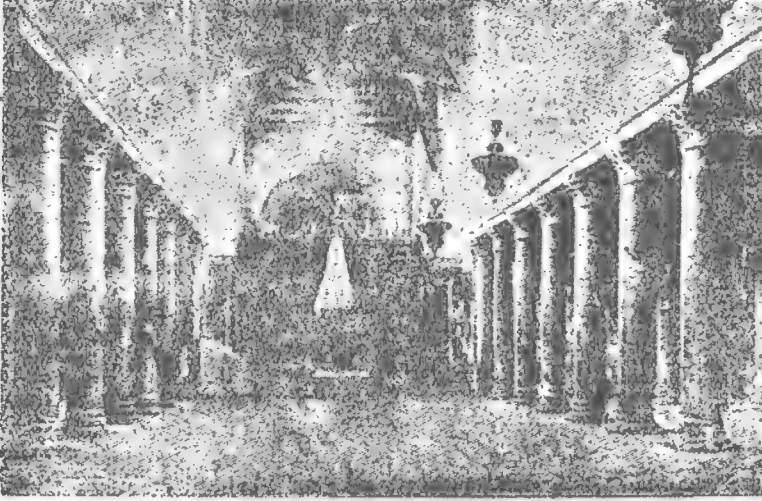
ثم أخذ يوجه همه الى البلاد المتمردة خارج العراق شمالاً وشرقاً وغرباً . وقد زحف في سنة ٧٤٣ على مملكة بيت اكوسي وحاصر عاصمتها اربي او ارباد الواقعة قرب جبل الامانوس والتي كانت حصينة جداً ولها السطوة على جميع البلاد التي بين الفرات والامانوس

(١) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١٠٢ - ١٠٨

(٢) لم تذكر هذه الممالك في عداد الممالك الآرامية في حوض الفرات لانها كانت داخل حدود العراق

على ما يفيد وصف المؤلف الذي ذكر حبرها انظر تاريخ كلدان واشور ج ١ ص ١٢١ - ١٢٠ وقد ذكرناها في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ٦٦ وما بعدها

وقد طال حصارها ثلاث سنين وتمكن من فتحها وخرّبها ضربة شديدة . وحينئذ تقاطر عليه ملوك وأمراء البلاد يعلنون خضوعهم ومن جملتهم توحولا ملك كركم واور بعل ملك قوا ورسين ملك دمشق من الاراميين . وتحلف توتاما ملك اونقي فزحف على عاصمته كينالو واستولى عليها ونهبها . وقد جعل مملكتي بيت اكوسي واونقي ولايتين آشوريتين ، فزال بذلك السلطان الارامي منها .



كنيسة المهد وبيت لحم حيث ولد المسيح

وفي سنة ٧٣٩ نجحت حركة تمرد في جميع سورية الشمالية حيث تحالف ياهو ملك بادي مع تسعة عشر ملكاً من ملوك البلاد الممتدة من حماه الى البحر المتوسط ومن كليشيا الى دمشق فزحف تغلات بلاسر وانتصر على القوات المتحالفة وأخضع بلادها ونفى كثيراً من أهلها . وحينئذ سارع ثمانية عشر من ملوك الآراميين وغيرهم ومن جملتهم ملوك صور وحماه وميلدا والتوبال وزبيبي ملكة العرب ومناحيم ملك اسرائيل ورسين ملك دمشق الى إعلان خضوعهم وتقديم هداياهم .

وفي هذه الفترة تحالف رسين مع فقح ملك اسرائيل ضد ملك يهوذا فاستنجد هذا بتغلات بلاسر فزحف على مملكة دمشق للتكامل بوسين وانخرم هذا من أمامه ونحصر في جبل لبنان الشرقي فحاصره وضيق عليه إلى أن ظفر به وقتله واسر ثمانية آلاف من جيشه ونظام وصير دمشق ولاية آشورية ، وبذلك زال السلطان الآرامي منها أيضاً . وقد

قدم عليه في هذه السفرة خمسة وعشرون ملكاً من ملوك بلاد الشام فقدموا اليه الهدايا النفيسة واعلنوا خضوعهم وولاءهم .

وفي زمن سلمناصر الخامس ابنه الذي خلفه ( ٧٢٧-٧٢٢ ) حافظت الممالك الارامية على هدوئها . ولكنها عادت فتمردت في زمن مرجون الثاني الذي خلفه ( ٧٢٢-٧٠٥ ) بزعامة ايل بودي ملك حماه بتحريض من نجوريس ملك مصر وطردت الولاة والحاميات الآشورية من دمشق وبيت كومي وغيرها وقام ملك جديد اسمه ميتلا في بيت كومي .

وقد اندمج في التمرد ملوك اسرائيل ورفاح وغزة ايضاً . وقد زحف مرجون<sup>١</sup> وانشب القتال مع القوات المتحالفة من بهه قورق فدارت الدائرة على هذه وظفر بملك حماه فسلخ جلده ثم زحف على فلسطين فنسف مملكة اسرائيل ونفى اهلها ثم زحف نحو غزة فاستولى عليها واسر ملكها حنون ونهب رفاع وسبى تسعة آلاف من سكانها .

ومع ذلك فقد اعلنت البلاد العصيان في سنة ٧١٥ وامتد حتى شمل سورية الشمالية ولكن مرجون قمع العصيان ووطد سلطانه ثانية .

وفي سنة ٧١٣ اغار على مملكة كارلا لان اهلها ثاروا على الحاكم الذي نصبه مرجون وعينوا مكانه آخر فلم يكن من هذا الا ان سارع الى اعلان خضوعه وتقديم هداياه حتى رضي عنه . وجاءه ملوك بيت ديوكا والبي وابريا حاملين هداياهم .

وفي سنة ٧١٢ زحف على ميلدا لان ملكها ترحونازي امتنع عن الجزية - وهي ارامية - فانتصر عليه واسره مع افراد اسرته وجعل مملكته ولاية آشورية . وكانت ترخولا ملك كركم موالياً خاضعاً فثار عليه ابنه وقتله فحمل في سفرته هذه على عاصمتها مركامي واستولى عليها ونكل بأهلها وملكها الجديد وصيرها ولاية آشورية .

ولما آل الملك الى سنجاريب ابن مرجون ( ٦٠٥ - ٦٨٠ ) نجحت حركة عصيان واسعة في جميع بلاد الشام وحوض الفرات بتحريض من مصر من ناحية ومن ملك بابل من ناحية اخرى . غير ان هذا سارع الى الزحف<sup>٢</sup> وتمكن من قمع العصيان وتوطيد سلطانه ثانية على سورية وفينيقية وفلسطين وشرق الاردن ونكل بن تلكا عن الخضوع

(١) اقرأ سيرة في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ١٠٩ - ١١٨

(٢) اقرأ سيرته في الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١١٨ - ١٢٧ .



أو راوغ فيه حتى وصل إلى حدود مصر واشتبك مع ملكها .

ولم تعد النقوش والآثار التاريخية تذكر ملوك وممالك آرامية باسماء معينة في حين ظلت تذكر اسماء ملوك وممالك في فينيقية وشرق الاردن وفلسطين في سياق سيرة امرحدون الذي تولى بعد سنحاريب (٦٨٠-٦٦٧) واشوربانيبال الذي تولى بعد امرحدون (٦٦٧-٦٢٨) ثم في سياق سيرة نبولا نصر وابنه نبوخذ نصر ملكي مملكة بابل الكبرى الاخيرة (٦٠٤-٥٦٠) ق م<sup>١</sup> حيث تكرر تمرد هذه البلاد على سلطان اشور ثم بابل بتحريض من مصر وتكرر زحف ملوك آشور وبابل عليها ، وكل ما كان من امر انه كان يذكر جملة « ملوك سورية » الى جانب ذكر ملوك وممالك فينيقية وشرق الاردن وفلسطين ؛ مما يمكن ان يدل على أنه لم يعد في بلاد الشام وحوض الفرات ممالك آرامية بعد تنكيل تغلات بلاشر ثم سرجون بملوكها وتحويلها الى ولايات او دلى الاقل لم يبق فيها ملوك اراميون اقوياء استطاعوا ان يلعبوا دوراً مهماً على مسرحها منذ القرن السابع .

وفي سنة ٥٤٩ ق م استولى الفرس بقيادة كورش على مملكة بابل وفرضوا سلطانهم على حوض الفرات وبلاد الشام جميعها ومصر . وجعلوا حوض الفرات وسورية وفينيقية ولاية واحدة باسم الولاية الخامسة<sup>٢</sup> ومع انه عرف انه بقي ملوك على رأس بعض ممالك فينيقية وارمنية على ما مر بيانه في فصلي فينيقية وشرق الاردن فانه لم يعرف انه كان ملوك آراميون على ممالك آرامية في سورية وحوض الفرات في عهدهم .

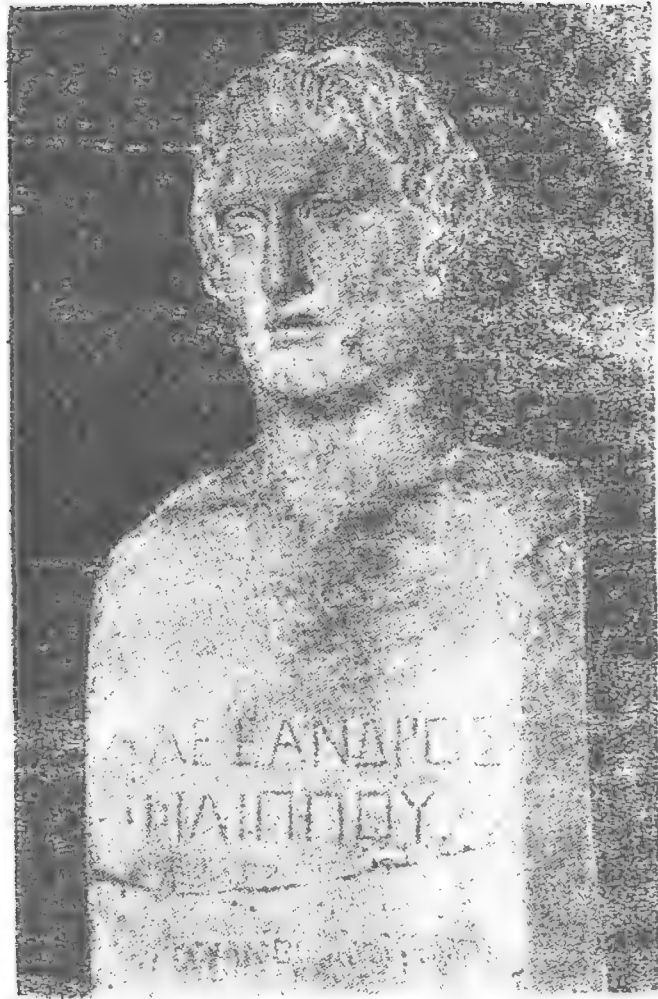
ولقد امتد هذا العهد نحو مئتي سنة . ثم زحف الاسكندر المكدوني دلى بلاد المشرق سنة ٣٣٣ ق م فنسف دولة الفرس واستولى على بلاد الشام ومصر ؛ ولما مات قامت في مصر دولة البطالسة اليونانية وقامت في سورية دولة السلوقيين اليونانية . وكانت عاصمتها انطاكية .

ولم يعد الاراميون يلعبون على مسرح سورية وحوض الفرات دوراً في مجال الحكم والسلطان . وظل الامر كذلك في عهد الرومان الذين فوضوا الحكم اليوناني في القرن الاول قبل الميلاد واحلوا حكمهم محله الى ان جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية

---

(١) انظر الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي ص ١٢٧-١٥٨ .

(٢) كتاب فيليب حتي ص ٢٤٢



تمثال الاسكندر الكبير

الاسلام فحررت هذه البلاد من الرومان ووطدت فيها السلطان العربي الصريح .

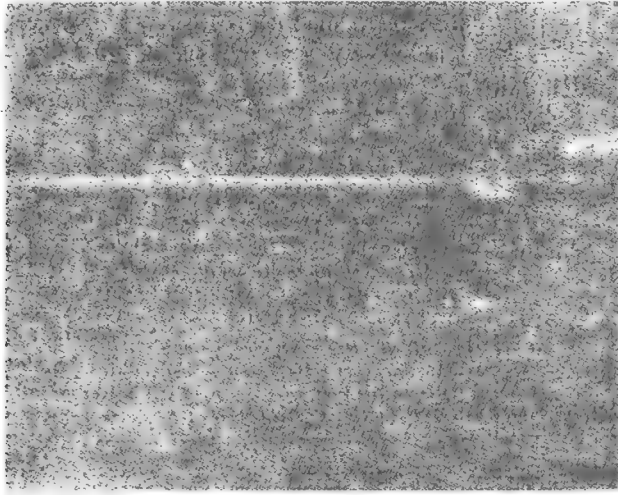
## تجارة الاراميين ولغتهم وحياتهم (١)

ولقد اشتغل الاراميون بالتجارة وضربوا بها بسهم وافر حتى كادت مقاليدها في بلاد

---

(١) هذه النبعة مقتبسة من كتاب لبنان تأليف لجنة الادباء من ١٨٦-٢٨٨ وتاريخ سورية لهديس ج ٢ مجلد ٣ من ٣٩٨ وما بعدها وتمييد كتاب الفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها للبراشي ورفقاء وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي ترجمة حذاد من ٢٨١ - ١٨٩ وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون .

الهلل الخصب وغربي آسيا تنحصر في ايديهم . وكانت قوافلهم تسير في كل اتجاه تحمل مصنوعات ومنتوجات بلاد الشام الى مصر والعراق وما وراءهما وتحمل من هناك مصنوعات ومنتوجات مصر وافريقية والعراق الى بلاد الشام . ونتيجة لذلك صارت لغتهم لغة التجارة والحساب بل والسياسة في بلاد الهلال الخصيب بل وفي شمال مصر وغدت اللغة الثانية المفضلة . وكان وجود جماعات كبيرة من الاراميين في جنوب العراق وجماعات كبيرة منهم في شمال مصر نتيجة لحركة الهكسوس والوجات النالية لها التي كانت تنساح الى مصر على ما شرحناه في الجزء الثاني مما ساعد على انتشار هذه اللغة . وفي الاصحاح



كتابة آرامية من القرن الخامس قبل الميلاد

(١٨) من سفر الملوك الثاني خبر مؤيد لهذا حيث قال الوفد اليهودي الذي جاء الى اسوار اورشليم لمفاوضة الوفد العراقي الذي ارسله الملك سنحاريب لرئيس الوفد : « كلم عبيدك بالآرامي فاننا نفهمها » وكان هذا في القرن السابع ممتداً الى ما قبل كما هو المتبادر . وقد عثر على مشهد من عهد تغلات بلاسر الثالث يمثل كاتباً يدون بالارامية الفنائم المأخوذة من احدى المدن المفتوحة بقلم على ملف من البردي وليس على لوح من الطين .

وقد ظلت اللغة الارامية نامية شاملة في العهد الفارسي حيث كانت اللغة الرسمية بين مقاطعات الامبراطورية الفارسية التي كانت تمتد من الهند حتى الحبشة مما لم يقسم مثل هذا الفوز لغيرها من شقيقاتها . وظلت متمتعة بهذه الميزة في عهد الدولة السلوقية ثم في الحكم

الروماني الى الفتح الاسلامي . وكانت لها الغلبة على غيرها حتى غدت اللغة الوطنية في بلاد الشام . والمتبادر ان هذا انما تم بسبب كون اللغات التي كانت شائعة في بسلاط الشام لهجات لغة واحدة وكون الناطقين بها هم من ارومة جنسبه واحدة .

ولقد وجدت آثار آرامية في نواح مختلفة من آسيا الغربية والوسطى وشمال افريقية فجاو ذلك دليلاً على انتشار الاراميين في هذه المنطقة الواسعة ونفوذ لغتهم اليها . ولقد كان الاراميون يستعملون الابجدية الفينيقية وبواسطتهم انتشرت في انحاء كثيرة من المعمورة وعند امم كثيرة ؛ حتى ليكن أن يقال إن الارمن والفرس والهنود حصلوا على ابجدياتهم من مصادر آرامية . وقد حمل الكهنة البوذون الابجدية السنسكريتية التي هي من أصل آرامي الى قلب الصين وكوريا .

ولقد اشتهر إلى جانب اللغة الارامية وفي موازاتها اللغة السريانية بل انها كادت أن تفتلها وتحل محلها . والسريانية من حيث اصلها فرع او لهجة آرامية . وتسمية السريانية مقتبسة من اسم سورية الذي كان يطلق على بلاد الشام جميعها من جبال طوروس الى رفح احياناً وعلى بعض هذه البلاد احياناً منذ القرن العاشر قبل الميلاد .

وقد ورد اسم سيرون اسماً لجبل حرمون في سفر التثنية من اسفار العهد القديم مما يحتمل أن يكون معماً عنه . وقد جاء هذا الاسم بصيغة شيريون في بعض الكتابات الأوغاريتية حيث يدل على أنه قديم يرجع الى ما قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد على كل حال . ثم صار اسم « سورية » يطلق على بلاد الشام . من قبل اليونانيين حيث ورد هذا في أشعار هوميروس وفي كتاب هيرودوت من رجال القرن الخامس قبل الميلاد .

وبعض الباحثين يظنون ان التسمية مقتبسة من اسم صور التي كانت كبرى مدن الكنعانيين وعاصمة مملكتهم الكبرى في القرن الثاني عشر الميلادي وبعده والتي كانت ذات نشاط ملاحى وتجاري واسع وشهرة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط ؛ وان اليونانيين صاغوا من اسم صور اسم سورية واطلقوه على جميع بلاد الشام . والى هذا فهناك من يظن أن التسمية متصلة باسم آشور الذي كان يترادف مع اسم اسيريا نتيجة لدخول بلاد الشام في حوزة الاشوريين حيناً بعد حين منذ القرن الحادي عشر الى القرن السابع قبل الميلاد .

وقد قال فيليب سخي ان الباحثين اخذوا يعدلون عن هذا الظن ويرجعون ان الاسم

مأخوذ من سورى SURI الذي كان اسماً لأحدى مناطق شمالي الفرات . وشيخوه  
صح هذا أم صح احتمال انبثاق التسمية من اسم صور أو من اسم ديريون فهي تسمية  
أصلية . وإذا صح أن التسمية جاءت من سورى اسم احدى مناطق شمال الفرات فيصح  
بالتبعية أن يقال إن اسم السريان الذي كان يسمى به الاراميون من سكان منطقة الرها قد  
جاء من هنا .

أما مرد شهرة الالهة السريانية فهو إلى كون أسفار العهد القديم والأنجيل قد كتبت  
بها في القرن الاول للميلاد المسيحي . وصارت هذه الكتب بهذه اللهجة هي الكتاب  
المقدس للمسيحيين السوريين على اختلاف اروماتهم من آراميين وكنعانيين وعبرانيين ؛  
كما صارت السريانية لهجتهم العامة وصار اسم السريان يطلق عليهم تمييزاً لهم عن الآراميين  
الآخرين والكنعانيين ومن حملتهم الفينيقيون الذين احتفظوا لفترة أخرى بالوثنية في مختلف  
انحاء بلاد الشام وعن العبرانيين الذين احتفظوا باليهودية . وبما ذكره الدبس ان  
السريانية كانت لهجة السيد المسيح وعامة بني اسرائيل وان السيد المسيح كان يبشر بها .  
فاذا صح هذا فتكون السريانية قد انتشرت حتى سادت أو كادت تسود بلاد الشام  
قبيل الميلاد ثم توطئت وازدادت سيادة وشهرة حينما غدت لغة الكتاب المقدس .

أما ديانة الآراميين فقد كانت آلهتهم الرئيسية سماوية مثل سائر الجنس العربي . وكانت  
تتطور من حيث الأشكال والرموز والاسماء والدلالات في أطوار مختلفة كما كانت مزيجية  
بما عند البابليين والكلدانيين والآشوريين والكنعانيين بل والسبتيين .

فقد ألهاوا بيل الذي هو لهجة ثانية لبعل واعتبروه الاله الأعظم وذكروه ورمزوا  
إليه بدائرة ذات اشعة . وقد ألهاوا القمر وكانوا يسمونه زين وصين والاسم صنوسين  
اسم القمر في اليمن والعراق وكان له هيكل عظيم في حران . وقد ألهاوا الزهرة وكانوا  
يسمونها عثر وعائرات والكلمة صنو عشتار وعشتروت ويؤنثونها ويعتبرونها زوجة الاله  
الأعظم . وكانوا أحياناً يعتبرون حدد اله الزوابع والرعد والخصب والسيول ويسمونونه  
أحياناً باسم ريمون بمعنى الواعد . وكانوا يسمونه أحياناً بالاسمين معاً حدد ريمون .  
وقد عثروا على معابد عديدة في سورية ولبنان . وهناك بعض الآثار التي تفيد أنهم كانوا  
يعتقدون بحياة اخروية حيث عثر على كتابة امر بتدوينها ملك آرامي اسمه بنامو الاول  
هذه العبارة على تمثال للاله حدد لنتلى عندما تقرب له الغرايين « لتأكل روح بنامو مع  
حدد ولتشرب زوجه مع حدد ولتفرح بالتقدمة لحدد » .

# لمحة في تاريخ بلاد الشام

## تحت حكم الفرس واليونان والرومان

كما فعلنا في الجزئين السابقين نورد هنا لمحة موجزة عن تاريخ بلاد الشام منذ دخلت تحت سيطرة الفرس . ولقد قلنا ان هذه البلاد دخلت بالتتابع في حكم الفرس ثم اليونان ثم الرومان ثم حررها العرب الذين جاؤوا هذه المرة من جزيرة العرب تحت راية الاسلام والعروبة الصريحة .

## حقبة الحكم الفارسي

لقد امتدت هذه الحقبة نحو مئتي سنة ( ٥٣٨-٣٣٣ ق م ) وكانت البلاد فيها ولايسة خاضعة لحكم الفرس باسم الولاية الخامسة وقد سميت مرزبانة عبر النهر ورتب عليها جزية مقدارها ٣٥٠ وزنة ( ١ ) .

ولم يؤثر عن بلاد الشام الداخلية نشاط ذو بال ولا سيما في المجال السيامي إبان حكم الفرس في حين اثر شيء من ذلك فيه في فينيقية وشرق الاردن وفلسطين حيث ظل يقوم فيها حكومات محلية على رأسها ملوك وأمراء من أهلها أي من الجنس العربي على ما شرحناه في فصول فينيقية وشرق الاردن وفلسطين والعبرانيين شرحاً يغني عن التكرار .

ومرد ذلك على ما هو المتبادر ان الحكومات الآرامية في سورية الداخلية قد زالت في عهد الاشوريين والبابليين وغدت ولاية آشورية وبابلية في حين استطاع بنو إسرائيل الذين عادوا من المنفى وتكثفوا في منطقة القدس التي صارت تعرف باليهودية أن يبدوا بعض النشاط كما استطاع بعض الممالك في فينيقية وشرق الأردن أن تستمسك أمام العواصف .

---

(١) كتاب فيليب حتي ص ٢٤٢ الترجمة العربية

# حقبة الحكم اليوناني أو

## الدولة السلوقية (١)

امتدت هذه الحقبة نحو قرنين ونصف ٢٣٣ - ٦٤ ق م وكان الحكم اليوناني في بلاد الشام مملكة محلية ان صح التعبير كما كان ذلك شأنه في مصر . وعرفت هذه المملكة بالدولة السلوقية نسبة إلى مؤسسها سلوقس أحد قواد الاسكندر الكبير . فقد تنازع قواد الاسكندر وأسرته من بعده وتنافسوا واقتتلوا . وتحالف سلوقس وبطليموس في جبهة واحدة ضد الآخرين وأسفرت المصاولة التي امتدت نحو عشرين سنة عن مملكة يونانية في مصر عرفت بمملكة البطالسة وأخرى في بلاد الشام عرفت بمملكة السلوقيين . وكانت هذه تشمل جميع سورية الداخلية والشمالية وجزيرة الفرات والعراق وما وراء ذلك من بلاد المشرق التي خضعت لسيطرة الاسكندر .

أما فينيقية وفلسطين وشرق الاردن وما كان يسمى بسورية المجوفة أي الأفضية الاربعة اليوم ( البقاع وبعبك وراشيا وحاصبيا ) فقد كانت في سلطان البطالسة في بدء الأمر . وقد تم هذا التقسيم بالتراضي بين القائدين المتحالفين بعد أن تم لها النصر على منافسيهم ، وخاصة على قائد اسمه أنتيغونوس كان صاحب الحكم في آسيا الصغرى ثم طمح إلى مد سلطانه إلى بلاد الشام ومصر .

ومما جرى في سياق النزاع ان بطليموس زحف من مصر على بلاد الشام واستطاع ان يستولي على فلسطين و فينيقية وسورية الوسطى بسهولة . ولكنه لم يكد يعود إلى مصر حتى جاء أنتيغونوس فاستولى على البلاد الشامية . وقد استعصت عليه صور كما استعصت قبل عشرين سنة على الاسكندر ، وكانت أفاق من ضربة هذا واستطاعت أن تستأنف نشاطها ، وقد غدت المدينتان البرية والبحرية ملتصقتين بسبب السد الذي أنشأه الاسكندر .

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ج ٢ ص ٨٥-٢٧٢ وكتاب لبنان تأليف لجنة الادباء ٢٢٢-١٢٤ و ٢٣٤-٢٣٦ وتاريخ سورية جرجي يني ١٣٠-١٦٥ وتاريخ سورية ولبنان . فلسطين فيليب حتي الترجمة العربية مع ٢٥ وما بعدها

بينها . ولقد حاصر انتيغونوس صور من البر فلم يفر بطائل وجيئذ أمر بقطع الاخشاب من الجبل ونقلها الى طرابلس وجبيل وصيدا وصنع منها سفناً وحاصر صور من البحر فاستطاع بذلك أن يستولي عليها بعد جهد وحصار امتد خمسة عشر شهراً . ثم سير حملة بقيادة ديمتريوس نحو الجنوب فاستولت على فلسطين واتجهت نحو مصر فخرج بطليموس الى لقائها والتقى بها عند غزة وتمكن من كسرها كسرة شديدة وكان ذلك عام ٣١٣ ثم لحق بها وطاردها وهي متقهقرة أمامه حتى تم له طردها من سورية الوسطى وفينيقية واستولى عليها . وسارع أنتيغونوس إلى نجدة ابنه فتمكن من الصمود في سورية الشمالية ثم كر على جيش بطليموس في سورية الوسطى وانتصر عليه واضطره إلى التخلي عما استولى عليه والعودة إلى مصر خائباً . وقد هدم قلاع عكا ويافا والسامرة وغزة وأخذ معه أو التحق به جمهور كبير من أهلها وأموالهم . ثم أرسل انتيغونوس ابنه بأسطول كبير إلى قبرص وانتصر على أسطول بطليموس أمامها واستولى على الجزيرة ؛ وزحف هو على رأس جيش على مصر وسير ابنه بالأسطول نحو سواحلها . غير أن الحملة البرية والبحرية انقضت بسبب العواصف والأمراض فاخطر انتيغونوس إلى التراجع عن مصر .

وفي هذه الاثناء نشبت فتنة في مملكته الاصلية في آسيا الصغرى فبادر إلى بلاده لاحتادها واغتم بطليموس الفرصة فزحف نحو الشام وفرض سلطانه على فلسطين وفينيقية وسورية الجوفية ؛ واستعصت عليه صور وصيدا ولم يدخلها في سلطانه إلا بعد حصار طويل . وقد سير أسطوله على قبرص ففرض سلطانه عليها . ولم يعد انتيغونوس وابنه إلى محاولة ثانية لانتزاع ما خرج من أيديهم هذه المرة ثم عصفت الفتنة بمملكتهما فطواهما التاريخ .

ولقد تولى عرش المملكة السلوقية ثمانية وعشرون ملكاً معظمهم من ذرية سلوقوس هذه أعمامهم وسني حكمهم (١) :

٢٨٠-٣١١	سلوقوس الاول
٢٦٠-٢٨٠	انطيوخوس الاول
٢٤٦-٢٦٠	انطيوخوس الثاني
٢٢٥-٢٤٦	سلوقوس الثاني

(١) المجلد الثالث من تاريخ سورية للديس ص ٢٥٨-٢٦٠



٢٤٦-٢٦٠	سلوقوس الثاني
١٨٥-٢٢٢	انطيوخوس الثالث الكبير
١٧٥-١٨٥	سلوقوس الرابع
١٦٤-١٧٤	انطيوخوس الرابع ابيفان
١٦٢-١٦٤	انطيوخوس الخامس أوباتور
١٥٠-١٦٢	ديمترىوس الاول سوتر
١٤٦-١٥٠	اسكندر الاول بالا
١٣٥-١٤٧	ديمترىوس الثاني نكاتور ( مرة بعد مرة )
١٤٢-١٤٥	انطيوخوس السادس
١٣٩-١٤٢	تريون
١٢٨-١٣٨	انطيوخوس السابع صيدات
١٢٠-١٢٥	قلوبطره في قسم من المملكة
١٢٣-١٢٤	سلوقوس الخامس مع امه قلوبطره
١٢٣-١٢٨	زبينا قم انقسم الآخر من المملكة
٩٦-١٢٠	انطيوخوس الثامن كوريوس ( مرة بعد مرة )
٩٥-١١٦	انطيوخوس التاسع الشيزيكى مع اخيه
٩٣-٩٥	سلوقوس السادس
٨٣-٩٣	انطيوخوس العاشر او ساب ( مرة بعد مرة )
٩٠-٩١	انطيوخوس الحادي عشر
٨٣-٩١	ديمترىوس الثالث اوثر في دمشق
٨٣-٩١	فيلبوس في انطاكية
٨٦-٨٩	انطيوخوس الثاني عشر في دمشق
٧٠-٨٠	سيلانة ارملة انطيوخوس في عكا
٦٤-٦٩	انطيوخوس الثالث عشر في قسم من المملكة

ولقد بنى سلوقوس مدينة سماها باسمه ومكانها اليوم السريديّة على البحر المتوسط في خليج الاسكندرونة واتخذها عاصمة . ثم بنى ابنه وخليفته انطيوخوس الاول مدينة

ثانية سماها باسمه كذلك وهي انطاكية فعدت عاصمة المملكة في معظم حقبة الدولة . وقد تعاظمت هذه المدينة حتى غدت من اعظم المدن كثافة سكان ورواء عمران وازدهار صناعة وتجارة وكان يحيط بها حدائق غناء فتزداد بها بهاء على بهاء ..

## موجز سيرة الدولة السلوقية

ولقد تقلبت هذه الدولة على ادوار واطوار . وكان سلطانها يتسع حيناً حتى يشمل بلاد فارس ومادي والعراق وكثيكيا وكابادوكيا وجميع بلاد الشام ومن جملتها فينيقية والاردن وفلسطين وينكش حيناً حتى يكاد ينحصر في قسم من سورية . وقد استشرى النزاع والتنافس بين امراء الاسرة السلوقية ثم بين السلوقيين والبطالسة حتى لقد كانت تاريخ هذه الدولة سلسلة متصلة الحلقات من هذا النزاع الذي كان يحرق معه الدسائس والمؤامرات والحروب . وكان النصر يتساجل بين المتنازعين حيناً ويكتب لفريق دون آخر حيناً . وقد قامت المصاهرة بين السلوقيين والبطالسة فكانت من اسباب وعوامل هذا النزاع في ظروف عديدة .

وقد انقسمت الدولة السلوقية نتيجة للنزاع بين الاسرة الى قسمين في بعض الظروف كان يقوم على كل قسم منها ملك سلوقي . وكانت دمشق حيناً وعكا حيناً مركز القسم الثاني وانطاكية مركز القسم الأول .

### المصاولات بين البطالسة والسلوقيين

#### على بلاد الشام

ومع ان اقتسام السلطان على بلاد الشام والجزيرة والعراق وما وراءه قد تم في البدء بالتراضي بين مؤسسي الدولتين الحليفين كما قلنا فقد دار التنافس والنزاع بين خلفائهما اكثر ما يكون على حكم فلسطين وشرق الاردن وفينيقية وسورية المجوفة حيث صعب على السلوقيين ان تكون هذه الاقسام الشامية خاضعة لسلطان البطالسة . وقد تعددت مراحل هذا التنافس بين الدولتين وتساجلت فيه النصر والمزيمة . وكاد يكون شغلها الشاغل بما كان في سياقه من حروب وزخوف ومكائد . وكانت هذه الاقسام تتبع هؤلاء حيناً وأولئك حيناً حسب نتائج الحروب غير ان المدة التي قضتها تحت سلطان السلوقيين

كانت ضعف المدة التي قضتها تحت سلطان البطالسة .

ولقد انبسط سلطان السلوقيين عليها للمرة الأخيرة عام ١٧٠ ق م فظلت تحت هذا السلطان إلى الفتح الروماني عام ٦٤ ق م .

ولقد بدأ التنافس على هذه الأقسام في عهد القائدين الحليفين حيث حاول سلوقس الأول أن ينتزعها من سلطان البطالسة بعد أن استقر له الحكم . غير أن موته حال دون تنفيذ عزمته فأراد خليفته أنطيوخوس الأول تنفيذها وشعر بطليموس الأول بذلك فأرسل إليه يقول أن العهد الذي بين أبيك وبينني جعل لي السلطان على هذه الأقسام ، ويطلب منه أن يجلو عما استولى عليه منها ويندريه بالحرب . ولم يستمع أنطيوخوس فزحف بطليموس على رأس حملة قوية اكتسحت البلاد إلى دمشق ، فتوطد السلطان البطلمي على ما كان من نصيب البطالسة حسب العهد الأول . وقد استطاع أنطيوخوس بمساعدة الاسبارطيين أن يسترد دمشق بعد قليل ولم يلبث أن مات فأراد خليفته أنطيوخوس الثاني أن يسترد بقية الأقسام فأدى ذلك إلى الحرب بينه وبين بطليموس الثاني عام ٢٥٥ ق م .

وبما روي أن هذا أراد احتكار التجارة البحرية فأنشأ مدينة على شمال ساحل البحر الأحمر سماها برنيقة على اسم أمه وأنشأ اسطولا صار يمحز في البحر الأحمر وبحر الهند وينقل سلع بلاد الشرق إلى هذه المدينة ثم تنقل من هنا إلى الاسكندرية ثم إلى سواحل البحر المتوسط فكان ذلك من أسباب التنافس والنزاع بين الملكين اليونانيين . ولقد طالبت الحرب بينهما دون أن يظهر أحدهما على الآخر واغتصمت الاقطار الشرقية - بلاد فارس وما وراءها - الفرصة فأعلنت تمردا واستقلالها ولم يبق أحد من وراء دجلة تابعاً للسلوقيين فجعل ذلك أنطيوخوس ينجح إلى مسالمة بطليموس ويعقد معه صلحاً ويتزوج من ابنته على شرط أن يطلق زوجته السابقة ويكون أولاده من بنت بطليموس هم ورثة العرش .

وكان ذلك سنة ٢٤٩ . ولم تذكر المصادر التاريخية التي ذكرت هذا شيئاً عن مصير البلاد الشامية المتنازع عليها . ولكن الاحداث التي وقعت بعد تدل على أنها ظلت تحت سلطان البطالسة حيث روي أن أنطيوخوس الثاني لم يكذب يسمع بموت حميه حتى طلى ابنته وأعاد زوجته الأولى وحبس الزوجة المطلقة وشدد عليها الحراسة ؛ فأثار أخاها بطليموس الثالث الذي خلف أباه فتتحالف مع بعض ملوك آسيا الصغرى وزحف من

الجنوب بينما رحف حلفاؤه من الشمال فاكنتسحوا المملكة السلوقية جميعها .

وفي هذه الاثناء مات انطيوخوس وثارت فتنة في مصر فأقام بطليموس على المملكة السلوقية سلوقوس الثاني ابن انطيوخوس كوس مقام أبيه على أن يكون خاضعاً لسيادته وعاد إلى مصر ويده مملوءة بالغنائم التي قدرت بالملايين وكان من جملتها كمية كبيرة من أواني الذهب والفضة والفان وخمسة تمال ثمن منها تماثيل نهبها كمييز من مصر وكان ذلك سنة ٢٤٥ .

ونقد حاول سلوقوس ان يتفكت من سيادة مصر بل وأن يسترد ما دخل في سلطانها من البلاد الشامية حينما مات بطليموس الثالث فزحف بطليموس الرابع الذي صار اليه الحكم على بلاد الشام ووطد سلطانه عليها وكان ذلك سنة ٢٣٠ .

ومات سلوقوس الثاني سنة ٢٢٦ فخلفه سلوقوس الثالث الذي كان ضعيف الجسم والعزم فتآمر عليه رجاله ودسوا له سمّاً سنة ٢٢٣ فخلفه على الملك اخوه انطيوخوس الثالث الذي عرف بالكبير وقد تفرغ اولا لاصلاح شؤون الدولة ثم اشتبك مع بطليموس بحرب امتدت امداً غير قصير وتعددت وقائعها وتساجل الطرفان النصر فيها ثم انتهت بانتصار انطيوخوس وانبساط سلطان السلوقيين على الاقاليم الشامية المتنازع عليها . ولم يطل ذلك لأن صلحاً انعقد بين الدولتين وعادت الاقاليم ثانية إلى سلطان مصر . غير ان انطيوخوس عاد فاستولى عليها بعد وفاة بطليموس سنة ٢٠٤

واستجار الملك البطليموسي الجديد بالرومانيين فطلب هؤلاء من انطيوخوس التغلبي عما اخذه واندروه بالحرب وسيروا حملة عليه فسارع الى لقائها على ارض تساليه اليونانية فكتبت عليه الهزيمة اولا وتقهقر امام الرومانيين الذين عبروا الى آسيا الصغرى واشتبكوا مع انطيوخوس بمعركة شديدة فيها كتبت عليه فيها الهزيمة ثانية مما اضطره إلى طلب الصلح والأمان منهم فشرطوا عليه ان يتخلى عن كل املاك دولته وراء جبل طوروس وان يؤدي خمسة عشر وزنة وان يقدم الرهائن التي يطلبونها على الوفاء بأقساط هذه لغرامة . فاستعظم انطيوخوس الشروط وحاول تخفيفها فأخفق فمضب القتال ثانية وخسر المعركة الجديدة بعد ان كاد يربحها فلم يكن له مناص من قبول الشروط . وعاد ليدير المال . وقيل له ان في هيكلي فارسي كزاً عظيماً فسولت له نفسه نهبه فنار به الشعب قتله مع حاشيته وكان ذلك عام ١٨٧ ق م .

وحتى بعل بطل قرطاجنة الذي ذكرنا خبر مصاولته مع الرومان وقدمه إلى صور بعد ان تغلبوا عليه في مناسبة سابقة قد جاء في زمن هذا الملك وقد اجتمع الملك به وفكر بالاستفادة من مهارته الحربية في مصاولته مع الرومان وابدى هذا استعداداه واخذ يعرض الخطط الحربية عليه ولكن الملك لم يصغ اليه اصغاء تاماً وسار على خطة وضعها بنفسه فكان مصيره الهزيمة .

ولقد خلف انطيوخوس الثالث ابنه سلوقس الرابع وكانت الدولة مشقة بغرامة الحرب وذل الانكسار ولم يستطع النهوض بالعبء فاغتم قائده اسمه هياودوروس الفرصة فدرس له السم سنة ١٧٥ وحل محله .

وكان للملك المسموم اخ وابن متغيبان فجاء الاول اولاً وتمكن من ازالة القائد والحلول في الملك باسم انطيوخوس الرابع . وقد استأنف النزاع السلوقي بين السلوقيين والبطالسة على الاقسام الشامية وادى الامر إلى حرب انتصر فيها فوطد سلطانه على هذه الاقسام بل ودخل مصر على رأس جيشه دخول الظافر وكان ذلك سنة ١٧٠ ومنذئذ ظلت هذه الاقسام في سلطان السلوقيين إلى الفتح الروماني .

وهذا الملك هو الذي اضطهد اليهود وخرّبهم وسبّاهم ونهب ما وجدته في معبدهم وامر ولاته باجبارهم على ترك تماثيلهم ومثرائهم وقتل من يتمرّد على ذلك فكانت المحنة الشديدة التي ادت الى الثورة المكابيه على ما شرحناه في فصل العبرانيين شرحاً يغني عن التكرار . ومات هذا سنة ١٦٣ فخلفه ابنه انطيوخوس الخامس وكان حدثاً تحت وصاية وحي معتدل فجعّج الى التخفيف عن اليهود وكتب لهم بذلك على ان يبقوا خاضعين لمخلصين . وفي هذه الاثناء جاء ديمتريوس ابن سلوقس الرابع الذي كان في رومه والذي كان يعتبر نفسه صاحب الحق في العرش وتمكن من قتل الملك الصبي ووصيه الجلوس على العرش وكان ذلك سنة ١٦٣ . وقد نقض الصلح مع اليهود فعادت المحنة والثورة إلى شدتها . وخرج على اسكندر ابن عمه انطيوخوس متحالفاً مع اليهود وتمكن من التغلب عليه وقتله (١٥٠) فانفجرت ازمة اليهود ثم تصاهر مع بطليموس السادس فقام عهد سلام بين الدولتين اليونانيتين . غير انه انصرف الى الترف والذائبة فنقم الناس عليه واغتم انطيوخوس ابن ديمتريوس الفرصة فخرج عليه فالتف عليه الناس واستنجد اسكندر بمجّيه فجاء هذا بجيش عظيم وسفن كثيرة مبيتاً النية على بسط سلطانه على البلاد . وقد كان

اهل البلاد يستقبلونه بالكرامه بما فيهم اليهود وكان كلما غادر مدينة ترك فيها حاميه  
وكان الاسكندر مشغولاً بالخارجي وشعر بنواياهم فعاد الى لقائه واشتبك معه فكتب  
عليه الهزيمة وتشرد . وانبط السطان البطلسي على المملكة السلوقية .

وفد مات بطليموس بعد عودته من الشام بقليل فزحف ابن ديمتريوس على بلاد الشام  
واستولى على مقاليد الحكم باسم ديمتريوس الثاني . وكان عسوفاً فلم يلبث ان اثار عليه  
نقمة الشعب واسقطه ونادي بانطوكيوس بن اسكندر ملكاً مكانه . وكان هذا حدثاً  
فنصب قائد اسمه ترينون وصياً عليه فما لبث ان قتل الصبي ونادي بنفسه ملكاً ثم اتصل  
بروما ووجد صلته بها ومهادها . غير انه كان هو ايضاً سيء السيرة فأثار نقمة الشعب  
واغتتم انطوكوس اخو ديمتريوس الفرصة فتاد حركه ضده وتمكن من قتله واستلام  
مقاليد الحكم .

وكانت الدولة المكاية في ظروف المنافسات قد تمتعت باستقلالها وامتنعت عن  
اداء الجزية فطالها هذا بالأموال المكسورة فأبت فسير عليها حملة منيت بالهزيمة فسار  
بنفسه على رأس حملة اخرى ثم انعقد الصلح على شروط خفيفة قبل بها اليهود .

وظهر من ملك الفرس مظامع فزحف انطوكوس عليه وغلبه واستولى على بابل  
وماري واساء في اهلها السيرة فثار عليه الشعب . وسير ملك مصر من ناحية اخرى  
شخصاً اسمه زينا كان يدعي انه ابن الاسكندر على رأس حملة فاجاز اليه السواد الاعظم  
والتحم مع ديمتريوس وهزمه فلبجأ إلى عكا ثم الى صور حيث قتل هناك .

وقد انقسمت المملكة بعد ديمتريوس الى قسمين شمالي مركزه انطاكية في عهدة  
زينا وجنوبي مركزه عكا في عهدة انطوكوس السابع بن ديمتريوس تحت وصاية  
امه قلوبطره .

واراد ملك مصر ان يفرض سيادته على زينا لانه هو الذي سيره وايده فأبى  
فأغضبه وجيز جيشاً ساعد انطوكوس السابع وامه على ازاحة زينا واجتماع شمل  
المملكة ثانية . وتزوج هذا بنت بطليموس فخفف التوتر لفترة بين الدولتين .

ومن عجب ما ورد ان قلوبطره قتلت ابناً كبيراً لها حتى يتسنى لها ملوكة الحكم  
بالوصاية على ابنها الاصغر ، وانها حاولت ان تدس السم لابنها هذا حينما بلغ رشده  
حتى يتسنى لها الانفراد في الحكم . وقد قدمت كأس الشراب السدوم لابنها فارتاب

وطلب منها ان تشرب منه اولا فظهر عليها الذعر فأصر عليها فلم تر بداً من الشرب  
فكان فيه حتفها ١

## أواخر عهد الدولة السلوقية

وقد خرج على انطيوخوس بعد قليل اخ له من ام اخرى عرف بالشيزيكى وتواحف  
الاخوان ثم اتقاعا على لقسام المملكة فكان نصيب الشيزيكى فينيقية وسورية المجوفة  
الى دمشق ونصيب انطيوخوس بقية البلاد . وانكب كلاهما على اللهو والترف فنسنى  
لهركانوس ملك اليهود ان يتبسط في السلطان على النحر الذي شرحناه في فصل العبرانيين  
ودست قابضة ملكة مصر اصبعها بين الاخوين فثارت الحرب بينهما وقد قتل انطيوخوس  
غيلة في هذه الظروف وحاول الشيزيكى ان يبسط سيطرته على جميع المملكة فتصدى له  
سلوقوس ابن انطيوخوس واستطاع ان يتغلب عليه ويأسره وقتله ويوطد سلطانه على  
المملكة . وكان ذلك سنة ٩٥ .

ولم يكدر يوتاج حتى تصدى له اوساب ابن الشيزيكى وتمكن بدوره من التغلب عليه  
والجائه الى الفرار الى كليكية وهناك تألب عليه اهل المصيص الذين استثقلوا تكاليفه  
فاضرموا النار بالمبيت الذي يقيم فيه فكان في ذلك حتفه ؛ واستتب الملك لاوساب  
فتصدى له فيلبوس ابن انطيوخوس واعانه جده بطليموس ملك مصر فتمكن من التغلب  
عليه والجائه الى الفرار واستلام مقاليد الحكم . غير ان النزاع لم يقف بين الاسرة فضاقت  
بذلك ذراع السورىين فعرضوا تاج بلادهم على تيغران ملك الآرمن قبله عام (٨٣) وارسل  
ناثباً عنه اسمه مفادات ليمارس الحكم . وتشرد كل من اوساب وفيلبوس ولم يبق في  
الميدان من السلوقيين الا سيلانة زوجة اوساب التي استطاعت ان تجتد من الانصار  
من ساعدها على الاستمسك في سورية المجوفة وجانب من فينيقية حيث ملكت بضع  
سنين وكانت عكاً مركزاً لها . وقد ارسلت ابنين لها الى روما ليحصلوا على تأييدها في حكم  
سورية ومصر التي كانت هي الاخرى في حالة ارتباك وفوضى بسبب ضعف البطالسة  
ومنازعاتهم فيما بينهم ايضاً .

ولم يوافق الرومان على طلب سيلانة وولديها واعلنوا الحرب على تيغران وانتصروا  
عليه وفرضوا عليه غرامة كبيرة عام ٦٩ ق م واجبروه على التخلي عن سورية وكبادوكية

وارمينية الصغرى والاكتفاء بملك ارمينية الكبرى ثم زحف بومبيوس على رأس حملة رومانية سنة ٦٤ واستولى على جزيرة الفرات وجميع بلاد الشام وحاولت سيلانه واولاده الاستمساك ولو تحت السيادة الرومانية فأبى بومبيوس فكان في ذلك نهاية الدولة السلوقية .

## حالة بلاد الشام في أثناء الحكم اليوناني

يمكن أن يقال إن الفينيقيين باستثناء استعصاء صور وصيدا على انتيغونوس وبطليموس قائدي الاسكندر الكبير في سياق غزوها لفينيقية وتنازعها عليها قبل توطد الدولتين اليونانيتين تقبلوا الحكم اليوناني بعد ذلك بدون تبرم ولم يعبأوا بالثقل الذي كان يطرأ عليهم من سيادة السلوقيين إلى البطالسة . بل وقد كانوا يبادرون إلى مساعدة اصحاب السيادة منهم على الآخرين بسفنهم وملاحيمهم .

ولقد استأنفوا نشاطهم التجاري والملاحي والصناعي وسجلوا فيه تفوقاً على غيرهم في هذه الحقبة وجنوا منه اعظم الارباح وازدهرت مدنها وترفعت حياتهم نتيجة لذلك .

ولقد وجدت نقود معدنية تحمل اسماء مدن عكا وصور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وارواد وطرابلس وعمريت ، وعلى احد وجهيها صورة حاكم المدينة ؛ حيث يدل هذا على ان هذه المدن كانت متمتعة باستقلال ذاتي غير ان الاسماء والآثار تدل على ان الحكم كانوا من اليونانيين مما يفيد ان الحكم الذاتي كان يونانياً على طريقة النظام الاقطاعي او حكومات المدن التي كان يجري عليها اليونانيون . وقد عرف من الآثار انه كان يقوم الى جانب الحكم اليونانيين مجالس شورية تتألف من اعضاء وطنيين ويونانيين معاً .

ولقد انشأ الحكم اليونانيون في مختلف انحاء فينيقية الساحلية والجبلية كثيراً من المعابد والحصون والقصور يبرز عليها الطابع اليوناني . وجاء كثير من اليونانيين فسكنوا المدن الفينيقية ونشروا اللغة اليونانية وبنوا اسماء بعض المدن باسماء يونانية مثل بيروت التي سموها لاورية وعكا التي سموها بطومية ؛ وتسربت الاسماء والاساطير الدينية اليونانية وامتزجت بالاسماء والاساطير الفينيقية فصار اسم الاله اليوناني زفس مثلاً يطلق على الاله الفينيقي بعل واسم الالهة اليونانية افروديت يطلق على الالهة الفينيقية ادونيس . واخذ الطابع اليوناني يطبع المشاريع والمنشآت والفنون والصناعات الفينيقية



وازدهر العلم في ربوع فينيقية مطبوعاً بالطابع اليوناني ايضاً . وقد ذكرت المدونات القديمة اسماء عدد من الفلاسفة النابغين مثل ديوس وثا ودوطوس وفيلوستوتس ويونيوس وديوروس وزينون النح وصيغة الاسماء اليونانية تجعل من الصعب التمييز ما إذا كانت اصحابها فينيين ام يونانيين وان كان احتمال فينيقية بعضهم قائماً .

وشيء من كل ما تقدم يمكن ان يقال بالنسبة لسورية وفلسطين وشرق الاردن . ولقد كانت انطاكية عاصمة المملكة التي انشأها ملك السلوقيين الثاني المركز الاول بين مراكز الثقافة اليونانية كما كانت اعظم مدينة سياسية في آسيا كلها الى جانب ما كانت عليه من فخامة ورواه . وقد انشأ اليونان مدن سلوقية وآفامية واريثوسا ( الرستن ) دسيروس في سورية وقلوبتريا في الجليل وغيروا اسم مدينة عمون - عمان - الى فيلادلفيا واسم مدينة حماه الى ابيثفانيه واسم مدينة شيزر الى لاريسه والرها او اورفة الى اريسة وحلب الى بيرويا وببت جبزين الى يوثيروبوليس . وانشأوا في ضاحية دفنة قرب انطاكية معبداً لآبولون حارحجاً لليونان والمتأثرين بتقاليدهم وعقائدهم من كل اطراف الشام . وقد اعتبر ملجأ مقدساً لمن يريد غداً مركزاً للخلاعة .

وكانت المدن اليونانية الجديدة والتي بدلت اسمائها الى اسماء يونانية تزود بالمسارح والساحات والملاعب والحمامات والمعابد على الاسلوب اليوناني وتغدو مراكز تكثف الجاليات اليونانية ومراكز انتشار الثقافة والتقاليد اليونانية حتى لقد غدا شمالي سورية مكثونية جديدة .

غير ان من الحق ان ننبه الى ما نبه اليه الباحثون العرب وغير العرب من ان الطابع اليوناني في بلاد الشام - فينيقية وسورية وفلسطين والاردن - وانتشار المنح والثقافة اليونانية فيها قد كانا سطحيين ومحصورين في المدن الكبرى وفي الاسر البارز التي كانت تتقرب الى الحكام وتمتزج بهم ابتغاء الوجاهة . اما عامة الشعب فقد ظلت محتفظة بتقاليدها ولغتها .

ولم تكد الدولة اليونانية تتوارى حتى نصلت الصبغة اليونانية التي صبغت بعض المظاهر وكانت ضيقة النطاق سطحية الاثر . والى هذا فقد ظلت اللغة الارامية التي صارت اللغة الوطنية العامة في بلاد الشام في هذه الظروف محتفظة بما صار لها من ذبوع وشبول مما اضطر السلطات اليونانية ان تعتبرها لغة رسمية الى جانب اللغة اليونانية .

بل لقد نبه الباحثون على أن الجوالي اليونانية كانت أكثر تأثراً بالحياة العربية ( التي بحلول لهم ان ينعتوها بالسامية ) من تأثر الوطنيين بالحياة اليونانية وان الحضارة الوطنية اعطت أكثر مما اخذت على تعبير فيليب حتي <sup>١</sup> . ولقد قرر لامانس اليسوعي في كتابه تسريح الأبصار <sup>٢</sup> . « ان العنصر المتغلب على سورية في عهد اليونان كان العنصر الآرامي لا اليوناني وهذا ان صدق عن سورية فهو أصدق عن لبنان حيث كانت آرامية سكانه في ايامهم اوضح من النهار ولم تكن اليونانية تعدو مسحة ظاهرية وزياً سطحياً . وفي المجلد الثاني من مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ نبذ معزوة إلى بعض اساتذة التاريخ والآثار تويد تلك التقارير حيث اوردت لروربرت كوهن قوله « يجدر ان تحذر المبالة في تأثير الحضارة الهيلينية . فالشعوب السامية ( العربية على الأصح ) احتفظت بلغتها وعاداتها ولم تتأثر بالهيلينية إلا نخبه محدودة ؛ وحيث اقتبست من يوكام وجوجو وروبرت كوهن ما خصته بهذه الجملة « وقد ظل سكان سورية غرباء عن ملوكهم او بالاحرى كان الملوك السلوقيون هم الغرباء عن الشعب السوري السامي ( العربي ) . ولقد اسكنوا حناً في المدن بعض الجاليات الهيلينية ولكن الأرياف السورية بقيت سامية ( عربية ) لم تشبها عجة . وحتى في المدن الجديدة التي انشأها او جردها السلوقيون لم يكن الاغريقيون من الكثرة بحيث يظهرون على السكان المحليين .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الظاهرة كانت بادية في مصر اثناء قيام الحكم اليوناني البطلمي فيها على ما نبهنا عليه في الجزء الثاني .

ولقد كان اهل سورية وغالبهم من الأرومات العربية الارامية والامورية يعبرون عن تبرمهم وسخطهم من سيرة ملوك السلوقيين السيئة بالثورة تارة والتألب على الملك السيء واسقاطه وتأييد غيره تارة . وعرضوا مرة تاج بلادهم على ملك الارمن على ما مر بيانه حيث يفيد هذا انهم لم ينفذوا ايدهم من النشاط السامي ويعيشوا في معزل عنه .

وبالاضافة إلى هذا فان بني اسرائيل وهم ارومات عربية ايضاً قد سجلوا نشاطاً سياسياً كبيراً بثورتهم المكابية وكان لهم في ظلها حياة سياسية وحربية جياشة . على ما شرحناه في فصلهم شرحاً يغني عن التكرار .

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين تعريب حداث من ٢٨١ وما قبلها

(٢) ج ٢ ص ٣٥-٣٨ انظر ايضاً القرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان من ٣١٥

والقد اخذ يقد من شمال جزيرة العرب منذ النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد المسيحي قبائل عربية جديدة متسمة هذه المرة بسمة العروبة الصريحة فتنتشر في اطراف بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات فتجدد دم العروبة وحيويتها في هذه البلاد وتصبغها شيئاً فشيئاً بصبغة العروبة الصريحة ، واخذ يقوم نتيجة لذلك في اثناء الحكم اليوناني بل وقبله بمالك وامارات ومشيخات صريحة العروبة في اكثر من منطقة من مناطق بلاد الشام وتنشط في مجال السياسة والحكم عوداً على بدء . من ذلك ما عرف بمجلكتي عربي وقيدار في طريق الشام — الحجاز في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . ومنه بمالك الرها وحيداب ومشيخات حمسنس وشمسا التي كانت في ايام الحكم اليوناني في جزيرة الفرات وشمال سورية . ومنه مشيخة الايطوريين في منطقة جبل الشيخ وبقاع العزيز والتي كانت تمتد إلى اطراف لبنان الشمالي من ناحية وحوران من ناحية اخرى في ايام الحكم اليوناني كذلك . ومنه اخيراً مملكة الانباط التي كانت عاصمتها بترا في شرق الاردن والتي قامت قبيل الحكم اليوناني مقام ما كان يسمى بمالك عمون ومواب وآدوم واستمرت طيلة هذا الحكم وبعده لأمد ما وكان سلطانها يشمل جميع شرق الاردن وحوران واطراف فلسطين وسيناء الى مدائن صالح<sup>١</sup> . ولما كانت هذه المدائن والمشيخات صريحة العروبة فقد اجلنا سيرها الى الجزء التالي المخصص لسيرة العروبة الصريحة قبل الاسلام .

## حقبة الحكم الروماني<sup>٢</sup>

امتدت هذه الحقبة نحو سبعة قرون ٦٤-٦٤٠ ب م وكانت روما صاحبة السيطرة

(١) انظر العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ض ٢٩٩ وبعدها ج ٣ ض ٢٨٠ وبعدها وتاريخ كلدة واشور ج ٢ ض ١٦٩-١٧٤ وتاريخ شرق الاردن تأليف بيك وآرعة طوقان ص ٢٦ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ٨١ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٧ وبعدها وتاريخ سيناء القديم والحديث لنوم شقير ص ٤٦٤ وكتاب الاسلام والمسيحية في لبنان لهاشم الدفردار

(٢) هذه النبعة مقتبسة من تاريخ سورية لاديس هجلد ٣ ج ٢ ض ٢٧٤-٦٣٩ وهجلد ٤ ج ٢ ص ٣-٥٦٣ والكافي لشاروبيم ج ١ ض ٢٤٠-٢٧٥ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين فيليب حتي الترجمة العربية ض ٤٠٨-٤٥٢ وتاريخ سورية جرجي بني ص ١٦٥-٢٠٩ ولبنان تأليف لجنة الادباء ض ٢٣٦-٢٤٨ و ١٢٧-١٣٣

الى اوائل القرن الرابع قبل الميلاد ثم سارت القسطنطينية هي صاحبة السيطرة في نطاق ما عرف بمملكة الروم البيزنسيين ، حيث انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين شرقي وغربي وكانت بلاد الشام في القسم الشرقي .

## حقبة سيطرة روما

كانت بلاد الشام تدار في هذه الحقبة من قبل ولاية عامين تعينهم العاصمة وهم الذين يعينون الولاة والعمال الثانويين تؤيدهم حاميات رومانية تحت قيادتهم او قيادة قواد خاصين . وكانت جميع البلاد احياناً تعتبر ولاية واحدة . كما كانت البلاد تقسم الى اكثر من ولاية ويعين اكثر من وال عام رأساً من قبل العاصمة . وكانت انطاكية على الأغلب مركز الولاة العامين . ومركز ولاية الشمال حينما تقسم البلاد الى ولايتين يكون الجنوب ولاية مركزها دمشق .

والى هذا فقد ظلت فلسطين او بعض اقسامها فترة من هذه الحقبة تحت حكم ملوك اليهود المكابيين في نطاق اشراف ولاية الرومان وسيادتهم . وقد اصطدم اليهود مع الرومان في اثناء هذه الفترة وادى الأمر الى نسف الرومان لدولة المكابيين وتدمير اورشليم وضرب اليهود ضربات قاصمة مرة بعد مرة في اثناء هذه الفترة وبعدها على ما شرحناه في فصل العبرانيين شرحاً يغني عن التكرار .

ولقد ظل شرق الأردن وما حوله فترة من هذه الحقبة أيضاً أي إلى سنة ١٠٤ ب م تحت حكم ملوك الانباط العرب ثم قضي على حكمهم وجعلت بلادهم ولاية باسم الولاية العربية في عهد الملك تريان (٩٨-١١٧) ب م في سنة ١٠٤ او ١٠٦ بواسطة حملة كانت يقودها قائد اسمه بابا (١) . وظلت كذلك منطقة جبل الشيخ وبقاع العزيز التي كانت في حكم مشيخة الايطوريين العرب التي قامت في أواخر الحكم اليوناني على ما ذكرناه قبل فترة من هذه الحقبة ثم قضي عليها في عهد اغوستوس (٢٩ ق م - ١٤ ب م) أو طيباريوس (١٤ ب م - ٣٧ ب م) (٢) . وظلت كذلك منطقة الرها في الفرات تحت حكم ملوكها

(١) تاريخ سورية للديس مجلد ٣ ج ٢ ص ٥٦١ وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زبدان ص ٨ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٥ وبعدها

(٢) تاريخ سورية للديس مجلد ٣ ص ٣١٩-٣١٠



تمثال الامبراطور اوغستوس

العرب أيضاً امتداداً لعهـد الحكم اليوناني على ما ذكرناه قبل فترة من هذه الحقبة ثم قضي على حكمهم في سنة ٢٤٧ ب م (١) .

ولقد استمر التوج العربي الصريح من جزيرة العرب نحو بلاد الشام في هذه الحقبة فامتألت بواديها بالقبائل العربية الصريحة . وقد قام نتيجة لذلك في منطقة تدمر التي انتقلت إليها الأهمية التجارية بعد القضاء على مملكة الأنباط في شرق الأردن امارة عربية في هذه

---

(١) تاريخ كلة واشور لادي شير ج ١ ص ١٦٩-١٧٤

الحقبة تحت سيادة الرومان في القرن الثاني بعد الميلاد واستمرت إلى أوائل القرن الثالث (٢٧٥ ب م) (١) وكان أمراؤها متوائمين مع ملوك الرومان محتعين نتيجة لذلك باستقلال ذاتي واسع وسلطان منبسط وتجارة زاهرة وحياة ناعمة . وقد ألم بروما ارتباك فاعتنمت ملكتها الزباء الفرصة فاعلمت استقلالها ثم بسطت سلطانها على سائر بلاد الشام ثم على مصر وكان ذلك سنة ٢٧٨ ب م . غير ان الرومان لم يكادوا يتخلصون من ارتباكهم حتى اهتموا للاهر وتمكنوا من التغلب على الزباء وأسرها ثم قضوا على السلطان العربي التدمري . وكان ذلك في عهد الملك أووليان (٢٧٤-٢٧٦ ق م)

ولقد أخذت القبائل العربية البدوية تعيث فساداً في أطراف بلاد الشام اغتناماً لفرصة الفراغ الذي كان نتيجة لزوال السلطان العربي من شرق الأردن وتدمير فصار الرومان يضطرون إلى الاتفاق مع زعماء القبائل على أن يكون لهم الحكم والسلطان على أطراف بلاد الشام فصار يقوم منذ القرن الثالث ملك عربي تحت سيادة الرومان واستمر إلى الفتح العربي مما عرف بملك سليح وتنبوخ والضجاعة والغساسنة (٢) وكل هذا سوف نزيده شرحاً في الجزء التالي المخصص لسيرة العروبة الصريحة .

ولقد منح بومبيوس فاتح بلاد الشام مدينتي صور وصيدا حق الحكم الذاتي وبتعبير الدبس اشترت المدينتان منه هذا الحق فاستمرتتا تمتعان به إلى عهد اغستوس ٢٩ ق م - ١٤ ب م الذي سلبه منها لتعزيمها لخصمه انطونيو . وقد خص هذا الملك برعايته بيروت ومنحها حقوق روما وسمّاها باسم ابنته جوليا وعين زرج ابنته اغريبيا حاكماً لها وسمح لها بسك عملة باسمها . وكان اغريبيا مغرمّاً بالعمران فجعل المدينة بمختلف المنشآت الفخمة . واستمر حكمها من بعده على سنته حتى غدت مدينة فتانة بمحاسنها ومشاهدها . ومن مظاهر العناية التي نالتها بيروت في هذه الحقبة مدرستها الحقوقية التي روي انها من منشآت امبراطورة من سلالة سورية على ما عليه أكثر الرواة (١٩٣-٢٣٢) وكان يرد اليها الطلبة من جميع الانحاء ويتخرج منها القضاة والمحامون لحاكم العالم الروماني . وقد أعفت هذه

---

(١) تاريخ سورية للدبس مجلد ٣ ج ٢ ص ٥٩٠ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام زيدان ص ٩٨ وبعدها والعرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٧١ وبعدها

(٢) انظر تاريخ سورية للدبس مجلد ٤ ج ٢ ص ٣١-٢٦ وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ١١٨ وبعدها وجرجي زيدان ص ١٩٥-١٩٧ و٢٠٦ وبعدها







وانقضاء . وقد فاق جميع الفقهاء الرومانين بكثرة التأليف التي ربت على اللاتين . ومنهم مكسيموس الصوري الذي يعزى اليه ( ١ ) مقالة في المباحث الفلسفية والادبية . ومنهم تريتون اليهودي الذي كان أشهر يهود عصره في الفلسفة ولوسيان السيمساطي الذي سماه بعضهم فولتير عصره وكان مثالا ثم فقيهاً وفيلسوفاً وله نحو ثمانين مؤلفاً . ومنهم فيلوت الجبيلي الذي كتب أو ترجم تاريخ الفينيقيين لنكوتين البيروني . ومنهم اسياسيوس الجبيلي المشهور في أيام الملك ادوين ( ١١٨ - ١٣٨ ) بالفلسفة والخطابة والتاريخ ومنهم بورفيري الصوري الذي تعزى اليه تأليف عديدة في مواضيع فلسفية وادبية متنوعة . ومنهم كاسيوس لنجين الذي اشتهر في الفلسفة والذي استقدمته الزباه ملكة تدمر وجعلته رئيس وزرائها وغيرهم وغيرهم .

وإذا كان لا يمكن الجزم بالقول ان جميع هؤلاء شاميون او عرب الارومة ثقفوا بالثقافة الرومانية ونبغوا في مجالها أم رومانيون من المولدين في بلاد الشام فان بعضهم شاميون او عرب الأرومة حتماً على ما وصفوا به . وليس ببعيد ان يكون باقيهم او فريق من هذا الباقي عرب الارومة ايضاً . ولا عبوة في التسمية لانها نتيجة للثقافة الرومانية كما هو المتبادر .

وقد اخذت المسيحية تنتشر في بلاد الشام منذ عهد مبكر من هذه الحقبة نتيجة لتبشير تلامذة المسيح ورسله واخذ يقوم على رأس المسيحيين بطاركة واساقفة وشمامسة وورهبان .

ولم تلبث المسيحية التي ذكرنا بداية نشوؤها في فصل العبرانيين ان اصطدمت بالوثنية دين الدولة الرومانية وان اخذت معتقوها يتعرضون للاضطهاد والعذاب والشهادة من حين الى حين . وقد اورد المطران الدبس اسماء عدد غير يسير من رجالات المسيحية الذين استشهدوا في سبيل الدفاع عن عقيدتهم والثبات عليها . ومنهم من كان يحرق حرقاً ومنهم من كان يجلد ويعذب حتى يلقى حتفه ومنهم من كان يطرح للوحوش المفترسة . ومنهم من كان يقتل في بلاد الشام بأمر الولايات ومنهم من كان يرسل الى روما حيث يجادل ثم يعذب ويقتل بطريق من هذه الطرق . ومنهم رجال ومنهم نساء . ومعظم الذين ذكر اسماءهم من اصحاب المناصب الكهنوتية العالية او من العلماء المتبحرين في الفلسفة واللاهوت . وجميع الاسماء وردت في كتاب الدبس بصيغة يونانية رومانية حيث يدل هذا على انها اخذت من مدونات يونانية رومانية .

والراجح ان كل اصحابها او جلهم من اهل البلاد .

وقد قال الدبس ان هذه الاسماء ليست اسماء جميع الشهداء وهو طبيعي ولا شك ان هناك آلافاً من الشهداء ما دام عدد الرؤساء والمشاهير في نطاق المئات على ما يفيد سياق الدبس . وقد قال ابن اسقفأ او مؤرخاً اسمه اوسابيون القيصري كتب كتاباً عن شهداء فلسطين وحدها يحتوي عدداً كبيراً من الأسماء وكيفية استشهادهم المفجعة .

وقد اورد الدبس الى ذلك اسماء كثيرين من البطارقة والاساقفة الذين كانوا يمارسون مهامهم الكهنوتية في هذه الحقبة ويموتون ميتة طبيعية واخبار اجتماعات ومجالس مناظرات ومجامع مقدسة كان يعقدها هؤلاء في صدد المسيحية وعقائدها وكنائسها حيث يبدو من هذا ان الاضطهاد لم يكن متلاحقاً وان كان يخف او ينقطع فترة بعد فترة فتتمتع المسيحية ورجالها بشيء من الأمن والطمانينة ايضاً .

وقد ظل الامر على هذا النوال الى ان اعتنق قسطنطين الكبير (٣٠٥ - ٣٣٧ م) المسيحية في سنة ٣١٢ م نتيجة لرؤياه في المنام علامة الصليب مكتوباً عليه انك ستنتصر به وذلك في حربه التنافسي مع قائد آخر اسمه مكسنس فانصر وانتصر على ما رواه الرواة وحينئذ اباح الظهور للنصرانية واقامة الكنائس ورد للمسيحيين ما حودر من كنائسهم واعاد وسرح من كان منفياً ومعتقلاً من رجالهم وغدت المسيحية دين الدولة باستثناء نكسة قصيرة بعد موته حيث ارتد الملك يوليانس (٣١١-٣١٣) عن المسيحية واضطهدها فبرزت معالم الوثنية ثانية حتى اذا مات عادت المسيحية ديناً للدولة واستمرت كذلك .

ولقد رافق انتشار المسيحية في حقبة سيطرة روما اقوال متنوعة في عقائدها منذ عهد مبكر ايضاً سمى الدبس اصحابها اهل البدع . ومن ذكر خبرهم من هؤلاء من رجال القرن الاول سيمون الذي ينعت بالساحر والذي يعزى اليه قوله ان النفوس بعد الموت تجتاز الى اجساد اخرى وان الملائكة هم الذين خالقوا العالم وكان يدعي انه روح القدس ومنذروس الذي ادعى انه ارسل مخلصاً وان لا خلاص لأحد إلا بالايمان بوسالته ؛ وكيرنتوس الذي كان يقول ان يسوع انسان ولد كعامة الناس من يوسف ومريم وحل عليه روح القدس وكان يحرف انجيل متى وينكر قدسية رسائل بولس الرسول وكتاب اعمال الرسل وهذا وتلك من المجموعة التي عرفت عند النصارى باسم العهد الجديد ، ومنهم ايون اندي كان يقول ان المسيح بشر ولده يوسف ومريم ولكنه احرز النضال فاختره





ولقد كان عدد من الملوك ولاية وقواداً في الشام قبل أن يرتقوا الى سدة الملك فكان ذلك مما جعلهم يهتمون بهذه الشؤون . هذا بالإضافة الى السلالة السورية التي حظيت بلاد الشام في عهدهم بالرعاية والعناية والى هؤلاء وأولئك يعزى كثير من الآثار . ولقد كان يزور بلاد الشام كثير من الملوك الرومان في ظروف عادية وحربية فكانوا كذلك يأمرّون بإنشاء المنشآت العمرانية المتنوعة ايضاً . ومما نوه المؤرخون به من ذلك زيارة ادریان

الجسر الروماني المعروف بقناطر زبيدة قريباً من بيروت

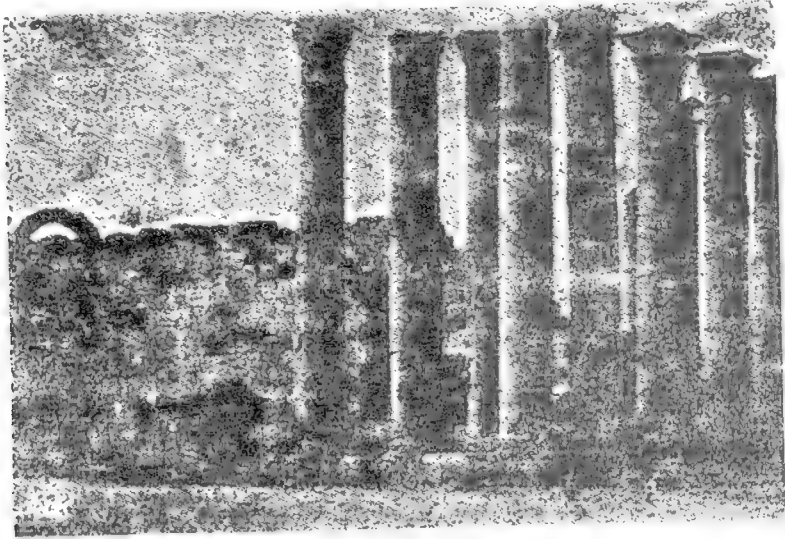


(١١٨-١٣٨) لبلاد الشام مرتين وافامته فيها بضع سنين ، حيث كان مسن نتائج ذلك منشآت هامة منها هيكل الشمس في بعلبك ومنها سلسلة من الحصون والقلاع التي اكتشفت في طريق تدمير دمشق والبالغ عددها ٢٠٠ ومنها تجديدات هامة في مدينة جبيل وسلسلة

من الطرق العسكرية في مناطق حوران وشرق الاردن .

ولقد كانت عناية الرومان بالشؤون الصناعية والزراعية والتجارية في بلاد الشام موازية لعنايتهم بالشؤون العمرانية فأدى ذلك إلى ازدهار الصناعة والتجارة والزراعة فيها . وقد اهتموا خاصة لحفظ احرش الصنوبر والسرو والأرز في جبل لبنان وانتفعوا بها كثيراً .

وكان للنسيج الصوفي والحريري والكتاني ثم للصباغ الأرجواني وصناعة الحلي والزجاج والجلد في فيليقية خاصة شهرة عظيمة في أرجاء الامبراطورية تضارع ما كان لها من



من آثار مدينة جرش الرومانية

شهرة سابقة ، كما كان لكروم سورية وخرها صيت ذائع . فأدى كل هذا إلى استمتاع الأهليين بالثروة والرفاه

ولقد ورث الرومان العداء الذي كانت بين الفرس واليونان فتكررت الزخوف والوقائع الحربية بين الطرفين في حقبة سيطرة روما . وكان النصر والمهزومة يتساجلان بينهما وإن كان الرومان سجلوا مرات أكثر من النصر . وكانت ميادين الوقائع أكثر ما يكون بين العراق ولبكيا وتشمل ما بين النهرين وشمال سورية أحياناً . ولم يكد يقع في هذه الحقبة حرب بين الطرفين في صميم بلاد الشام . وقد اندمج امير تدمر في سنة







وان الذي ولدته هو انسان صار آله الله وان الذي تجسد في حشاها غير كلمة الله وانما حلت  
حلت كلمة الله فيه فصار هيكل الله وبناء على ذلك لم يولد ولم يتألم ولم يميت . وان في المسيح  
اقنومان إلهي وبشري . وقد ارتقى نسطور إلى رتبة البطركية وصار له أتباع وثبت  
مذهبه واستمر زعم ما انعقد من مجامع وجرى من مجادلات . وقد تطور المذهب النسطوري  
بأقوال لتأييد نسطور اسمه أو طيخا حيث كان يقول ان المسيح انسان حل فيه اللاهوت  
وان الطبيعتين او الاقنومين الالهى والبشري فيه امتزجا فصار فيه طبيعة واحدة ولم يعد  
إنساناً كاملاً ولم يصير إلهاً كاملاً وانه كان عند التجسد ذا طبيعتين ثم صار بعده ذا  
طبيعة واحدة . وقد غطى المذهب النسطوري المعدل على المذهب الاربوسي ولا سيما انه جاء  
متسارفاً معه وتطوراً له أيضاً .

وقد حظى المذهب النسطوري المعدل بتأييد بعض ملوك الرومان فكان ذلك وسيلة إلى  
تثبيتته وتمكينه . وصار يقوم من رجاله في القرن الخامس بطاركة واساقفة إلى جانب  
بطاركة وأساقفة كاثوليكين حيناً وبانفراد هؤلاء أولئك حيناً حسب تقلب الاحوال .

أما الثاني فهو يعقوب البردعي من رهبان الرها . وقد ظهر في أواسط القرن السادس .  
وأقواله متسقة مع أقوال نسطور وأوطيخا أي كون المسيح صار ذا طبيعة واحدة عند  
التجسد . ولقد ظهر في مصر بطرك اسمه يعقوب ديسقوروس في أواسط القرن الخامس  
يقول بمثل هذا القول فالتبس الأمر على بعض المؤرخين وجعلوا الاثنين واحداً مع ان  
يعقوب البردعي من الرها ويعقوب ديسقوروس من مصر على ما يفيد سياق الدبس .  
ولقد عقدت مجامع ومجالس وكانت مناظرات ومجادلات ولكنها لم تسفر عن شيء حيث  
ثبت المذهب اليعقوبي وانتشر واعتنقه الجمهور الاكبر في مصر والشام وصار يقوم منه  
بطاركة وأساقفة إلى جانب بطاركة واساقفة كاثوليك أو بالانفراد حسب تقلب  
الاحوال .

وهكذا كانت العقيدة في المسيح متعارضة منذ القرن الأول وكان دائماً مذاهب  
متوازياً فيه أحدهما مذهب المشيئين والطبيعتين والتساوي في الجوهر مع الاب وروح  
القدس وهو المذهب الكاثوليكي وثانيها مذهب الطبيعة الواحدة وعدم مساواة المسيح  
مع الأب ومخلوقته وهو المذهب الأيبوني ثم السيبساطي ثم الاربوسي ثم النسطوري ثم  
اليعقوبي والذي كان مذهب غالبية أهل البلاد .

ولقد كان اعتناق الرومان للمسيحية بما كان يزيد في التناحر والتشاد بين اصحاب المذاهب المتعارضة حيث كان ملوكهم يؤيدون مذهباً على آخر ويضطهدون احياناً اصحاب المذهب الآخر فيبدون كضحايا وشهداء فيشتد استمساكهم بمذهبهم . وكان الملوك احياناً يقفون مع الاختلافات المذهبية موقف اللامبالاة أو الحياد فيكون ذلك فرصة للتجادب والتشاد بين اهل المذاهب ويتسنى لكل منهم ان يقيم مع رجاله بطارقة واساقفة الى جانب بعضهم . بل وكان الذين يشعرون بقوتهم يحاولون ان يفرضوا مذهبهم على غيرهم . وكان يتسنى للوثنية في هذه الحالة ان ترفع رأسها وتبرز مظاهرها . وقد صار المذهب الكاثوليكي منذ أواسط القرن السادس هو المذهب الرسمي للرومان وكان قبل ذلك كذلك بدون اطراد فصار اصحاب المذهبين اليعقوبي والنسطوري عرضة للاضطهاد والمطاردة . ومن اشتد في الاضطهاد والمطاردة جوستينيان ( ٥٢٧-٥٦٧ ) على ما كان عليه من حصافة وعلى ما سجل لنفسه من منفرة تشريعية في تنظيمه مجموعة الشرائع الرومانية . وقد شمل اضطهاد الوثنية واليهودية ايضاً فأخذت الوثنية خاصة تدخل في دور التواري والانقراض لان اصحابها غدوا اقلية ضعيفة في خضم المسيحية . وظل الامر على هذا المنوال الى الفتح الاسلامي فاعتبر اليعاقبة والنساطرة الفاتحين منقذين ورجواهم ودخلوا في ذمتهم ، ولم يلبثوا ان اخذوا يعتنقون الاسلام افواجاً افواجاً حتى كاد يعمهم لأن بين عقيدتهم بالمسيح وبين رأي الاسلام فيه تقارباً وتساوقاً قليلاً أو كثيراً . وكان جمهور النصارى من العرب الصرحاء في بلاد الشام وجزيرة الفرات والعراق من اهل هذين المذهبين فكانت الوحدة الجنسية التي جمعت بينهم وبين الفاتحين من الاسباب المبصرة لذلك والحافزة عليه .

ولقد اصطدم اليهود بالرومان في هذه الحقبة ايضاً وثاروا اكثر من مرة وفي أماكن متعددة . وكانوا يتعرضون للقمع والتنكيل الشديد . وقد كانوا يفتنمون فرصة غزو الفرس لبلاد الشام فيهاجمون النصارى ويثخنون فيهم فكان ذلك مما أدى الى اشتداد العداء والاحقاد بينهم وبين النصارى وجعل هؤلاء يشترطون في تسليم القدس لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم عدم سكنى اليهود معهم فيها مما شرعناه في فصل العبرانيين .

ولقد استمر الرومان على عنايتهم بشؤون بلاد الشام العمرانية في هذه الحقبة ايضاً . وقد انشأوا كثيراً من الملاعب والمسارح والصحاريج والآبار والأقنية والطرق والقلاع

